

العدد العاشر

السنة ٢٥ • شوال ١٣٨٧ • (يناير ١٩٦٨)

الثلث ١٠ قروش

المسلم

مع العدد هدية

بمناسبة الاحتفال بمرور ١٤ قرناً على نزول القرآن الكريم





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾
الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ
الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . أَقْرَأُ
وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ
عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ



صدق الله العظيم



المندوب الإسلام

مجلة الثقافة الإسلامية

يصدرها

المجلس الأعلى
للشؤون الإسلامية

فان غرة

كل شهر

عرب



شوال ١٣٨٧

العدد العاشر • السنة ٢٥



رئيس التحرير

محمد توفيق عويضة



من محتويات العدد

- الجهاد قمة الدليل على الايمان ..
- السيد حسين الشافعى
- نائب الرئيس ووزير الأوقاف
- والشئون الاجتماعية
- حديث مع سفير مالى بالقاهرة
- تفسير القرآن الكريم
- السنة النبوية الشريفة
- من مقالات المستشرقين
- فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى
- انا نحن نزلنا الذكر وانا نه لحافظون
- فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى
- نحو الاسلام
- فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى
- الاخلاق الاسلاميه
- الدكتور أحمد الحوفى
- الفقهاء المحدثون وآراهم فى التاسخ والمنسوخ
- الأستاذ أحمد حسين
- بنو اسرائيل فى ميزان القرآن
- الأستاذ البهى ابخوى
- فى رحاب القرآن الكريم
- فضيلة الشيخ محمد على الطعمى
- من حضارة الاسلام فى التصوف
- الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل
- القرآن يعلمنا آداب اللقاء فى الحروب
- فضيلة الشيخ عبد الوهاب السائت
- أفكار العيد
- الدكتور محمد ضياء الدين الرئيس
- من فضل القرآن على الأدب
- فضيلة الشيخ محمد كامل الفقى
- كيفيه تلاوة القرآن الكريم
- فضيلة الشيخ محمود خليل الحصرى
- ماذا تعرف عن العالم الاسلامى ؟
- الدكتور عنايات الطحاوى
- بداية النهاية « مسرحيه »
- الأستاذ عبد الحميد غرابه

الاشتراكات عند سنة

١٠٠ قرينة فى الجمهورية العربية المتحدة

٨٠ قرينة للعمال والطلبة

يضاف الى هذا قيمة البريد خارج الجمهورية العربية المتحدة
دوايسات قيمة هذه الفللة فى البلاد الأخرى

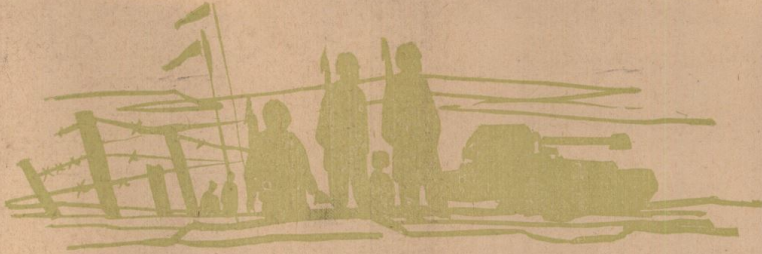
تفلى كوبونات البريد الدووس ذات القرش

الاشتراكات تدفع مقدما

العنوان

٣ شارع الامير قنار المتفرع من شارع التحرير بالقاهرة

تليفون ٢٨١٥٦



الجهاد قمة الدليل على الإيمان

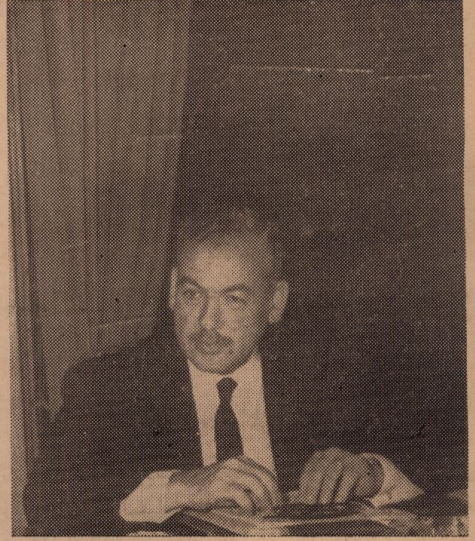
فى الثالث من رمضان الماضى الموافق ٤ ديسمبر ١٩٦٧ ، دعت أمانة القاهرة للاتحاد الاشتراكي العربى ، السيد حسين الشافعى نائب الرئيس ووزير الأوقاف والأزهر الى افتتاح مسجد الجهاد ، الذى أنشأته بمركز الشباب بالجزيرة وحدات التنظيم السياسى بقسم قصر النيل ، فطلب سيادته أن يكون الاحتفال بهذه المناسبة تقليدا جديدا هو اقامة ندوة اسلامية يجرى فيها الحديث عن العقيدة التى تدفع القوة الضرورية للجهاد وقال سيادته فى هذه الندوة كلمة باسم الله وبحمده والصلاة والسلام على المثل الأعلى فى الجهاد .

الآية والقدوة والتطبيق ..

اصطفاه ربه اصطفاه بشرا يوحى اليه انما الهكم اله واحد . وأراد الله أن تجرى على يد هذا البشر أكبر ثورة عرفها التاريخ ، وأراد سبحانه ألا تتسم هذه الثورة الخالدة باعجاز يفوق حد التصور ، ولكنه تعالى رسم المراحل التى يمر بها كل ثائر وكل مصلح وهى مراحل يتعرض فيها للهزيمة .. للصبر ... للنصر .. لكل ما يمكن أن يتعرض لها أى من الناس .

فهذا هو حبيب الله ومصطفاه يهاجر من بلده بعقيدته ، يشكو الى ربه ضعفه وقلة حيلته وهوانه

أظنكم أيها الاخوة قد جئتم الى هنا وأنتم تحسبون أن لقاءنا الليلة سيكون قاصرا على معانى الدين ، ولكننى أومن بأن الدين ليتجدد مع الاحداث ، اذا استطعنا أن نجد فى كل مناسبة الآية المناسبة والقدوة الحسنة والتطبيق السليم . ومن واجبنأ الليلة أن نطوف من حول ذلك كله ، من آيات الله البينات ، ومن الأسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه حينما .



السيد حسين الشافعي
نائب الرئيس
وزير الأوقاف والشئون الاجتماعية

وتدربها على الصبر ، حتى يكون النصر سبيلا الى
الاستغفار وليس مخرجا الى الزهو الذي يخرج
بالانسان عن عقيدته .

الدين مصدر القوة ••

ونحن الآن فى هذا المجال ، يسعدنى أن التقى
بهذا الجمع من قادة الاتحاد الاشتراكى العربى ، فى
مثل هذا الاحتفال الأول من نوعه ، لأننا نتلاقى الليلة
مع عاطفة طبيعية فى هذا الشعب المتشدين • فهذا
اللقاء يجعل الناس يفكرون فى أوامر دينهم على أنها
مصدر أساسى من مصادر القوة •• كيف ؟

ان دستور هذا الدين وهو القرآن الكريم ، قد
عرف الايمان تعريفا سياسيا •

(قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا
اسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم) •

ثم يحدد سبحانه المؤمنين بقوله تعالى :

على الناس ، ثم يعود فاتحا منتصرا يحمل راية الحق
التي تتحطم تحتها الأصنام ، فلم يضعف أمام
أحد من المواقفين الخطيرين •

ثم نسمعه وصوته يعلو فى خطبة الوداع بقول
الله عز وجل :

(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى
ورضيت لكم الاسلام ديناً)

ثم تذكر آخر ما نزل من القرآن فى سورة النصر:
(اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون
فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره
انه كان توابا)

ثم تتأمل ثلاثة وعشرين عاما من النضال والجهاد
طول مدة نزول الوحي ، لاشك اننا نعرف سبيلنا
ونحن نسير على طريق الايمان والعمل ، ونوطد
النفوس على أننا سنواجه المصاعب التي تصقل النفوس

المؤمنون الصادقون ..

أما الشرط الثالث • بل العنصر الثالث الذى يبين معدن هؤلاء المؤمنين ، هو القرار الذى صدر فى نفس الآية : (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله) وليس فى سبيل غنيمة أو مطعم أو كسب رخيص • أولئك هم الصادقون •

هذا الجهاد بالمال والنفس هو قمة الدليل على الايمان •

وفى كل يوم تتجدد الفرصة لمن يريدون أن يشتبوا ايمانهم •• عليهم ان يتقدموا فى ساحة العمل جهادا بالمال والنفس •• حتى لانصطلم باناس يضمنون حتى يوقتهم على العمل من أجل البناء •• وهم بعد ذلك يحسبون أنهم مؤمنون ، وماهم بمؤمنين •

تحنم علينا المعركة ••

أعود الى سورة الحجرات ، فاذكر أننى لو لم أعمل فى الحقل السياسى لما علمت هذا الاعجاز فى القرآن • ان هذه السورة تحدد جوهر البناء السياسى على النظام والالتزام ودقة المعلومات ومقومات العمل والخلق والترابط السياسى •• ان الله فى هذه السورة الكريمة يعرف الايمان والاسلام ، ثم يذكرنا بمن يمينون على الرسول القائد بانهم آمنوا ، بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان ان كنتم صادقين •

عندما أستعرض هذه المعانى ، بل هذا الاعجاز ، ثم أرى من يعرف القرآن ولا يعرف الحياة ، ادعو الله ان يكون فى تنظيمنا اللقاء بين من يعرف الحياة ويعرف القرآن •

اننا بشر ، والبشر أعداء ما جهلوا •• اننا فى المعركة ، ويجب ان نجد كل قوانا السياسية والروحية والاقتصادية والعسكرية والصربية والاسلامية •• وبعدها لن تبقى لاسرائيل بقية مهما ساندتها قوى البغى •

النظام والالتزام ••

ولكن تحقيق ذلك يحتاج الى مجتمع جاد مسئول •• مجتمع يسوده النظام والالتزام •

(انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون)

لقد أحسست وأنا أقرأ هذه الآية كثيرا ، بانها تنطبق تماما على العضو الصحيح فى تنظيمنا السياسى

الشرط الأول أن يكون مؤمنا بالله ورسوله ، والايمان بالله ايمان بالاسلام وأهدافه ودليل العمل والغاية •• انه ايمان بذلك كله •• أما الايمان برسول الله فهو الايمان بالقائد فى شخص الرسول ومن يمثل الرسول من ابناء أمتة فى كل وقت من الأوقات •• فالرسول يمثل الرسالة ويجسم اصل الايمان بالوسيلة التى عرفنا بها دين الله •

الايمان بالقيادة هنا فى أجلى وأعظم معانيها •• أعود فأقول اننى حينما أقرأ هذه الآية أحس بالفطرة انها نزلت فى سورة تتحدث عن التنظيم الاسلامى •• سورة الحجرات •• وهى لاتزيد على صفحتين من كتاب الله الأعظم •• انها سورة لاتخاطب سوى القلة من المؤمنين ، فان على اكتافهم تقوم الدعوة ويرسخ الايمان ، ويقوم العمل •

الشرط الثانى فى العضو المؤمن واضح فى قوله تعالى (ثم لم يرتابوا) •• أى وصلوا مرتبة اليقين مرتبة العقيدة التى لاتعرف الشك ولا التردد ، عقيدة من يعرفون طريقهم فيسلكونها حتى النجاح مهما تكن العقبات •• هذا اليقين الذى وصل بأبى بكر الصديق الى حد الثقة بما يقول مجيد ولو أتى بمعجزة تفوق تصور البشر ، قبل ان يسمعها من محمد صلى الله عليه وسلم •

فقد جاء الى الصديق بعض من قومه يبلغونه ان صاحبه يحدث الناس عن اسرائه من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى وانه قد صعد الى السماء ، فسأل مبلغه : هل سمعتم ذلك منه • قالوا نعم وانه ليحدث الناس فى الكعبة بما رأى • فقال ابو بكر على الفور : اذا كان قد قال هذا فهو الحق

هذه هى الثقة التى بلغت حد اليقين •• الثقة التى لاتتناول اليها الريبة أو الشك •• وان العمل السياسى لايمكن ان يقوم على فئة من المتشككين والترددين •• فئة تسير خلف الفكرة وخلف القائد بكل اطمئنان وكل اصرار وكل عزم وكل تصميم •

وعلى هذه الاضواء الناصعة يمكن أن نهتدى نحن
الى كيف ينبغي أن يكون تنظيمنا السياسى .

لا بديل عن النصر . .

وقد أردت أن أبدأ معكم هذا اللقاء بالتعرف على
حقيقة معانى الدين ، حينما تطبق فى المجال العملى
فى البناء السياسى ، ونحن نناضل فى مجال إعادة
البناء العسكرى .

اننا نريد النصر ، ونحن نبشر به . . وللنصر
تكليفه وله التزاماته . . نبشر بالنصر ونحن نوضح
ما يتطلبه النصر ، حتى لا يكون فى التبشير تخدير
لاعصاب الجماهير .

وحديث النصر يبدأ بحديث المعركة والمعركة
طويلة وقاسية ، والمسئولية كبرى ، ونحن فى أول
الطريق . .

لقد أراد الله لنا أن نصدم فى الجولة الأولى ،
وكان من الخير أن تحدث هذه الصدمة بالنسبة
للعرب والمسلمين جميعا .

وان من يراجع حساب الأرباح والخسائر ، يجد
اننا ارتفعنا فوق النكسة ، وأن الأرباح مستمرة
بعدها ، رغم الخسائر الكبيرة فى الاموال والأنفس ،
ولكن النعمة قد تأتى فى ثوب النكسة ، فنحن الآن
بنين فى كل ميدان بناءا بعيدا عن الغرور والاحساس
الزائف . اننا الآن نعمل ولا نتكلم . . ونحن أحرص
ما نكون على كسب الجولة الاخيرة ، ونحن على ثقة
من أننا خلف الزعيم البطل جمال عبد الناصر القائد
الذى لم تهزه الأيام العصيبة ، وكان من الشجاعة
والقدرة على الحركة ، وبقى فى كل لحظة على مستوى
الموقف ، وهذه هى سمات الرجل الذى يؤكد ثقنا
فيه كل يوم ، ويضعنا فى كل لحظة على طريق الايمان
والصبر والعزم والعمل من أجل النصر الذى لا نرضى
بغيره بديلا ، وكل ما نحتاج اليه هو أن نؤمن بالله
وننصره ، بالجهد بالمال والنفس ، والايمان
بالقائد وعدالة المعركة ، ثم لا نشك فى النصر أبدا ،
فلا ليه لا يخلف وعده ، وقد وعد بنصره المؤمنين .

(ياأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله
ورسوله ، واتقوا الله ، ان الله سميع عليم .

يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق
صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم
لبعض)

(ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم
لا يعقلون ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان
خييرا لهم)

(ياأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا
ان تصيبوا قوما بجهالة)

(واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير
من الأمر لعنتم) .

(انما المؤمنون اخوة) .

(ياأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم
عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى
أن يكن خيرا منهن)

(ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان
بعض الظن اثم .

ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ، ايجب
احدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا)
(ان أكرمكم عند الله أتقاكم)

آيات بينات تكشف عن قداسة التنظيم السياسى
فى الاسلام ، وهى ترسم لنا الدستور الأفضل
للعمل السياسى والأسلوب السياسى ، والخلق
السياسى ، والأدب السياسى . . علاقة القيادة
بالقاعدة ، ثم دقة المعلومات التى سيبال عنها ناقلها
أمام ضميره وأمام الله . . ثم الادراك بأن القائلو
استمع الى كثير من الآراء لتعبت الأمة ، ولكن عندما
يتأخى المؤمنون ، يحسون بأنهم وحدة فكرية ، تبنى
المجتمع الجاد المسئول عن تبليغ اشرف وأنبل
الرسالات ، ينبغى أن يسود الاحترام المتبادل بين
جميع أفرادها ، ولا تجسسوا وإياكم والغيبة ، ثم
تكونون بعد ذلك المجتمع المؤمن بأن أكرم الناس عند
الله هو أتقاهم .



حديث مع سفير مالى في القاهرة

السيد

بوبيكار
كاسي

تتمتع مالى بموقع جغرافى فريد فى افريقيا ، فلها حدود مشتركة مع سبعة دول افريقية هى الجزائر وموريتانيا فى الشمال والنيجر فى الشرق والسنغال وغينيا فى الغرب وساحل العاج وفولتا العليا فى الجنوب . وبسبب هذا الموقع كانت مالى دائما ملتقى الحركات الوطنية التحررية ومركزا للكفاح المشترك ضد الاستعمار .

وقد شق الاسلام طريقه الى الأسرة الحاكمة فى مالى فى منتصف القرن الحادى عشر حينما غزا المرابطون بقيادة « ابن ياسين » غانا - ويعتبر « برمندانه » اول ملوك مالى الذين اعتنقوا الاسلام وجاء من بعده « سندنديانه » ويعتبر المؤسس لجد وعظمة مالى فى القرن الثانى عشر . وتوالى من بعده الملوك والسلاطين المسلمون حتى كانت مالى اقوى دولة فى السودان الغربى وكلها ممالك اسلامية فكلما جاء ملك اضاف ممالك جديدة الى سلطان الاسلام وشيد المساجد والمدارس وجلب الى بلاده الفقهاء .

ومنذ ذلك العهد حتى الآن وشعب مالى شديد التدين ، والتعليم الاسلامى منتشر هناك رغم العقبات التى كان يصادفها ايام الاستعمار وتعتبر مدينتا تمبتكو ودجنة من اكثر البلاد تميزا بمظاهر الحياة الاسلامية . وبين مالى ومصر صلات قوية دينية وثقافية قديمة تمتد الى العهد الفاطمى .

ومنذ حصول مالى على استقلالها برئاسة موديبو كيتا . اتخذت جميع الاجراءات لتطبيق الاشتراكية فى كل مجالات حياتها القومية ، والعمل على تحقيق الوحدة الافريقية ، ودعم السلام العالمى .

وكان لقائى هذا الشهر مع
بوبسكار أو - أبو بكر - كاسى
سفير مالى بالقاهرة

وقد بدأ سيادته حديثه معى
بقوله :

- ان مالى تقف الى جانب
الجمهورية العربية المتحدة فى
جميع قضايا التحرر لتأكيد
مبادئ التعايش السلمى
والتعاون الدولى .. ان شعب
مالى وشعوب أفريقيا عامة تعرف
الدور التاريخى الذى لعبته
الجمهورية العربية المتحدة ولا
تزال تلعبه لابرار الشخصية
الاfrيقية وتدعم الاستقلال
الوطنى لشعوب القارة . ان
العلاقات التاريخية موجودة منذ
القدم بين بلديننا وقد قامت
العلاقات الدبلوماسية فى مارس
١٩٦١ - وهى فى ازدهار مستمر،
وقد تمت عدة اتفاقيات ثقافية
وفنية واقتصادية بين البلدين .

وقال لى سيادته :

- ان جميع التقسيمات
التقليدية التى حاول الاستعمار
فرضها على القارة الافريقية
وتمزيقها الى شمال الصحراء
وجنوب الصحراء الى افريقيا
بيضاء وسوداء وسمراء الى شرق
وغرب الى افريقيا ناطقة بالفرنسية
وأخرى ناطقة بالانجليزية قد
انهارت جميعا وجرفتها الحقيقة
الجغرافية الأصلية ولم يبق على
أرض أفريقيا غير لفة واحدة هى
لفة المصير المشتركهما اختلفت
أساليب التعبير وأصبحت هى
القارة المتحررة النامية التى
تساهم فى صنع الاحداث الكبرى
فى العالم والرئيس موديبو كيتا
رئيس جمهورية مالى من أول
المساهمين فى انشاء وتدعيم

منظمة الوحدة الافريقية ومن
أول مؤيدى كافة حركات التحرر
فى القارة الى جانب اصراره على
الوقوف ضد تفلفل الاستعمار
وضد تثبيت قواعده ومساهمته
المستمرة فى فضح أساليب
الاستعمار القديمة والجديدة .

وقد أولت الجمهورية العربية
المتحدة قضايا شعوب أفريقيا
المزيد من عنايتها وعملت بكل
قواها لتأييد استقلالها وحريتها
والسعى لى ينال كل منا
حقوقه .

وعن رايه فى العدوان الاسرائيلى على الاراضى العربية ..

قال سيادة السفير :

ان مالى تستنكر بشدة الاعتداء
الذى شنته اسرائيل ضد البلاد
العربية .

ونحن كبلد فى طريقنا الى
التقدم لم نعترف أبدا بالالتجاء
الى الحرب كوسيلة لحل المشاكل
ولم ننس كلمة الكاتب المشهور
جوريس : « ان الرأسمالية تحمل
الحرب فى حد ذاتها كما تحمل
الفيوم الرعد » . فاسرائيل
تدافع عن نفسها بقولها انها
محاطة ببلاد كبرى معادية لها
وانه لم يكن لديها سوى الحرب
لضمان بقائها . وهى بذلك تطبق
المثل القائل :

« اذا أردت السلام فكن
مستعدا للحرب » ولكن اسرائيل
شوهت المثل وجعلته : « ان
أردت السلام حارب » .. وهكذا
كشفت أمرها وظهرت نواياها
الحربية بسبق الاصرار لأنه اذا
صح ما تدعى وأحسنت أنها

فيجب على الشعوب أن تعلم
علم اليقين أن كفاحها ليس كفاحا
محصورا بين حدود معينة ولكن
كفاح ضخم . كفاح كل يوم ضد
الاستعمار وأداة الاستعمار لأنه
إذا كان السلام لا يقبل التجزئة
فإن الكفاح ضد الاستعمار
لا يتجزأ أيضا . أن معركة
أخواننا العرب هي معركة المواطن
في مالى والهند والبرازيل
واليابان ونيجيروا إيران كما أن
معركة شعب فيتنام هي معركة
جميع الشعوب المحبة للسلام
وللعادل وهي خاصة معركة العالم
الثالث الذى ما زال يعاني
استبداد الاستعمار الجديد
والامبريالية .

ان وفد مالى يتمنى أن تمنح
الجمعية العامة تأييدها المطلق
لمشروع الدول غير المنحازة وذلك
لاقرار السلام والامن فى الشرق
الاوسط وفى العالم .



.. فاذا رضح مجلسنا للتحدى
فاى دولة فى العالم بما فى ذلك
الدول الكبرى أى دولة ستكون
فى مأمن من هجوم مفاجئ وأى
مبادئ جديدة ستحدد علاقتنا
لو نرضى بسياسة الأمر الواقع
والقوى الناشئة . اننا لن تراجع
وسنظل ننادى من فوق هذه
المنصة انه اذا سمحنا للاعتداء
أن يبقى بغير عقاب فقد حفرنا
بأيدينا مقبرة الامم المتحدة بعد
٢١ سنة من انشائها . لأننا
سنفتح مجالا للمغامرات المائلة
وبذلك لن يكون فى إمكاننا فادى
الحرب العالمية الثالثة التى
حذرنا منها السكرتير العام
فالذى يحدث حاليا فى فيتنام
وفى الشرق الاوسط يمثل
فى نظرنا الخطوة التحضيرية
لحرب عالمية ثالثة .

ولم يتردد الجنرال ديغول
فى أن يضم صوته عاليا محذرا
مما قد ينجم من أخطار جسيمة
فيما لو تشبثت حرب عالمية
ثالثة .

واذا كان العدوان الخاطف
الذى شنته اسرائيل فى ٥ يونيو
ضد البلاد العربية قد أدى الى
بعض الانتصارات العسكرية -
التي هي فى رأينا انتصارات
مؤقتة - فاننا مقتنعون أن هذا
العدوان سيكون درسا ستتخذه
الشعوب لمواجهة الاعداء
الامبرياليين .

ان هذه الشعوب ستكون
أكثر يقظة وأكثر تصميمًا حتى
لا تقع تحت نير المستعمر وأن
لا تقبل أى تنازل فيما يتعلق
بحقوقها وسيادتها ..

مهدة فلماذا لم تلجأ الى منظمة
الأمم المتحدة وهي المسئولة عن
اقرار السلام والامن فى العالم .
وان كانت حقيقة حسنة النية
فلماذا كانت تعارض فى الدعوة
لانعقاد جلسات الجمعية العامة .
ان أعمال اسرائيل هذه تذكرنا
بالفرق الهتلرية للاحتلال بالقوة
.. ان امبراطورية النازية التى
نادت بالتفرقة والتوسع قد
انهارت أمام قوى السلام
والحرية والديمقراطية . ان
مساندى اسرائيل من
الامبرياليين يهدفون الى تحطيم
النظم التقدمية والمعادية
للإمبريالية فى الشرق الاوسط
تلك النظم التى تقف ضد الاطماع
الاستعمارية للاحتكارات الدولية
فى الشرق العربى .

**واستطرد سيادة السفير
قائلا :**

ان ما أقوله فى هذا الموضوع
هو نفس ما قاله وزير خارجية
مالى فى الجمعية العامة للأمم
المتحدة فقد قال هناك :

- ان أزمة الشرق الاوسط
يجب أن تدرس على ضوء الهجوم
الذى شنه الاستعمار العالمى فى
السنوات الاخيرة لقمع الحركات
الثورية فى العالم الثالث ولحقو
القادة والنظم الذين يتبعون
سياسة مبنية على أسس شعبية
متينة وعميقة ولا يقفان تحرير
الشعوب ووضع أداة دينية تخدم
المصالح الاستعمارية والامبريالية
على رأس البلاد التى استطاعت
أن تحتفظ باستقلالها وبحريتها

تفسير القرآن الكريم

(١) سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

مَكِّيَّةٌ وَأَرْبَعٌ مِائَتَانِ وَسِتُّونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ①

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ② الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ③

مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ④ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

نَسْتَعِينُ ⑤ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ⑥

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ

عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ⑦

سورة الفاتحة

وبيان الوعيد والانذار للكافر والسيء ،
وبيان العبادة ، وبيان طريق السعادة
في الدنيا والآخرة ، وقصص الذين
أطاعوا الله ففازوا ، وقصص الذين
عصوه فخابوا .

والفاتحة تشتمل ، بطريق الإيجاز
والإشارة ، على هذه المقاصد ، ولذلك
سميت « أم الكتاب » .

هذه السورة مكية ، نزلت في مكة قبل
الهجرة ، وسميت الفاتحة لأنها أول
السنن في ترتيب المصحف الشريف ،
وهي أول سورة نزلت بتمامها ، وهي
تشتمل على مجمل ما في القرآن ، وكانها
أجمال يحلو بعده التفصيل .

ومقاصد القرآن هي بيان التوحيد
وبيان الوعد والبشرى للمؤمن المحسن ،

١ - تبتدىء باسم الله الذى لا معبود بحق
سواه ، والمتصف بكل كمال ، والمنزه عن كل نقص ،
وهو صاحب الرحمة الذى يفيض بالنعيم جليلها
ودقيقها ، عامها وخاصها ، وهو المتصف بصفة
الرحمة الدائمة .

٢ - الثناء الجميل بكل أنواعه وعلى كل حال
لله وحده ، ونثنى عليه الثناء كله لأنه منشئ
المخلوقات والقائم عليها .

٣ - وهو صاحب الرحمة الدائمة ومصدرها ،
ينعم بكل النعم صغيرها وكبيرها .

٤ - وهو وحده المالك ليوم الجزاء والحساب
وهو يوم القيامة ، يتصرف فيه لا يشاركه أحد فى
التصرف ولو فى الظاهر .

٥ - لا نعبد الا اياك ، ولا نطلب المعونة الا منك

٦ - نسألك أن توفقنا الى طريق الحق والخير
والسعادة

٧ - وهو طريق عبادك الذين وفقتهم الى الايمان
بك ، ووهبت لهم نعمتى الهداية والرضا ، لاطريق
الذين استحقوا غضبك وضلوا عن
طريق الحق والخير لأنهم أعرضوا عن الايمان بك
والاذعان لهديك .

اقرأ فى العدد القادم تفسير من أول

سورة البقرة الى قوله تعالى (فان لم

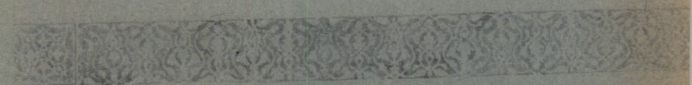
تفعلوا ولن تفعلوا ٠٠ الخ)

(آية ٢٤)

السنة النبوية الشريفة



تَفِيضًا اِيَّاهُ اَعْلَنَّا



تمهيد في التعريف بالسنة وتدوينها

القسم الاول

- تاريخ تدوين الحديث
- مراتب الرواية
- أقسام السنة

السنة

وفصل مجمله وخصص عامه كما قال تعالى :

« وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم »

وان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي كان يبين للناس ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم وما فيه مصالحهم في الدنيا والآخرة وهذه هي الحكمة التي كلف الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعلمها للناس والتي هي جزء من رسالته كما قال سبحانه : « لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين »

ولقد كان صلى الله عليه وسلم يبين لهم حكم الله في كل شيء

١ - هي تبليغ النبي صلى الله عليه وسلم الذي بلغ به رسالته استجابة لقوله تعالى :

« يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس »

فكان هذا التبليغ بأقوال النبي صلى الله عليه وسلم التي دعا اليها المشركين وأهل الكتاب الى هذا الدين الحكيم ..

وكذلك كانت أفعاله وتقريراته وأقواله للمؤمنين تبليغا للرسالة بينهم وانارة لطريق الهداية لیسلكوه .

والنبي صلى الله عليه وسلم هو الذي بين القرآن فوضح مبهمه



« نضر الله عبدا سمع مقالتي
فحفظها ووعاها وادها قرب حاملا
فقه غير فقيه وحامل فقه الى من
هو أفقه منه »

ولقد كان العرب يعون ما
يسمعون ويحفظونه وذلك لأنهم
أمة أمية علمها في الصدور
لا في القراطس وبيانها باللسان
لا بالقلم والصحابة كانوا من أولئك
العرب النابهين فكانوا يحفظون
أقوال النبي صلى الله عليه وسلم
ويعون أفعاله بتلك الحافظة القوية
التي أرهفت بالاستذكار والوعى
ويزيدهم استحضافا على ما
يسمعون اجلالهم لمقام الرسالة
وايمانهم بالله وبالرسول صلى الله
عليه وسلم ورغبتهم في أن
يستحفظوا على ما يفدى إيمانهم
ويقوى يقينهم وذلك هو كلام
رسول الله صلى الله عليه وسلم

كتابة أقوال النبي صلى الله عليه وسلم

٣ - يتكلم العلماء في كتابة
السنة أمى أمر منتهى عنه أم هى
أمر مرغوب فيه وقد وردت أخبار
يبدو بادىء الراى أن فى ظواهرها
تعارضا فقد روى عن النبي صلى
الله عليه وسلم أنه نهى عن كتابة
غير القرآن فقد قال عليه الصلاة
والسلام فيما رواه مسلم عن أبى
سعيد الخدرى

« لا تكتبوا عني ومن كتب عني
غير القرآن فليمحجه وحدثوا عني
ولا حرج ومن كذب على متعمدا
فليتبوا مقعده من النار »

لمصدر واحد وهو ما أنزل من
السماء .

٢ - من أجل هذا عني المسلمون
الأولون بمعرفة أقوال النبي صلى
الله عليه وسلم وما كان أبو بكر
الصديق ومن جاء بعده من
الراشدين ليقضوا فى قضية أو
ليعملوا عملا خاصا بالمسلمين ألا
يحثوا عنه فى كتاب الله فان لم
يجدوا فى كتاب الله ما يحكمون
به أو ما يعملون بمقتضاه اتجهوا
الى سنة رسول الله صلى الله عليه
وسلم يتعرفونها ويبحثون عنها
فان وجدوها فهى المبتقى الذى
يريدونه وان لم يجدوها تعرفوا
الحكم من مقاصد الشريعة العامة
ومصادرها ومواردها الخاصة .
وقرروا ما يوحىيه رأيهم فان
قرروا رأيا وعثروا على ما يخالفه
من سنة الرسول صلى الله عليه
وسلم تركوا رأيهم حتى أنه ليروى
عن الصديق رضى الله عنه أنه
قال :

« أى أرض تقلنى وأى سماء
تظلنى اذا لم آخذ بقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم »

وان العناية بالسنة قد ابتدأت
فى حياة النبي صلى الله عليه
وسلم فقد كان أصحابه رضى
الله عنهم حريصين على أن يحفظوها
ويعوها والنبي صلى الله عليه وسلم
كان حريصا على تمكينهم من
حفظها بل دعاهم الى حفظها وإلى
تفقهها كما قال صلى الله عليه
وسلم

فيحل لهم الطيبات ويحرم عليهم
الخبائث وما كان يحرم الا ما حرمه
الله ولا يحلل الا ما أحله وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحكم بينهم فيما يختلفون فيه
وينفذ حكم الله فى قضائه كما
قال سبحانه :

« فلا وربك لا يؤمنون حتى
يحكموك فيما شجر بينهم ثم
لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما
قضيت ويسلموا تسليما »

وكما قال سبحانه وتعالى :
« انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق
لتحكم بين الناس بما أراه الله
ولا تكن للخائنين خصيما »

وان رسول الله صلى الله عليه
وسلم بأفعاله وتقريراته أى ما
يقره من أفعال الناس كان قدوة
يقتدى به وأسوة للمؤمنين يتبعونه
وهو بأفعاله وتقريراته يرسم
الحدود ويوضح المعالم ويهتدى
للتى هى أقوم وقد أمرنا بالاعتداء
به وانتهاج سبيله كما قال
سبحانه وتعالى :

« لقد كان لكم فى رسول الله
أسوة حسنة لمن كان يرجو الله
واليوم الآخر وذكر الله كثيرا »
وفى الجملة فان شرع الله
لا يعلم الا من بيان رسول الله
صلى الله عليه وسلم واذا كان
القرآن هو المصدر الاول فالسنة
هى الشارحة له والمبينة لبهمه
والمفصلة لجملة وهى المصدر
الثانى وان شئت فقل انهما
مصدران متلازمان أو جزءان

ولاشك أن هذا الحديث الصحيح فيه نهى عن الكتابة ولهذا النهى حكمة واضحة ذلك أن القرآن هو الذى كان يكتب وكان ينقل من فم النبى صلى الله عليه وسلم فإذا نقل من فمه غيره فقد يختلط حديث الرسول صلى الله عليه وسلم بالقرآن فى وسط تلك الأمة الأمية وكتاب الله الذى كتب الله على نفسه أن يحفظه الى يوم القيامة كان من أهم وسائل حفظه ألا يختلط بغيره وألا يكون هنالك احتمال للاختلاط بغيره .

وبجوار ذلك الحديث الناهى وهو معقول المعنى ولدت آثار تدل على :

(أ) أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يرغب فى الحفاظ فقد روى البخارى فى صحيحه وأبو داود فى سننه عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه أنه قال :

كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه فنهتني قريش وقالوا تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يتكلم فى الغضب والرضا فامسكت عن الكتابة فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأومأ بأصبعه الى فيه فقال :

« أكتب فوالذى نفسى بيده ما يخرج منه الا حق »

وروى ابن عبد البر فى كتابه « جامع بيان العلم » عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« قيّدوا العلم بالكتاب »

(ب ح) أنه عسرف أن بعض الصحابة كانت عندهم بعض الأحكام الدينية التى تلقوها من فم الرسول صلى الله عليه وسلم فقد روى البخارى عن أبى جحيفة « قلت لعلى كرم الله وجهه هل عندكم كتاب ؟ قال لا ، الا كتاب الله وفهمه اعطيه رجل مسلم ، أو ما فى هذه الصحيفة قلت وما فى هذه الصحيفة قال .. العقل أى الدية وفكك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر »

فدل هذا على أن كتابة الحديث كانت فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ورغب فيها أحيانا

٤ - ذاك خبران يبدو فى ظاهر الأمر أنهما متعارضان ولكن يمكن التوفيق بينهما بأن ذلك كان فى صدر الدعوة المحمدية ووسطها وكان يخشى من الخلط بين السنة والقرآن فكان النهى لذلك ، ولكن لما كثر نزول القرآن حتى نزل أكثره ولم يبق الا اقله وأشرب المؤمنون

حبه وذاقوا حلاوته وبلاغته وسمعوا كلام النبى صلى الله عليه وسلم وعرفوا مرتبته لم يكن الخلط محتمل الوقوع وخصوصا ان الآيات كانت تنزل فتتلى وتردد تلاوتها فى الصلوات وترتل ترتيلا وتحفظ فى الصدور وكثر حفاظ القرآن فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فصارت حماية القرآن من الخلط لا بالكتابة فقط بل بالكتابة والتلاوة والترتيل الذى كثر استجابة لقول الله تعالى :

« ورتل القرآن ترتيلا »

ويزكى هذا المعنى أن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضى الله عنه كان اتصاله بالنبى صلى الله عليه وسلم بعد صلح الحديبية أى فى أواخر عهده عليه الصلاة والسلام فكان المعقول أن يكون طلبه تدوين الحديث فى الفترة الأخيرة من حياة النبى صلى الله عليه وسلم

ومهما يكن الأمر فان تدوين الحديث فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ما كان شائعا ولا كثيرا لانصراف الصحابة الى الجهاد ولمعنى النهى فى أول الأمر ولقلة من كانوا يعنون بكتابة الحديث كعبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه ولذلك نقلت الأحاديث بطريق الرواية

اقرأ فى العدد القادم :

الرواية فى عهد الصحابة والتابعين

بيان جماعة علماء السودان حول اعتداء إسرائيل

المشردون من العرب الى ديارهم وطرد شذاذ الافاق
الصهيونيين الى حيث كانوا ولتعلم الامم أن العرب
اليوم أمة تعتمد على ايمانها بالله وحققها وعلى قوة
سواعد ابنائها وعزة جنودها وقوة عقيدتها وفهم
قضيتها وعلمها باعدائها وستنزل الهزيمة بكل معتد
وتحسب كل عدوان ، فامة العرب والاسلام سسلام
لمن يريد السلام ونار حامية لمن يريد العدوان

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ان الجهاد لرد العدوان الاستعماري الاسرائيلي
جهاد اسلام مقدس فهو متعين على كل فرد من أفراد
المسلمين وكل في حدود طاقته باليد واللسان والمال
فمن مات مات شهيدا والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون
ومن عاش عاش حميدا - الله اكبر والعزة لله
ولرسوله وللمؤمنين فالى الزحف المقدس ولى التطوع
والاستشهاد فى سبيل الله ياشباب المسلمين .

ان تنصروا الله ينصركم . فمن اعتدى عليكم
فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم - ولا عدوان الا
على الظالمين .

فجماعة علماء السودان تدعوا المسلمين أن
ينفروا خفافا وثقالا الى مراكز التطوع لرد البغي
والظلم .

والله الموفق

جماعة علماء السودان

ان جماعة علماء السودان تهيب بالامة الاسلامية
والامة العربية جمعا أن تقف صفا واحدا لرد
العدوان الصهيوني الغاشم وان تعلن كلمة الحق فى
قوة وايمان لزوال دويلة اسرائيل وليدة الاستعمار
ووبيبة المكر والخداع الغربى وعلى أمة العرب أن تجمع
كلمتها على سحق كل معتد على أرض العرب وأن
تعاذى كل من عاون اسرائيل او سعى الى بقائها فى
أرض العرب .

وجماعة علماء السودان كما تستنكر عدوان
اسرائيل تدين الولايات المتحدة وبريطانيا على
تواطئهما على باطل اسرائيل ومحاولتهما صرف قضية
العرب الى أسباب قديمة فاشلة ، فامة العرب اليوم
غيرها بالامس - فان ما اتخذه الزعيم العربى جمال
عبد الناصر قائد العروبة وزعيمها المفدى بقفل خليج
العقبة فى وجه الملاحه الاسرائيلية لقرار حكيم موفق
وخطوة واجب اتخاذها وحق ليس فيه له منازع ، فخليج
العقبة ملك للامة العربية وليس لأى أحد غير
العربى حق فيه ، فاحتجاج الولايات المتحدة
وبريطانيا احتجاج باطل وزعم فاسد .

ان الامجاد العربية تحت كل عربى يجرى الدم
العربى فى عروقه أن ينهض للذود عن حياضه
والدفاع عن كل شبر من أرضه فى عزم وعزة ودفع
ثورى مقدس ضد كل غاصب ومعتد .

وجماعة علماء السودان مستعدة لبذل كل
مرتخص وغال بالنفس والمال لرد أرض فلسطين الى
أصحابها ودحر كتائب البغي والظلم ليرجع اولئك

التشريع • الفقه
الأبحاث والدراسات
الصوفية

في الإسلام

من مقالات المستشرقين

فضيلة الشيخ محمد محمد المدرف

ولكن أبا بكر بن حزم لم يدرك عمر بن عبد العزيز بما كتبه عنهما ، لان عمر وافته المنية قبل تمام ذلك ، رحمه الله وجزاه عن الاسلام والمسلمين خيرا

وانما حقق رغبة عمر ، ولبي نداءه في حياته : ابن شهاب الزهري ، الذي دون له من احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن سنته المتبعة ، واقوال الصحابة ، وفتاوى كبار التابعين ، كتابا لم يقتصر فيه على ما روى عن عمرة ومحمد بن القاسم ، بل جمع ما روى عنهما وعن غيرهما ، فكان عمر بن عبد العزيز يبعث الى كل اقليم بدفتر من دفاتره ، ليعرفوه وينتفعوا بما فيه ، وقرت عين عمر بن عبد العزيز بذلك ، اذ رأى أمنيته تتحقق قبل ان يلحق بربه ، واطمان على تدوين السنة ، ولم يكن الصحابة والتابعون من قبل يتحمسون لهذا التدوين الا قليلا منهم ، خوفا على القرآن من ان يختلط به غيره ، ومن ان يعكف الناس على ما سواه مشتغلين عنه ، كما فعل اهل الكتاب من قبل حيث تمكنوا على اخبار انبيائهم واقوال حواريتهم حتى نسوا الكتاب الذي أنزل عليهم .

ومع ان هذه النظرة المحافظة كان يعتنقها عمر بن الخطاب ، ومع ان عمر بن عبد العزيز كان يتبعه في أعماله ويتشبه به في أخلاقه وعدله ، ويجرى على

✽ من المعروف أن الامام محمد بن مسلم ، المشهور بابن شهاب الزهري ، هو أول من استجاب لدعوة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز حين عزم على تدوين السنة النبوية المطهرة ، وكتب بذلك الى عماله في الاقاليم الاسلامية ، وكان ممن كتب اليهم بهذه الدعوة عامله على المدينة يومئذ : أبو بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم ، وقد جاء في كتابه اليه « انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو سنة ماضية ، فاكتبه ، فاني قد خفت دروس العام وذهاب أهله » - دروس العالم أي اندراسه -

وفي بعض الروايات التي تذكر هذا الكتاب : ان عمر بن عبد العزيز نيه أبا بكر بن حزم هذا الى اثنين من كبار حملة الحديث خاصة ، هما : عمرة بنت عبد الرحمن الانصارية ، والقاسم بن محمد ابن ابي بكر الصديق ، وكلاهما كان من تلاميذ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، وكانا من أعلم الناس بأحاديثهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الكتب العامة التي من شأنها أن يعتمد عليها ،
ويرجع إليها .

✽ ولقد استفل أعداء الإسلام من المستشرقين
هذه الوقائع التاريخية وغيرها مما اتصل بتدوين
السنة ومن دونها وفي أي عصر دونت ، كما هو رأيهم
في تصيد الشبه ومحاوله العثور على مايفيدهم في
حملة التشكيك والفتنه عن الدين ، وزلزلة عقائد
الشباب والمثقفين منهم خاصة بالثقافات الغربية مع
بعدهم عن المعارف الإسلامية الأصيلة ، فكان من
خطتهم أن يهاجموا ابن شهاب الزهري ويتهمونه
باختلاق الاحاديث تأييدا لبني أمية الذين كانوا
يقربونه الى حد أنه كان مريبا لبعض ابنائهم .

وانما عنى المستشرقون اولو الهوى والقرص
الخيث بتحطيم ابن شهاب ، أو بمحاولة تحطيمه ،
لانه هو اول من دون السنة على ما ذكرنا ، فاذا رأى
المثقفون من شباب المسلمين أن الرجل الأول في تدوين
الحديث تحيط به الشبه ، وتتقاذفه التهم ، علموا
ان علم الحديث كله انما هو علم قائم على غير
أساس - الاساء ما يحكمون * .

ونحن لانعرض في هذا المقال الى تاريخ ابن شهاب
الزهري ، واجماع العلماء على جلالة شأنه في علمه
وخلقه وفضله وصدقه وجراته في الحق وامانته في
الحديث ، ولا نعرض لمواقفه التي وقفها مع بعض
الخلفاء نصحا لهم ، أو عتابا ، أو لوما ، أو غضبا .
ولا نتحدث عن شيوخه الاجلاء الذين عاصروهم
وروى عنهم وكانوا يشهدون له بالصدق ، ويراقبون
ما يرويه فلا يجدون فيه الا الصدق ، ولو علموا فيه
اختلافا أو تزلفا الى الحكام ، أو اتجارا بالحديث
لانكروه وتذكروا له .

لا نعرض لذلك كله ، فان كتب الحديث ، وتراجم
الرجال مملوءة بالكثير منه ، وكلها تشهد لهذا الامام
العظيم اعظم شهادة ، وتعرف له صدقه واخلاصه
وكبير جهاده في خدمة السنة الطهرة ، وحبنا هذه
الكتب شهادة بيننا وبين هؤلاء المقتربين للكذب من
المستشرقين ، فما علمنا أن أحدا من السابقين ، أو
أن مصدرا من المصادر الإسلامية الصحيحة ، ذكر
ابن شهاب الا بالخير والاخلاص والدقة .

ولكننا نكتفي بإيراد مثالين من مغالطات هؤلاء
المستشرقين الخبيثاء في شأن الزهري ، ونورد
مناقشات أهل العلم لهذين المثالين ، ليتبين للناس

خطئه نراه في شأن تدوين الاحاديث يخالف بعده ابن
الخطاب ، لادراكه أن الظروف قد تغيرت ، وان
الحديث الذي كان من قبل محفوظا في الصدور ،
مرويا بالسنة حفاظه والناقلين له شفاه ، يوشك
أن يذهب بذهاب هؤلاء العلماء كما صرح في كتابه
الى عماله ، قرأى من الخير ومن مصلحة المسلمين
أن يفعل ذلك ولو خالف جده عمر بن الخطاب في
رأيه ونظريته ، وخالف كثيرا من العلماء الذين كانوا
يتحرجون من التدوين ، ومن العجيب أن ابن شهاب
الزهري كان منهم ، ولكن عزيمة عمر بن عبد العزيز ،
وشدة رغبته في ذلك ، واجتهاده في اقناع العلماء
برأيه ، كل ذلك جعل ابن شهاب يرجع عن رأيه
الاول ، ويقبل رأى عمر بن عبد العزيز ، ويسرع الى
تلبية دعوته ، ويكون هو اول من يستجيب لها
استجابة عملية تنفيذية، وبهذا ثبت له الفخر العلمي
في هذا الشأن ، وسجل تاريخ تدوين الحديث انه
هو السابق في احرار هذا الشرف .

ولكى نتبين شدة حرص عمر بن عبد العزيز على
التدوين ، وشدة معارضة بعض علماء الحديث في
عصره لذلك ، نورد ما روى من أن عبيد الله بن
عبد الله - وكان من كبار رجال الحديث - دخل
على عمر بن عبد العزيز ، فأجلس عمر جماعة من
الكتاب يكتبون ما يقوله عبيد الله ، فجعل يروى
الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وهم يكتبون ما يقول دون أن يعلم ، فلما أراد أن
يقوم رأى عمر بن عبد العزيز أن الامانة تقضى بأن
يخير الرجل بأنهم كتبوا عنه مقال ، وبأن يستأذنوه
في نشر ذلك ، فقال له عمر :

لقد صنعنا شيئا . قال عبيد الله : وما هو يا بن
عبد العزيز ؟ قال : كتبنا ما قلت . قال : واين هو؟
فجاءوا اليه بالصحف التي كتب فيها فتناولها بيده
وخرقها وأتلفها .

فهذا يدل على ان العلماء لم يكونوا كلهم يوافقون
عمر على التدوين ، لما وفر في نفوسهم من عظم هذا
الامر ، وانهم لم يسبقوا به ، اى بالتدوين على وجه
رسمى عام يكون للناس جميعا ، والا ، فقد كانت
هناك صحف تكتب من قبل ، كصحيفة عبد الله بن
عمرو بن العاص التي تعرف بالصحيفة الصادقة ،
ولكنها لم تكن الا خاصة به وبما سمعه أو رواه هو
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا شيء
غير التدوين الذي يراد به أن يحل من الناس محل

أولاً : ان المؤلفين الثقات لم يختلفوا فى أن الذى بنى قبة الصخرة هو الوليد بن عبد الملك - وليس عبد الملك كما زعم المستشرق - ذكر ذلك ابن عساكر والطبرى ، وابن الأثير ، وابن خلدون ، وابن كثير ، وغيرهم ، ولم يذكر أحد أن عبد الملك بناها إلا الدميرى فى كتابه (حياة الحيوان) نقلاً عن ابن خلكان ، وعبارته هكذا .

« بناها عبد الملك ، وكان الناس يقفون عندها

يوم عرفة » .

ففسية بنائها لعبد الملك رواية ضعيفة كما ترى ، ولو صحت فمن أين له أن عبد الملك بناها ليحج الناس إليها ويطوفوا بدلا من الكعبة ؟ ان الرواية التى رواها الدميرى لا تقرر أكثر من أن الناس كانوا يقفون عندها يوم عرفة ، وهذا شيء تجرى العادة بمثله ، فان بعض الذين لم يتيسر لهم الحج قد يخرجون الى بعض المساجد ، ويدعون الله تعالى بما شاءوا ، لاحتاسهم بأن هذا الوقت هو وقت الفيض الإلهى على أهل عرفة ، فهو فى نظرهم وقت مبارك ، فأين هذا من الزعم بأنها بنيت ليحج الناس إليها ويطوفوا بها بدل الكعبة

ثانياً : أن بناء شيء ليحج الناس إليه ويطوفون به بدل الكعبة هو كفر صراح ، فكيف يقدم عليه عبد الملك بن مروان ، وقد كان يلقب بأنه « حماسة المسجد » لكثرة تردده عليه ولو أن ذلك حدث لما تركه خصومه ولا خصوم الدولة الأموية بل لشنعوا عليه به اعظم تشنيع ، وهذا ما لم يعرف فى التاريخ

ثالثاً : ان من الثابت تاريخياً ان الزهرى لم يعرف عبد الملك الا بعد قتل ابن الزبير ببضع سنوات ، فكيف يصح أن يكون قد طلب منه وضع حديث القبة أو الصخرة وقد انتهى ابن الزبير ولم يعد هناك ما يمنع من ذهاب الخجاج الى البيت الحرام الذى كان ابن الزبير صاحب السلطة عليه قبل ان يقتل .

رابعاً : ان هذا المستشرق يكذب حين يزعم أن حديث (لا تشد الرحال) لم يرو الا من طريق الزهرى ، فانه فى الواقع مروى من طرق مختلفة غير طريق الزهرى فقد أخرجه البخارى عن أبى سعيد الخدرى من غير طريق الزهرى ورواه مسلم من ثلاث طرق أحداها من طريق الزهرى ،

ان هؤلاء المستشرقين لم يكتبوا بروح الانصاف أو التحقيق العلمى ، ولكنهم كتبوا ويكتبون بروح العداوة والتحريف ، وأكثرهم من اليهود الذين قال الله تعالى فيهم :

« فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية ، يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به ، ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم » .

المثال الاول : اتهام شيخ المستشرقين جولد تسيهر بقول فيه ما خلاصته :

« ان عبد الملك بن مروان منع الناس من الحج أيام فتنة ابن الزبير ، وبنى قبة الصخرة فى المسجد الأقصى ليحج الناس إليها بدلا من الكعبة ويطوفون بها ، ثم أراد - أى عبد الملك بن مروان - أن يحمل الناس على الحج إليها بعقيدة دينية ، فوجد الزهرى وهو زائع الصيت فى الامة الاسلامية مستعداً لان يضع له احاديث فى ذلك ، فوضع احاديث منها حديث « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : مسجدي هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى » ومنها حديث « الصلاة فى المسجد الأقصى تعدل ألف صلاة فيما سواه » .

وامثال هذين الحديثين . والدليل على أن الزهرى هو واضع هذه الاحاديث : انه كان صديقاً لعبد الملك وكان يتردد عليه ، وان الاحاديث التى وردت فى فضائل بيت المقدس مروية من طريق الزهرى فقط

المثال الثانى : وهو من اتهامات جولد تسيهر للزهرى ايضا : يقول فيه :

« ولم يكن الزهرى يستطيع دائماً - مع تقواه - ان يتحاشى تأثير الدوائر الحكومية ، وقد تحدث معمر عن الزهرى بكلمة مهمة ، وهى قوله :

« أكرهنا هؤلاء الامراء على أن نكتب احاديث »

فهذا الخبر يفهم منه استبعاد الزهرى لان يكسو رغبات الحكام باسمه المعترف به عند الامة الاسلامية ، ولم يكن الزهرى من اولئك الذين لا يمكن الاتفاق معهم » .

هذان هما المثالان ، وقد اجاب عنهما المحرمون الشيخ مصطفى السباعى خريج كلية الشريعة احسن اجابة ، اذ يقول ما خلاصته :

الاحاديث ، فتمالوا حتى احدثكم بها فحدثهم بالاربعمائة الحديث

هذا هو النص التاريخي لقول الزهرى ، ولكن المستشرق الخبيث غيّر كلمة الاحاديث فجعلها « احاديث » وكم من فرق بين هذا وذاك ، فان الزهرى كما تفيد عبارته الاصلية يقول للناس : اننا كنا نمتنع عن كتابة الاحاديث ، كمبدأ لنا لاعتبارات قامت لدينا ، لكن هؤلاء الامراء اكرهونا على كتابة الاحاديث ، اى على أن نكتب الاحاديث التى نعرفها والتى صحت لدينا ، فالاكراه انما هو على الكتابة لا على كتابة احاديث بعينها ، فالزهرى يريد ان يبذل للناس ما كان قد منعه عنهم ، لئلا يكون قد أثر الامراء بالعلم دون ان يبذله للشعب عامة ، لكن المستشرق خيل للناس بتحريفه المقصود من غير شك ان الزهرى يعترف بأنه اكره على كتابة احاديث اى أنه رضى بالكذب على رسول الله وكتب ما لم يصح عنه خضوعا لهؤلاء الامراء - وتلك مغالطة كبرى كالمغالطة الاولى .

« كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا » .

وثانيتها من طريق جرير عن ابن عمير عن قزعة عن ابي سعيد ، وثالثتهما عن طريق ابن وهب دون دخل للزهرى في هذه الطريق ايضا - واذن فهو مروى من غير طريق الزهرى ايضا .

خامسا ان الزهرى روى هذا الحديث عن شيخه سعيد بن المسيب ، فهل من الممكن ان يسكت سعيد بن المسيب على الزهرى لو انه كان قد وضع هذا الحديث على لسانه ارضاء للامويين وهو الذى كان في الشجاعة والمعارضة لبنى أمية معروفا ؟

٢ - قول الزهرى ان هؤلاء اكرهونا على كتابة احاديث :

ان هذا النص الذى نقله جولد تسيهر فيه تحريف يسير ، ولكنه تحريف قلب المعنى راسا على عقب ، واصله كما في ابن عساكر وابن سعد : ان الزهرى كان يمتنع عن كتابة الاحاديث للناس ، فلما طلب منه هشام واصر عليه ان يمسى على ولده ، املى عليه اربعمائة حديث ، ثم خرج من عند هشام وقال باعلى صوته .

« ايها الناس انا كنا منعناكم امرا قد بذلناه الان لهؤلاء ، وان هؤلاء الامراء اكرهونا على كتابة

حكم منشورة

احسن الكلام ما صدق فيه قائله ، وانتفع به سامعه . من فضل الله عليك ان تحسن الى من اساء اليك . من لانت كلمته وجبت محبته . البشاشة مفناطيس المودة . المراء من حيث يشتهي لا من حيث ينبغي ، ومن حيث يوجد لا من حيث يولد . المراء باصغريه قلبه ولسانه ، لا برتبته ونيشانه ، وبدايه لا بشيابه ، وبكامله لا بجملاله ، وبفضيلته لا بفضيلته . احسن ان اردت ان يحسن اليك .

من اقوال الرسول في الصدقة

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (تصدقوا ولو بتمرات فانها تسد من البجائع ، وتطفى الخطيئة كما يطفى الله النار)

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (اتقوا النار ولو بشق تمره فان لم تجدوا شيكلمة طيبة)

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس)

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (لو صدق السائل ما الفح من رده)

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (خير الصدقة ما اقبلت غنى)

وقد جاءت الأمثال فى القرآن الكريم والسنة النبوية وعلى لسان فصحاء العرب .

فمما جاء فى القرآن الكريم قوله - تعالى - :
« **الآن حَصْحَصَ الْحَقُّ** » آية ٥١ من سورة يوسف
قالت امرأة العزيز ، عندما تجلت براءة يوسف
- عليه السلام - وأصبح يقال عند ظهور الحق ،
بعد جدال فيه .

وقوله تعالى : « **قضى الأمر الذى فيه تستفتيان** »
آية ٤١ من السورة نفسها ، جاء على لسان يوسف
- عليه السلام - بعد ما فسر رؤيا صاحبه
السجن ، وأصبح يقال فى بيان وجه الحق فى
أمر خفى ..

وقوله تعالى : « **لكل نَبَأٍ مُّسْتَقَرٌّ** » .. آية ٦٧
من سورة الأنعام ، جاء تهديدا للمكذبين بوعيد
الله ، وأصبح يقال لكل منكر لأمر مقطوع بوقوعه .

وقوله تعالى :
آية ١٤ من سورة الحشر ، قاله تعالى تصويرا لحال
اليهود ، فهم يرون فى ظاهر الأمر متفقين ، وهم
فى الواقع مختلفون ، وأصبح يقال لكل من كانت
حالتهم كحال اليهود .

وقوله تعالى : « **أليس الصبح بقريب** » ..
آية ٨١ من سورة هود ، قالت الملائكة تطمينا
للوط - عليه السلام - باهلاك أعدائه فى أقرب
وقت ، وصار يقال فى كل أمر قريب الوقوع .

وقوله تعالى : « **لا تسألوا عن أشياء إن تبد
لكم تسؤكم** » .. آية ١٠١ من سورة المسائدة ،
نهى من الله عن سؤال المرء عما لا يعنيه ، وأصبح
يقال لكل من يسأل عما لا يعنيه ، مخافة أن يقع
فيما يشقيه .

ومما جاء فى السنة النبوية قوله - صلى الله
عليه وسلم - : « **يد الله مع الجماعة** » ، رواه
الترمذى عن ابن عباس .

وقوله : « **كاد الفقر أن يكون كفرا** » ..
رواه أبو نعيم فى الحلية .

وقوله : « **اياك وما يعتذر منه** » .. رواه
صاحب الضياء ، وأحمد فى مسنده ..

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لِحَافِظُونَ

فونية الشيخ
عبد الجليل عيسى

« **رويدكم أيها الأوعال ، التى تحاول تحطيم
شم الجبال الراسيات ، فلا ترجع الا بهشيم
قرونها الواهيات** » .

- ١١ -

سبق أن تعرضنا فى العدد السابق لمزايا اللغة
العربية ، ومنها تادية المعانى الكثيره بعبارات
موجزة قصيرة ، وخلصنا من ذلك الى أنه يوجد
فيها نوعان من هذا القليل ، امتازا على غيرهما
وهما : الحكم ، والأمثال .. وعرفنا الحكم وذكرنا
جانبا منها .. واليوم نتعرض للأمثال ، ونذكر
منها طائفة صالحة فنقول :

**الأمثال : جمع مثل ، وهو قول سائر يشبه
مضربه بمورده ، من غير تقييد ، أى يشبه الحال
الطارئة بما كان سببا فى صدورها من قائلها .**

قال ابن عبد ربه فى العقد الفريد : **الأمثال :**
زينة للفظ ، وحل للمعاني نطق بها كل زمان ولهج
بها كل لسان ، فهي أبقي من الشعر ، وأشرف
الخطب ..

وقوله : « دع ما يربك الى ما لا يربك » ..
رواه أصحاب السنن .

وقوله : « انزلوا الناس منازلهم » ..
رواه مسلم عن عائشة .

وقوله « من أسدى اليكم معروفا فكافئوه فان
لم تستطيعوا فادعوا له ، رواه مسلم .

وقوله « من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه »
رواه أصحاب الصحيح .

ومما جاء على لسان فصحاء العرب « ان
العصا من العصية » و « هل تلد الحية الا الحية ؟ »
مثل يضرب في أن الشرير لا ينتج الا شريرا ..
و « أتتكم فالية الأفاعي » والفالية بالفاء : حشرة
صغيرة كالخنافس ، تألف العقارب والحيات ..
فاذا رأيتها في حجر فاعلم أن وراءها العقارب
والحيات ، وهو مثل يضرب لظهور أول شر ،
ينتظر بعده شر أعظم منه .

و « فلان أكل عليه الدهر وشرب » ..
يقال لمن طال عمره فوق المعتاد .

و « فلان يأكل التمر ، ويرجم بالنوى » ..
يضرب لمن يستأثر بالمنافع ، ويرمى المتاعب على
غيره ..

و « أنف في السماء .. واست في الماء » ..
مثل يضرب لمن يدعى ما ليس عنده .

و « أنف في السماء .. وست في الماء » ..
يضرب للمتكبر الحقير .

و « أسد على ، وفي الحروب نعامة » ..
يضرب للجهان الذي يؤذى الضعفاء .

و « حن قدح ليس منها » .. القدح بكسر
القاف ، وسكون الدال : المراد به أحد أقداح
الميسر ، وهي السهام التي يستقسمون بها ،
المذكورة في قوله تعالى « وأن تستقسموا بالأزلام »
آية ٣ من سورة المائدة ، كانوا يضعونها في جراب
ويهزونها ثم يسحبون منها واحدا واحدا ،
ويتصرفون حسب المكتوب عليها .

فأحدها مكتوب عليه كلمة « افعل » والآخر
« لا تفعل » والثالث ليس مكتوبا عليه شيء ،
ويسمونه (غفلا) بضم الفين وسكون الفاء ، فاذا
خرج الثالث أعيدت القرعة ثانيًا ، وهكذا حتى
تخرج كلمة (افعل) أو (لا تفعل) فينفذ المقترع
أو يكف .. وقد يكتب على القدحين اللذين يدار
عليهما الاقتراع كلمة (أمرني ربى) بدل (افعل)
وكلمة (نهاني ربى) بدل (لا تفعل) وتكون هذه
القداح دائما من نوع واحد ، فاذا هز الجراب
أحدثت أصواتا متماثلة ، فاذا وجد فيهما سهم
من نوع آخر أحدث صوتا نشازا يخالف بقية
السهم ، فمعنى (حن) أحدث صوتا ، وهو
مثل يضرب لوجود الشيء الغريب في وسط ليس
منه ، وقد تمثّل به عمر بن الخطاب - رضى الله
عنه - عندما ادعى رجل أنه من قريش ، وهوليس
منها ، فعندما ادعى الرجل ذلك رد عليه عمر بهذا
المثل : يريد : أنك لست من قريش .

ومن الأمثال « أنفك منك وإن كان أذن » ..
(الأذن) بتشديد النون هو الأنف المريض ، وهو
مثل يضرب للمحافظة على القريب ، على ما فيه من
عيب ..

و « ليست النائحة الثكلي كالنايحة المستاجرة »
و (الثكلي) هي التي فقدت وحيدها .

و « فلان أكل من الرحى » .. مثل يضرب
لمن يكثر الأكل ، حتى يكاد لا يشبع .. لأن الرحى
مهما وضعت لها من الحب ، فهي لا تمتنع من
جرشه .

و « فلان يحدث من فمه كما يحدث من استه »
بضم الباء ، وسكون الحاء ، وكسر الدال ، أى
ينتقص وضوءه ، يريدون أن الكلام القبيح يشبه
في بشاعته ونفور النفوس منه عندما سمع كلاما
قبيحا من رجل غير مهذب .

« حوتا وتماقس » ، تماقس بضم التاء
وكسر القاف من المماقسة ، والمماقسة :
مغالبة الرجل لغيره ، ومحاولة اغطاسه في الماء

والحوت أمهر الحيوان فى تفتيس فريسته ، وهو
مثل يضرب لمن يحاول مغالبة من هو أقدر منه ..

و « حانية مختضبة » ، الحانية هى المرأة التى
تحنو على ولدها وتعطف عليه ، والمختضبة بضم
الميم وسكون الخاء وكسر الضاد ، هى التى
تخضب يديها بالحناء ، كما تفعل العروس ..
ومصدر هذا المثل : أن امرأة مات زوجها ولها منه
ولد صغير ، فرعمت أنها شديدة الحنو عليه ..
فلا ترغب فى الزواج ولم يمض وقت طويل حتى
رأوها خضبت يديها بالحناء ، فقالوا هذا المثل ،
وصار يضرب لمن يرى الناس ما ليس فيه .

و « أحشك وتروثنى » بضم الحاء وتشديد
السين المضمومة ، وتروثنى بفتح التاء وضم
الثاء ، أى تروث على ، قاله رجل قدم لحماره
الجائع حشيشا ليأكل منه ، فراث عليه أثناء
تقديم الحشيش له ، فقال هذا الكلام ، فصار
مثلا يضرب لمن يكفر بجميل من أحسن إليه .

وروى أن عيسى - عليه السلام - علف حمارا
فرفسه ، فقال : أعطيناه ما يشبهنا فأعطانا ما
يشبهه » . و « فلان حولها من عجز الى غارب »
العجز مؤخر الدابة ، والغارب ما بين وسط الدابة
والعنق ، ومصدره أن رجلا أراد أن يقدم خيرا الى
رجل آخر محتاج ، فأرسله الى رسول فأعطاه
لرجل غير محتاج ، فقال هذه الجملة ، فصار مثلا
بضرب لمن يضع الشيء فى غير موضعه .

و « الحكيم يقعد نفسه بالكفاف » ..
يقعد بسكون القاف وفتح الدال : يكف ويمنع ،
والكفاف ، هو القليل من الرزق وهو مثل يضرب
فى مدح الحكيم العاقل الذى يمتنع نفسه عن
التطلع الى ما فى أيدي الناس ، ويقنعها بالرضا
بالقليل .

و « أحقق من المهودة بمال أبيها » ..
أصله : أن رجلا أعطى رجلا محتاجا مالا ليقتات
به فدفعه مهرا لابنة الرجل الذى أعطاه فزوجها
له ، وهى تعلم ذلك ، ثم امتن هذا الزوج على
زوجته بما مهرها به ، فعد الناس هذه الزوجة

حمقاء ، لا عقل لها ، لأنها قبلت الزواج من رجل
مهرا بمهر هو من مال أبيها ، فصارت مثلا
يضرب لكل أحقق لا يحسن التصرف .

و « الخطأ زاد العجول » العجول بفتح العين،
هو الرجل المتسرع ، وهو مثل يضرب فى ذم
التعجل الذى يوقع فى الخطأ .

و « اذا هست الخنفساء أنتنت » .. مست
بضم الميم ، وأنتنت أى : أظهرت نتنا ، بفتح
النون وسكون التاء ، والخنفساء من شأنها أنها
إذا مسها أحد ظهرت منها رائحة كريهة ، وهو
مثل ضربه العرب لتجنب الاحتكاك بالرجل
المنطوى على الخبث والمعائب ، لأنه يؤذى بنتن
أخلاقه ومعايبه

و « قرط من ذهب فى جسد أوقص » ...
الأوقص : القصير ، أى لا يظهر جمال القرط ،
والقرط بضم القاف وسكون الراء ما يلبس فى
الأذن ، وهو مثل يضرب للرجل ، شريف الآباء ،
ذميم الفعال .

و « ذكرنى فمك حمارى أهلى » .. أصله : أن
رجلا شرد منه حماران لأهله ، فخرج يبحث عنهما
فراى امرأة متقنعة فاعجبته ، فتبعتها ونسى
الحمارين ، وما زال يسير وراءها حتى كشفت
له القناع عن وجهها ، فاذا هى واسعة الفم ، كبيرة
الأسنان ، فأعرض عنها ، وتذكر الحمارين فقال
هذه الجملة ، وصارت مثلا يضرب لمن يفتر بالمظاهر
حتى ينسى الأمر المهم .

و « ضرب فلان أخماسا لأسداس » ..
الأخماس جمع خمس ، بكسر الخاء وسكون الميم
وهو ورود الأبل المسافرة فى اليوم الخامس على
الماء ، والأسداس جمع سدس ، بكسر السين ،
وسكون الدال ، وهو ورودها فى اليوم السادس
على الماء ، وأصل المثل : أن رجلا كان يرعى إبله
فى مكان بعيد عن أهله ومعه أولاده ، يساعدونه
فى رعيها ، فلما طالت غربتهم عن أهلهم ، وقال
لهم أبوهم يوما : ارعوا إبلكم - ربعا - ، الربيع
بكسر الراء وسكون الباء : السير بالأبل فى مكان

وسعت كتاب الله لفظا وغاية
وما ضقت عن آى به وعظمت
فكيف اضيق اليوم عن وصف آله
وتتسيق آيات لمخترعات ؟
أنا البحر فى احشائه الدر كامن
فهل سألوا الفواص عن صدقاتى ؟
فيا وبحكم أبلى ، وبلى محاسنى
ومنكم وان عز الدواء أسأتى

أيطربكم من جانب الغرب ناعب
ينادى بوادى فى ربيع حياتى ؟!
سقى الله فى بطن الجزيرة اعظما
يعز عليها أن تلين قناتى
أرى كل يوم بالجرائد مزلقا
من القبر يدنينى بغير اناة
أيهجرنى قومى - عفا الله عنهمو -
الى لفة لم تتصل برواة
سرت لوثة الافرنج فيها كما سرى
لعاب الأفاعى فى مسيل فرات
فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة
مشكلة الألوان مختلفات

الى معشر الكتاب والجمع حافل
بسطت رجائى بعد بسط شكائى
فاما حياة تبعت الميت فى البلى
وتثبت فى تلك الرعوس رفائى
واما ممات لا قيامة بعده
ممات لعمرى لم يقس بممات

وكما امتازت العربية عن سائر اللغات بالزايا
الجمه فى وجودها اللفظى ، وأساليبها العالية ،
امتازت فى وجودها الخطى بمزايا كثيرة :

منها - أنك قلما تجد حرفا يكتب فى الكلمة ،
ولا ينطق به ، مثل الواو فى (عمرو) بفتح العين ،
وسكون الميم ، للفرق بينها وبين (عمر) بضم
العين ، وفتح الميم) ، ومثل اللام فى مثل كلمة
(الشمس) و (الرمل) ، وهى التى يسمونها

البقية ص ١٢٧

به مرعى بحيث لا تصل الى الماء الا بعد أربعة أيام
فصاروا بها فى اتجاه أهله اربعة أيام ، فلما شربت
الابل قالوا لايهم : لو رعيناهما خمسا ، فاذن لهم
فساروا بها فى اتجاه أهليهم أيضا ، ولما شربت
الابل فى اليوم الخامس ، قلوا له : لو رعيناهما
(سدسا) فاذن ، فاتجهوا بها نحو أهليهم ولما
قربوا من مساكنهم أدرك الرجل ما يريدون ،
وقال : ما ضريرتم أخماسا الا لاسداس ، أى ما
يبنتم المدة بأنها خمس الا لتصلوا الى ست ،
وضرب بمعنى بين ، والمعنى : أظهرتم أخماسا ،
لتصلوا الى اسداس ، وهو مثل يضرب لمن يريد
شيئا ويظهر غيره فى نوع من المكر والخديعة ،
للوصول الى ما يريد .

و « تفرقوا أيدي سبا » .. أيدى جمع يد ،
واليد تطلق على الطريق . يقولون : أخذ فلان يد
البحر ، أى طريق البحر . (سبا) بدون همزة
هنا فى المثل ، قد تهمز فى غيره فيقال (سبا)
وهو اسم قبيلة كبيرة كانت تجمع كل قبائل
اليمن . وكانوا أصحاب جنات وبساتين كثيرة .
ولما بدلوا نعمة الله كفرا سلط الله عليهم سبل العرم
فأغرق بلادهم ، وأتلف بساتينهم ، تفرقوا فى طرق
شتى ، شرقا وشمالا ، حتى وصل بعضهم مدينة
(يثرب) وهى المدينة المنورة الآن ، فضرب
العرب بهم المثل للقوم الذين تفرقهم الحوادث
الجسام ، وقد جاء ذكر ذلك فى القرآن الكريم :
« لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين
وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة
ورب غفور ، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم
.. الخ » ..

آيات ١٥ الى ٢١ من سورة سبا .

وتتميم لما أشرنا اليه فى عدد شعبان رقم ٩ من
أن كثيرا من العلماء قديما وحديثا تعرضوا لمزايا
اللغة العربية على غيرها وذكرنا من المحدثين المرحوم
حافظ ابراهيم .. وآلان نذكر بعضا من قصيدته
التي قالها على لسان اللغة العربية لاثما أهلها
على التفريط فيها :

رجعت لنفسى فاتهمت حصاتى
وناديت قومى فاحتسبت حياتى
رمونى بعقم فى الشباب ، وليتنى
عقمت فلم أجزع لقول عداتى

نحو...

حينما بلغ الأمر مبلغه من حاجة الدنيا الى هداية كاملة
.. كان الموعد المقدور عند الله لرسالة جديدة تسد ظلمة
الجهل ، وتخرج الانسانية من سورة الباطل الى نود الحق
الابلج .. وهى : رسالة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم
كانت هذه الرسالة الجديدة فيصلا بين ماض مشحون
بالاباطيل والمجازفات وبين مستقبل يتبين فيه الرشد من
الغى ..

وكانت هذه الرسالة الجديدة
تحويلا للنسبة عن بنى اسرائيل،
واستئنافا لها فى ذرية اسماعيل
.. وهم العرب .

وهذا التحويل أشبه بتكريم
العرب أخيرا كما كرمهم الله
أولا اذ كانت الرسالة بعد
ابراهيم فى ولده اسماعيل ..
ثم جعلها الله فى يعقوب وذريته
أمدا طويلا . وعاشت فى اسرائيل
آلآفا من السنين .

فلما طفوا طفيانهم واستفحل
شرهم كان تحويل الرسالة عنهم
كتأديب لهم بالحرمان من فضل
لم يحسنوا تقديره . وكانت
توجيها لهم وللناس الى الانضواء
تحت راية الاسلام التى كان
يحملها أبوهم ابراهيم .. ثم
حملها العرب أخيرا اذ عادت
اليهم لأن العرب كما تشهد
لهم الدنيا قديما أصدق الناس
وعدا ، وأوفاهم عهدا ، فهم أحق
بالرسالة وهم أهلها

(الله أعلم حيث يجعل
رسالته) .
ومن هذا ندرك أن تحويل

أحد من رجالكم ، ولكن رسول
الله ، وخاتم النبيين) . (وما
أرسلناك الا رحمة للعالمين) .

وعلى هذا كانت دعوته بصيغ
التعميم ، فلم يقل فى خطابه
للناس : يا قوم كما كان خطاب
الأنبياء جميعا لأمتهم ، بل كان
يقول كما أمره الله

(يا أيها الناس انى رسول الله
اليكم جميعا) .

(يا أيها الناس اعبدوا ربكم
الذى خلقكم) .

(يا أيها الناس اتقوا ربكم
الذى خلقكم من نفس واحدة) .

وهكذا من آيات تجعل الناس
جميعا أمام دعوة محمد على قدم
المساواة ..

ومع هذا التعميم : فقد نوه
بأهل الكتاب ليجتذبهم الى ناحية
الوحدة والتوحيد فلا يظلوا على
عزلتهم ولا يستمروا على تشبثهم
بباطلهم ..

(يا أيها الذين أوتوا الكتاب
- يعنى الكتب السابقة - آمنوا

الرسالة الى العرب لم يكن لاثارة
خصومات بين اليهود والعرب أو
سواهم .. بل كان ذلك فيما يدركه
الانسان الراشد جميعا بين اشتات
النسب المنتمى لابراهيم : عن
طريق اسماعيل وعن طريق
اسرائيل - يعقوب - بعد أن
اتسعت الفرقة وأحدث اليهود
طائفية فى الدين وأحدث
النصارى كذلك طائفية .
وكذبوا جميعا على ابراهيم
وسماه بعضهم يهوديا .. وسماه
بعضهم نصرانيا .. والله يكذب
الفرقتين فى هذا التشقيق .
ويناديهم بالوحدة على لسان
رسوله محمد صلى الله عليه
وسلم - فيقول لهم :

(ما كان ابراهيم يهوديا ولا
نصرانيا ولكن كان حنيفا
مسلميا ، وما كان من المشركين)
٦٧ - آل عمران .

دعوة محمد

صلى الله عليه وسلم

كانت دعوة محمد لقومه .
ولغير قومه ، ولأهل زمنه ، ولن
بعد زمنه . (ما كان محمد أباً

الإسلام

نصيحة الشيخ

عبد اللطيف السبكي

الدين وأهله .. فهل في تشريع
الاسلام اجحاف بطائفة .. او
تكليف بما لا يطاق ؟

وضع الاسلام للناس نظاما
اجتماعية تتفق مع مصالحهم
في الدنيا وتسير مع تطورات
الحياة ، وهى نظم فسيحة
تتعلق بالاموال وبالقضاء
وبالسياسة وبالتجارة والحروب
والمعاهدات ، ومعاملات الأمم على
اختلاف دياناتها .

لم يكن الاسلام ضيقا فى افقه
ولا قاسيا على خصومه بل أفسح
للناس جميعا سبل التعاون
وأحاط بكل ما تهدف اليه
البشرية من وسائل الإصلاح
والحضارة .. وجعل كل ذلك
فى اطار من الحكمة والصيانة
من المؤثرات المضادة لمصلحة
الناس فى تصرفاتهم الشخصية
أو العامة ، ووضح قواعد الأخلاق
الرحيمة والمواد الخيرة فى كل
محيط يجمع بين الناس ، حتى
مع اشد الخصوم عداوة للوأميين
فقد تلتف فى تشريعه بالنسبة

عامة لدعوة محمد صلى الله عليه
وسلم ، والمسئولية عن الايمان
بها متعلقة بكل من عرف برسالة
محمد الى الناس فمن كفر بها أو
بشيء منها بعد العلم بذلك فهو
خالد فى النار كما علمنا الله .

وأما المؤمنون بمحمد (من أى
جنس من العرب أو غيرهم)
فهم المعسرون بأمّة الاجابة
وهؤلاء هم الذين يرضى الله عنهم
ويرضيه ، ولا يخلد أحدا منهم
فى العذاب وان كان مقصرا فى
طاعة الله ..

وأمة الاجابة هم الذين يخصهم
الله بالخطاب فى قوله تعالى
(كنتم خير أمة أخرجت للناس)
ثم يخصهم بأوصاف المؤمنين حقا
فيقول : (تأمرون بالمعروف
وتنهون عن المنكر) آية ١١٠ -
آل عمران .

خصومة الكافرين للاسلام
نجد للاسلام خصوما كثيرين
ونجد أولئك الخصوم يجتمعون
على الباطل فى عداوتهم لهذا

بما نزلنا ، مصدقا لما معكم)
آية ٤٧ - النساء - يعنى : آمنوا
بالقرآن فانه مصدق لكتبكم التى
كانت من عند الله فايما نكم بتلك
الكتب يقتضى ايمانكم بما
بصدقها فيما جاء به من الحق .

وكذلك يوجه القرآن - على
لسان محمد دعوته الى المسلمين
ان يؤمنوا بالكتب السابقة التى
نزلت على رسل الله .

(يا ايها الذين آمنوا آمنوا
بالله ورسوله والكتاب الذى نزل
على رسوله والكتاب الذى أنزل
من قبل) آية ١٣٦ النساء .

يعنى . يا جماعة المؤمنين
بالقرآن استمروا على ايمانكم بالله
ورسوله وبالقرآن وآمنوا كذلك
بالكتب السابقة على الرسل
كايما نكم بالقرآن نفسه ، فان من
أنكر نزول التوراة مثلا أو نزول
الانجيل لا يكون مصدقا للقرآن
لانه أخبرنا بما نزل قبله ، ومن
هذا الحديث ندرنا فى وضوح
ان دعوة الاسلام موجهة الى جميع
الناس (١٠٠) فالتناس جميعا أمة

اليهم وأوصانا بالعدل معهم ،
وأمرنا أمرا جازما ألا نظلم أحدا
والأ تقبل الظلم من أحد وذلك
لحفظ التوازن في المجتمع
الإنساني .

(فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه بمثل ما اعتدى عليكم
واتقوا الله) وجب علينا العفو
عن المسيء إذا كان العفو لا يأتي
بضرر (فمن عفا وأصلح فأجره
على الله) .

وهكذا مما يتسع له في القول
مجال فسيح في جانب الدين
والدنيا .

فلماذا تتأصل العداوة لهذا
الدين عند الآخرين ، وليس فيه
بأس عليهم ولا على غيرهم
وذلك شأن بحثه كثير من رجال
العلم وكان ينتهي دائما بالاعتناع
أن هذا الدين حق ، وتكون
النتيجة اسلام الباحث في عقيدة
صحيحة اذا لم يكن مسلما من
قبل وكان منصفاً في بحثه .

فالكرهية ليست ناشئة عن
عيب في الاسلام ولكنها ناشئة
عما يظهر فيه من الحق (وحكمة
الله أن أكثر الناس للحق كارهون
كما يقرر القرآن في كثير من
توجيهاته لنا) وقد يظن البعض
أن تواطؤ الكافرين على كراهيتهم
للالسلام يدل على محبة بينهم وعلى
استعدادهم لمواصلة الخصومة
مع الاسلام والمسلمين حتى ينالوا
منا وهذه ظنون عارضة بسبب
أحداث طارئة ، أو تطراً كما
تبدو لنا سحابة الصيف .

والله سبحانه يصرفنا عن هذه
الظنون فيعلمنا أن جمعهم
سينتهي الى تفرق وإن تحرشهم

بالاسلام وأهله سيبور حتما .
(وما كيد الكافرين الا في
ضلال) ، (تحسبهم جميعا
وقلوبهم شتى) .

وإذا كان للكافرين صولة
أحيانا فهي تقرير لهم ، وهي
تأديب لنا وتنبية من غفلتنا لندرجع
الى ديننا ولن تدوم للباطل دولة
مهما ألف بينهم الشيطان في
مواجهة الاسلام وأهله . . ولو
كان للباطل مطعم صحيح لذهب
الحق ادراج الرياح من أزمان
سابقة . . ولكن الباطل يجيش
في صدور أهله . . ويتجدد في
ألوان شتى ، ثم يتلاشى ويستمر
الحق ناهضا على أصوله لأن الله
جعل الحق مستمدا من ذاته
وصفاته . . وجعله من شعائره
في دينه بين خلقه وقال :
(ان الباطل كان زهوقا) .

فيجب ألا يتزحزح المسلم عن
يقينه ويجب أن نصابر أعداءنا
على الجهاد فيهم صفا واحدا
كالبنيان المرصوص ويجب أن
نذكر دائما أن الجهاد بناء لنا
وأن التخلف عنه فناء ومذلة .
والله يحب لأهل دينه العزة
والسيادة (فله العزة وكرسوله
وللمؤمنين) (كتب عليكم القتال
وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا
شيئا وهو خير لكم) .

الاسلام يطالبنا بالعمل

ان الذين يظنون الاسلام مجرد
عقيدة ، وينحون الى الأمل ، ولا
يأخذون أنفسهم بالعمل الجاد
هؤلاء لا يحسنون فهم دينهم . .
بل يجلبون عليه سمعة لا تلائم
طبيعة هذا الدين ولا تتفق مع

صيحته ونداءاته بالأقدام على
العمل في غير تكوص .

وأنت ترى القرآن دائما يذكر
الايمان ويقرن به ذكر العمل
فيقول - مثلا - (ان الذين
آمَنُوا وعملوا الصالحات)
وعمل الصالحات اطار واسع
جدا يدخل فيه كل حركة وكل
محاولة يروجي منها الخير للفرد
أو للجماعة .

وتكرر الآية السابقة في
مقامات كثيرة من كتاب الله
تعالى :

ويقول كذلك (ومن يعمل من
الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف
ظلما ولا هضمًا) .

ويقول في سياق التهديد
للعصاة (الا من تاب وآمن وعمل
صالحا) . .

وهكذا مما لانحصره كثرة .
فالعامل في كل مجال شطر
من الايمان وخاصة العمل المتصل
بحماية الدين والوطن . . فذلك
النوع في قمة الأعمال الصالحات
مهما يكن نوع العمل شاقا أو
هينا . .

وبعد ذلك لا ينبغي لمن عرف
دينه وعرف أن لدينه خصوماً من
جنود الشيطان أن ينتظر النصر
على أعداء الله الا بعمل مضاعف
ومثابرة في اخلاص .

أما مجرد الأمل فليس من
دين الله . . ودعوة القرآن مدوية
في آذان الناس بالجهاد ، ومجال
الجهاد يتطلب منا تضامنا ونشاطا
وحينئذ يكون الأمل صحيحا
فيما وعد الله من نصر المؤمنين .

الأخلاق الإسلامية

الدكتور أحمد محمد الحرفى

- ٥ -

سبق من مزايا الاخلاق
الإسلامية الخيرية المطلقة ،
والصلاحية العامة والثبات والالزام
الاستجاب

٥ - الرقابة المحيطة :

على أن الاخلاق الإسلامية امنح
حصانة من الأخلاق الوضعية ، لأن
الهيمنة عليها أشد وأقوى ، فلا
يجترى انسان على مخالفتها إلا بعد
تردد واحجام ، ثم يندم على ما
اجترح ، وقد يجره الندم الى توبة
نصوح لا رجعة بعدها الى آثام

وذلك ان عليها رقيباً عتيداً
من الدين نفسه ، ورقيباً من
الضمير الحى الذى أبغظه الدين
ورباه ، ورقيباً من العقل السليم
الذى صقله الاسلام وهدهد .

وقد يسأل سائل : هل اقصر
الاسلام الضمير وعده رقيباً ؟
والجواب ان الاسلام قدر
الضمير واعتمد عليه فى أنواع
من الحكم والاختيار .

وحسب الضمير شرفاً ان يكون
المتصور فى قوله تعالى : (لا أقسم
بيوم القيامة ، ولا أقسم بالنفس
(اللوامة) وفى قول رسول الله صلى
الله عليه وسلم « ان فى الجسد
مضغة اذا صلحت صلح الجسد
كله ، واذا فسدت فسد الجسد
كله ، الا وهى القلب » .

وقد تعرض أمور ليس للشرع
فيها نص ، فيحار الناس اخير هى
أم شر ؟ احلال أم حرام ؟ وهنا
يهتف الضمير الحى بما يطمئن
النفوس ويهديها الى الخير والحق
والحلال ، وهذا هو المقصود من
قوله صلى الله عليه وسلم :
استفت قلبك استفت نفسك . البر
ما اطمأنت اليه النفس واطمأن
اليه القلب ، والاثم ماحاك فى
النفس وتردد فى الصدر . وقوله:
الحلال بين والحرام بين وبينهما
أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من
الناس فمن اتقى الشبهات فقد
استبرأ لعرشه ودينه .

وقوله : لا يبلغ العبد ان يكون
من المتقين حتى يدع مالا بأس به
حذراً لما به لباس

أما العقل فان القرآن الكريم قد
رفعه مكاناً علياً فى كثير من آياته
وان الفضائل التى دعا اليها
الاسلام لتوافق العقل السليم ،
ولهذا جعله الاسلام من الرقباء
عليها وعلى الناس .

على اننا لانعرف فضيلة الاوقه
أمر الدين بها وارتضاها العقل
السليم وأيدها ، وهش لها الضمير
الحى وسددها .

وليس هناك رذيلة الا وقد
نهى الدين عنها وبغضها ، وهش
منها الضمير الحى وانكرها ،
ورفضها العقل السليم وقبحها .
وانه لجدير بامعان النظر ان القرآن
الكريم اذ يأمر بفضيلة أو ينهى
عن رذيلة يسلك مسالك منها .

١ - انه يعقب على الامر او النهى بتعليل موجز يكشف عما فى العمل بالفضيلة من خير وما فى اقتراف الرذيلة من شر ، وفى هذا تنبيه للضمير والعقل .

من هذا قوله تعالى (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن ، فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانهولى حميم)

فها هنا تعليل لمقابلة السيئة بالحسنة يبين ان هذه المقابلة تطفىء الغضب ، وتعيد المودة وتكفل السلام .

وقوله تعالى : (ياأيها الذين آمنوا أن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة ، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين)

فالتثبت لتحرى الأنباء التى ينقلها الكاذبون ضرورى لان تصديق انبائهم قد يشير النفوس فيدفعها الى حرب او قطيعة أو سوء مجازاة ثم تتكشف الحقيقة

فيكون الندم والاسف وقوله تعالى : (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) فان التنازع والتخاصم والتفرق تصيب بالخيبة وضعف القوة وتطمع الاعداء فى المسلمين .

٢ - وقد يراوح القرآن الكريم فيماير بالفضيلة فى موضع أوينهى عن الرذيلة فى موضع ، بغير أن يلحق بالامر والنهى تعليلا ، ولكنه فى موضع آخر يعقب بالتعليل

من هذا قوله تعالى : (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وابتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون)

فهنا أمر بالعدل مجرد من التعليل ، ولكن الامر بالعدل اقترن فى موضع آخر بانه مظهر من مظاهر التقوى والخلق الكريم فى قوله تعالى : (اعدلوا هو اقرب للتقوى) واقترن فى موضع ثالث بانه عمل معدوح محبوب

فى قوله سبحانه وتعالى (ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ، ان الله نعماء يعظكم به)

٣ - وقد يعقب القرآن الكريم على الامر أو النهى بالترغيب فى ثواب الله والترهيب من عقابه ، لقوله تعالى : (ويسل للمطففين الذين اذا اكلوا على الناس يستوفون ، واذا كالوهم اوزونهم يخسرون . الا يظن أولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم ، يوم يقوم الناس لرب العالمين)

وقوله تعالى : (واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ، ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها ، وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون)

وليس معنى هذا ان الفضائل أو الرذائل التى لم يلحق بها القرآن الكريم تعليلا اقل شأننا من التى الحق بها بعض التعليل أو انها محتاجة الى تعليل يؤيدها ، بل معناها انها من البديهيات التى لا يختلف الناس فيها ، فتطفيئ الكيل والميزان جريمة فى تقدير كل انسان متدين حى الضمير سليم العقل كريم الخلق واذا قلت مرتكبها من العقاب فى الدنيا فلن يفلت من عقاب الآخرة .

والوفاء بالعهد خلة محمودة يحرس عليها العقلاء الفضلاء ، ونكت العهد رذيلة يأنفون منها ، لانها منقصة ، وان خفيت على الناس فلن تخفى على علام الغيوب

فضل صدقة السر

عن النبى - صلى الله عليه وسلم - انه قال : سبعة يظلهم الله فى ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله : امام عادل ، وشاب نشا فى عبادة ربه ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك وافترقا عليه ، ورجل دعتة امرأة ذات منصب وجمال فقال : انى اخاف الله رب العالمين ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه بالدموع ، ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لاتعلم شهادته ما تنفق يمينه .

قوله - صلى الله عليه وسلم - : حتى لا تعلم شهادته الخ مباحة فى الاخفاء ، وتباعد الصدقة عن مكان الرياء ، وفيه دليل على فضل اخفاء الصدقة على ابدانها الا ان يعلم ان فى اظهارها ترغيبا للناس فى الاقتداء به ، وان قلبه بعامن من اتاننى بداعية الرياء .

قال تعالى : (ان تبدوا الصدقات فنعما هي ، وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم)

وعنه - صلى الله عليه وسلم - : انه قال : صناع المعروف تقى مصادر السوء وصدقة السر تطفى غضب الرب ، وصلة الرحم تزيد فى العمر .

الفقهاء المحدثون ورأيهم في موضوع الناسخ والمنسوخ في القرآن

الأستاذ أحمد حسين

موضوع النسخ في القرآن ،
بمعنى ازالة حكم آية من الآيات
بآيات جديدة ، مع الإبقاء على
تلاوتها في المصحف وذلك بسبب
تغير الظروف والحاجة الى حكم
جديد ، من الامور التي شغلت
المفسرين والفقهاء منذ القرن
الهجري الثاني كما رأينا .

ويخلص من دراستنا لهذا
الموضوع ، أن جمهور الفقهاء
والمفسرين القدامى قد قالوا
بوجود ناسخ ومنسوخ في القرآن ،
بمعنى أن احدى الآيات قد ألغت
الحكم المستفاد من آية سابقة

عليها في النزول . على أن
الاقدمين على اتفاقهم على هذا
المبدأ ، فقد اختلفوا في الآيات التي
يجرى عليها النسخ وفي عددها ،
وقد رأينا كيف أن البعض قد
توسع فجعل هذه الآيات المنسوخة
(٢٤٧) وهو ابن الجوزي ، حيث
هبط بها السيوطي العالم المصري
الكبير الى (٢٠) فقط وبين هذين
الرقمين تراوحت آراء الفقهاء في
الآيات المنسوخة وغير المنسوخة .

كما لاحظنا أن هذه الآيات
العشرين التي لخص فيها
السيوطي قضية النسخ ليست
محل اتفاق . ولا تكاد توجد آية
واحدة بصفة عامة يقول البعض
بأنها منسوخة ، لا نجد من ينكر
أن تكون كذلك حتى من بين
المسلمين القائلين بوجود النسخ
في القرآن .

أي أنه وإن جرى الاتفاق على
المبدأ ، فقد وقع الخلاف على
التطبيق فما يراه البعض لا يراه
البعض الآخر .

وقد انفرد (فيما يبدو) أبو
مسلم الإصفهاني من بين مفسري
القرآن بانكار أن يكون قد وقع
نسخ في القرآن ، وإن كان ذلك
قد حدث في السنة ، فأيات
القرآن في تقديره محكمة كلها ،
ويمكن التوفيق دائما بينها .

وإذا كان كل من جاء بعد
(أبو مسلم الإصفهاني) أو عاصره
قد أنكر موقفه وجرحه وسفه
رأيه ، فإن فضيلة الأستاذ أبو زهرة
قال لنا في كتاب ابن حزم أن
الفخر الرازي قد سايره بوضائه
عن محاولات التوفيق التي قام
بها .

علماء النهضة الحديثة

حتى إذا اطلنا القرن التاسع
عشر ، وبدأت النهضة الإسلامية

العلمية تشق طريقها ، فقد بدأ الفقهاء يتجهون ناحية القول بعدم نسخ القرآن ، ويعبر بعضهم عن ذلك تعبيرا مباشرا ، والبعض بطريق غير مباشر ، كان يفسروا آية النسخ في القرآن ، تفسيراً يخرجها عن المعنى المستفاد منها من أنها ازالة احكام بعض الآيات . وعلى رأس هؤلاء الاخيرين :

الامام الشيخ محمد عبده

جاء في تفسير المنار الذي ألفه السيد محمد رشيد رضا ، واعتمد فيه على اقوال الامام الشيخ محمد عبده ما يلي :

(ما نسخ من آية أو ننسها فأت بخير منها أو مثلها ، ألم تعلم ان الله على كل شيء قدير) .

(قال الاستاذ الامام) للمفسرين في تفسير هذه الآية طريقتان : أحدهما أنها على حد قوله تعالى (وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر) فالنسخ هنا بمعنى التبدل ، أي إذا جعلنا آية بدلا من آية فأننا نجعل هذا البديل خيرا من البديل منه أو مثله على الأقل ، فالآية عند هؤلاء في نسخ التلاوة ، وقالوا ان المراد بالنسيان هو ان يأمر الله تعالى بعدم تلاوة الآية فتنسى بالمرّة (قال) وهذا بمعنى التبدل فما هي الفائدة في عطفه عليه بأو ؟ وهل هو الا تكرار يجعل كلام الله عنه ؟

وثانيهما ان المراد نسخ حكم الآية ، وهو عام يشمل نسخ الحكم وحده ، ونسخه مع التلاوة وهذا هو القول المختار للجمهور ، وقالوا في توجيهه أنه لا معنى لنسخ الآية في ذاتها ولا حاجة اليه ، وإنما تختاف الاحكام باختلاف الزمان والمكان والاحوال فاذا شرع حكم في وقت لشدة

الحاجة اليه ثم زالت الحاجة في وقت آخر فمن الحكمة ان ينسخ الحكم ويبدل بما يوافق الوقت الآخر فيكون خيرا من الاول أو مثله في فائدته من حيث فيسام المصلحة به .

وقالوا أن المراد بالنسيان ازالة الآية من ذاكرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد اختلف في هذا ، أيكون بعد التبليغ أم قبله ، فقيل بعده كما ورد في اصحاب بئر معونة ، وقيل قبله ، حتى أن السيوطي روى في اسباب النزول ان الآية كانت تنزل على النبي صلى الله عليه وسلم ليلا فينساها نهارا فحزن لذلك فنزلت الآية .

١ قال الاستاذ الامام) ولا شك عندي في ان هذه الرواية مكذوبة وإن مثل هذا النسيان محال على الأنبياء عليهم السلام لأنهم معصومون في التبليغ والآيات الكريمة ناطقة بذلك كقوله تعالى (ان علينا جمعه وقرآنه) وقوله (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) وقد قال المحدثون والاصوليون أن من علامة وضع الحديث مخالفته للدليل القاطع عقليا كان أو نقليا كأصول الاعتقاد وهذه المسألة منها فان هذا النسيان يناقض العصمة المجمع عليها .

ثم يمضي (الاستاذ الامام) فيقول :

هذا تقريبي ما جرى عليه المفسرون في الآيات . وإذا اذنا بين سياق آية (ما ننسخ) وآية (وإذا بدلنا آية مكان آية) نجد أن الأولى ختمت بقوله تعالى (ألم تعلم ان الله على كل شيء قدير) والثانية بقوله (والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر) ونحن نعلم شدة العناية في أسلوب

القرآن بمراعاة هذه المناسبات . فذكر العلم والتنزيل ودعموى الافتراء في الآية الثانية يقتضى ان يراد بالآيات فيها آيات الاحكام .

وأما ذكر القدرة والتقرير بها في الآية الاولى (ما ننسخ من آية) فلا يناسب موضوع الاحكام ونسخها ، وإنما يناسب هذا ذكر العلم والحكمة فلو قال (ألم تعلم ان الله عليم حكيم) لكان لنا ان نقول انه أراد نسخ آيات الاحكام لما اقتضته الحكمة من انتهاء الزمن أو الحال التي كانت فيها تلك الاحكام موافقة للمصلحة .

ويخلص الامام الشيخ محمد عبده ان المعنى المقصود من الآية والمعنى الصحيح الذي يلتزم مع السياق ، هو ان المقصود بالآية هنا هي ما يؤيد الله تعالى به الانبياء من الدلائل على نبوتهم أي (ما ننسخ من آية) نقيمها دليلا على نبوة نبي من الانبياء أي نزيلها ونترك تأييد نبي آخر بها ، أو ننسها لطول العهد بمن جاء بها ، فاننا بما لنا من القدرة الكاملة والتصرف في الملك نأتى بخير منها في قوة الاقناع واثبات النبوة أو مثلها في ذلك ، ومن كان هذا شأنه في قدرته وسعة ملكه فلا يتقيد بآية مخصوصة يمنحها جميع أنبيائه . والآية في اصل اللغة هي الدليل والحجة والعلامة على صحة الشيء . (تفسير المنار - جزء ١ - ص ٤١٤)

ونحن مع اتفاقنا مع الامام الشيخ محمد عبده في النتيجة التي انتهى اليها ، من أن هذه الآية (ما ننسخ من آية) لا تفيد هذا المعنى الذي اتجه اليه ذهن القدامى من ازالة احكام بعض آيات القرآن ، فلا نجاربه في تدليله على ذلك من أن الله لو كان

يريد هذا المعنى لقال (ألم تعلم أن الله عليم حكيم) ولم يقل (ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) لأن القدرة أعم وأشمل من العلم والحكمة فيجوز التعبير بها في كل الاحوال ، ولا ينبغي أن يحتج على القرآن لفهم معناه أنه كان يجب أن يقول كذا ، أو يعبر بهذا الأسلوب أو ذاك .

والذي يعنينا في مقامنا هذا أن الامام الشيخ محمد عبده قد أنكر أن يكون في القرآن ناسخ ومنسوخ بتفسير الآية البالغة على ذلك ، على غير معناها الذي اتجه اليه الجمهور .

الشيخ محمد رشيد رضا :

ولم يتح لي أن احيط بما كتبه الشيخ رشيد رضا في هذا الموضوع الا ما جاء في تفسير المنار آنفا ، ولكني من ناحية أخرى عثرت للشيخ رشيد رضا على دفاع عن (أبو مسلم الاصفهاني) ففي تفسير البغوى وابن كثير ، الذي أشرف على طبعه الشيخ محمد رشيد رضا ، قال ابن كثير في تفسيره للآية (ما ننسخ من آية) والمسلمون كلهم متفقون على جواز النسخ في احكام الله تعالى لما في ذلك من الحكمة البالغة وكلهم قال بوقوعه . وقال أبو مسلم الاصفهاني المفسر : لم يقع شيء من ذلك في القرآن وقوله ضعيف مردود مرذول وقد تصسف في الاجوبة عما وقع من النسخ فمن ذلك قضية العدة بأربعة أشهر وعشر بعد الحول ، لم يجب عن ذلك بكلام مقبول ، وقضية تحويل القبلة الى الكعبة عن بيت المقدس لم يجب بشيء ، ومن ذلك نسخ مصابرة المسلم لعشرة من الكفار الى مصابرة

الاثنين ، ومن ذلك نسخ وجوب الصدقة قبل مناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم وغير ذلك والله أعلم .

ويعلق رشيد رضا على قول ابن كثير بما يشتم منه الدفاع عن (أبو مسلم الاصفهاني) اذ يقول : أبو مسلم لا ينكر الانسخ شيء من القرآن فالصلاة الى بيت المقدس لم تثبت بالقرآن ومسألتا المصابرة والصدقة قبل المناجاة ليستا من النسخ عنده بل هما من قبيل الجمع بين العزيمة والرخصة في سياق واحد .

وهذا الدفاع عن (أبو مسلم الاصفهاني) الذي جرحه الاقدمون دليل الموافقة على رايه .

الشيخ محمد أبو زهرة

وأما علامة الفقه المعاصر الشيخ محمد أبو زهرة ، فهو بدوره لا يخفى تعاطفه مع (أبو مسلم الاصفهاني) اذ يقول لنا في كتابه ابن حزم (ص ٣٣٢) بعد أن يسوق آراء الفقهاء في موضوع النسخ :

وبعض الفقهاء يرى أن ليس في القرآن قسط منسوخ لأنه سجل الشريعة وهو الباقي الخالد الى يوم القيامة وما يدعى نسخه من القرآن يمكن التوفيق بينه وبين ما يدعى ناسخه بأيسر كلفة ، ولا يصار الى النسخ الا اذا تعذر التوفيق . وقد قرر ذلك الراي (أبو مسلم) وحكى قوله فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير ووضح قوله ، وذكر توقيفه في كل آية ادعى نسخها .

هذا هو الراي الاول وله وجهة نظر معقولة ، وان كان جمهور العلماء على خلافه ، وعندى انه ما أمكن التوفيق من غير تكلف فانه لا نسخ ، اذ النسخ ليس أمراً

سهلاً ، فهو انتهاء لتكليف اشتملت عليه آية قرآنية . انتهى .

الاستاذ عبد الكريم الخطيب

أما اخونا العلامة الفاضل

الاستاذ عبد الكريم الخطيب ، فهو يختم بحثه المستفيض في موضوع النسخ والمنسوخ في كتابه العليم اعجاز القرآن بالمباردة التالية :

وهكذا لو تدبرنا الآيات التي قيل انها منسوخة ، وفهمنا وجه الحكمة فيها - لو فعلنا ذلك لما وجدنا في الكتاب الكريم آية واحدة لا تعطى حكمها ، أو تضيى بالخبر الكثير الذي نزلت به من السماء هدى ورحمة ونورا .

المجلس الاسلامي الاعلى

ونصل اخيراً الى المجلس الاسلامي الاعلى الذي أصبح يضم جمهرة العلماء الاعلام لا في مصر وحدها بل في العالم الاسلامي كله ، فتراه يقرر على ما رواه عنه الدكتور مصطفى زيد ، أن لا نسخ في القرآن .

فقد توجه الدكتور مصطفى زيد ، في ختام رسالته النفيسة عن النسخ والمنسوخ في القرآن ، برجاء الى المجلس الاسلامي الاعلى أن يعيد النظر في قراره الذي اتخذته بين يدي تفسيره أن لا نسخ ولا منسوخ في القرآن .

الدكتور مصطفى زيد

والدكتور مصطفى زيد نفسه أكبر متمسك بالقول بأن في القرآن بعض الآيات المنسوخة ، قد هبط بعدد هذه الآيات الى خمس فقط ، وأبطل كل ما ادعاه القدامى عن نسخ عشرات من الآيات ، بل لقد أبطل دعوى النسخ في آيات تقرب مثلاً في الفقه على حدوث النسخ ، ولذلك فقد كان كتاب

الدكتور مصطفى زيد ، هو أكبر معين لي في تكوين رأيي ضد أن يكون في (القرآن نسخ) .

مدارستى مع بعض المشايخ الاعلام

ولما كان هذا الموضوع هو محل انشغالي واهتمامي منذ سنوات حيث اعتزمت ، لو امتد بى الاجل أن اشرف في تفسير بعض آيات القرآن على ضوء مفاهيم العصر ، فقد كنت اتدارس هذا الامر مع كل من تنهأ لى فرصة الالتقاء بهم من العلماء الإحلاء .

فاستوفيت أن الجمهرة الغالبة منهم تنكر أن يكون فى القرآن آيات منسوخة، ولعل أشد الجميع انكارا لهذا الرأي هو فضيلة الاستاذ محمد بن فتح الله بدران الاستاذ بكلية أصول الدين . وهو من القائلين بأن المقصود بكلمة آية فى آية « ما ننسخ من آية ، هو الآية الكونية وهو فى ذلك يتابع الامام الشيخ محمد عبده .

كما استوقفنى بحث وضعه الدكتور احمد غلوش داعية الاسلام المتصوف فى تفسير هذه الآية وقراءه على ، وهو يرى أن الآيات المنسوخة ، هى الشرائع السابقة على الاسلام ، والتي نسختها الشريعة الاسلامية ، ويستدل على ذلك من سياق ما سبق الآية وما لحقها من حديث عن الشريعة اليهودية .

وليس سوى الشيخ محمود فابد الأستاذ بالأزهر والواعظ المشهور ، من قال لى بوجود النسخ فى القرآن كمبدأ مسلم به،

وأن كان لا تتفق مع قول القائلين فى آيات معينة انها منسوخة ويرى أنه مما يجوز توفيقها مع باقى الآيات .

وهكذا اذا كانت جمهرة القدماء قد قالوا بوجود النسخ فى القرآن فان جمهرة المحدثين الذين طالعت لهم أو تقابلت معهم ينفون ذلك .

ولما كانت هذه الجمهرة من القدامى ليسوا من الصحابة أو التابعين وانما هم من فقهاء ومفسرى القرن الثانى الهجرى وما تلا ذلك ، فان رأيهم لا يعدو أن يكون اجتهادا يواجه باجتهاد مثله .

على أن الذين يقولون بعدم النسخ سواء من القدامى والمحدثين قد وقفوا عند حد هذا التقرير ، دون أن يبينوا حكم الآيات المختلفة الحكم ، وما هو تفسير وجودها كلها فى المصحف وهو ما ألهمنا الله عز وجل رأيا فيه نرجو أن يكون صوابا وأن يكون فيه خير للمسلمين .

من رأينا أن ليس فى القرآن ناسخ ولا منسوخ بل آيات مختلفة الأحكام تعمل كل منها عندما تتوافر الظروف التى نزلت الآية لمعالجتها .

من الأمور الجمع عليها بين كافة المسلمين ، أن القرآن الكريم هو آخر تشريع سماوى ، وذلك لأن رسول الله صلوات الله عليه هو آخر نبي ، وقد صدق ذلك مرود ما يقرب من اربعة عشر قرنا .

ومعنى ذلك أن القرآن ستمثل هو المصدر الوحيد السماوى لاستنباط التشريعات الهام وغدا، وبعد أحوال أخرى وقرون .

واذا كان ذلك كذلك ، فان هذا المصدر يجب أن يكون بحث يتسع للأحوال المتغيرة ، والظروف المتناقضة التى تطرأ على الحياة .

تغير الظروف فى ٢٣ سنة :

والعالمون بان فى العراق نسخا ومنسوخا ، يسلمون بان الامر قد احتاج خلال ١٢ سنة وهى مده نزول القرآن ، الى تغير فى بعض احكامه لتلائم الظروف الجديدة والازعاج الناشئة . بحيث اقتضى الامر التشديد بعد التخفيف لما هو الشأن فى موضوع الخمر ، ومن التخفيف بعد التشديد ، كتقليل العدد فى القتال الذى يتعين على المؤمن مواجهتهم ، أو التخفيف من قيام الليل . فاذا كان تغير الأحوال فى ثلاث وعشرين سنة قد اقتضى تطورا تشريعيًا ، فمن غير المنطق ، ومن غير المفهوم ، أن يتصور متصور أن يكون باستطاعة حكم من الأحكام ، أن يغطي كل الأحوال فى مختلف الظروف خلال عدة قرون . وقد كانت هذه الضرورة هى التى فتحت باب الاجتهاد على مصراعيه ولما يمض على وفاة الرسول بضعة أعوام فى أيام خلافة عمر بن الخطاب ، عندما واجهت المسلمين ظروف جديدة لم يكن لهم سابق عهد بها على أيام رسول الله .

ولعل هذا هو الذى يبرز لنا أحد الخصائص القرآنية المعجزة، وهو عمومية تعبيراته ، وتنوع أحكامه ، بحيث تتسع الى شتى التفسيرات ليمكن لكل جيل ولكل قرن أن يجد فيه متطلباته ، فباستطاعتنا اليوم على سبيل المثال أن نفسر بعض الآيات على أنها تطبيق للديمقراطية بمعناها الحديث ، كما نفسر بعض الآيات على أنها تحقق للاشتراكية التى هى سمة العصر ، ولا لوم فى ذلك أو تشريب ، ولا يعتبر ذلك ماسا بالقرآن ، بل على العكس من ذلك تعتبر تقديسا للقرآن وتمسكا به،

بحيث يحرص المسلمون على أن تظل تصرفاتهم داخل إطاره وتحت لوائه .

كل حكم يعمل عند توفر ظروفه :

وباسياسة على هذا المعنى ، سدى هو من احص حصائص الشريعة لتصل حيه ولا نصاب بالصومور والجمود فان اشتغال القرآن على عديد من الاحكام المتميظه من الموضوع الواحد ، هو آية مبرته المتجدده الخلافة على مواجهة الظروف المتغيرة .

واختيار احد هذه الاحكام ، وانغاء باقيها بدعوى أنه قد نزل بعد الاحكام الاخرى فالغايه ، هو دعوى من غير بينة ، فالرسول - صلوات الله عليه - لم يحدثنا عن هذه القضية الخطيرة ، مع أنها كان يجب أن تكون أولى القضايا بالتفصيل والشرح اذ تتصل بالتشريع وأحكامه .

ويهدم هذه القضية من أساسها ترتيب القرآن ، فهو لم يرتب بحسب النزول ، وانما رتب المصحف على هذا الوجه الذى هو عليه بإشارة النبى صلوات الله عليه وسلامه ، أو بالأحرى بناء على إشارة جبريل ، وهكذا يبدأ المصحف بالسور التى نزلت فى المدينة ويختتم بالسور التى نزلت فى مكة . وبين هذه وتلك سور نزلت فى هذه المدينة أو تلك ، بل انه فى داخل السورة الواحدة المكية أو المدنية توجد الآية التى نزلت فى غير المكان الذى نزلت به باقى السورة . ولا تفسير لذلك أو تحليل يمكن أن يقله العقل ، الا أن يكون المقصود عدم التعويل على الزمن أو المناسبة التى نزلت فيها الآية أو السورة ، ليظل حكمها عاما شاملا فى كل العصور والدهور ، وليس للحادث

الخاص الذى نزلت بسببه ، أو الزمن المحدد الذى نزلت فيه .

ترتيب القرآن اذن بالصورة التى هو عليها ، هو ارشاد من الله وتعليم ، ان كل ما تضمنه المصحف قرآن ، وكله كلام الله ، يعمل عمله ويحدث آثاره فى النفوس على مر الأزمان والأجيال .

التدرج فى التشريع الخاص بالخمر :

فاذا تضمن القرآن على سبيل المثال أكثر من آية تعالج موضوع الخمر ، فإن كل هذه الآيات عاملة ، وكلها محل للاعتبار ، وكلها تصلح فى كل زمان ومكان أن تكون مصدرا للتشريع فى موضوع الخمر ، اذا توفرت الظروف التى أدت الى نزولها .

فنحن نعلم أن الرسول صلوات الله عليه عندما بدأ دعونه الى التوحيد والتخل عن عبادة الأصنام كانت مكة غارقة حتى الأذقان فى عادة شرب الخمر ، وكان كرام رجالها يشربون الخمر فى غير تخرج أو تأثم ، باعتباره أمرا مألوفا لا غرابة فيه . وكانت تجارة الخمر وعمل الخمر واستحلاب المواد التى يعمل منها الخمر ، تؤلف المصدر الرئيسى لارتزاق عدد كبير من قريش .

فاقتضت الحكمة الالهية ، وهى فى معرض الدعوة الى قضية الانسانية الكبرى ونعنى بها توحيد الالهية ، وعدم السجود لغير الواحد القهار ، أن تسكت عن هذه الآفة الاجتماعية مؤقتا ريثما تستضىء النفوس بثور التوحيد ، وتتعطش لالتماس أسباب الكمال .

ومن هنا وقف القرآن من الخمر موقفا سلبيا كما تدل على ذلك

الآية الكريمة « ومن ثمرات النخيل والاصناف يحسب من سحرا ورجسا حسنا » .

المنافع والاثام فى الخمر :

ويدا الايمان يعمل عمله فى النفوس ، فراح البعض يسألون الرسول فى موضوع الخمر ، وهم يرونها مصدرا للمتاعب والاكدار ، فنزل القرآن الكريم يقول :

« يسألونك عن الخمر والميسر قل فيها اثم كبير ومنافع للناس وانتهما اكبر من نفعهما » .

فالقرآن الكريم هنا صريح فى اثبات المنافع للخمر ، وهذا خبر والأخبار باجماع الآراء لا تنسخ ، ففى الخمر منافع تلك قضية لا يمكن أن تجحد ، وان كان الاثم الذى تحدثه فى خاتمة المطاف أكبر من النفع ، وترك الحرية للمسلمين فى ذلك الوقت أن يوازنوا بين المنافع والآثام ، وأن يختار كل منهم لنفسه ما يراه على ضوء هذه الآية . وليس أدل على أن حرية الاختيار ظلت متروكة ، ان رجلا من أجلاء الصحابة ظلوا يشربون الخمر حتى بعد هذه الآية ، ففتن بعضهم فى الصلاة وأخطأ فى آيات القرآن فنزلت الآية .

لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى :

ونص الآية : يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ، فانت ترى أن الخطاب موجه للمؤمنين ، والمؤمنون هنا هم طليعة الصحابة الكرام ، وقد سمحت الآية بأن يقربوا الصلاة بعد أن يذهب تأثير الخمر عنهم ويعلموا ما يقولون . وهذا قاطع فى أن الأباة ظلت قائمة .

رجس من عمل الشيطان :

وباستقرار الايمان فى النفوس ، والتأدب بأدب القرآن ، أحس الصحابة ، أو بعضهم على الأقل

ذلك أو أمريكيا يصلى وهو سكران، قلنا له ما قانه القرآن للصحابة من قبل : لا تقرّبوا الصلاة وأنتم سكارى . حتى اذا التمس بعض هؤلاء المسلمين الجدد ، الكمال الاسلامى ، وأصبحوا مستعدين لقبوله ، قلنا لهم : ان الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون .

وهكذا نعود كل آية لتعمل فى ظروفها ، ولتهدينا السبيل المستقيم لطريق نشر الدعوة وأخذ الناس فيما ألفوه وأصبح عادة لهم عن طريق التدرج . ومحال أن يعلمنا القرآن سبيل التدرج فى التشريع، والتدرج فى حل الناس عن الاقلاق عما ألفوه ، ثم نقول نحن ان لم يعد هناك الا طريق واحد وحكم واحد، فلا نأخذ الناس بالتدرج ، ولا نتأدب بالأدب الالهى ولا نتبع أسلوبه الحكيم .

بين الدعوة بالحكمة والموعظة وآية السيف :

على أن هناك قضية أخطر من موضوع الخمر، لأنها تتصل بكيان العالم الاسلامى كله فى هذا العصر الحديث ، بعد أن فقد سلطانه وأصبح يؤلف أقلية فى العالم ، وأعداؤه يمتلكون القنبلة الذرية وسفن الفضاء والصواريخ العابرة للقارات ، وكل أسباب التفوق الاقتصادى والسياسى والتكنولوجى . ما هو سبيل المسلمين فى نشر دعوتهم الاسلامية ، ومواجهة الأديان والمعتقدات الأخرى ، أسبيلهم الى ذلك هو اصطناع الحكمة والموعظة الحسنة والجدال المنطقى ، وتقديم القدوة الصالحة ؟ أم سبيلهم لنشر الدعوة ، إعلان الحرب والجهاد على الكفار والمشركين ؟

والآن فلنتصور أن حركة تبشيرية اسلامية أتتسح لها أن تذهب الى فرنسا أو الى الولايات المتحدة الأمريكية أو الى الاتحاد السوفيتى، لتشر مبادئ التوحيد الاسلامية وتدعو شعوب هذه البلاد الى اعتناق الاسلام . فماذا يكون موقفها بالنسبة للخمر . أتبدأ باظهار ما فى تعاليم الاسلام من توحيد للألوهية وصد عن عبادة غير الله والسجود للتماثيل والأصنام ، أم تبدأ بحاربة الخمر وتلخيص الاسلام فى أنه عدو للخمر .

ان الخمر فى فرنسا على سبيل المثال ، تؤلف جزءا كبيرا من اقتصادها ، فمزارع الكروم ومعاصر النبط ، ومحلات بيع الخمر تجعل ملايين الفرنسيين يرتزقون من هذه الصناعة . ومعنى ابطالها هو موت هذا العدد الكبير جوعا .

ولا يوجد فرنسى واحد لا يشرب الخمر ، ولو فهم أن الاسلام لا يعنى شيئا الا أن لا يشرب الخمر ، لكان ذلك كافيا ليصده عن سماع أية كلمة بعد ذلك .

ألا يكون الأحجى هنا والأقرب الى الحكمة التى دعانا القرآن أن نعظ بها أن ندع موضوع الخمر جانبا فلا نتعرض له ، ريثما نبين للناس عظمة انتوحيد الاسلامى للألوهية ، وربطه الناس بالله بغير حاجة الى وساطة كنيسة أو كهان، أحسب أن ليس هناك من يمارى فى أن هذا هو الأحجى والأحكم .

حتى اذا دخل الایمان الى قلوب الفرنسيين أو بعضهم ، فسوف يسألون عن موقف الاسلام فى الخمر ، فتسفعنا الآية الثانية للاجابة عليهم : قل فيهما اثم كبير ومنافى للثلاث واثمها أكبر من نفعها . فاذا رأينا فرنسا بعد

بمضار الخمر لما تعدته من أثر على العقول فتذهب بكرامه الانسان ، فرأوا ينجون على الرسون صلوات الله عليه من جديد ، ان يبين لهم فى شأن الخمر ، وادركت الحكمة الالهية ، ان النفوس أصبحت مهياة ومستعدة للانفلاق عن هذه الصادة الابنية ، فنزلت الآية الكريمة : « انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » .

وهكذا حرمت الخمر تحريبا باتا قاطعا ، اذ اعتبرت رجسا من عمل الشيطان وأمر المؤمنون بأن يتجنبوها .

ويكون السؤال الآن ، هل نسخت هذه الآية الآيات السابقة وأبطلت أحكامها كما يقول أصحاب نظرية النسخ . هل لم تعد الخمر تتخذ من النخيل والأعناب ، ولم يعد فى الخمر منافع وأصبح يجوز للمؤمنين أن يقرّبوا الصلاة وهم سكارى حتى ولو لم يعلموا ما يقولون ؟ لا أحسب أن أحدا يقول بذلك ، وانما يقولون انه أصبح للخمر حكما واحدا لا ثانى له فى كل الظروف والأحوال ، وهو أن يعد شاربا وعاصرها وبائعها وزارعها ، ويكفر من يقسول باباحتها .

وأنا أسلم بهذا القول فى مجتمع اسلامى تأدب بأدب الاسلام واستضاء بنور التوحيد ، كما هو الشأن فى مجتمعنا المصرى وكل المجتمعات الاسلامية المعاصرة ، فقد تلقينا جميعا رسالة الاسلام كاملة، ونشأنا فى بيئة اسلامية تحسرم الخمر وتعتبرها أم الكبائر ، فلا يجوز أن نمارى فى ذلك أو نتاول أو نترخص .

ما هو الحال بالنسبة للمجتمع الفرنسى أو الأمريكى أو السوفيتى

ان الذين يقولون بالنسخ في آيات القرآن ، يقررون أن كل ما اشتمل عليه القرآن من آيات تخص على التسامح مع المخالفين في الرأي ، وعلى مجادلتهم بالتي هي أحسن ، وعلى ترك كل انسان يعتقد ما يشاء ما دام مسالما ، يقولون ان ذلك كله قد أصبح منسوخا ، وإن العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين لا تحكمها سوى آية واحدة هي آية السيف التي تقول :

« فإذا انسلك الأشهر الحرام فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخنوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد • فإن تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ، ان الله غفور رحيم » •

يقول القائلون بالنسخ انه بعد نزول الآية ، فقد أصبح كل ما في القرآن من نوع فاصفح الصفح الجميل ، أو اعرض عنهم ، أو تول عنهم فضلا عن الآية التي تقول :

« ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي أحسن » ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ، وما يلقاها إلا الذين صبروا ، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم » •

أو الآية التي تقول :
« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » ، ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » أو الآية التي تقول :

« ولا تعادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن » « لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » •

يقول القائلون بالنسخ ، ان هذه الآيات وأمثالها لم تعد تحكم العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين ، وإنما أصبحت العلاقة تتلخص في آية واحدة هي أخذهم بالسيف وقتلهم حيثما وجدناهم

والتربص بهم وأسهرهم وإن ليس سوى آية واحدة تحكم العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب من المسيحيين واليهود ، وهو أن يؤمنوا أو يدفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، أو أن يقتلوا • فلا جدال حسن بيننا وبينهم ، ولا تعايش سلمى ، ولا حوار كريم • وإنما تسلط وقتل •

وقد روع هذا القول كل الفقهاء المحندين والكتاب في الدين الاسلامي ، فنفسوا عنه أنه دين حرب وقتال ، وأكذبوا انه دين حب وسلام ، وكانت عمدتهم في ذلك هذه الآيات التي زعم الزاعمون أنها نسخت ، وهي تحض كلها على السلام وعلى التسامح وحرية العقيدة لغير المسلمين ما داموا يعيشون في سلام معهم •

وقد تصدى الدكتور مصطفى زيد لدحض كل دعاوى النسخ لهذه الآيات وتعبها واحدة بعد أخرى ، وانتهى من بحثه الى أنها كلها آيات محكمة عاملة • ومعنى هذا أن وجود آيات تشتمل على أحكام خاصة بالقتال ، لا تعني أن الاسلام لم يعد دين سلام ، وإنما تعني أنه عني بتنظيم المجتمع في حالتي السلام والحرب ، ما دامت الحرب احدى سنن الوجود فلم يعد هناك مناص من تنظيمها لتظل محكومة بالقوانين والقواعد • ولا يعنى ذلك أنها دعوة للحرب • وآية ذلك أن القرآن يقلب السلم في جميع الأحوال فيقول وقوله الحق :

« وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » ، انه هو السميع العليم » ••

أي أنه في كل الظروف والأحوال اذ كف أعداء الاسلام عن حربه

وأنزوا السلام ، فقد حق على المسلمين أن يعيشوا معهم في سلام ، وتحكم العلاقة بينهما هذه المجموعة من الآيات التي قيمتها من تجارب وتعاون وتسامح ومواخاة مع من يعيش آمنا في حوارنا •

كل الآيات عاملة عند نوع ظروفها : ههنا يجب النظر الى آيات القرآن كلها ، يهي كلها عاملة ، وهي كلها موجهة ومرسدة ، وهي كلها واجبة التطبيق عند توفر دواعيها وظروف تطبيقها •

وهذا هو احد اسرار اعجاز القرآن وحلوه على مر الزمن • ان يكون كالمخيط يستخرج منه الانسان في كل عصر وزمان ومكان ما يحتاج اليه منه ، ففديها كانوا يخرجون منه اللؤلؤ والمرجان ، ونحن نخرج منه اليوم البترول وشتى صنوف المعادن ، وغدا ستكثر مائه ليصلح للشرب وري الأراضي ، وبعد غد سنخرج منه كل ما يكفى لغذاء الانسان • وليس يعنى اخراج البترول من البحر أن اللؤلؤ والمرجان لم يعودا فيه ، فهما هناك في انتظار ، تطور جديد في حاجات البشرية لتعود لاستخراجها من جديد وهكذا •

كل شيء في القرآن :

يمثل هذه النظرة يجب أن ننظر الى القرآن ، نستخرج منه في كل عصر وكل زمان ومكان ما يصلح أحوالنا ، وينير سبيلنا ويثبت إيماننا ، دون أن نقول ان هذه آية قد ألغيت فلا يجوز العمل بها ، فكلا آيات الله ، وكلها توحيدات الله ، وكلها أحكام الله تنوعت لكي تكون صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان حسب الحاجة وضرورات الساعة • والله تعالى أعلم وهو ولي التوفيق •

رابطه السببية في جريمة القتل العمد بين الشريعة الإسلامية والقانون

المستشار أحمد صراف



١

الاعمال يكون لنشاطه دخل في وقوعه وان استحقاق الجاني للعقاب رهن بقيام الرابطة بين فعله وبين النتيجة التي يؤدي اليها . فمن جريمة القتل العمد مثلا يسأل الجاني عن الوفاة متى كانت مرتبطة بنشاطه ارتباطا يقال معه بأنه هو السبب المباشر في حدوثها كما لو ذبح انسان آخر ففارق الحياة ففعل الجاني هنا وهو الذبح مرتبط بالنتيجة ارتباطا يجعله السبب المباشر في حدوثها غير انه يحصل أحيانا الا يكون نشاط الجاني هو العامل الوحيد في وقوع النتيجة فتتدخل عوامل أخرى تؤدي مع فعل الجاني الى احداثها وعندئذ يحصل التساؤل عن مدى مسئولية الفاعل عن النتيجة مع تدخل تلك العوامل .

وهذه العوامل لها صور مختلفة رد رجال القانون أهمها الى :

١ - ملاسبات طبيعية قد تصاحب فعل الجاني .

انتهينا في مقالات سابقة من بحث مراحل ارتكاب الجريمة وعرفنا كيف ان قانوننا العقابي بات في حاجة ملحة الى التعديل وراينا عند مقارنة أحكامه بأحكام الشريعة الإسلامية اننا لو اخذنا عند التعديل من الفقه الإسلامي انما نأخذ من الأصل الذي نقل عنه كتاب الفرب واننا حين نأخذ عن هؤلاء الكتاب انما نسترد منهم بضاعتنا بعد ان أعادوا صياغتها ووضعوها في أغلفة جذابة تخدع القارئ وتباعد بينه وبين الأصول التي نقلت عنها مع انها من حيث الجوهر مأخوذة عنها جملة وتفصيلا .

وسأعرض في هذا المقال الناحية الأخرى من نواحي الركن المادي في جريمة القتل العمد وهي رابطه السببية بين فعل الجاني والنتيجة التي يؤدي اليها هذا الفعل . فمن المقرر أن الانسان لا يسأل

او شرعى شهادة الزور التى تحمل القاضى
على الحكم بالاعدام .
او عارض كحفر البئر التى يتردى فيها عابر
الطريق فيموت .

وعرضوا بعد ذلك للعوامل الخارجية التى
تتداخل مع نشاط الجانى فى احداث النتيجة ثم
تكلموا فى مدى تآثر المسؤولية الجنائية بها وفصلوا
فى هذا الشأن تفصيلا فأشاروا الى :

١ - اجتماع مباشرتين فآكثر : وذلك عندما
تتعدد افعال الجانى المباشر ويكون كل فعل بذاته
محدثا للوفاة او ان يكون بعضها قاتلا وبعضها غير
قاتل او ان تكون الافعال المباشرة من اشخاص
متعددين وقسموا هذه الحالة قسمين :

الاول عندما يكون القتل المباشر على الاجتماع
وتفترض هذه الصورة توافق الارادة من أكثر من
واحد على القتل .

والثانى عندما يكون القتل المباشر على التعاقب
وتفترض هذه الصورة عدم التوافق بين الفاعلين أى
أنهم يرتكبون الفعل على التعاقب لا مجتمعين .

٢ - اجتماع سببين فآكثر .

بان يتسبب اثنان او أكثر فى احداث افعال
قاتلة بانسان كان يحبس واحد فى منزل بقصد
قتله جوعا ويشعل آخر النار فى المنزل بقصد قتله
حرقا .

٣ - اجتماع مباشرة وسبب .

وفى هذه الحالة قد يغلب السبب المباشر : مثل
قتل المحكوم عليه بالاعدام بناء على الشهادة الزور
او ان تغلب المباشرة السبب كمن يلقى انسانا فى
ماء بقصد اغرقه فيخنقه آخر كان فى الماء او أن
يتساوى السبب والمباشرة كمن يكره انسانا على
القتل فيقتل .

٤ - تسبب الجانى فى فعل قاتل مباشر من
المجنى عليه .

ومن أمثلتها ان يلقى الجانى بالمجنى عليه من
فوق قنطرة النهر فاصدا اغرقه فى الماء فيصطدم
بأسفل القنطرة اثناء سقوطه وتنكسر جمجمته
ويموت بسبب ذلك لا من الفرق .

او أن يصوب شخص بندقية على آخر ليقنتله
فيفقز فى الماء فتاديا للمقذوف ويفرق او أن
يتعاسك اثنان على ظهر قارب ويؤدى تدافعهما الى
وقوع احدهما فى النهر فيموت غرقا .

٢ - أثر حالة المجنى عليه الصحية على
تحقيق النتيجة .

ومن أمثلتها ان يكون المجنى عليه مريضا بالقلب
فيموت من ضربة بسيطة ما كانت لتحدث الوفاة
لولا هذا المرض .

٣ - أثر المضاعفات الطبيعية التى يصاب بها
المجنى عليه : كالنزيف والتسمم رغم حسن العلاج
والمبادرة اليه .

٤ - تدخل عوامل ترجع الى خطأ الجانى
بجانب فعله العمدى فى احداث النتيجة النهائية :
كان يتعمد ارتكاب جريمة دون غيرها فتتحقق
بدلا منها جريمة أخرى او قد تتحقق الجريمة
المقصودة ومعها جريمة ثانية .

٥ - تدخل عوامل ترجع الى خطأ المجنى
عليه الى جانب فعل الجانى : كان يتناول شخص
غير مقصود بالقتل طعاما مسموما مع أنه أعد
لغيره .

وقد تعرض فقهاء الشريعة الاسلامية لرابطة
السببية عندما تكلموا عن الافعال المتصلة بالقتل
بأدق وأعمق مما تعرض به فقهاء القانون اليها .
وقالوا بآدى الرأى بان الافعال اما مباشرة وأما
سبب والاولى هى التى تؤثر فى التلف (الوفاة)
وتؤدى الى حصوله دون واسطة فيعتبر الفعل علة
للموت كالذبح بالسكين فانه يؤدى الى الموت بذاته
وهو فى ذات الوقت علته .

والثانى هو ما يؤثر فى التلف ولا يؤدى بذاته
الى حصوله وهو فى ذات الوقت علة الوفاة وهو
أما حصى كالأكره الذى يحمل المكره على القتل .

يُحصلُ الاعتداءُ عليه وعندئذٍ يُعتبرُ الجانيُ مسؤولاً عن مجرد الشروع في القتل ولا يُعتبرُ مسؤولاً عن الموتِ أي أن الجاني لا يسألُ إلا عن فعله دون النتيجة التي تحققت ما دام من المؤكد أن النتيجة كانت لابد واقعة ولو لم يحصل الاعتداء وفعله هو مجرد إطلاق العيار الذي يُعتبرُ مسؤولاً به عن مجرد الشروع في القتل .

واسارع الى القول بأن هذا التطور في المذهب منقولاً نقلاً يكاد يكون حرفياً عن الفقه الاسلامي ذلك ان القاعدة كما سنرى فيما بعد عند فقهاء المسلمين أن تعدد الاسباب لا يمنع من قيام السببية وانه في القتل العمد كما ان الجاني يُعتبرُ مسؤولاً عن النتيجة ما دام فعله هو سبب الموت فانه يُعتبرُ مسؤولاً عنها كذلك ما دام لفعله على انفراده سبب فيه كما ان رابطة السببية يقطعها المباشر الأقوى فمن يظن انساناً بسكين قاصداً قتله ثم يجيء آخر ويقطع رقبته فالقاتل في هذه الحالة هو الثاني ولا يكون الأول مسؤولاً عن الشروع في القتل حتى ولو كان الجرح بذاته كافياً لحدوث الوفاة .

وهذا الذي قرره فقهاء المسلمين هو بذاته الذي نقله عنهم فقهاء القانون عندما قالوا بأن الجاني في مثل هذه الحالة لا يسألُ إلا عن مجرد فعله دون النتيجة إذا ثبت أن النتيجة كانت لا محالة واقعة سواء وجد نشاط الجاني أم لم يوجد أي أن النتيجة في هذه الحالة تستند الى العوامل الأخرى التي أحدثتها ما دامت قد تحركت مستقلة عن نشاط الجاني .

المذهب الثاني : مذهب السببية المباشرة .

ومقتضاه أن الجاني لا يسألُ عن النتيجة التي حصلت إلا إذا كانت متصلة اتصالاً مباشراً بفعله أو في عبارة أخرى يجب أن يكون فعله هو السبب الأساسي في حدوث النتيجة بحيث يمكن القول بأن النتيجة قد حدثت من نشاط الجاني دون غيره وهذا الرأي مرجوح في نظر فقهاء القانون كما انه مرجوح كذلك عند فقهاء المسلمين .

كمن يقصد قتل آخر فيرفع نحوه سيفه أو يصب عليه عياراً نارياً من مسدس فيركن المجنى عليه الى الهرب ابتغاء النجاة ولكنه يموت نتيجة فعل قاتل مباشر بأن يتردى في هوة سحيقة فيموت أو يقع في بحر فيغرق فالوفاة هنا قد حصلت بفعل قاتل مباشر من المجنى عليه ولكن الجاني هو المتسبب فيها .

ثم ناقشوا انقطاع رابطة السببية ووضعوا القواعد المنضبطة لذلك بطريقة تحليلية رائعة وقبل أن أعرض لأرائهم في هذا الخصوص أبداً أولاً بمناقشة آراء رجال القانون في ذلك وسوف نرى في وضوح تام كيف أن الفقه القانوني كما أسلفت مستمد في جملته وتفصيله من آراء فقهاء المسلمين . أما فقهاء القانون فقد ذهبوا في السببية مذاهب شتى أهمها ثلاثة :

المذهب الأول - ويقول بتعادل الأسباب .

ومقتضاه أن جميع العوامل التي تتضافر في أحداث النتيجة تعتبر متعادلة ومسئولة على قدم المساواة عن حدوثها وذلك لأن نشاط الجاني هو العامل الذي جعل حلقات الحوادث تتابع على نحو معين ولولاه لما حدثت النتيجة النهائية فيجب أن يسأل عنها مهما تدخلت عوامل أخرى ومن ثم إذا طعن زيد عمراً بسكين متعمداً قتله ونقل الى المستشفى فشب في المستشفى حريق أودى بحياة عمرو يكون زيد مسؤولاً عن قتله لأنه لو لا اعتداء زيد لما نقل عمرو الى المستشفى ولما مات من الحريق .

ثم أدخل أصحاب هذا الرأي استثناء على مذهبهم فقالوا بأنه إذا تبين أن النتيجة كانت محتمة الحصول بصرف النظر عن فعل الجاني فإنه لا يسألُ إلا عنها وضربوا لذلك مثلاً بصياد ينافس صياداً آخر أطلق على منافسه عياراً قاصداً قتله وقبل أن يموت المجنى عليه هبت ريح عاصفة أغرقت المجنى عليه بالقارب الذي كان فيه فان غرق المجنى عليه في هذه الحالة محتم حتى ولو لم

المذهب الثالث : مذهب السببية الملائمة .

ومقتضاه ان يسأل الجاني عن النتائج المحتملة أو المتوقعة لفعله أى التي تحصل بحسب المجرى العادى للأمور ويعتبر فعل الجاني سببا مناسبا أو ملائما للنتيجة التي حصلت اذا كان كافيا بذاته فى حصولها ما دامت ظروف الحال تنبئ بأنه قد توقعها بصرف النظر عن العوامل الأجنبية التي تكون قد توسطت بين فعله وبين النتيجة النهائية سواء كانت سابقة على فعله أم معاصرة أم لاحقة له .

فاذا تداخل فى مجرى الحوادث عامل شاذ انقطعت رابطة السببية والضابط فى هذا الرأى يقوم على أساس تقدير الوقائع فى كل حالة وفى كل مرة تتدخل عوامل خارجة مع نشاط الجاني يحصل التساؤل عند الأخذ بالسببية الملائمة عما اذا كانت هذه العوامل قد قطعت رابطة السببية أم لم تقطعها .

ويقال ان العوامل الخارجة لا تقطع رابطة السببية اذا كانت هذه العوامل مما يحصل بحسب المجرى العادى للأمور وعلى العكس من ذلك يقال انها تقطع رابطة السببية اذا كانت مما لا يحصل بحسب المجرى العادى للأمور والقول بانها حاصلة أو غير حاصلة تطبيقا للمجرى العادى للأمور يقاس بأحد معيارين :

١ - معيار شخصى .

ومعناه مساءلة الجاني عن النتيجة رغم تداخل العوامل الخارجية مع نشاطه ان كان فى مقدوره بالنظر الى ظروفه الخاصة أو حالته النفسية ومستواه العقلى توقع حصول هذه العوامل بالكيفية التي حصلت بها اما اذا لم يكن فى مقدوره بالنظر الى ظروفه الخاصة أو حالته النفسية ومستواه العقلى توقع حصولها بالكيفية التي حصلت بها فانه لا يسأل الا عن نشاطه فقط دون النتيجة التي أسهمت العوامل الخارجية فى حدوثها .

ففى المثال الذى سقناه عن زيد يكون زيد مسئولا عن النتيجة اذا توقع وهو يطعن عمرو بالسكين بنية قتله ان عمرو سينقل الى

المستشفى وان حريقا سيشب فى المستشفى ينتهى بوفاته اما اذا لم يتوقع ذلك فانه يكون مسئولا عن مجرد الشروع فى القتل .

٢ - معيار موضوعى .

ومقتضاه ان الجاني يسأل عن النتيجة مادامت هى بذاتها متوقعة الحصول بحسب المجرى العادى للأمور سواء توقع الجاني حصولها أو لم يتوقعه .

ففى المثال السابق لا يسأل زيد عن الوفاة وانما يسأل عن مجرد الشروع فى القتل لان احتراق المستشفى يعتبر أمرا غير متوقع الحصول بذاته اما اذا أهمل عمرو فى العلاج وادى ذلك الى موته فان زيدا يسأل عن الوفاة لان أهمال العلاج أمر متوقع بذاته بحسب المجرى العادى للأمور سواء توقعه زيد أو لم يتوقعه .

وفى اية واقعة ما علينا الا أن نعتنق أحد المذاهب الثلاثة السابقة ونطبقه على واقعة الدعوى فلنا أن نعتنق مذهب تعادل الأسباب وعندئذ نسأل الجاني عن النتيجة النهائية فى جميع الأحوال ولنا أن نعتنق مذهب السببية المباشرة ولا نسأل الجاني عن النتيجة النهائية الا اذا نشأت مباشرة عن فعل الجاني ولنا أخيرا أن نعتنق مذهب السببية الملائمة فنسأل عن النتيجة اذا كان قد توقعها وكانت العوامل التي أسهمت مع نشاط الجاني مألوفة بحسب المجرى العادى للأمور أخذا بالمعيار الشخصى أو كانت النتيجة بذاتها متوقعة الحصول ولو لم يتوقعها الجاني أخذا بالمعيار الموضوعى .

والاحكام الحديثة فى قضائنا المصرى قد انحازت أخيرا الى الأخذ بمذهب السببية الملائمة مع تطبيقه المعيار الموضوعى .

وهذا الذى انتهى اليه قضاؤنا أخيرا والذى يمثل انضج الآراء فى نظرية السببية مأخوذ فى الواقع من الفقه الإسلامى على ما سابينه ان شاء الله فى المقال القادم .

فلنتجه اذن ونحن بصدد تعديل القوانين الى مصادرنا الأصلية وفقهنا الإسلامى العظيم .

في حديث القرآن

سلسلة الشيخ

محمد علي الطمعي

قال الله تعالى .. (واذا قال موسى لقومه ان الله
يامركم ان تذبحوا بقرة ، قالوا انتخذنا هزوا ، قال
اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين ، قالوا ادع لنا
ربك يبين لنا ماهي - قال انه يقبول انها بقرة
لا فارض ولا بكر ، عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون ،
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها ، قال انه يقول
انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين . قالوا ادع
لنا ربك يبين لنا ماهي ، ان البقر تشابه علينا وانا
ان شاء الله لمهتدون ، قال انه يقول انها بقرة لا ذلول
تثير الأرض ولا تسقى الحرث ، مسلمة لا شية فيها ،
قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون ،
واذ قتلتم نفسا ، فادارتم فيها ، والله مخسرج
ما كنتم تكتمون ، فقلنا اضربوه ببعضها ، كذلك يحيى
الله الموتى ويرىكم آياته لعلكم تعقلون) صدق الله
العظيم ..

فقتله أبناء عمه طمعا في أخذ ممتلكاته ، ثم طرحوه
خارج المدينة ، واتهموا ناسا آخرين بقتله وطالبوهم
بالدية ، لكي يبعدوا عنهم شبح الجريمة التي ذعزت
الامن - وخلقت جوا مشحونا بالاضطرابات .

ولما وجهت التهمة الى هؤلاء الناس الابرياء ، دافعوا
عن أنفسهم دفاعا شديدا ، واقسموا بالله جهدا
أيماهم أنهم لم يقتلوه ، ثم ردوا سافكى الدم - الجانين
الحقيقيين - رددا غليظا ، وبهذا أصبح الفاعل مجهولا
والاختلاف قائما ، والتشاحن يتسع يوما بعد
يوم ...

ولما كثر اختلافهم ذهبوا الى سيدنا موسى عليه
السلام ، وطلبوا منه أن يسهم بإيجاد حل سريع ،
ينقذهم من تلك الورطة التي وقعوا فيها ، وينقذ
أهل القرية من متاعث ربما تطورت الى اسوأ ، ومست
الجميع بالشقاق الصاعد والبلاء الكريه ، فاستجاب
لهم موسى ، وناجى ربه كعادته ، ودعا بضاعة أن
يرحم قومه ويبين لهم غوامض الامور ..

وجاء أمر الله من السماء (واذا قال موسى لقومه
ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة ، قالوا انتخذنا
هزوا ، قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين) ..

ذكر الله مساوي بني اسرائيل في القرآن
الكريم ، وعدد أعمالهم المنحرفة ، ومقابحهم الفظيعة ،
لكي يحذروهم الناس ، ويعلموا أنهم شر الامم ، وأخبث
الشعوب ، وأسفل المجتمعات ...

ولقد وضح القرآن الكريم قبل هذه الآيات وبعدها
من نفس السورة ، كيف أن هؤلاء الافاكين طلبوا رؤية
الله جهرة ، ثم حرفوا الكلم ، واعتدوا في يوم السبت
بصيد السمك فيه وهو محرم عليهم ؟؟ وكيف أنهم
عبدوا العجل حتى كاد الجبل يقع فوق رؤوسهم
وتصميمهم القوارع والنوازل ؟؟ وكيف أنهم نقضوا
العهود وأخلوا بالمواثيق ، وتفرغوا لمعادة الرسل ،
وكثرة المراء ، وإشاعة الفساد ، وإذاعة الباطل وعدم
المبالاة !!

وقصة البقرة تعتبر من المراحل المؤسفة في تاريخ
بني اسرائيل ، وتذكرنا بما جبلوا عليه من ارتكاب
الخطايا ، وحبك المؤامرات ، وتدبير الخيانات ،
ونبذ الشرائع السماوية ..

وتبدأ فصول القصة بأنه كان في بني اسرائيل
رجل مسن على جانب كبير من المال ، ووفرة العقار ،

تشابه علينا وانا ان شاء الله لهتدون)
واليهود - هنا - زعموا أن البقر يشبه بعضه بعضا ،
فاختلطت عليهم الامور ، وانهم يطلبون تعريفا مريحا
وتوضيحا شاملا ، وادعوا بهذه السفسطة أنهم
يخافون أن يزلزلوا عن الجادة ، ويبتعدوا عن الصواب
وتصيبهم البلى ، ويحل عليهم غضب الله ، ثم أنهم
قدموا المشية فى هذه المرة ، وطلبوا الهداية التى قد
تحملهم على التنفيذ .

وجاء الرد النهائى من السماء فى تلك القضية
المعقدة على لسان نبيهم موسى (قال انه يقول انها
بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقى الحـرث ،
مسلمة لاشية فيها)

والمقصد أن البقرة غير مدربة على العمل ، من
حرث للارض وسقى للزرع ، فهى لم تمرن على شىء
من هذا أو ذاك ، لشدة حرص أصحابها عليها
(مسلمة) حسنة المنظر خالية من العيوب ، مكرمة
كل التكريم (لاشية فيها) لا أية علامة فيها
تخالف لونها الأصفر الموصوف بأنه يسر الناظرين .

(قالوا الآن جئت بالحق فذبجوها وماكادوا يفعلون)
بعد حوار عاصف ، رضح بنو اسرائيل للأمر الواقع
وكفوا عن الاستئلة ، لأنه لم تبق هنالك استئلة تطرح
للجاجة عليها ، فخافوا أن تبادوا فى غيهم يفضح الله
سرائرهم ، ويكشف خباياهم المشحونة بالضرر
والضرار ...

يقول المفسرون كابى السعود وابن كثير ، مضى
أربعون عاما من أول الأمر بالذبج الى تنفيذه ،
واليهود يسألون ويلحون ويجادلون ، ولما أعيتهم
الحيل اعترفوا بمجى الحق من عند الله ، ولما
اعترفوا به كادوا لا ينفذونه حبا فى المهاترة والزوغان
... ويتضح من هذا كله أن اليهود سألوا موسى ثلاثة
أشياء ، عن تحديد سن البقرة ، وتحديد لونها ، وهل
هى متمرنة على العمل أم لا ؟؟ فجاءتهم الردود كاملة
غير منقوصة حتى لا تكون لهم حجة ، وتنالهم اللعنة
الأبدية التى لا تنال الا الفاسقين ..

وسمع بنو اسرائيل الأمر بذبج البقرة ، فتهكموا
من موسى وغلب عليهم الطبع الخسيس ، فقالوا
له اتسخر منا أم تستهزى؟؟ لأن هذا العمل ليس من
سنن الكون ، وتاباه العقول النيرة ، وكان رد موسى
أشد وأنكى ، فقال أعوذ بالله أن أكذب على الله فى
تبليغ رسالاته ، وأبدل فى كلماته ، فهذا من صنع
السفهاء الحمقى الذين لا يقدرون الله حق قدره ..

ولما رأى بنو اسرائيل الجدية فى كلام موسى ،
اقتنعوا بعض الشئ ، ولكنهم علقوا هذا الاقتناع على
شرط ، وهو أن يخبرهم عن ماهية تلك البقرة المطلوبة
(قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى)
وهذا يدل على سؤالهم عن أشياء تسوءهم ولا تجدى
فتيلا ، ويدل أيضا على تكذيبهم للحقائق ، وحبهم
للجدل والهراء ، وطلب موسى من ربه أن يظهر حقيقة
هذه البقرة ، عسى أن يهتدى قومه الى سواء السبيل
وجاء البيان واضحا (قال انه يقول انها بقرة لا فارض
ولا بكر ، عوان بين ذلك ، فافعلوا ما تؤمرون)
ومعنى ذلك أن البقرة ليست صغيرة ولا كبيرة ،
وانها هى وسط بين هذا وذاك ، فنفلوا الأمر فورا
ولا داعى للتسويق والتعويق ، ولكن بنى اسرائيل
ارتابوا مرة ثانية ، ودخل الوسواس قلوبهم ، شأن
غرائزهم الملتوية ، فطلبوا من موسى أن يوضح لهم
لون البقرة ، (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها)
وهذا يعبر عن لؤمهم النفسى ، وإيمانهم الممزق ،
وشكهم الدائر فى حلقة مفرغة ، إذ أن اللون فى حد
ذاته ليس بذى موضوع ، ولا يترتب عليه شىء فى
أصول الدين ومفهوم الشريعة ..

وتاجى موسى ربه ، وجاء اللون محددا (قال انه
يقول انها بقرة صفراء قافع لونها تسر الناظرين)
أى أن البقرة لونها أصفر شديد الاصفرار يبهج
الرائين ويدخل على صدورهم السرور ..

وللمرة الثالثة مارى اليهود فى أوصاف البقرة ،
وطلبوا مزيدا عنها ، وألحوا على نبيهم موسى أن
يبرز لهم بـقـايا الحقيقة الغامضة
(قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى ، ان البقر

شان آبائكم الأولين الذين ضلوا عن سواء السبيل ،
ومع ذلك لا مفر لكم من لقاء الله الذى سوف يعذبكم
عذابا نكرا ..

يقول أبو السعود فى تفسيره أن أول القصة
هو قوله تعالى (واذا قتلتم نفسا فادارءتم فيها)
كانه قيل (واذا قتلتم نفسا فادارءتم فيها ، فقلنا
اذبحوا بقرة ، فاضربوه ببعضها ، وانما تأخر
الترتيب عند التلاوة لتكرير التوبيخ وتثنية
التفريع) ... وهذا لا يمنع أن يكون تأخير المتقدم
فى هذه الآيات لتشويق السامع ولفت ذهنه
وتحفزه للاستفهام ، كانه يسأل لماذا تذبح البقرة ؟
فيكون الجواب ، لأن بنى اسرائيل قتلوا قتيلا
واختلفوا فى قاتله ، وهذا لون من بلاغة القرآن
وجمال تعبيره وقوة تحديه التى أعجزت الأنس والجن
على أن يأتوا بآية من مثله ، فعجزوا كل العجز وثبت
بالدليل القاطع على أنه منزل من عند الله الذى لا يأتية
الباطل ولا تحوم حوله الشبهات ..

ويستفاد من هذه القصة أن اليهود من يوم أن
ظهروا على مسرح الحياة ، وهم يجادلون الرسل ،
ويؤذون الأنبياء - ويستقبلون الشرائع السماوية
بالتهمك والازدراء ، ويحملونها على الشك والتردد
والارتياب ، ويستفاد منها أن طباعهم الشريرة جبلت
على المفاسد ، وارتكاب الجنایات وتزوير الحقائق ،
وجمع المال ولو بالقرصنة وارقة الدماء ..

وتهدف القصة الى أن هذا عمل باطل وهابط ،
تحرمه كل الأديان السماوية ، ولا يجدى قتيلا ،
وتهدف أيضا الى أن أكل الحلال خير من أكل الحرام
وان تقوى الآباء تنفع الأبناء ، كما جاء فى حديث
الرجل الصالح الذى استدوع الله تعالى ابنه وبقرته
فحفظ الله الابن وبيعت البقرة بأغلى الأثمان ..
ثم ماذا ؟؟

ثم بعد هذه البراهين الساطعة والأدلة الدامغة من
احياء الميت لم يزدرج الصهاينة - السابقون
واللاحقون - عما هم فيه ، وضوا قدما الى متابعة
الهوى والشور والمجادلة ، وفى هذا يقول الله تعالى
(ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو
أشد قسوة ، وأن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار
وأن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وأن منها لما
يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون)
.. نسأل الله أن يجنبنا المزاق ، ويهيئ لنا
سبل التوفيق .

وللعلم أن هذه الأوصاف لم تكن مطلوبة بعينها
فى أول الأمر ، لكن الصهاينة اعتادوا الالتجاء
والتزمت ، وشددوا على أنفسهم ، فشد الله عليهم ،
عن ابن جريج قال ، قال سيدنا محمد عليه الصلاة
والسلام (انما أمروا بأدنى بقرة ولكنهم شددوا
فشد الله عليهم ، وايم الله لو لم يستثنوا لما بينت
لهم الى الأبد) .

أما كيف عثروا على هذه البقرة ؟ فيروى
المفسرون ، ومنهم الامام القرطبي أنه كان فى بنى
اسرائيل شيخ صالح عنده عجلة ، وكان له ابن صغير
برا بوالديه ، فلما دنا عمر هذا الرجل رفع يديه الى
السماء ، وقال اللهم انى استودعك هذه العجلة حتى
يكبر ابنى ويأخذ دور الرجال ، فشببت العجلة فكانت
أحسن البقر منظرا ، وأسمنه جسما ، وأنضره
صفرة ، وهى التى انطبقت عليها الأوصاف ، فسمع
عنها الخصوم فذهبوا لهذا الابن اليتيم وأمه
لشرائها ، فآخذوها بملء جلداهم ذهباً ، رغم أن
البقر كان رخيصا فى تلك الأيام ، ورغم أن البقرة
كانت بثلاثة دنانير ..

(واذا قتلتم نفسا فادارءتم فيها والله مخرج
ما كنتم تكتمون) عندما قتل الرجل المذكور فى أول
القصة ، اختلف أهل المدينة فى قاتله كما قلنا ،
وأخذ كل منهم يلقى تبعة القتل على غيره ، حتى أظهر
الله الحقيقة وما يكتومونه من تدبير شنيع ، وعمل
مبيت جسيم (فقلنا اضربوه ببعضها) أمرهم الله
تعالى أن يضربوا القتيل بجزء من هذه البقرة ، أى
جزء كان ، فيحيا بأذن الله ، وبعض المفسرين يقول
الضرب يكون باللسان أو الأذن أو الفخذ ، وهذا
لا يفيد شيئا ، فان الأمر جاء مطلقا ، وأى عضو
يكفى منها ، والمهم أن القتل عندما ضرب ببعضها
دبت فيه الحياة وقام قائلا قتلنى فلان ، وبهذا
تبين الحق من الباطل وانكشف الغامض ، وظهر
الفاعل الذى ارتكب الجريمة (كذلك يحيى الله
الموتى ويرىكم آياته لعلمكم تغفلون) والمعنى لكى
تدركوا يا بنى اسرائيل - المعاصرين للنبي محمد عليه
السلام - لكى تدركوا ان كانت فيكم عقول ناضجة
وقلوب واعية أن الله جل شأنه قادر على أن يبعث
من فى القبور فتتعظوا وتؤمنوا بالاسلام ، وهيئات
أن تأمنوا به ، فقد تعودتم أن تلبسوا شعارات الزيف

ولا يغير عزا أو ذلة ولا يبدل
نصرا أو هزيمة ، إلا أن يغير
الناس من مشاعرهم وأعمالهم
وواقع حياتهم ، فيغير الله ما
بهم وفق ما صارت إليه نفوسهم
وأعمالهم وان كان الله يعلم منهم
ما سيكون قبل أن يكون .

وكما حدث للمسلمين ما
حدث فى غزوة أحد ، وتعرضوا
لحن قاسية ، وابتلوا فى ثباتهم
وثقتهم بنصر ربهم وسالت
منهم دماء عزيزة زكية ،
واستشهد منهم صفوة من
رجالهم ، بين الله تعالى أن
نفوسهم هى التى أعجلتهم عن
النصر وهى التى قادتهم الى هذا
الموقف الدامى الحزين .

« أو لما أصابتكم مصيبة قد
أصبتكم مثليها قلتم أى هذا ؟
قل هو من عند أنفسكم ، ان الله
على كل شىء قدير »

ويقول سبحانه معللا هلاك
الأمم الفاسدة :

« كذاب آل فرعون والذين من
قبلهم ، كفروا بآيات الله فأخذهم
الله بذنوبهم ، ان الله قوى شديد
العقاب ، ذلك بأن الله لم يك
مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى
يغيروا ما بأنفسهم وأن الله
سميع عليم » .

والنفس الانسانية لها نظرة
صافية نقية ، نوجهها الى الايمان
بالله رب العالمين ، الذى له ملك
السماوات والأرض يحيى ويميت

العلاقات الإنسانية

في ظل الإسلام

فضيلة الشيخ عبدالرحمن البشار

يدور نشاط الانسان فى هذه
الحياة فى ظل علاقات
ثلاث :

أولا - علاقته بنفسه التى
بين جنبيه .

ثانيا - علاقته بالحياة التى
يحياها

ثالثا - علاقته بغيره من
الناس .

تعاليم المرسلين فشورا ملصقة
فى مضطرب الحياة المتحركة ،
ولا ألوانا مفتعلة تبتهت مع الأيام
.. لا ، بل انها كانت تصل الى
أغوار هذه النفوس ، وتوجهها
الى طريق الخير والمعروف ، ومن
هنا كان الاصلاح النفسى هو
الدعامة الأولى لتغليب الخير فى
هذه الحياة ، فاذا لم تصلح
النفوس ساءت العلاقات
واضطرب نظام المجتمع وصدق
الله اذ يقول « ان الله لا يغير ما
يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ،
واذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد
له وما لهم من دونه من وال ،
ومعنى ذلك ان سنة الله قد جرت
على أن تترتب مشيئته بالبشر على
تصرف هؤلاء البشر ، وأن تنفذ
فيهم سنته بناء على تعرضهم لهذه
السنة بسوء سلوكهم فانه
تعالى لا يغير نعمة أو بؤسا ،

أما العلاقة الأولى فان الاسلام
يعتمد فى تنظيمها على تهذيب
النفس الانسانية قبل كل شىء ،
لذلك نراه يكرس جهودا ضخمة
للتغفل فى أعماقها وغرس
تعاليمه فى جوهرها ، وماخلدت
رسالات النبيين واستقطبت
حولها جماهير المؤمنين الا لأن
النفس الانسانية كانت موضوع
عملها ومحور نشاطها ، فلم تكن

وهو على كل شيء قدير ..
ويقول في ذلك المولى تبارك وتعالى
« فاقم وجهك للدين حنيفا ،
فطرة الله التي فطر الناس عليها
لا تبديل لخلق الله . ذلك الدين
القيم . ولكن أكثر الناس
لا يعلمون »

وحينما ارتفعوا الى مستوى
المسئولية وتقلبوا على ما أصابهم
من ألم ، وجعلوا نفوسهم قوية
عزيزة ، جديرة بنصر الله ..
انتصروا على أعدائهم . وحققوا
لأنفسهم العزة والسيادة .

العلاقة الثانية :

علاقة الانسان بالحياة التي
يحيها ، والاسلام يوجه الى أن
أن تكون هذه العلاقة قائمة على
احترام الحياة ، وعلى مواصلة
العمل والسعى فيها ، والعمل على
ترقيتها وازادتها الجديد اليها .
وتلك هي سنة التطور ، ودلالة
التقدم ، والله تعالى قد خلق هذه
الأرض وسخرها لمنفعتنا نحن
بنى الانسان فهو لم يخلقها
لمنفعة هو جل شأنه وتعالى عن
ذلك علوا كبيرا ، ولم يخلقها
للاكتنه ، فالملائكة جنس لا يجوع
فيشبع بطعام ، ولا يظلم فيروى
بماء ، ولا يعرى فيكسى بثياب ،
ولا يتعب فيرفه بمتاع ، انما
خلق هذه الأرض لمنفعتنا
واستخلفنا فيها لنعمرها
ونستخرج خيراتها . ونكافح من
أجل أن يحصل كل عامل على
نصيبه العادل من ناتج عمله .
وأن ندفع عنها من يستغلون

الكادحين ، ويأكلون عرقهم ،
ويظلمون حقوقهم ، فالاسلام في
حقيقته يهدف الى دفع استغلال
الانسان لآخيه الانسان ، بل انه
يحرض على أن يأخذ كل شامل
حقه ولا يفرط فيه ، وأن يتصدى
بعنف لمن يحاول الاعتداء على
ثمرة سعيه .

« جاء رجل الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال :
يا رسول الله : أرايت ان جاء رجل
يريد أخذ مالى ؟ قال لا تعطه
مالك . قال : أرايت ان قاتلنى ؟
قال : قاتله ، قال أرايت أن
قتلنى ؟ قال : فأنت شهيد .
قال : أرايت ان قتلته ؟ قال :
هو فى النار » .

ان هذا التوجيه من الرسول
لا كبر حافل للعاملين بالألا يتهاونوا
فى أخذ حقوقهم ، وأن يرفضوا
الظلم والاستغلال ، وأن يتزعروا
حقوقهم بأيديهم ليعيشوا أعزة
أحرارا فى دنيا الناس ، ويتحقق
فيهم قوله تعالى :

**« والله العزة والرسوله
وللمؤمنين ولكن المنافقين
لا يعلمون » .**

ومن مظاهر احترام الاسلام
للحياة ، أن يحترم الانسان كل
مخلوقاتها وأن يكون ذا قلب
كبير ، يسع برحمته وحنانه
هذه المخلوقات جميعها ، فمن
قسا قلبه عليها كان انسانا
لا يدرك روح الدين وأهدافه .
ولهذا نجد الاسلام شديد

المؤاخذه لمن تقسو قلوبهم على
الحيوان ويستعينون بألامه ،
وقد بين ان الانسان على عظم
قدره يدخل النار فى اساءة
يرتكبها على دابة عجماء . قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم
« دخلت امرأة النار فى هرة
ربطتها . فلم تطعمها ، ولم تدعها
تأكل من خشاش الأرض »

كما بين ان كبائر المعاصي
تمحوها نزعة رحمة تخالط القلب
وتتمزج بالنفس ، ولو بارواء كلب
.. قال رسول الله : « بينما رجل
يمشى بطريق اشتد عليه العطش
فوجد بئرا ، فنزل فيها فشرب
ثم خرج ، واذا كلب يلهث يأكل
الشرى من العطش ، فقال
الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من
العطش مثل الذى كان بلغ منى !
فنزل البئر فملا خفه ماء ، ثم
أمسكه بفيه حتى رقى فسقى
الكلب ، فشكر الله تعالى له فغفر
له » . قالوا : يا رسول الله ،
وان لنا فى البهائم لأجرا . قال :
فى كل كبد رطبة أجر » وفى
رواية : ان امرأة بغيا رأت كلبا
فى يوم حار يطيف ببئر قد أدلج
لسانه من العطش ، فنزعت له
موقها - أى خفها - فغفر لها
به » .

ان هذا من أبلغ الأمثلة فى
الحياة والأحياء ، وتربية الضمير
الانسانى على الخير والاروة
ومكارم الأخلاق .

العلاقة الثالثة :

علاقة الاسلام بغيره من

الناس . الناس اما اصداق
تجمعنا بهم اهداف واحدة
ونضال مشترك ، واما اعداء
يكيدون لنا ويتآمرن على حريتنا
وكرامتنا ، فالاصداق علينا أن
نتواخى معهم بالحق ، فلا ينقى
لسلم أن يرى انحرافا فى مجتمعه
ويسكت عنه ، لانه اذا شاع
الانحراف فى أمة من الأمم وسكت
الناس عليه وارتضوه أصابها
الضعف والانحلال . وفى هذا
يقول سيدنا عبادة بن الصامت
رضى الله عنه : يا عينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم على أن
تقول الحق ، أينما كنا ، لانحاف
فى الله لومة لائم » والرسول يرى
فى هذا التواخى شعيرة من شعائر
الله ، وركنا تنهض فوقه الحياة
فقال : والذي نفسى بيده .
لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن
المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث
عليكم عقابا منه ، ثم تدعونه فلا
يستجاب لكم ، ولا ينقى لأجد
أن يقف فى مجتمعه موقفا سلبيا
يهر رأسه أمام الأخطاء . ويصم
أذنيه أمام الانحرافات ، ويقول
متمثلا بقول الله تعالى من غير
فهم لما يقول « يا أيها الذين آمنوا
عليكم أنفسكم » لقد صحح هذه
المفاهيم سيدنا أبو بكر الصديق
رضى الله عنه حينما وجد سوء
فهم لهذه الآية من بعض المسلمين
فقام وحمد الله وأثنى عليه ،
ثم قال : أيها الناس انكم تقرأون
هذه الآية .. وانكم تضعونها على
غير موضعها ، وإنى سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : « ان الناس اذا رأوا المنكر
ولا يغيرونه ، يوشك الله عز وجل
أن يعذبهم بعقاب » وهكذا صحح
ال خليفة الأول ما ترامى الى وهم
بعض الناس فى زمانه من هذه
الآية ، ونحن الآن أحوج مانكون

الى هذا التصحيح فيقدم
النصيحة كل قادر عليها فى
شجاعة وثقة بالنفس .. وقد
قال رسول الله « الدين النصيحة ،
قلنا لمن يا رسول الله . قال :
لله ولرسوله ولأئمة المسلمين
وعامتهم » .

ولقد سجل الله تعالى اللعنة
على بنى اسرائيل التى تلاحقهم
على مر التاريخ ، لأن شيمتهم
كانت ممارسة الشر والرضا به .
قال تعالى : « لعن الذين كفروا
من بنى اسرائيل على لسان داود
وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا
وكانوا يعبدون » كانوا لا يتناهون
عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا
يفعلون » .

اما الأعداء فيجب أن تكون
علاقة المسلم بهم علاقة عداء .
فالاسلام يطلب من أبنائه أن
يسألوا من يسألهم ، وأن يعادوا
من يعادوهم .

« لا يتخذ المؤمنون الكافرين
أولياء من دون المؤمنين ، ومن
يفعل ذلك فليس من الله فى شيء
إلا أن تنفوا منهم تقاة ، ويحذرکم
الله نفسه وإلى الله المصير » .
ويقول تعالى باهيا المؤمنين عن
مواودة اعداء الله أو مودتهم

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا
عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم
بأبوة » ، وقد كفروا بما جاءكم من
الحق » .

ان أماننا اليوم عدوا
مشاركا هو الصهيونية الباغية
المؤيدة بالاستعمار العالمى ، وهى
تهدف الى ضرب نظامنا الاشتراكى
والقضاء على القومية العربية .

ولهذا فان عدوانها لم يكن عدوانا
جغرافيا بقدر ما هو عدوان تاريخي
على كياننا ومصيرنا ووجودنا .
وان ديننا ليفرض علينا أن نتصدى
فى قوة لهؤلاء الأعداء وان نعد
أنفسنا اعدادا قويا استعدادا
ليوم القتال وانه ليوم فصل ،
وما هو بالهزل ، وحينما ينادى
القائد : حى على الجهاد يحمل
كل منا سلاحه على كتفه وروحه
على كفه ، ويجيبه : لبيك باطل
العروبة ، وبأ قائد الأحرار .

واسوتنا فى ذلك سلفنا
الصالح رضوان الله عليهم
أجمعين . فقد ضحوا بأنفسهم
وأموالهم حتى انتصروا على أعداء
الله وأعداء الانسانية من المعتدين
الباغين .

يروى عن أبى بكر بن أبى موسى
الأشعري قال : سمعت أبى
رضى الله عنه وهو بحضرة العدو
يقول : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : أن ابواب الجنة
تحت ظلال السيوف . فقام رجل
رث الهيئة ، فقال : يا أبا موسى
أأنت سمعت رسول الله يقول
هذا ؟ قال نعم . فرجع الى
أصحابه فقال : أقرأ عليكم السلام
ثم كسر جفن سيفه فآلقاه . ثم
مشى بسيفه الى العدو ، فضرب
به حتى استشهد ، فدخل الجنة
وهو يهتف من قلبه « وعجلت
إليك رب لترضى » فهلا نرعى
ربنا بمعركة حاسمة تقضى على
الاستعمار وأعدائه ووجهه القبيح
اسرائيل .

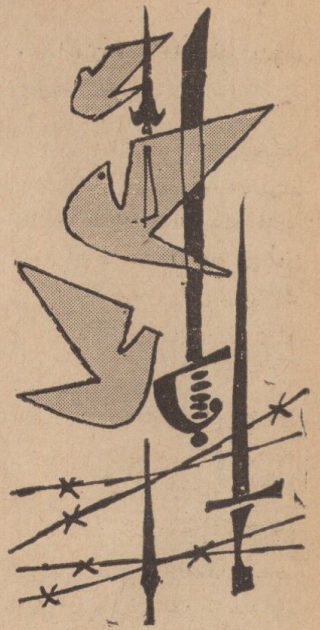
إننا سنتنصر بأذن الله ويومئذ
يفرح المؤمنون بنصر الله ، ينصر
من يشاء وهو العزيز الرحيم
وعد الله لا يخلف الله وعده »

أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما
ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف
بينهم أنه عزيز حكيم •

يا أيها النبى حسبك الله ومن
اتبك من المؤمنين • يا أيها النبى
حرص المؤمنين على القتال أن يكن
منكم عشرون صابرون يغلبوا
ماتنين وإن يكن منكم مائة يغلبوا
ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم
لا يفقهون • الآن خفف الله عنكم
وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن
منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين
وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين
بإذن الله والله مع الصابرين •

صدق الله العظيم

قال تعالى : « فاما تتقنهم
فى الحرب فشردهم من حلهم
لعلهم يذكرون ، واما تخافن من
قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء
ان الله لا يحب الخائنين ، ولا
يحسن الذين كفروا سببقوا
انهم لا يعجزون ، واعدوا لهم
ما استطعتم من قوة ومن رباط
الخيال ترهبون به عدو الله
وعدوكم وآخرين من دونهم لا
تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا
من شىء فى سبيل الله يوف
اليكم وأنتم لا تظلمسون • وإن
جئناكم للسلم فاجنح لها وتوكل
على الله انه هو السميع العليم •
وإن يريدوا أن يخدعوك فإن
حسبك الله هو الذى أيدك بنصره
والمؤمنين وألف بين قلوبهم لو



سالم وسلام .. حرب وحرب ...

الوجود مما حدث التاريخ ومن
الواقع الملموس •

هذه نظرية لا تقبل النقض
ولا السرفض - حتى ولو كانت
الفكرة شراً والعقيدة خطراً ؟

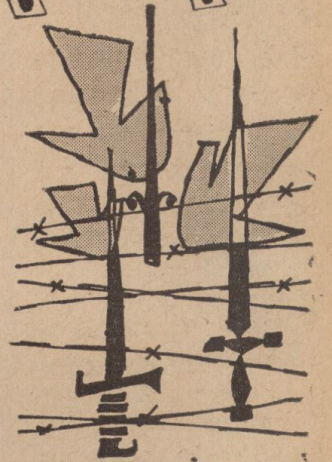
ولم نسمع منهم الا - نعم -
فحرية الرأى مكفولة يجب أن
تصان وأن يطلق لها العنان ولو
لم يسندها برهان •

ثم تجدهم أمام الفكرة
السليمة الصحيحة التى تؤيدها
البراهين الدامغة المقتعة
المفحمة •

واليك البيان :

عجب من العجب طـال
واستطال آثار كوامنه فى النفس
حيرة عمت وطمت حتى أضحت
وشر المصائب ما يضحك !
حيرة من أمر قوم تنساقضوا
فيما يقولون وما يكتبون •

تسمع الواحد منهم يقول بملء
فيه : العقل والحكمة وشرعية
الوجود وحب البقاء والارتقاء
أن يدافع الانسان عن نفسه
وعن أهله وعن فكرته وعقيدته •
يطيل ويطنب ويدلل بما فى



فضيلة الشيخ

عبدالله المزاري

يقوم صاحبها ليدفع عنها المعتدى ويمنع من يريد أن يندها فى مهدها وهى فى واقع أمرها خير وخير كثير للفرد وللأسرة وللدولة بل للناس جميعا - فلو استعرضنا هدفها وموادها ووصاياها واحدة واحدة .. لوجدنا القوة للجسد والروح ووجدنا السعادة كاملة تكاد كلها تفصح عن نفسها بخيرها وتسكت عدوها ومتحديها بل هى باقية منسقة منمقة من كريم الأخلاق وجميل الصفات التى بها تكون الحياة حياة صحيحة آمنة وديعة سالمة .. حياة الموجدون فيها على المحبة والتضامن والتكافل يسعى بدمتهم أديانهم فى مساواة كأسنان المشط لا فضل لأحد على أحد إلا بمقدار ما يجمل به نفسه من السمع والطاعة لدستورها الذى « لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه » .

الفكرة هى الاسلام ..

والداعى إليها محمد - عليه الصلاة والسلام - .

وهنا يأبى أرباب حرية الرأى الا أن يقولوا : أن الاسلام دين حرب وضرب ودين رمح وسيف ونسوا أن محمدا رحمة للناس كافة « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » والدفع واجب ورحمة ولو بالحرب والابادة .. نسوا هذا ونسوا أن الاسلام قد نهى عن القاء النفس فى الهلاك :

« ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » وأمر بالمحافظة على الفجر وحرمة الاعتداء عليه ..

« كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » .. بل أمر بالرحمة والرافة بالحيوان « ان امرأة دخلت النار فى هرة حبستها فلا هى أطعمتها ولا هى تركتها تطلب ما تاكل » .. ثم نسوا أن الاسلام اعتمد أول ما اعتمد على مخاطبة العقل والنظر فى النفس وفى الأرض وفى السماء وفى كل الموجودات .

ولما وجد العناد والتصميم على الابادة ابادة صاحب الفكرة ومن حوله من المؤمنين به ، أخذ محمد - صلى الله عليه وسلم - طريقه بأمر ربه الى سنة الوجود من الدفاع عن النفس وعن الفكرة والدفاع مشروع وطبيعى فهذه هى الحشرات والحيوانات قد جهزت بوسائل الدفاع ، فلم يحمل قائد البشرية معلسم الانسانية سيفه بيسراه الا بعد أن حمل العقل والحكمة والخير للناس يميناه - فلما لم يجد ما فى اليمين انتقل ما فى يسراه الى يميناه وفى القلب يقين على ضوئه كان المسير الى ساحة الوغى وميدان القتال ، وبقوة الايمان كان النصر المبين يسعى بين يدي جيوش الاسلام بقيادة زعيم الاسلام وبتعاليم الاسلام ، كانت انعد من صبر وشجاعة وجلد واستماتة فكانت النتيجة نصرا مؤزرا :

« ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » .

وهنا لما علم العليم الخير نيات أعداء الدعوة من التصميم والتكتل والتضامن وأن الأمر غدر وتكرار نقض للعهد من أمر بنى قريظة عاهدتهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ألا يمالئوا عليه فنكثوا وأعانوا مشركى مكة وقدموا لهم السلاح وقبل محمد - صلى الله عليه وسلم - عذرهم عندما قالوا : - نسينا أو أخطأنا - ثم عاهدتهم فمما كان الا النقص مؤيديهم للمشركين باعثن كعب بن الاشرف الى مكة ليحالف مشركيهما ويشد من أثرهم .

لما علم الله ذلك أمر نبيه - صلى الله عليه وسلم - أن يشدد عليهم النكير وأنه فى أى وقت يلتقى بهم فى ميدان حرب أن يضربهم الضربة المبيدة للمحاربين كما يكون فيها تمزيق قلوب الترتيصين المنتظرين المعاهدين المؤيدين ممن خلفهم فيفقدون الروح المعنوية وهى السلاح الأول للجندى وبشرها لا تنفع كثرة العدد والعدد ..

فقد قيل لعنترة العبسى : كيف أصبحت لك هذه الشهرة وفى العرب فرسان أقوى منك وأشجع ؟ فقال : كنت اعمد الى الضعيف الجبان فأضربه الضربة يطير منها قلب الشجاع فأتنى على الشجاع فاقتله ، فلقد أفقد

الشجاع روحه المعنوية ومزق قلبه وأطار له فكر عليه فوجده أوهى من العنكبوت .

أضربت يا محمد من أعدائك من خرجوا ليقتلوك وصحبك ليقتلوا خير الانسانية في دعوتك . . اضربهم أنت ومن معك من المؤمنين في احكام هدف وقوة ضرب حتى يكون للمحاربين القضاء والابادة ويكون لمن خلفهم هلع ورعب وفزع فلمهم يتعظون بما كان للمقاتلين فلا تحدثهم نفوسهم بكرة أخرى فتريح وتستريح .

اضرب وكن على حذر وفي يقظة فلو بددت بادرة خيانة من عاهدت منهم فكيف صادقا في موقفك وصارحهم بنقض العهد بينك وبينهم ولا تأخذهم وهم يتوهمون أن العهد باق حتى لا تكون خائنا مثلهم « أن الله لا يحب الخائنين » فإني منتصر عليهم ولن يفلت مفلت حسب أنه لن ينال فالطلب وراءه بجاد ، واللاحق به محتوم . . تقدم وحارب ولا تخش جموعهم . « سيهزم الجمع ويولون الدبر » .

تقدم وقبل أن تتقدم عليك بالأخذ القوى لكل وسائل الاعداد فلا حرب يفرض تجهيز وتدريب وتدريب . . أعدد جيوشك من المؤمنين بربك المصدق بك . . أعدد منهم الجسد والروح . . الجسد بالقوة والسلامة « فالؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف » . . أعدد

بالتدريب على الرماية وركوب الخيل « علموا أولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل » . وهذا اذن من الشارح بممارسة ألوان الرياضة ما يجد ويجيد ما لم تكن ضربا من المجنون والخلاعة والا حرمت حتى لا تكون النتيجة عكسية فيكون الضياع والانهيار .

أعدوا للاعداء ما استطعتم من قوة فالاستطاعة أمر نسبي فما تستطيعونه في عصر قد تستطيعون أكثر منه في آخر ، والمراد الأخذ في الأسباب بقدر المستطاع حتى لا يكون حرج وضيق . . وفي تنكير كلمة « قوة » ما يفسح المجال في التشريع فناخذ بالوان القوة « برية وجوية وبحرية » بما حوت ثلاثتها من ضروب واصناف وما وراءها من وسائل الاعلام والعيون ليستنير الرأي وتعلم مواقع العدو وتقط الضعف فيه ووسائل القوة عنده . . ناخذ بهذا حتى نلحق ان لم نسبق فتكون لنا الكلمة المسموعة التي يعلم العدو أن وراءها المدفع ان لم يسمع فيطيع ويخضع .

وأحب منك أيها القارئ ألا تنسى الفروسية ، فان سلاح الفرسان لا يزال من مظاهر القوة في أحدث الجيوش في عصر « الذرة » . . والهيكلوجين . . والكوابل . .

وكانت الخيل والفروسية أقوى مدد الحرب أيام أن أمر

محمد - صلى الله عليه وسلم - ولذلك قال له ربه « ومن رباط الخيل » ففي شكل الخيل روعة وللفرسان على ظهورها سطوة ، وفي كرها وفرها واقبالها وادبارها رهبة . . و « الخيل معقود بنواصيها الخير » .

خذوا بأسباب القوة وأنفقوا فما أنفقتم من الأموال والأرواح في سبيل الله ونصرة دينه ، وفي سبيل الوطن وحرية واستقلاله فحسبكم الله فانه قد ضمن الثمن المضاعف والجزاء الأوفى على كل ما تنفقون وما تقدمون ولو كان قطميرا فلا ظلم ولا جور « ولا يظلم ربك أحدا » . « يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي » .

خذوا بأسباب القوة ففي مظاهرها فرع ورهبة ورعب وهزيمة لأعداء الله وأعداء نبيه وأعداء الانسانية ممن أظهروا العداوة فعلمتموهم ومنهم لم تعلموهم ممن أخفوا أنفسهم وراء بريق اللفظ وكاذب الشعارات ، قاله وحده يعلمهم فلا تخش غدرهم واقبل منهم وقف القتال ان أرادوا السلم ومالوا اليه ولو خدعا أو شعورا منهم بخرج الموقف وقرب الهزيمة . . ولا يهمنك ما انظروا عليه فاني سأكفيك شرهم وخطرهم . . اقبل ولكن شعارك وصحبك التوكل على فاني مطلع على ما يدبرون وسأرد كيدهم في

تحرمهم واطلحك على الغيب
سلاحا فى يدك تتقى به ضربات
القدر ونجاءات النفاق والمكر...
فلقد كفيتك شر هذا بعلمى خفى
أمورهم وبما كان من هدايتى لمن
آمنوا بك واتبعوك ونصروك
وعاهدوك على الاخلاص والغناء
والغداء فى سبيل دعوتك
والالتفاف حولك على قلب رجل
واحد وكلمة واحدة بعد أن كانوا
شيعا وأحزابا ، الحرب بينهم
سجال لأوى الأسباب...
والعداوة فيهم ميراث ، وحب
الغلبة والفرقة لهم طبع ودين .
والمال والثراء عندهم شرع
مألوف ولو أعطيتهم منه ما فى
الأرض - لو ملكته - وانفقتهم
يسخاء فى سبيل أن تشيع
الألفة بينهم وتذيب الشرور
والاحقاد مع قلوبهم لما كان
لك الوصول الى ماتريد فحسبك
الله فهو القوى الذى يستطيع
وحده أن يداوى الجسراح...
ويشفى المريض...
فلا تنس هذه النعم ولا تنس
اثارة الهمم وملء الاسماع بما
يلهب الشعور بحب القتال
والخروج الى الحرب فى سبيل
الله للقضاء على أعداء الله ، أعداء
الرسالة... رسالة الرحمة
والسعادة للناس أجمعين..

فالاثارة سلاح من أسلحة
التعبئة العامة... فهذا وبغيره
يكون لك جيش من المؤمنين يلبى
النداء بقلبه قبل لسانه ، يقول

فى ايمان قوى هيا يا رسول الله
نحن معك وفداؤك ولو
استعزضت بنا البحر لخضناه
معك...
هنا وبعد كل هذا من اعداد

الجسد والروح يتم الاعداد
ويجتمع الشمل ويصبح الجندي
مع جنود الله بعشرة من جنود
أعداء الانسانية والمائة بألف
فالمؤمنون قليلو العدد والعدو
كثير فكان ما كان من أمر
الواحد بعشره... فلما كثر عدد
المؤمنين « وفيهم طبع البشرية »
هان الأمن وأصبح الواحد باثنين
رافة مع الله بمصاده وألف
بألفين... وعلى الحالين فجيش
المؤمنين منتصر فالمدار على الصبر
وفيه الثبات عند اللقاء ونتيجته
النصر المؤزر « ثبت الله الذين
آمنوا بالقول الثابت » .

ستنتصرون بما فيكم من قوة
الايمان فى القلب... وبما عندكم
من وسائل الاعداد... وسيهزم
الجمع ويولون الدبر فقلوبهم
من الايمان فارغة وهم جهلة
يقاتلون لغنى ثواب واحتساب
فهم لا يفقهون فلا يمكن أن يكون
لهم نصر فهم فى جزع مجردين
من صفة الصبر التى هى مظهر
كل صفات الخير فى الانسان .
ولا بد بالصبر للمؤمنين مع
النصر المبين « وبشر الصابرين »

فاذا كان لقوة الايمان
بالمبادئ السامية مفزاها...
وللصبر مبناه ومعناه فيها أيها

القارئ وخذ منها لك... نعم
الصديق واصبر على حرب الأيام
والأعداء... ودع دماء الجراح
تغمر جسدك واذا امتدت يد
رحمة لتمسحها فتقبلهم أنت
الى هذه اليد واقطعها... فهذه
الدماء أنواط جدارة تفصح فى
قوة بيان بأقوى برهان على أنك
شهم مغوار مؤمن بدينك
وطونك « فمن لا وطنية له
لا دين عنده » راض بما يرضى
الله...
اعتز بهذه الدماء واعمل ولا

تتألم بل انظر الى هذا القانى على
أنه ورود وأزهار تنظر اليها
بعينك فتجد فيها البهجة
والسرور فتعز وتفرح ويرتفع
أنفك الى السماء يشم العبير فى
منزلة الشهداء فى جنة تجرى
من تحتها الأنهار كما وعد الله
المستبسلين...
أما أنتم أيها العرب الأبطال

لقد وضحت لكم نيات الاستعمار
من ابراقه فيما مضى بالكسرة
الذهبية الخيالية لكل واحد على
حدة وأراد الله بكم خيرا فلم
يات اليوم الذى كان يقول فيه
« أكلت يوم أكل الثور الأبيض »

فمن عدم الايمان بالله أن يتأخر
عن وحدة الصف عربى... ومنع
العار أن يخون فرد أو أن تخون
دولة...
هيا ولتكن لكم فى رسول الله

نعم الاسوة... فنحن عرب
واخوة وجيران... والصفات
الأصيلة كلها من العرب والعرب
فالوقت وقت الوحدة وهى دائمة
وستندوم بأذن الله - واليوم يوم
المدفع - وغدا لنا النصر...
والسلام...
٥١

أرسل شيخى العارف بالله ، سيدى عبد السلام
الخلوانى رضى الله عنه - الى تلميذه الصديق
الوفى المبارك الصالح السيد/ سالم عمر جمعه
رسالة كريمة جاء فيها :

« ... ولما لم أجد فى ذهنى كلاما ، أمسكت
بكتاب أمامى ، عسى الله أن يفتح على بالمطالعة ،
فاذا به مختار الصحاح ، فقلت يا للعجب ، هذا
مختار الصحاح وهو لا يصلح لمثل المكسر ، لكن على
الله الجبر .. أفتحه عسى أن تجد فيه شيئا
ينفعك ؟.. »

ففتحته فوقع نظرى على مادة « مدد » فقلت
لنفسى عال ، هذا ارشاد لطيب المدد من الشيخ
ومن الرسول - صلى الله عليه وسلم - ومن الله
- سبحانه وتعالى - فمددت يدي عسى أن أجد
المادة ، وهى الزيادة المتصلة .

« وفى الحقيقة ، مد الله فى عمرى ، وزاد فى
نعمتك ، ان التوفيق فى الذكر والعمل الصالح ،
لا يكون الا اذا أخلى الانسان قلبه ، ولو بعد صلاة
الفروب ، واستجمع نفسه بالحضور فى حضرة
الشيخ ، واستأذنه فى عمل الآخرة الذى يريده ،
سواء كان ذكرا أو ورذا أو قرآنا ، وطلب منه المدد
ثم استأذنه واستحضر النبى صلى الله عليه وسلم ،
وطلب منه المدد ، ثم استأذنه خاشعا فى حضرة
الله ، وطلب منه المدد والاذن فى الوقوف فى حضرته
لأداء الطاعة ، ثم يبتدىء بطاعته الى أن ينتهى
فيقول :

« اللهم ان ذكرك لا يمل . فارحمنا يا الله ،
دستورك يا الله ، ثم يلتفت الى النبى - صلى الله
عليه وسلم - ويقول : دستور يا رسول الله ، ثم
يلتفت ويقول : دستور يا شيخى ، السلام عليكم
ورحمة الله وبركاته .

« فى هذه الحالة يرى انه حصل له مد ، أى
سيل من النهر أو أنهر ، وشعر بسرور لا يقدر ،
وانفتحت له البصيرة ، وصار يرى ببصيرته ،

الصوفية في الهامم

استاذ حسن كامل المطاوعة



وامتد بصره الى بعيد ، فانت وجل مديد القسامة
والباع ، سريع الاتباع ، للنبي المطاع ، حفظك الله
وجعلك له مع الاتباع ، فى الدنيا ويسوم
الاسماع ١٠٠٠ .

والقارىء العزيز يرى أن كلام سيدى الشيخ
لتلميذه ، وإن لابسسته دعابة طريفة ، إلا أنه هو
الجد كل الجد ، وإن يعجب القارىء فليعجب من
الثوفيق الذى حالقه ، فإنه ما كاد يفتح مختار
الصالح حتى وقع نظره على مادة « مدد » التى
فتحت له الباب الذى أقامه الله فيه ، من تعليم
المريدين وتفتيهم وإرشادهم ، وكل ميسر لما خلق له
« فاما من أعطى واتقى • وصديق بالحسنى •
فسييسره لليسرى » .

وطالما اعترض المعارضون على كلمة « مدد »
التى يتمسك بها السادة الصوفية ، من باب الأخذ
فى أسباب الهدى ، ويظن المعارضون عليهم ،
جهلا أو تعنتا ، أنها سؤال لغير الله من عباده ،
وليس السادة الصوفية ، بالذين يجهلون الى هذا
الحد ، فهم الذين أذاقوا الناس منهل التوحيد
العذب الفرات ، وآثروا الله تعالى على ما سواه .
وقالوا فيما قرروا من مبادئهم التى لفتوها لمريديهم
جيلا بعد جيل : من أنسى بسواه فهو مستوحش
منه ، ومن ذكر غيره فقد غفل عنه ، ومن عول
على سواه فقد أشرك به .

وهم ولا شك أساتذة التوحيد المذاقى ، وإن لم
يتوسعوا بالجدل العقيم فى التوحيد الكلامى •
الذى جارى فيه أهل الكلام فلاسفة اليونان
وغيرهم دون جدوى .

ولدقة الموضوع ، والتباسه على كثير من الناس
ولأن بعض المعارضين إنما يدفعهم للاعتراض على
الصوفية ، غيرتهم على توحيد الله تعالى وهو أعز
ما نعلم به فى الدنيا والآخرة ، نقدم بعض الشرح
فى بساطة ، حتى يزول أن شاء الله الالتباس ،
وتطمئن القلوب الى الحق الذى لا مرية فيه .

هناك معرضان ، معرض توحيد الله سبحانه •
ومعرض الأسباب التى أثبتها الله بحكمته حيث
جعل لكل شيء سببا ، أما المعرض الأول وهو
معرض التوحيد فالله سبحانه يتفرد به ، ولا يجوز
أن يشرك العبد معه أحدا من خلقه مهما علا قدره
وسما فضله ، وأما المعرض الثانى فهو معرض
الأسباب التى تؤتى ثمرتها باذن مسببها سبحانه
وتعالى ، وهذه لا يجوز الإنكار على اتخاذها ، كما
لا يجوز الخلط بينها وبين مسببها ، وإذا اتخذ
العبد الأسباب فيجب أن يشهد ربه مع اتخاذها
ويعلم أنها لا تؤتى ثمارها إلا باذنه وإرادته .

وتوضح ذلك بجلاء الأمثلة الآتية : فى معرض
التوحيد نقول الله خالق كل شيء ، ولا أحد معه ،
ونقول « أفمن يخلق كمن لا يخلق » ، وكذلك نقول
إن الله هو الميت ، ومالك الموت هو مالك الحياة ،
ولا شريك له فيهما .

لكننا فى معرض الأسباب نقول إن الله يخلق
بأسباب ، فيلتقى الذكر بالأنثى وينتقل الجنين فى
أطواره الى أن يخرج من الرحم بشرا سويا . . . فان
أنكرت أن أبوى سبب خلقتى فقد أنكرت أمرا
واقعا لا شبهة فيه ، ومع أنى أعترف بأنهما سبب
خلقتى وميلادى ، فأنى أقول وأعتقد أن الله هو
الذى خلقتى ولا أقول خلقتنى أبى وأمى ، وإنما
أقول ولدنى أبى وأمى ، وبهذا أشهد ربه فى
أسباب الخلقة ولا أنظر للأسباب وحدها .

كذلك نقول الله يتوفى الأنفس ، لكنه حين
يتوفاهما - سبحانه - يقتضى لوفاتها سببا هو ملك
الموت فيقبضها عند انتهاء أجلها بأمر الله ، فإذا
قلت فى معرض التوحيد إن الله توفى فلانا فقد
صدقت ، وإذا قلت فى معرض الأسباب إن ملك
الموت قبض روح فلان فقد صدقت ، وليس فى
نسبة الامانة لعزرائيل - عليه السلام - خروج عن
التوحيد لأنه إنما يميت الأحياء بأمر ربه عندما
يأذن الله له :

« قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم الى
ربكم ترجعون » .

وفى معرض التوحيد يقول الحق - جل وعلا -
لرسوله الكريم - صلى الله عليه وسلم - : « أنك

ساحة الأنوار ة تون على تون ، يهدى الله لسورة
من يشاء .

وطريقة الذكر التي أرشد إليها سيدي الشيخ،
انما هي لاهل الجد من رجال الطريق ، لأن بعض
الناس يذكرون ذكر العادة دون اجتماع كاف
أو حضور كامل وهو ذكر حسنات ، أما الخواص
فيذكرون ذكر درجات فيجمعون القلب على الله
بأسباب الجمع ، فياتسون بروح شيخهم لانه بابهم
الى مولانا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
وياقنون بروحه - صلى الله عليه وسلم - لانه
بابهم الى الله تعالى ، وبهذا الاستثناس يقوى مددهم
من الله بأسبابه ولا يستطيع الشيطان أن يقطع
عليهم الطريق ، لانه لعين يقعد بكل صراط مستقيم
ليصد عن سبيل الله ، والطريق تحتاج لرد كيده
الى الرفيق ، والشيخ انما أقامه الله حيث اراده
لادعوة الناس الى الحق ، فهو معان منه سبحانه
فيما أقامه فيه ، ومولانا رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - انما هو البحر الزاخر الذي يستمد
منه هؤلاء الشيوخ وعنه يصدرن ، قد علم كل أناس
مشرهم . فاذا أنس المرید بروح شيخه وبروح
النبي - صلى الله عليه وسلم - فانما يقصد الفتح
من بابه وهو يشهد وبه يذكره ، ويستعين بالمدد
العالي على النفس والشيطان ، واعداد السلاح لقتال
الاعداء لا يتنافى مع اعتقاد أن النصر من عند الله
فقد قال تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة
ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » ،
« وفي الحقيقة ، مد الله في عمره ، وزاد في
رسالة كريمة جاء فيها :

وفي حين يقول تعالى ذلك في معرض الأسباب
يقول في معرض التوحيد « فلم تقتلوهم ولكن الله
قتلهم » ولكنه - تعالى يقتلهم بأيدينا من باب
السببية « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم » ..
وأثر الروح في الروح أشد من أثر السلاح في
الاعداء ، فان الروح تتعدى بأثرها لا في الأرواح
بل قد تتعدى بأذن الله الى الجماد والخسوان
ومن ذلك تسبيح الجبال والطير كثر لتسبيح

لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء » .
وفي معرض الأسباب يقول له - صلوات الله
وسلامه عليه وآله « وانك تهدي الى صراط
مستقيم » .. أى تهدي من أراد الله هدايته .
وفي الجمع بين عطاء الله وأسبابه على يده - صلى
الله عليه وسلم - يقول الله سبحانه وتعالى :
« واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه
امسك عليك زوجك واتق الله » .. فليس الرسول
- صلى الله عليه وسلم - شريكا لله في عطائه وانما
سبقت النعم من الله تعالى بسببه وعلى يده - صلى
الله عليه وآله وسلم - لسيدنا زيد بن حارثة ، فقد
أسلم على يده ، واعتق بفضله ، وتزوج باختياره
- صلوات الله وسلامه عليه وآله وسلم - فكان
منعما عليه من باب السببية التي ارادها الله سبحانه
بحكمته ، فهو يخلق البعض ببعض ويرزق البعض
بالبعض .. ويعين البعض بالبعض ، ويعلم البعض
بالبعض الخ .

والشيوخ العارفون بالله ، نواب عنه - صلى
الله عليه وسلم - في هداية الخلق وارشادهم في
حجب الله ، لأن الله - سبحانه - ختم الرسالات
بالرسالة المحمدية فكانت مسك الختام ، فصار
العلماء الربانيون في هذه الأمة ، يقومون مقام
الأنبياء في الأمم السابقة ، في تفقيه المؤمنين
وتبصيرهم في أمور دينهم بالأقوال والأفعال
والأحوال على منهج الشرع الشريف .

فاذا أسترشد مرید بشيخ من هؤلاء ، فقد أخذ
في سبب من أسباب الطاعة التي أمر الله بها ..
وجعل لها أئمة يدلون عليها : « ولتكن منكم أمة
يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن
المنكر وأولئك هم المفلحون » .. كما قال تعالى :
« وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا
وكانوا بآياتنا يوقنون » .

واتصال المرید بشيخه اتصال روحى ، لا تفصله
الجدر ولا المسافات ، وإذا كانت الجدر والمسافات
لا تفصل أصوات الأئمة السادة فكيف تفصل
بين الأرواح المتعانة في ساحات المسكوت وهي

ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ولكن يا حنظلة ساعة وساعة .. ولكن يا حنظلة ساعة وساعة .. ثلاث مرات .. أخرجه مسلم والترمذي .

والحكمة ظاهرة في قوله صلى الله عليه وسلم : ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ، فاننا متعبدون بالتكسب والسعى على المعاش ، ولا بد من التفرغ بعض الوقت لهذا التكسب ، ولادارة شؤونه .. وشؤون الأسرة وهو سعي مشكور ومجسور .. ما دام العبد يراعى فيه وجه الله ويتقيه ، وما يلقاه المؤمن من مدد النور في الجلسات الرحمانية ، يعاونه في رعاية بجانب الله في أوقاته الأخرى .. ومع أن الأجيال التي تلت الجيل الصحابة الكرام - رضى الله عنهم - لم يكن لهم شرف صحبته بشخصه الجليل ، فانهم لم يحرموا من الاتصال بروحه الشريفة - صلوات الله وسلامه عليه - وكيف لا ونحن نسلم عليه مشافهة في كل تشهد في الصلاة ..

وينصحننا سيدى الامام أبو الحسن الشاذلى - رضى الله عنه - فيقول :

لا تؤخر طاعات وقت لوقت آخر ، فتعاقب بفواتها ، أو قوات غيرها أو مثلها ، جزاء لما ضيع من ذلك الوقت ، فان لكل وقت سهما ، فحق العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية .. ومن حكم السادة الصوفية قولهم : **الوقت كالسيف ان لم تقطعه قطعك .. وقولهم : نفسك ان لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل .**

ومما تقدم نرى أن الصلة الروحية أمر مقطوع به ، وإذ كنا لا نؤمن إلا بالمسادة ، فان ذلك سينتهى بنا الى غاية خاسرة والعياذ بالله ، فقد تنكر الملائكة والجن والجنة والنار الخ لاننا لا نرى شيئا منها بأعيننا .. ولقد كفر بنو اسرائيل حين قالوا لسيدنا موسى - عليه الصلاة والسلام - : **« لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة »** .. ولأنه والإيمان بالقلب من قواعد الدين الصحيح ، لأنه تصديق بكلمات الله ..

فان سلمنا بقيام الصلة الروحية سلمنا بقيام المدد المترتب عليها ، لأن الله يرزق البعض بالبعض في أمر الدنيا والدين ، وهذه هي القاعدة العامة ، فان شئت فجاء الرزق بلا سبب ظاهر ، فالأمر لله ، والتدبير بيده ، والاسباب تقيدنا ولا تقيد

سيدنا داود - عليه السلام - قال تعالى : **« وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين »** .. وسبحان الفعال لما يشاء .

وقد كان سيدى الشيخ يجمع لقيفا من المزيدين بين المغرب والعشاء ويعلمهم الذكر بالكييفية السابقة ، وكان لي شرف حضور تلك الجلسة ، وعندما تحين صلاة العشاء يأمر الشيخ بإقامة الصلاة ، وكان يبارك لنا في هذه الجلسة فنذكر في حضور واستجماع أضواء ما كنا نذكره فرادى وبد الله مع الجماعة ، والأرواح القسوية تسقى بمددها الأرواح الضعيفة كما ينساب الماء من الأرض المرتفعة الى الأرض الواطئة ويرويه ..

وكان ساداتنا الصحابة يجلسون بين يديه - صلى الله عليه وسلم - كأنما على رءوسهم الطير ، وكانوا بعد تفرقهم يحسون بالفارق في وجدانهم وهم بين يديه وحين يتصرفون ، لأن اجتماع الأشباح له أثره في مد الأرواح وان كانت متصلة بغير الأشباح ، وسبحان من ربط بين الظاهر والباطن وبين القلب والقالب .

ولقد حدث حنظلة بن الربيع - كما جاء في الصحاح - فقال نكون عند رسول الله يذكرنا بالجنة والنار حتى كأننا رأى عين ، فإذا خرجنا من عنده غافسنا - أى لاعيننا وغالجنا - الأولاد والزوجات والضيعات ونسينا كثيرا ..

وقد بلغ من حرص سيدنا حنظلة - رضى الله عنه - على أن تدوم عليه الحالة الروحية السنية ، ان اتهم نفسه بالتفارق حين فارقته بفراق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقد لقيه سيدنا أبو بكر - رضى الله عنه - فقال له : كيف أنت يا حنظلة ؟ فقال نافق حنظلة ، قال : سبحان الله ما تقول ؟ قال نكون عند رسول الله يذكرنا بالجنة والنار حتى كأننا رأى عين ، فإذا خرجنا من عنده غافسنا الأولاد والزوجات والضيعات فنسينا كثيرا ، فقال سيدنا أبو بكر - رضى الله عنه - : انى أجد مثل ذلك .. انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

فانطلقا .. فذكرا له ذلك فقال : **« والذى نفسى بيده لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر ، لصاغتكم الملائكة في فرشكم وفي طرقكم »**

سبحانه ، ولا يجوز أن يعترض بهذا الاستثناء على القاعدة العامة ، لأن الحكم للغالب كما يقولون .

ومما جرت به التجارب ، أن يهتدى الحلف بالسلف ، ويسترشد الضعيف بالهوى ، والجاهل بالعالم ، والفضل كله بيد الله يؤتیه من يشاء ، وما قسمه كان وما لم يقسمه لم يكن ، وقد يؤتى عبد أقوى الأسباب ، ولا ينتفع منها بشيء ، وقد تأتي السعادة لانس عطاء من الله ، فذلك أبو جهل القرشي لم ينتفع من مولانا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأن الله طبع على قلبه بكفره . . بينما سبقت السعادة لسلمان الفارسي - رضى الله عنه - فالحق - صلى الله عليه وسلم - بال البيت وقال سلمان منا آل البيت ، ويرضى الله عن شيخى العارف بالله سيدى الشيخ على عقل اذ يقول فى الهامة القورى :

**وكم من بعيد ولكن قريب
وكم من قريب ولكن بعيد**

والشيخ أداة اتصال المريد بربه ، وإنما ينفع من شيخه بقدر جده وسعيه وما قدره الله له فى سابق أزله ، فقد يتبع الشيخ عدد كثير فينتفعون منه بتفاوت ، وقد يصير بعضهم من الصديقين وهم الأقلون عددا والأعظمون عند الله قدرا ، ويقول فى وصفهم سيدى الامام أبو الحسن الشاذلى - رضى الله عنه - :

« الكاملون ، حاملون لأوصاف الحق ، وحاملون لأوصاف الخلق ، فان رأيتهم من حيث الخلق رأيت أوصاف البشر وان رأيتهم من حيث الحق رأيت الأوصاف التى زينهم بها .

« فظاهرهم الفقر ، وباطنهم الفنى ، تخلصوا بأخلاق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال تعالى « وجدا عائلا فأغنى » أفترأه أغنا بالمال ؟ كلا ، وقد شد الحجر على بطنه من شدة الجوع ، وأطعم الجيش كله من صاع ، وخرج من مكة على قدميه ليس معه شيء يأكله ذو كبد الا شيء يواريه أبى بلال .»

هذا ويرى السادة الصوفية أن الذاكر اذا تاب وأخلص دينه لله ، وسار على نهج الكتاب والسنة والجماعة ، فهو انما يحسن الى نفسه بكثرة ذكر الله فيترقى فى درجات اليقين ، ويقطع فى الترقى العلائق والعوائق ، ويفمره فيض الله فيكون من أهل الفتح والالهام والحكمة ، ويقول الامام

القشيري - رضى الله عنه فى فضل الذكر على الذاكرين . .

« الذكر ركن قوى فى طريق الوصول الى الحق - سبحانه وتعالى - بل هو العمدة فى طريق القدم ولا يصل أحدا الى الله الا بدوام الذكر » .

والامام القشيري محق كل الحق فى ذلك القول ، الذى أبدته التجارب الطويلة ، عبر القرون الماضية . . والتصوف يقوم على التجربة والعيان أكثر مما يقوم على الدليل والبرهان ، والله تبارك وتعالى يقول : « فاذكرونى أذكركم » فى شرف للذاكرين فى هذا القول الكريم ، فاذا ذكرك ربك فقد نفحك ، واذا نفحك ، فقد آتسك بقربه . . وقد قالوا من آتسه الله بقربه أعطاه أربعين بغير أدب : علما بغير طلب ، وغنى بغير مال ، وعزا بغير عشيرة ، وأنسا بغير جماعة .

وتختم هذا المقال بالحديث القدسي الرائع وقد رواه الشيخان ، يقول - صلى الله عليه وسلم - عن الله تعالى :

« أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني فان ذكرني فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وان ذكرني فى ملا ، ذكرته فى ملا خير منه ، وان تقرب الى شبرا ، تقربت اليه ذراعا ، وان اقترب الى ذراعا ، اقتربت اليه باعا ، وان أتانى يمشى أتيت هرولة .»

ويجب تأويل هذه الألفاظ ، فالله - سبحانه - لا يحده مكان ، ولا يتحرك ولا يسكن ، وإنما المعنى أن يكون الله سبحانه فى عون عبده المجاهد فى سبيله ، يضاعف حسناته ويعفو عن سيئاته . . فيعمل فى جهاده القليل ويناب عليه بالكثير . . ويذنب بالفعل ويستغفر بالقول ، فيقبل استغفاره . . فما أكرم ربى وما أبره ، واذا نسب الله عملا صالحا لعبده فان ذلك من آيات احسانه ، واذا جد العبد فى أسباب الطاعة وجب أن يستعين بالله ربه فانه هو الذى يوفقه ويشرح صدره ، والله عليه المنة فى كل طاعة « وما بكم من نعمة فمن الله » فمنة - سبحانه - العطاء ومنه سبحانه الشاء ، ومن هنا وجب ألا يقترب مؤمن بطاعته ، أو يمن بها على الله مهما جد واجتهد ، بل يرد الفضل لله فى كل عمل صالح ، ويسأله دوام التوفيق لما يحب ويرضى « ولكن الله حسبكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون . فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم » .

من مضاة الإسلام في التصوف

الاجتماع والعزلة

الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل

التفكير والأداء - عزلة التصوف - صعوبة وشدة - ثمار القلوب - أدب الالتزام

التفكير والأداء :

من الخير أن يتأكد عند الناس ويستقر في نفوسهم مفهوم العزلة والاجتماع، لأن مفهومهما ظل ضائعا بين الظاهر والباطن وحائرا بين الاقرار والانكار .

أما كيف يتأكد هذا المفهوم ويستقر فإنه ما يلبث المرء أن يعود الى نفسه برهة ليرى كيف تفكر وكيف تؤدي نتائج هذا التفكير حتى يستقر لديه - على الفور - أنه حين فكر كان في عزلة .. وحين نقل الفكر الى غيره وأداه كان في اجتماع .

وليس في استطاعة أحد أن يجعل أمرا من الأمور الهينة أو المعقدة مهما تمادت في لينها أو صعوبتها دون أن ينقطع عن كل ما يشغله ويحيط به ليصفو لفكرته وتصفو له ولو الى وقت قصير - متى كان أمرا هينا ، أما اذا كانت أمامه مشاكل للفكر والنظر وعقد في القيادة والسياسة وخفايا في الماهيات والأسرار فإنه لن ينتقل من خطوة الى خطوة في سلاسل الحلول الا اذا انقطع عما حوله بفكره أو فكره وبدنه ، أو فكره وبدنه ومكانه حتى يصل الى حل يرضاه

وينتفع به ، ثم يرضاه وينتفع به الناس .

وأعلان الحلول بعد العزلة والتفكير مهما قصر اجلهما بسبب الذكاء المسلط .. أو السهولة الكائنة انما هو عمل اجتماعي يراد به خدمة الجماعة وتوسيع علمها بالامور ليوفر الفكر المعتزل عليها الضيق أو التكرار ، ثم يثب هو الى عزلات أخرى تنفعه وتنفع الجماعة في بحث جديد .

والفطرة البشرية ليس من شأنها أن تجمد فتمسك نفسها على عزلة دائمة أو اجتماع دائم بل هي تقسم الزمن بينهما حتى تنتظم حركة الازدواج التي يتألف منها الكائن من غير أن يصير كله تفكيراً بلا أداء أو يصير كله أداء بلا تفكير .

ومنكر حياة العزلة يعيشها برغمه ، ولكن على فترات . كما ان منكر حياة الاجتماع يعيشها برغمه .. ولولاها لم يدخل صوفي الى خلوته بخرقه هي من نسج أيدي الناس وآلاتهم ، ولم يستغن في بعده عنهم بلقمة مما خبزها البعداء .

واذن فلا بد أن يتضح المفهوم وتستقر حقيقته لدى كل الناس

فلا ينكرون عزلة ولا اجتماعا .. لأنهم جميعا كائنات مجبورة مفتقرة الى الازدواج .. وما لم يعتزل المرء حيناً ويجتمع بغيره حيناً - ولو بمجرد فكره وخياله - فإنه سيكون متجردا من صفة الانسان .

عزلة التصوف :

والعزلة الفكرية التي يحياها الناس أحيانا ، وتتفاوت أحوالهم وأزمانهم فيها - انما هي أكثر عزلات الدنيا قيمة ، وهي أسعد أوقات الحياة في حياة المفكرين والمتأملين والعلماء والسواس والكتاب والكاشفين .. لأنهم يدركون أنفسهم ويسعدون بعقولهم ويفرحون بما واتاهم في أثنائها من الهامات وحلول وكشوف وأفكار .

ومن الجدير بنا أن نرعى على هؤلاء جميعا خرقه التصوف - أحبا أو كرها - لأنهم منصرفون عن الدنيا آنذاك حتى ولو كانت في أفوائهم مضغة أو على أنوفهم نفحة أو عند عيونهم لون ، ولو أنك صرخت في آذانهم لتوقفهم اليك لوجدت صنفا منهم كارها لصرختك أو صارفا لك عنها وعنه باللين أو بالعنف

ووجدت صنفًا آخر لا ينتبه اليك لأنه خلص لفكرته مستغرق فيها فلا يرى غيرها ولو كان تحت رعد صارخ أو أمام جحيم من النار .

وما من أحد ينكر هذا الذي يجري ، ولو أنه انكره لأنكر نفسه التي تفعل ذلك بحسب ما وهبت وما كلفت .. وحتى الذين يملأون حياتهم وحياة الناس هزلا وضحكا .. فإنه لولا الانصراف إلى العزلة لاصطياد أساليب السخوية والاضحاك .. لم يكن لهم عند الاجتماع والأداء من حظ في إثارة الضحك واجتذاب المرات .

وحُدود الجدران التي تحبس جماعه الحبراء والمناهي البعيدة التي هي سجون الأئمين .. ومتنزهات الاستجمام ومخادع النوم والعيون المفوضنة لتفتح الأدمغة .. كل هذه وأشباهها أماكن لعزلات لازمة حتى يحدث الصفاء وتعود القوة وتسرّب الأفكار وتنحسر الآثام والآلام .

ومن هذه العزلات عزلّة الصوفية سواء أكانت في خلوة أو امتلاء ، ولكنهم سموها عزلة قلبية لأنها تنفرد بصاحبها وتبرئته من نوبات القضب والشهوات التي تقذيه من البطن والجنس .. ثم هي لا تنفصل بحال عن تأمل العقل وتفكيره ليكون القلب والعقل معاً وراء الحقيقة في أضواء الدليل

ولو ترك لنا أن نقيس بين هذه العزلات - من غير ذهب إلى رجم بالباطل أو تعصب للهوى - لجعلنا لعزلة القلب ما ليس لغيرها من العزلات لأنها تصحب معها العقل والخلق ..

وتتفى عنها سـورة القضب وتهافت الشهوة ، وما من شك في أنها ستقف بصاحبها عند معرفة نفسه ومعرفة ربه .. ومعرفة الناس .

وربما كانت العزلات كلها في حاجته لاستدعاء القلب واستحضاره - حتى العزلة لاصطياد أساليب اللهو والضحك - لأنه ما من فكرة في العلم أو السياسة أو التسلية تنفع الناس وتجلب رضاهم إلا إذا كان القلب عليها قريباً .. والعقل عليها حسيباً .

غير أن انتباه العقل في العزلة الصوفية إلى الله دون سواه قد حكم بأن نمتاز هذه العزلة عن كل ما سواها لأن النفس نبلع فيها كل مشتتها أو تتسامى إلى أسمى منها .

ثمار القلوب :

وحين اختار الصوفية عزلة القلوب أرادوا أن تنتج عنها أطيب الثمرات ، لا للمحتلى وحده وحسب .. ولكن له ولمن معه في الخلوة وكذلك لمن لم يحم حولها أو يشقى حماها .

أما له وحده فقد أرادوا أن يستعد عن كل ما يسفل حواسه ويغيب استداعه من فهو وريضة فلا يلقى فكره إلا على ما يترأى في قلبه خالصاً نقياً من غير اشتراك .. ولئن بسطت لقلب أن يقبل صور انتجلى إلا في خلوة صافية بنطق فيها اللسان بالذكر ويخفق الجنان بالحبة وتطعم النفس حلالة الطاعة ولذة المناجاة .

وأما من معه فأنهم سيصفون بقلوبهم الصافية إلى أصوات الحق والسنة الصديق ، ويفلقون بصحبة أمثالهم من الأبرار مصانع

المداينة والرياء ، ويرون فيوض الرضا والمحبة وغيوث النعم والرحمات .

وأما من لم يحوموا حول العترة سيبيبه وحتى من سحر به وعسوا من معام أهلها - فانهم سيجتنبون عن سواد المعرّين في حياتهم المصوب إنما وسلامه ومددا ومعصونه أن الم بالجمع ما يكره أو فقد منه ما يحتاج إليه .

ولم يقرر الصوفية خلوات من الإبيه ومعزلات في الجبال كي يطعموا المعنى الذي يعنون به أكثر من اللفظ أو يهملوا الباطن الذي يصاحب الظاهر . فهم يعرفون الخلوة المعنوية .. ولا يحدون بها مكاناً .. بل هم أكثر أهل انكسارهم إلى اللزمان والمكان ولكن لأن الخلوات المنيبة والمغزلات النجبية ضرورة جسدية للشدة والسالكين الذين لم ينفصلوا بعد عن الناس ولم ينهضوا بعد لرؤية الحقائق إلا من منافذ الحواس .

وهم يقولون لكل داخل إلى هذه الخلوة المعنوية وهذه حاله: انه كائن بائن .. أي انه كائن مع الخلق موجود بينهم عامل مثلهم ، ولكنه في الوقت نفسه بعيد عنهم إذ هو عائش في قلبه منطو على سره .

وذلك كله جار في المجتمع الفاضل الذي يحيا بقلبه ويعيش في صفاته .. فإذا تغير المجتمع وتكر أو ترجحت أحواله بين الفضل والكر فيحنث يصدق فيه قول أبي بكر بن العربي الفقيه حيث يقول :

« ان الدين يكره من تبطل فيه وانقطع وسلك الرهبانية .. أما إذا مرجت جهود الناس

وفسد الزمان فالعزلة خير من
الخطلة والفردية خير من التأهل،
وخير مال المسلم حيثئذ غنم
يتبع بها مواقع القطر وشعف
الجبال .

صعوبة وشدة :

ولما كان قد تحقق أن الخلوة
القلبية من أصعب ما يحتمل من
الأعباء . فقد صنعوا لها بناء
مقفلا وانفرادا بعيدا في أول
التدريب والتعليم .. حتى اذا
تم للسالك بعض التقدم في
الأحوال ارتفع عن الانحباس في
الظواهر الى الانحباس في
الخواطر والانبواء في السرائر .

ولا سبيل الى أبواب هذه
النسب انسيب ، الا برود رماذ
فابوبها موصده في وجهه من
لا يعرف الفرائض والآداب من
علوم الشريعة وعلى من ثم يصحج
اعتقاده من طرق النصوص
والادلة .. وعلى من لم يكتسب
خصال الحمد من دراسة الاخلاق
والسلوك .. ثم هي أكثر انغلاقا
على من ثم يشق على نفسه في
طريق التدريب والتعود لتبديل
الصفات ونسيان الجهات .

كما أنه لا سبيل الى الحكم
والتمييز بين من هم في رواح
وغدو وبين من قيدوا أنفسهم
بالعزلات وحبسوها في الخلوات
ورسول الله - صلى الله عليه
وسلم - يقول : « رب أشعث
أغبى لو أقسم على الله لأبره » .
والقرآن على لسان نوح - عليه
السلام - يقول : « ولا أقول
للذين تزددى أعينكم لن يؤتيمهم
الله خيرا الله أعلم بما في
أنفسهم » .

والقلوب كالقيوب ، وانما هي
صناديق مقفلة تتشابه اشكالها

وتتمائل ألوانها . من حيث
ينفرد كل منها بسره وينطوى على
ما أودع فيه .. ولن يعرف ما
في انقلب الا انقلب ذاته ..
ويحيى بن معاذ يقول في ذلك :
انظر اسك بانصوه ان اسك
مع الله في الخلوة . فان كان
اسك بالخلوة ذهب انسك اذا
خرجت منها .. وان كان انسك
به في الخلوة استوت لك الاماكن
في الخاصب والمجاذب ..
والزهدات والبرارى .

وابو يعقوب السوسى يرى
العزلة والانفراد لا يقوى عليهما
الا الأقوياء .. وحقق ما رأى
هذا الصوفى فان صعوبة العزلة
لا تهون على أكثر الناس . ومن
أجل ذلك لم تكتب العزلة الا
نافلة في النذر بالاعتكاف فى
المسجد .. وهذا الاعتكاف لا يمتنع
معتكفا أن يخرج من المسجد
لطعامه وشرابه ووضعائه ..
وهو ما قضى به الفقهاء الذين
يقولون : انه لا يكتب على أحد
شئ الا بشرع أو نذر .

أدب الالتزام :

والصوفى الذى يصل فى
عزلة الفكر والقلب الى مقام بعد
تنقله فى الأحوال لا يدع قلبه
يهدأ من الشوق ولا يتركه يمسك
عن اللهفة لأنه لو تركه وأهمله
أظلم كالبيت المهجور أو خرب
خرب القبور .

ولم يعد يخفى أن هيام القلب
بالله لا يختص بمكان دون مكان
أو وقت دون وقت .. بل ان الله
ينجلى فى كل الأمكنة بفعله وقوته
ولا يقبى عن هداة ولا ضجة ولا
عن ازدحام ولا خلاء .

والصوفى الحق لم ير
الصحراء والخلاء فى جو

الصحراء والخلاء .. ولكنه ربما
رأها فى المدن والقرى ومزدهجات
الناس .. فاذا انصرف عنها أو
بقي فيها .. فانما يشتغل قلبه
بذكر الله ولا يأنس الا به ولا يرى
سوى وحدته غير مشوبه بشك
أو امرأ .

هذا ، وقد كثرت فى مؤلفات
الصوفية صنوف تفصل
الحديث عن أدب الالتزام وصحبة
الشيخ .. وما أظن كثيرا منها
الا قد حرف عن اصول التصوف
فأضاف اليها ما ليس منها ..
وكان بعض ما أضيف صمغ
العداوة لمبادئ الالتزام .

ولقد كان من الأصول أن
يختار الناشئ السالك معلمه ..
ثم يلتزم معه أدب العلم والطاعة
فيما أمر الله به ونهى عنه ..
وفى ذلك كله محاسن من أدب
الالتزام والصحبة لا محيص عنه
بعد الاختيار .

فاذا دخل على هذا الأصل
ما يفسد الحرية والاختيار أو
ينحرف عن الأدب والدين . فانه
كلام ملول وعبث مرسول ..

وربما كان عتب أحد الصوفية
على زميل له رآه يبكى وينتحب
فيصلا فى هذا الباب وبلوغا الى
اللباب :

قال العاتب لزميله : لم تبكى ؟
قال : أبكى شيخى الذى
مات .

فقال له : لم لم تتخذ شيخا
لا يموت !

ولم يقصد العاتب بالشيخ
الذى لا يموت غير العلم الحق
الذى يقتبس من أحاديث السراج
المثير ومن آيات العزيز القدير .

أولياء الله بين الموالين والجافين

فضيلة الشيخ كمال احمد عوف

الولى والكرامة :

وليس من شرط الولي ظهور خوارق العادات - المسماة عرفا بالكرامة - على يديه ، فليس عند اهل التحقيق كرامة اجل من صدق التمسك بالكتاب والسنة وصحة متابعه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه

حيهم من الدين : اما عن جواب ماسبق وهو سؤال متداخل الاجزاء مؤداه : فلنعبد الله مخلصين له الدين ؛ وبين ايدينا كتاب الله وسنة رسوله ، متجافين عما سواه . وهو كلام في حقيقته سليم صدره جميل مطلعه ، اما عجزه فقير سليم ولا جميل ؛ فقد ورد من النصوص الدينية الواضحة الشيء الكثير في ان موالاة الاولياء والصالحين موالاة لله ،

وطريقهم طريق الله ، وكيف لا ؛ وراس قائمة الاولياء صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون لهم باحسان ومنهم العلماء العاملين ، وائمة الهدى واهل الصدق في طاعة الله ، وهؤلاء جميعا وردت رسول الله ؛ ونقله دينه ، واعلام شريعته وعنهم تلتك الامة الكتاب والسنة والاداب النبوية .

فاتحة الكتاب :

والناظر في سورة الفاتحة وهي المسماة (بام القرآن) يرى فيها الشفاء والبرء لما يمتثل في بعض الصدور ، فام القرآن تقرأ في كل ركعة ، وتثنى في كل صلاة وفيها الحمد لله ؛ والثناء على الله ،

من هم الاولياء :

وبين يدى الاجابة عن هذه التساؤلات نقسم عن الاولياء ما قدمه القرآن الكريم في وصفهم بصفاتهم ، وكشف حقيقة امرهم ؛ وسوق البشرى لهم اذ يقول :

(الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) .

ويقول سبحانه - بصيغة القصص - (ان اولياؤه الا المتقون) .

فالولاء الله هم المؤمنون المتقون ، الذين يوالون طاعة امره ، والجهاد في سبيله ؛ والرضا بقضائه والمحبة لكل ما جاء عنه .

وهو سبحانه وليهم (الله ولى الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور - والله ولى المتقين - وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا) - قد امر الله نبيه ان يقول : (ان ولى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين) . وحكى عن يوسف مناجيا ربه (انت ولى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما والحقنى بالصالحين) .

فهو سبحانه ولى المتقين ، يوالهم بهدائه وتوفيقه ، ويتعهدهم بكلماته ونصره وتأييده ؛ ورضي عنهم ورضوا عنه ، فكانوا به وكانوا له وكانوا بين الخلائق ووجههم اليه .

يثور بين العيين والحين جدل كثير حول الاولياء ، وتعلق جمهور الناس بهم ؛ وقصد مزاراتهم ، وانكار فريق آخر عليهم ، وربما تقال بعض أولئك وهؤلاء في قول او عمل وقد يوجز الراى فى وضوح ذلك الاثر المروى عن امير المؤمنين علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه اذ يقول : (اليقين والتشمال مفصلة ، والطريق الوسطى هي الجادة ، عليها باقى الكتاب وآثار النبوة ؛ ومنها منفذ السنة) .

واليقين والتشمال هنا مثل للتطرف والسطط ؛ والاخذ بالقبيل والقال عن الرجال واشياء الرجال ؛ والجادة المستقيمة هي مادل الكتاب عليها ، وارشدت السنة الصحيحة اليها .

وفي حدود الكتاب والسنة ستحاول الجواب عن بعض الاسئلة الدائرة حول الموضوع ؛ واهل في ذلك ما يشرح الله به صدور قوم مؤمنين

تساؤل :

ويسال بعض المتقين المتدينين قائلا: هل في الدين من النصوص الصريحة ما يرشد الى ان موالاة الاولياء ومحببتهم مطلوبة شرعا ، وما مور بها ديننا ؟

ويضيف قوله : اليس في تذكر الاولياء والتوجه اليهم في مزارات او ذكريات غفلة عن الله ؛ واشتغال عنه بعباده ؟

ومن ثم الا يكون افضل شيء للعبد اشتغاله بالله عين سواه ؟

والاقرار بيوم الدين ، مع افراده سبعانه بالعبادة والاستقامة في قول المصلي والقاري ، (اياك نعبد واياك نستعين) ثم طلب العبد من الله ولئن معه ان يهديه الصراط المستقيم ، الموصوف بقوله تعالى : (صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)

فقد انزل الله فاتحة الكتاب على انازل وفرض قراءتها في كل صلاة وقال الرسول الكريم : (لا صلاة لمن لم يقرأ بام القرآن) وقرئ الله فيها خلوص التوحيد في العبادة والاستقامة به دون سواه ، ثم اردف ذلك بطلب الهداية الى الصراط المستقيم ، فهل يكون ذكر صراط من انعم الله عليهم على انه صراطه المستقيم ، مع التبرؤ من المغضوب عليهم ومن الضالين شاغلا للمصل عن جلال الله وحضرته بذكر غير الله بين يدي الله ؟ لو كان ذاك اصح ما يشره المعترضون وهيئات *

بل لعلك ترى في هذا - بنور الله - ما يرشد في جلاء ووضوح الى ان طريق الله هو طريق الصالحين وان الهدى سير الى الله على صراط مستقيم ، في قوة عائلة تحتديها خطوات السائرين ، وتشد بها عزائم السالكين ، وتهفو اليها قلوب المهتدين *

القدوة باهل الهدى :

بل هذا هو رسول الله صلوات الله وسلامه عليه البعث رحمة للعالمين ، بالنبوة الخاتمة والرسالة الجامعة والمرسل الى الناس كافة بالهدى الشامل والدين الكامل ، ومن حديثه الصادق (لو كان فيكم ابن عميران وابن مريم ماوسعها الا اتباعي) ومع هذا كله يؤمر بالقدوة بمن قبله من الانبياء والمرسلين ، ومن معهم من آلهم الصالحين *

في سورة الانعام ذكر الله سبحانه ابراهيم عليه السلام في قوله : (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه) . ثم ذكرت الايات بضعة عشر نبيا ، ثم قال تعالى : (ومن آباءهم وذرياتهم واخوانهم واجتنبناهم وهديناهم الى صراط مستقيم) . ثم يشير الله سبحانه بعد الى هؤلاء جميعا بقوله : (اولئك الذين هدى الله فيهداهم اقتده) . فهل في ذلك الامر الالهي للنبي الكريم بان يقتدى بهدى المهتدين

والوحي يتنزل عليه بالهدى والخير تبياناً لكل شيء ، - الا الاشارة الى طريق الخير المسلك من قبل ، والمغضوب الى يوم القيامة ؟ وان قل سالكوه ؟

وفي القرآن الكريم عن ابراهيم : (رب هب لي حكما والحقني بالصالحين) وفي وصايا الحق جل جلاله من سورة لقمان للانسان : (واتبع سبيل من اناب الى) وفي آية اخرى (واتبع ملة ابراهيم حنيفا) وعن يوسف نبي الله (واتبعت ملة آباي ابراهيم واسحق ويعقوب ماكان لنا ان نشرك بالله من شيء) وفيه (فمن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) والاشارة من ذلك كله واضحة غايية الواضوح في ان طريق اهل الايمان ، هو طريق الرحمن ، وان قافلة الخيرية في طريقها ، منذ بدا الله الخلق حتى يرث الارض ومن عليها ، لا يصدها عن غايتها شياطين الانس والجن وما يضعون في سبيلها من عقاب ، فعل مجبي الخير التهوى اليه في اهله ، ومن سار على الدرب وصل ، ومن احب قوما حشر معهم *

في الصلاة :

وفي الصلاة عدا ماسبق في ام القرآن والعبد بين يدي ربه حيث الاخلاص واسلام الوجه لله ، ماينبه الى موالة الصالحين وان الاقطاع من موالاتهم نقص في الدين وانقطاع عن هدى الله رب العالمين وفي التشهد بعد الشنا على الله سبحانه تسليم على رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليم خطاب وحضور ، ثم تسليم المؤمن على نفسه ومن معه وعلى عباد الله الصالحين عامة . وفي ختامها صلاة وترحم وتبريك على محمد وآل محمد ، ثم على ابراهيم وآل ابراهيم في العالمين ، ثم على الملائكة والمقربين وعلى الانبياء والمرسلين وعلى اهل طاعة الله اجمعين *

فهذا هو دعاء المؤمن بين يدي الله في الصلاة قائما وقاعدا ، وراكعا وساجدا . لكل عباد الله الصالحين من السابقين واللاحقين ، لم يشغلهم البعد عن الله ، بل زاد قلبه نورا بهجة عباد الله لله . فكان زيادة في محبة الله ، وكان ذلك العبد الصالح جديرا بان يكتمل ذوقه

لعلوة الايمان المشار اليها في حديث البخاري من رواية انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما ، وان يحب المرء لا يحبه الا لله ، وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف في النار)

وكان جديرا بشرى النبي له فيما بشر به المتجربين في الله ، من انهم على نور وان لهم منابر من نور يوم القيامة . وای حب في الله اجل واخلص من هذا الحب المسجل بين يدي الله في الصلاة بالاولاء والدعاء للصالحين واهل الطاعة اجمعين . وكان عمله ودعاؤه طاعة لامر الله اذ يقول : (فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنك وللمؤمنين والمؤمنات) بالجمع بين كلمة التوحيد والاستغفار للنفس والاخوة في الايمان *

وكان ذلك تجاوب مع ولاء الملائكة للمؤمنين اذ يتنزلون بالبري ، ويستغفرون لهم كما في قوله تعالى (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استغفروا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون ، نحن اوليؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة) ، (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ، ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ، ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آباءهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم وقهم السميات) ، (هو الذي يصل عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور) *

وكان ذلك سعادة للمؤمن أي سعادة ، اذ يشعر وهو بين يدي الله ، أنه جزء من ذلك العالم النوراني الذي غمره الله بهداه ورضاه ، من ملائكة الله وانبيائه وصالحى المؤمنين ، وتلك هي الحياة حقا وهي التي وعد الله بها من آمن وعمل صالحا اذ يقول في الكتاب المبين (من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ، ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون) (صدق الله العليم)

(الحديث بقية)

التصوف دعوة إلى بناء الرجال

الإمام محمد اليربوع البسيوني

نفوسهم عن المستوى المادي
لتحلق في آفاق العزة والمجد
والسلطان .. فلا ينهارون أمام
الآزمات والمتاعب ؛ بل يزدادون
صمودا كلما ألت الللمات وتآزمت
الأمور مهما كانت ضراوتها .

والصوفية على وجه الخصوص
لهم في هذا الباب باع طويل ..
وتجارب علمتهم الصراع في
سبيل الحق والصمود في وجه
الباطل ، وامامهم ومعلمهم في
هذا الباب .. هو رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - وخلفاؤه
الراشدون من بعده ، وصحابته
وتابعوهم بإحسان إلى يوم الدين
فهم الزاهلون .. الذين لا
يفرحون بوجود ولا يحزنون
على مفقود .. واستوى عندهم
ذامهم ومادحهم .. والغالب على
قلوبهم الانس بالله .

قال أبو سليمان الداراني :
« من شغل بنفسه شغل عن
الناس .. وهذا مقام العاملين »
ولهذا القول دلالة الداعية إلى
البناء ، فالمشغول بنفسه المقبل
على شأنه ؛ المخلص لأمته ووطنه
المتفاني في أداء واجبه ، مشغول
عن الناس وعن القيل والقال ..
وعن الفضول من أحاديث الناس ،
وما الاشاعات والأحاديث الكاذبة
التي يتناولها الناس الا نتيجة
للفراغ الطويل والانصراف عن
العمل الجدي المثمر الذي يبني
الأمة ويقوى الدولة في شتى
الاتجاهات .

والمؤمن الصوفي - قد أخذ
نفسه بالحزم في كل أموره ..
واقصر في دنياه على الضروريات
التي لا مندوحة له عنها كي
يعيش ، وابتعد كل البعد عن
الكماليات التي لا حاجة إليها .

١ - فهو في قوته لم يشغل
نفسه بشيء من ملذات الحياة
وأطايها ، وان كان يدرك يقينا
انها حلال .. لكنه الزهد وتربية
النفس وتعليتها عن مستوى
المادية إلى المستوى الروحي
المتن ، واقصر في مأكله على
ما يقيم صلبه .. قالت عائشة
- رضي الله عنها - : كانت تأتي
علينا أربعون ليلة وما يوقد في
بيت رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - مصباح ولا نار ، قيل
لها : فبم كنتم تعيشون ؟ قالت
بالأسودين : التمر والماء ..
ولما أتى النبي - صلى الله عليه
وسلم - أهل قباء أتوه بشربة
من لبن مشوبة بعسل ، فوضع
القدح من يده وقال : أما أني
لست أحرمه ولكن أتركه تواضعا
لله تعالى ..

وأتى لعمر - رضي الله عنه -
بشربة من ماء بارد وعسل في
يوم صائف .. فقال : اغزلوا
عني حسابها ، وروضوا أنفسكم
على الاتئام بالمح والخل والبقل
وأكلوا الشعير والدقيق غير
المنخول .. قال الفضيل :
ما شبع رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - منذ قدم المدينة
ثلاثة أيام من خبز البر .. وورد
عن الشيخين : ما شبع آل محمد
منذ قدم المدينة من طعام ثلاث
ليال تباعا حتى قبض . ويروى
أبو الدرداء قال : كان رسول
الله - صلى الله عليه وسلم -
لا ينخل له الدقيق ولم يكن له
الا قميص واحد .

٢ - واكتفوا في لباسهم بما
يدفع عنهم الحر والبرد وستر
العورة ، ولبسوا أي شيء دون
تأفف أو تخرج شاكرين الله على

الصوفية .. مؤمنون أخذوا
نفوسهم بالعزائم .. ولم يتركوا
طريقا لتربية النفوس وتهذيب
الأخلاق الا سلوكه .. عرفوا
دينهم حق المعرفة واستقوا
معارفهم من كتاب الله وسنة
رسوله ..

والاسلام دين سماوى عالمي
صالح لكل زمان ومكان ، فيه
من أنواع السلوك ما يوافق
الطبائع البشرية على اختلافها ..
لكن الخط العريض الذي يدعو
اليه انما هو تربية الرجال
جسديا وروحيا تجعلهم صالحين
لدين والدنيا .. أمة على
الكافرين أدلة على المؤمنين ..
وليست الدنيا أكبر همهم ..
فأخذوا منها زادهم للأخرة .

والاسلام حين يربي الشباب
هذه التربية .. انما يقصد في
جوهره تربية رجال سميت

كل حال ، ونظرة الى احوال
الرسول فى ملبسه ترىنا كيف
كان هديه فى ذلك .. قال ابو
بريدة : اخرجت لنا عائشة
- رضى الله عنها - كساء ملبدا
وازادا غليظا فقالت قبض رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - فى
هذين •

والرسول - عليه الصلاة
والاسلام - يقول : ان الله يحب
المتبذل الذى لا يبالي ما يلبس .
وقد ثبت أنه - عليه الصلاة
والسلام - اشترى ثوبا بأربعة
درهم ، وقد احتذى مرة نعلين
جديدين فاعجبه حسنهما فخر
ساجدا وقال : اعجبني حسنهما
فتواصعت لربى خشية ان يمتننى
ثم خرج بهما فدفعهما الى اول
مسكين رآه •

وها هى فاطمة - ابنة
الرسول - يدخل عليها ابوها
وهى تطحن بالرحا وعليها كساء
من وبر الابل فلما نظر اليها
بكى وقال يا فاطمة : تجرعى
مرارة الدنيا بالنعيم الأبدى ..
فانزل الله عليه : « ولسوف
يعطيك ربك فترضى » •

وهذا على بن ابي طالب يقول
لعمر بن الخطاب - رضى الله
عنهما - : ان اردت أن تلحقك
بصاحبك فارفع قميصك ونكس
ازارك وكل دون الشيع « ، وقد
اخبار الرسول - صلى الله عليه
وسلم - : أن من شرار هذه الأمة
من يتنعمون ، فهو يقول : « ان
من شرار أمتي الذين غشوا
بالنسيم يطلبون ألوان الطعام
والألوان الثياب ويتشدقون بالكلام

٣ - أما مسكنهم - فلم
يطلبوا موضعا خاصا بهم فسكنوا

زوايا المساجد كاصحاب الصفة
وسكنوا الأكواخ والأخصاص
المبنية من السعف والجريد ..
ولم يزيدوا عن الضرورة
والفرض الذى من اجله اتخذ
الانسان لنفسه مسكنا ، وهو
اتقاء المطر والبرد .. ودفع
الاعين والأذى ..

وقد مر - عليه الصلاة
والسلام - بجنيذة معلاة ، فقال
لن هذه ؟ قالوا لفلان .. فلما
جاء الرجل اعرض عنه .. فلم
يكن يقبل عليه كما كان فسان
الرجل اصحابه عن سبب تقير
وجهه - صلى الله عليه وسلم -
فاخبر ، فذهب فهدمها - فمر
الرسول بالموضع فلم يرها ..
فاخبر بأنه هدمها - فدعا له
بخير •

٤ - أما أثاث بيوتهم فقد
زهدوا فيه أشد الزهد واكتفوا
من كل شيء بمقصوده .. وكل
ما استغنى عنه فهو وبال فى
الدنيا والآخرة ، واكتفوا من
الأواني بالخزف .. واستعملوا
آلة واحدة فى أشياء كثيرة
فأكلوا وشربوا وحفظوا أمتعتهم
فى قصعة واحدة ، وقد كان
ضجاع رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - الذى ينسجم عليه
وسادة من آدم حشوها ليف -
وقد روى أن سعيد بن عمير
أمير حمص لما قدم على عمر بن
الخطاب قال له : ما معك من
الدنيا ؟ قال معى عصاى أتوكأ
عليها وأقتل بها حية ان لقيتها ،
ومعى جرابى أحمل فيه طعامى
ومعى قصعتى أكل فيها ،
وأغسل فيها رأسى وثوبى ..
ومعى مطهرتى أحمل فيها

شرابى وطهورى للصلاة .. فما
كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع
لما معى .. فقال عمر : صدقت
رحمك الله •

٥ - ولم يلتفتوا للمظاهر ،
بل كان طلبهم اللب والحقائق -
ولم يعابوا بقول الناس ما داموا
على الحق فهم سادة فى أنفسهم
أعزة فى كل ما يطلبون لأن
طلبهم فى الحقيقة من الله تعالى ،
فعرزهم مستمدة من خالقهم :
« والله العزة ورسوله وللمؤمنين »
ولهذا قال عمر حين عوتب فى
بذائة هيئته عند دخول الشام :
« انا قوم اعزنا الله بالاسلام فلن
نطلب العز فى غيره » ..

لم تلتفت قلوبهم الى زهرة
الحياة مع اقتدارهم على التمتع
بها ، فالعلم الأعظم رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - تقول له
عائشة : ألا تستطعم الله
فيطعمك ؟ فقال يا عائشة :
والذى نفسى بيده لو سألت ربي
أن يجرى معى جبال الدنيا ذهبا
لاجراها حيث شئت من الأرض ،
ولكنى اخترت جوع الدنيا على
شبعها .. وفقر الدنيا على غناها
.. وحزن الدنيا على فرحها ..
يا عائشة : ان الدنيا لا تنبغى
لمحمد ولا لآل محمد - يا عائشة
ان الله لم يرض لأولى العزم من
الرسول الا الصبر على مكروه
الدنيا ، والصبر على محبوبها •
ثم لم يرض الا أن يكلفنى ما
كلفهم فقال : « فاصبر كما صبر
أولوا العزم من الرسل » والله
ما لى بد من طاعته .. وأنى
والله لأصبرن كما صبروا بجهدى
ولا قوة الا بالله •

وفقننا الله الى ما يجب
وبرضى ..

محمد والاسلام والمسلمين في المدينة ، وكان الانتصار والمهاجرون من المسلمين يحفرون خندقا يحميهم ، ويمنع الأعداء من الوصول اليهم .

قال البراء بن عازب رضي الله عنه : « أمرنا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بحفر الخندق ، فحضرت لنا صخرة في مكان من الخندق ، لا تأخذ فيها المaul ، فشكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء ثم هبط الى الصخرة ، فاخذ المaul ، وقال : باسم الله ، فضرب ضربة ، فكسر ثلث الحجر ، وقال : الله أكبر ، أعطيت مفاتيح الشام ، والله اني لأبصر قصورها الحجر من مكاني هذا . ثم قال : باسم الله ، وضرب ضربة أخرى ، فكسر ثلث الحجر ، فقال : الله أكبر ، أعطيت مفاتيح فارس ، والله اني لأبصر المدائن ، وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا . ثم قال : باسم الله ، وضرب ضربة أخرى ، فقلع بقية الحجر ، فقال الله أكبر ، أعطيت مفاتيح اليمن ، والله اني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا . »

وبهذا الإيمان ، وبالثقة بالله ، ونصره ، وروحه المتفائل ، وشخصيته العظيمة ، وثباته النادر ، وما منحه الله من نور يرى به ما لا يراه غيره - ارتفع الروح المعنوي بين المسلمين ، واطمأن نفوسهم ، وجاهدوا في سبيل الله حق جهاده ، فكان النصر حليفهم في النهاية ، وفتحوا العالم الاسلامي ، وكسبوا محمد خير أمة أخرجت للناس ، ونصره الله نصرا عزيزا .

وقد وصفه جل شأنه بقوله : « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم ، يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب ، والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين . وآخرين منهم لما يلحقوا بهم ، وهو العزيز الحكيم . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم . »

والمعنى : أن الله هو الذي أرسل في الأميين الذين لا يكتبون - رسولا منهم يعرفون أمانيه وصدقته ، يتلو عليهم آيات القرآن ، ويظهرهم من خبايا العقائد والأعمال ، فكان يجب أن يكونوا أول الناس إيمانا به لصلتهم به . ويعلمهم القرآن والحكمة والعلم الصحيح ، ومعرفة أسرار الأشياء ، وقد كانوا من قبل مجيئه لفي ضلال مبين .

وبعثه الى آخرين من الأميين الذين لم يدركوا من أمن من العرب في عهد صلى الله عليه وسلم ، ولكنهم سيؤمنون فيما بعد ، وهو العزيز الحكيم في ملكه وصنعه . ذلك فضل الله يؤتيه النبي الذي يشاؤه ، والله ذو الفضل العظيم .

الرسول يعطف على الأسرى من الأعداء :

وكان محمد يحسن معاملة الأسرى ، ويعطف عليهم ، ويرافقهم ، ولو كانوا من أعداء الاسلام ، فقد كان عدى بن حاتم الطائي النصراني يكره الرسول كل الكره ، وهرب الى الشام ليكون مع النصارى حتى لا يسلم . وحدث أن على بن أبي طالب أسر أخت عدى مع الأسرى ، ومر بها النبي صلى الله عليه وسلم ، فقامت اليه ، وقالت : يا رسول الله ، هلك الوالد ، وغاب الرافد ، أي المظي والمعين وهو أخوها « ، فامتن على ، من الله عليك . « أي أنعم على واعتقني ، وخلصني من الأسر . »

وأعرض عنها النبي حين علم أن رافدها هو عدى بن حاتم الذي هرب من الله ورسوله .

لكنها أعادت قولها ، فتذكر المصطفى ما كان لأبيها في الجاهلية من الجود والكرم ، فأمر بتسريحها ، وإطلاق سراحها ، وكساها كسوة حسنة ، وأعطاهم نفقتها ، وأرسلها مكرمة مع أول ركب مسافر الى الشام . فلما قالت أخاها هناك كرت له ما فعله محمد معها ، وما أكرهها به ، وكيف أحسن معاملتها .

فرجع عدى بن حاتم الى الرسول متأثرا بنبله ، وجميـل عطفه ، وحسن رعايته لأخته وهي أسيرة ، ثم أسلم في الحال ، وانضم الى صفوف الاسلام والمسلمين .

عظمة الرسول في خلقه الكامل

الاستاذ محمد عظمة البراشي

لقد خاطبه الله جل شأنه بقوله : « وإنا لك على خلق عظيم » فكان الرسول جفا عظيما في خلقه ، عظيما في بره ورحمته ، عظيما في صدقه وأمانته ، عظيما في صبره وشجاعته ، عظيما في حبه للفقراء ، وإحسانه اليهم ودفاعه عنهم ، وإثباتهم على نفسه وأهله .

كان عظيما في علمه العزيز ، عظيما في ذكائه النادر ، وبديته الحاضرة ، عظيما في فصاحته وبلافته ، حتى قالت السيدة عائشة تصف فصاحة لسانه ، وجمال أقواله : « ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد كسر دكم هذا ، ولكن كان يتكلم بكلام بين فصل ، يحفظه من جلس اليه » .

كان عظيما في إيمانه القوي برساليته ، ونقته الكاملة برب العالمين ، وكان له روعة ، وفيه قوة .

لذلك كان للاباء بالحق جل شأنه كل الأثر في نجاحه الباهر في نشر دعوته .

كانت القلوب الصافية تحبه وتآلفه ، وتشق به كل الثقة ، وتؤمن بكل ما يدعو اليه ، كالسيدة خديجة من النساء ، وأبي بكر الصديق ، وورقة بن نوفل من الرجال ، وعلى بن أبي طالب من الفلمان .

كان عظيما في شجاعته وثباته في جهاده في سبيل الله ، فقد ثبت في جميع أمكنته ثبات الجبال الراسيات ، في كل غزوة من الغزوات ، لبطولته اللذة وشجاعته النادرة . قال الامام على - كرم الله وجهه - : « كنا اذا حمى الوطيس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيكون أقربنا الى العدو . »

كان عظيما في تفاؤله ، يؤمن بالفكرة ، ويضع الخطة لتنفيذ هذه الفكرة ، أو هذا المشروع ، وينظم عمله تنظيميا محكما . وبارادته القوية ، وإيمانه بربه جعل شأنه ، ينفذ ما لديه من مشروعات ، وهو متفائل كل التفاؤل ، واثق كل الثقة بالنصر في النهاية ، مع كثرة الأعداء واستعدادهم ، وقلة المسلمين ، وما لديهم من عدة وسلاح .

فقد حدث في غزوة الأحزاب أن اجتمع الكفار والمشركون واليهود من كل حذب وصوب من الجزيرة العربية ، للقضاء على

عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم في زهده وقناعاته

واحمدها ثلاثا وثلاثين ، وسبحها ثلاثا وثلاثين . ان ذلك خيس لكما مما سألتهما » .

فبدلا من أن يرسل الى ابنته خادما ، تصح لها ولابن عمه أن يقولوا الله أكبر ثلاثا وثلاثين مرة والحمد لله ثلاثا وثلاثين ، وسبحان الله ثلاثا وثلاثين ، فهذه العبادة الروحية لله ، خير مما طلباه .

كان المصطفى المثل الأعلى في الزهد :

كان المصطفى صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في الزهد والقناعة ، يفكر في الحياة الروحية ، ولا يفكر في النعيم الزائل . في يده خزانة المالية للمسلمين ، يهب منها ما يشاء ، ويوزعها بالقساس المستقيم ، ويحرم نفسه ، مكتفيا بالتوكل على الحصر « أو على جلد محشو بليف » ، وتناول التمسر والخبز من الشعير .

قالت السيدة عائشة لعروة : يا ابن اختي ، ان كنا ننظر الى الهلال ثم الهلال ، ثلاثة أهلة في شهرين ، وما أوقدت في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار . .

فقلت : يا خالة ما كان عيشكم ؟

قالت : الأسودان : التمر والماء ، الا انه قد كان لرسول الله جيران من الأنصار كانت لهم منافع وكانوا يمنحون رسول الله من البانها فيسقينها . وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على ابنته فاطمة ، وفي يدها سلسلة من ذهب ، وهي تقول لامرأة عندها : هذه أهداها أبو الحسن - فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم : يا فاطمة ، أسرك ان يقول الناس ابنة رسول الله في يدها سلسلة من نار ؟ ثم خرج ولم يقعد .

فأرسلت السيدة فاطمة رضى الله عنها بالسلسلة فباعتها ، واشترت بثمنها عبدا فاعتقته ، فحدث رسول الله بذلك ، فقال : الحمد لله الذي نجى فاطمة من النار .

وهذا مثل نبيل في التربية المثالية الروحية ، والتقوى الكاملة من خير خلق الله وكريمته ، في الزهد والقناعة والإيثار .

وقال ابن مسعود : دخلت على رسول الله وقد نام على حصير ، وقد أثر في جنبه ، فقلت : يا رسول الله ، لو اتخذنا لك وطاء تجعله بينك وبين الحصير ، يتيق منه ؟

فقال : مالي وللدنيا ! ما أنا والدنيا الا كراكب استظل تحت شجرة ، ثم راح وتركها .

وقالت عائشة : انه كان لرسول الله حصير - يحتجزه في الليل ، فيصلي فيه ، ويسطه في النهار فيجلس عليه ، وكان في طعامه قانعا زاهدا يقول : « حسب ابن آدم لقيمات يقمن صومته » .

وذات مرة خرج الرسول اكامل من المسجد ، فوجد ابابكر وعمر ، فسألهما عن سبب خروجهما ، فقالا : أخرجنا الجوع .

قال : وما أخرجني الا الجوع ، فذهبوا الى أبي الهيثم ، فأمس لهم بشعير ، وقام الى شاة فذبحها ، وقدم لهم ماء عذبا معلقا عنده في نخله ، ثم أتوا بالطعام ، فأكلوا وشربوا من ذلك المساء فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم :

« لتسألن عن نعيم هذا اليوم »

وقد تذكر الرسول القانع مرة وهو في الصلاة أن في بيته تبرا ، فخفف الصلاة ، وسارع الى التبر ، ففرقه على الفقراء ، كراهة ان يبيت الذهب في بيته .

فالرسول الزاهد يوزع الذهب على الفقراء ، ويكتفي بالتمر والشعير في طعامه ، ويحرم نفسه التمتع بما في الحياة من الملاذ .

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يستطيع أن يعيش هو وأهله عيشة الترف والنعيم والفنى ، فقد كان في يده أموال المسلمين ، يوزعها كيف شاء ، وقد أحل الله له أن يأخذ الخمس من غنائم الحرب حيث يقول : « وأعلموا انما غنمتم من شئ فان الله خمسة وللرسول ولذو القربى والمساكين وابن السبيل . »

وأعطاه الله الحق في أن يأخذ من مال الغنى ، حيث يقول : « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل . »

والغنى : هو ما يأخذه المسلمون من الأعداء من غير حرب بعد خضوعهم للمسلمين ، كالغنى الذي دفعه اليهود من بنى قريظة وبني النضير من أهل يثرب « المدينة » .

كان المصطفى صلى الله عليه وسلم يستطيع أن يعيش كما يعيش الملوك والقيصرة ، وكما يعيش كسرى وقيصري في قصور فخمة ، ويحيا حياة يجد فيها كل وسائل الراحة والنعيم ، ولكنه زهد في هذه الحياة ، وعاش عيشة الفقراء ، وكان أسوة لغيره في أن يحرم نفسه وأهله وأقرب الناس اليه ، ويؤثر عليهم الفقراء والمساكين والمحتاجين من المسلمين أمثال أبي هريرة ، وأبي ذر الغفاري ، رضى الله عنهما .

فكان يكتفي من الطعام بالتمر والماء وخبز الشعير ، ولا ينأى على فراش وغير من الديباج والحري ، بل ينأى على الحصير ، ويعطي اليتامى والفقراء والمعوذين ، كل ما يصله من المال . كان يفكر في غيره وينسى نفسه . فكان المثل الأعلى للعظيمة الروحية ، والإيثار السامى ، والزهد الذى لا مثيل له في يده بيت المال ، وخزانة المالية ، وحقه الذى جعله الله له من الغنى وغيره ، ومع هذا كله قد أثر إعطاء اليتامى والمساكين وإبناء السبيل ، وعاش كما يعيش الفقراء من المسلمين .

قالت السيدة عائشة رضى الله عنها : « ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتاليين حتى يقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « دخلت يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو مضطجع على حصير خشن ، فجلست ، فإذا الحصير قد أثر في جنبه ، وإذا عليه صاع في ناحية من الفرفة . فابتدرت عيناي بالكاء .

أزار ليس عليه غيره ، وإذا أنا بقبضة من الشعير بمقدار

فقال صلى الله عليه وسلم : ما يبكك يا ابن الخطاب ؟

فقلت : يا نبي الله ، ومالي لا أبكى ؟ وهذا الحصير قد أثر في جنبك ، وهذا ملبسك ، عليك أزار ، ليس عليك غيره ، وهذه خزانتك لا أرى فيها الا هذه القبضة من الشعير . وذلك كسرى ، وذلك قيصري يعيشان في الثمار والنعيم والثياب الفاخر ، وأنت نبي الله وصفوته !

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « يا ابن الخطاب اما ترى ان تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا ؟ »

هذه هي العظيمة المثالية باتني الرحمة ، وبارسول الانسانية . وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه - وهو زوج السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم ان فاطمة استسكنت ما تلقى من الرضى « وقد تعبت يدها من ادارتها » ، فبلغها أن النبي صلوات الله عليه آتى بسبي « أى جاءه بغض الأشرى » ، فأنته تسأله خادما « يساعدها في شئون البيت » فلم تجد أباه ، فذكرت ذلك للسيدة عائشة ، فجاء النبي ، فذكرت عائشة له ذلك ، فأنها : « وقد أخذنا مضاجعتنا « وأردنا أن ننام » فذهبتا نقوم .

فقال الرسول : « على مكانكما . . الا أدلكما على خير مما سألتماني ؟ اذا أخذتينا مضاجعتكما فكبيرا الله ثلاثا وثلاثين ،

ويقول أنس : قال رسول الله : لقد خفت في الله ما لم يخف أحد ، وأوذيت في الله ما لم يؤذ أحد ، ولقد أتني على ثلاثون ما بين يوم وليلة ، ومالي ولبلال من الطعام إلا شيء يواريه ابطل بلال .

قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « من أصبح آمنا في سربه ، معافا في بدنه ، عنده قوت يومه ، فكاننا حيزت له الدنيا بحذافيرها » .

وروى عثمان رضي الله عنه انه قال : ليس لابن آدم حق في سوى هذه الخصال : بيت يسكنه ، ونوب يوارى عورته ، وجلف الخبز والماء » .

ورأى عمر مرة حلة من استبرق تباع ، فأتى بها النبي ، فقال : يا رسول الله اتبع هذه ، فتجلب بها للعبد والوفود ، فقال رسول الله : « انما هذه لباس من لا خلاق له » .

فالمصطفى صلى الله عليه وسلم خير قدوة للناس كافة ، في الزهد والفتاة ، والرضا بالضروريات في الحياصة ، وترك الترف والاسراف ، واللذات الفسافية ، والتفكير في النواهي الروحية الباقية .

قال أنس خادم الرسول : ما علمت النبي خبز له مرقق قط ، ولا أكل .

وسئل سهيل بن سعد : هل أكل النبي النقي ؟

فقال : ما رأى النبي النقي منذ ابتعثه الله حتى قبضه .

وليس معنى الزهد تحريم ماحاله الله من الزينة ، وقدرعرف الرسول الزهد بقوله : ليست الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال ولا اصابة المال ، ولكن الزهادة ان تكون بما في يد الله تعالى اوقت منك بما في يدك ، وأن تكون في نواب المصيبة اذا أصبت بها ، أقرب منك فيها ، لو أنها بقيت لك ، لأن الله تعالى يقول : « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ، ولا تفرحوا بما آتاكم » .

وقبل انتقاله الى الرفيق الاعلى تذكر ان في البيت سبعة دنائير ، فطلبها من السيدة عائشة ، ووضعها في كفه ، وقال : « ما ظن محمد بربه لو لقي الله وعنده هذه ؟ » ثم تبرع بها للفقراء والمساكين .

وقيل لما استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عقاب بن أسيد على مكة رزقه كل يوم درهما . فقام أسيد وخطب الناس فقال : « أيها الناس ، أجاج الشكيد من جاع على درهم ! قد رزقني رسول الله درهما كل يوم ، فليست لي حاجة الى أحد » .

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو الله ويقول : « اللهم اجعل رزقي آل محمد كفافا » . والكفاف هو القوت الذي يغني عن الناس .

وفي زهد المصطفى واخلاقه يقول الشيخ شرف الدين بن عبد الله محمد البوصيري في برده :

وَشَدَّ مِنْ سَغَبِ أَحْشَاءِهِ وَطَوَى

تَحْتَ الْحِجَارَةِ كَثْمًا مُتَرَفَ الْأَدَمِ

وَرَأَوَدَتْهُ الْجِبَالُ الشُّمُّ مِنْ ذَهَبٍ

عَنْ نَفْسِهِ فَأَرَاكَ أَيُّمَا شَمِّ

مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الْكَوْنَيْنِ وَالْثَقَلَيْنِ

نَهَ وَالْفَرِيقَيْنِ مِنْ غَرْبٍ وَمِنْ عَجَمٍ

نَبِينَا الْأَمْرُ النَّاهِي فَلَا أَحَدُ

أَبْرَ فِي قَوْلٍ لَا مِنْهُ وَلَا نَعَمُ

هُوَ الْحَبِيبُ الَّذِي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ

لِكُلِّ قَوْلٍ مِنَ الْأَهْوَالِ مُقْتَحِمُ

دَعَا إِلَى اللَّهِ فَالْمُسْتَمْسِكُونَ بِهِ

مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلِ غَيْرِ مُنْقَصِمِ

فَأَنَّ النَّبِيَّ فِي خَلْقٍ وَفِي خَلْقٍ

وَلَمْ يُدَانُوهُ فِي عِلْمٍ وَلَا كَرَمٍ

فَهُوَ الَّذِي تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورُهُ

ثُمَّ اصْطَفَاهُ حَبِيبًا بَارِئُ النَّسَمِ

مَنْزَرَهُ عَنْ شَرِيكَ فِي مَحَابِسِهِ

فَجَوَّهَرَ الْحَقَّ فِيهِ غَيْرَ مُنْقَسِمِ

دَعَا مَا ادَّعَتْهُ النَّصَارَى فِي نَبِيِّهِمْ

وَأَحْكَمَ بِمَا شِئَتْ مَدْحًا فِيهِ وَاحْتِكَمَ

وَأَنْسَبَ إِلَى ذَاتِهِ مَا شِئَتْ مِنْ شَرَفٍ

وَأَنْسَبَ إِلَى قَدْرِهِ مَا شِئَتْ مِنْ عِظَمٍ

فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ

حَدٌّ فَيُعْرَبُ عَنْهُ نَاطِقٌ بِقَمَرٍ

وَكَيْفَ يُدْرِكُ فِيهِ الدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ

قَوْمٌ نِيَامٌ تَسْلَوْنَ عَنْهُ بِالْحُلُمِ

فَمَبْلُغُ الْعِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ

وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ

أَكْرَمُ بِخَلْقِ نَبِيٍّ زَانَهُ خُلُقٍ

بِالْحُسْنِ مُشْتَمِلٌ بِالْبِشْرِ مُتَّصِمٌ

كَالزَّهْرِ فِي تَرَفٍ ، وَالْبَذْرِ فِي شَرَفٍ

وَالْبَحْرِ فِي كَرَمٍ ، وَالْدَّهْرِ فِي هِمَمٍ

صحبة عن سيرة الرسول الأعظم

سماعة الأستاذ
مبشر الطريزي الحسيني

١٠

تجتمع قريش فحضر اليه أبو جهل بن هشام ، عدوه اللدود فحدث له عن حادث الاسراء والمعراج الذي وقع له في الليلة الماضية .. فنادى أبو جهل : يا بني كعب بن لؤي هلموا ! فاقبل عليه كفار قريش فلما أخبرهم الرسول - صلى الله عليه وسلم الخبر ، صاروا بين مصفق وواضع يده على رأسه ، وكان ذلك تعجبا وانكارا منهم لذلك الحادث العظيم الخارق للعادة ، حيث قالوا :

« والله ان العير تنطرد شهرا من مكة الى الشام مدبرة وشهرا مقبلة ، افيذهب محمد في ليلة واحدة ويرجع ؟ »

حتى أن بعضا من ضعاف الايمان ارتد .. كما سعى رجال الى أبي بكر - رضى الله عنه - وحدثوا له الحادث استطلاعا لرأيه .. فقال : ان كان رسول

عندها جنة المأوى .. اذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طفى لقد رأى من آيات ربه الكبرى » الآية ٧ - ١٨ من سورة النجم ..

نعم : أثبتنا المدعى بالاستنباط عن هذه الآيات أيضا بعد ما فسرناها اعتمادا على رأى جماعة من المفسرين ..

وها نحن القاء لضوء جديد على الموضوع ، لمزيد افادة القراء الأعزاء نقول :

ومما يدل على أن حادث الاسراء والمعراج كان في اليقظة وبالروح والجسد معا .. وقوع المارة والمجادلة ضده ، كما يشير اليه قوله - تعالى : « أفتمارونه على ما يرى » .. ضمن تلك الآيات .

فان التاريخ يروى لنا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما أصبح ذهب المارحيث

لقد قلنا في القسم التاسع من هذه الصحبة : ان حادث الاسراء والمعراج كان في اليقظة وبالروح والجسد على ما وصل اليه تحقيق المحققين من السلف والخلف ، ولم يكن في النوم حلما ولا بالروح فحسب كما ظنه البعض ، وأثبتناه بالوجوه الثلاثة التي استنبطناها من قوله تعالى :

« سبحان الذي أسمى بعبدہ ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لئله من آياتنا انه هو السميع البصير » الآية ١ الاسراء .

ثم أثبتناه بقوله - عز وجل - « ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين او أدنى فاوحى الى عبده ما اوحى ما كذب الفؤاد ما رأى افتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى ،

الله قال ذلك لقد صدق ! قالوا:
أتصدق على ذلك ؟ قال : انى
لأصدقك على أبعد من ذلك !! ..
وأشار أبو بكر - رضى الله عنه -
ضمن قوله لهم الى نزول جبريل
بالوحي وعروجه فى وقت وآخر
فمن آمن بهذا فانه يصدق بحادث
الاسراء والمعراج بالطريق الأولى .

ولكن الكفار داموا فى
مماراتهم ومجادلتهم حتى قاموا
يمتنحون رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - حيث سألوه
وصف بيت المقدس بحضور
رجال راوه .. أما رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - فلم يكن
رآه قبل ذلك .. ومع ذلك فانه
كان يصفه لهم بابا بابا وموضعا
موضعا ، بنصرة الله له فى سبيل
اثبات الحق .. فقال الكفار :
أما الوصف فقد أصاب .. ثم
قالوا فأخبرنا عن غيرنا - وكان
لهم غير « قافلة » قادمة من
الشام - فأجابهم رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - قائلا :

« تقدم يوم كذا مع طلوع
الشمس يتقدمها جمل أورك » .
فخرج الكفار ذلك اليوم نحو
الثنية خارج مكة بكل حرص
ليعلموا ما أخبرهم به الرسول
محمد .. ولم يمض وقت من
انتظارهم حتى قال قائل منهم :
هذه والله الشمس قد أشرقت !
فقال آخر : وهذه والله العير
قد أقبلت يتقدمها جمل أورك
كما قال محمد !

وفى نتيجة ذلك تاب من
ولكن الكفار وفيهم

أبو جهل وغيره من صناديد
قريش لم يزداهم ذلك الا كبرا
وعنادا .. فقالوا هذا سحر
مبين .. قوله العاجز عن
المقاومة بالحجة .

والفرض من رواية التاريخ ان
دهشة الكفار عند سماع حادث
الاسراء والمعراج عن رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - وانكارهم
له ، ومماراتهم ومجادلتهم
وقيامهم بالامتحان .. انما كان
يتبنى على ان حادث الاسراء
والمعراج الذى أخبرهم به محمد
كان فى اليقظة وبالروح
والجسد معا ، ولم يكن فى النوم
أو بالروح فحسب .. والالما
دهشوا وما أنكروه وما جادلوه
فيه ، لأن الانسان - وحتى
الرجل العادى ولو لم يكن
نبيا - يرى فى نومه كثيرا
من الأمور الخارقة للعادة
ثم حينما يروى للناس ما رآه
لا تأخذهم دهشة مهما كان المرئى
أمرا خارقا وخارجا عن تصورهم
لأنهم يعدونه أمرا عاديا ، فلا
ينكرونه ولا يمتارون فيه .

هذا .. مع أن نص ما جرى
من الامتحان من جانب الكفار .
ونص ما جرى من الجواب من
قبل رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - دليل تاريخى واضح فى
أن الحادث كان فى اليقظة
وبالروح والجسد معا .

وان مما اتفق عليه الباحثون
أنه لا يمكن انكار ما ثبت بالتاريخ
والا لبطل التاريخ فى الدلالة
على شيء .

ومما يدل على ذلك

ومما يدل على ذلك - أى على
أن حادث الاسراء والمعراج كان

فى اليقظة وبالجسد والروح
معا - ما ثبت فى ضمن الأحاديث
الصحيحة من أن الله سبحانه
قد فرض الصلوات الخمس
(بعد التخفيف عن خمسين
صلاة) فى حادث الاسراء
والمعراج فى تلك الليلة .

ومن المعلوم أن الصلاة ركن
من أركان الاسلام وانها اعظم
شئ يتقرب به العبد الى ربه عز
وجل ..

وانها فارق بين الايمان والكفر
وهذا متفق عليه بين الأمة
المحمدية .

فهل يجوز أن يقال ان ذلك
انما كان فى حلم من أحلام
محمد - صلى الله عليه وسلم - ؟
ولعمري أنه قول لا يتفق
ومنطوق العقل الانسانى ..
والضمير البشرى !

اذن .. ان حادث الاسراء
والمعراج الذى فرضت فى ضمنه
الصلوات الخمس (أو الركن
الثانى من أركان الاسلام
الخمس) كان فى اليقظة
وبالجسد والروح معا .

هذا .. وقد أفاد العلامة
القسطلانى فى « المواهب اللدنية »
أن الحكمة فى تخصيص فرض
الصلاة بليلة الاسراء والمعراج انه

- صلى الله عليه وسلم - لما عرج
به الى السموات رأى الملائكة
فى حالات متعددة يعبدون الله
سبحانه ، فمنهم القائم فلا يقعد
والراكع فلا يسجد . والساجد
فلا يقعد عن السجود . فجمع
الله تعالى له ولأمته (فى فرض
الصلوات الخمس) تلك العبادات
كلها فى ركعة بصلاتها عباده
المؤمنون . وكان ذلك فضلا منه
ورحمته .

أقول : أن الصلاة معراج المؤمن ، فإنه حينما يصلي ينقطع عما في الأرض ويقول الله أكبر ! ويترك ما سواه خلفه ظهريا .
وذلك بإشارة من رفع يديه ثم يتوجه الى الله - عز وجل - بقلبه وقالبه .
ويحمده ويصفه بما هو أهله ، وبهذا يرتقى من مقام القيبة الى مقام الخطاب حيث يقول « اياك نعبد وإياك نستعين » .
ثم يتقدم بطلبه الى الله (وكأنه في عروج الى السماء) ألا وهو الثبات على الصراط المستقيم الذي اهتدى اليه ، وهذا أيضا مما يتناسب لغرض الصلوات الخمس ليلة الاسراء والمعراج فكان الصلاة معراج المؤمن وهو في أقرب ما يكون الى الله .
كما في الحديث .

ان حادث الاسراء والمعراج معجزة

والحق أن حادث الاسراء والمعراج معجزة من المعجزات التي أحدثها الله العلي القدير على يدى نبيه ورسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - فان من طبيعة المعجزة أن تكون خارقة للعادة ، خارجة عن تصور الانسان لتكون دليلا على أنها من عند الله وهو على كل شيء قدير .
وعلى أن صاحبها على حق وصدق في نبوته ورسالته .
وهكذا كان شأن معجزة الاسراء والمعراج في خرقها للعادة وخروجها عن تصور الانسان ولكن العاقل

إذا تفكر فيها وهو يؤمن بقدره الله العلي القدير .. لا يلبث ألا وهو يؤمن بوقوعها .

ان هنالك معجزات وقعت بقدره الله - سبحانه - على أيدي الأنبياء والمرسلين كإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم .. تلك المعجزات التي نقلتها الكتب السماوية وروتها أدوار التاريخ فتلقاها العالم الانساني بالتصديق ولو بعد جدال انتهى الى الزوال .

ان الله سبحانه جعل الجبال والطير يسبحن مع داود نبيه اذا سبح ويرجعن معه اذا رجع كما أن له الحديد فكان في يده كالشمع أو العجين يعمل منه دروعا سابقات كواهل واسعات بدون استعمال نار ولا ضرب مطرقة .. وقد أخبر الله به في كتابه (القرآن) حيث قال :

« ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير ، وألنا له الحديد ، أن يعمل سابقات وقدّر في السرد وأعملوا صالحا اني بما تعملون بصير » الآية ١٠-١١ سورة سبأ .

وسخر الله سبحانه الريح لنبيه سليمان وجعلها تحت أمره فكانت تحمل سليمان ورجاله وحاشيته كلما يريد السفر من قطر الى قطر ، غلبها مسجرة شهر ورواحها مسيرة شهر للراكب المسرع في مسيره ... مثلا : تفدو به من دمشق فتصل به اصطخر بفارس وقت القيولة وبينهما مسيرة شهر .. وتروح به من اصطخر فتصل به كابل وقت البيوتة وبينهما مسيرة شهر .. ويقال كان سليمان يتفدى بالرى ويتعشى بسمرقند

هذا .. كما أسأل الله سليمان معدن النحاس الذي كان لا يذوب قبل ذلك فكان النحاس يسيل الى حيث يريد سليمان في كل شهر ثلاثة أيام لسد حاجته منه ، كما يسيل الماء .

كما سخر الله - عز وجل - الجن والشياطين لسليمان .. يعملون له كبناء وغواص وناقل مواد البناء من كل نوع .. ويعملون له ما يريد من مساجد وأماكن وقصور ، وقد بنوا له قصورا وحصونا عجيبة من الصخر باليمن .. وكان من عملهم له بناء بيت المقدس (بعد ما بنى داود أساسه ثم توفى) وكرسى سليمان والمسجد الأقصى .. كما كانوا يعملون له تماثيل للسباع والطيور .. وقصاعا كالحياض في كبرها .. وقدورا راسيات لا تنقل لعظمتها ، وكل قصعة يجلس حولها للطعام ألف رجل .. وقد أخبر الله به في كتابه - القرآن - حيث قال :

« وسليمان الريح غنوها شهر ورواحها شهر ، وأسلنا له عين القطر . ومن الجن من يعمل بين يديه بأذن ربه . ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير . يعملون له ما يشاء من محارِب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات . أعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور » .

الآية ١٢ - ١٣ من سورة سبأ .

فاذا كانت سرعة سير الريح سليمان ورجاله الى ذلك الحد

بتسخير من عند الله وقدرته سبحانه ، فلا مجال للشك أو التردد أو المساراة فى سرعة البراق المبعوث من عند الله فى الاسراء والمعراج بمحمد - صلى الله عليه وسلم - حتى يتم فى وقت قليل من الليل .

وإذا كان فى العهد الأول للاسلام من ينكر ذلك الحادث العظيم او يتردد فى قبوله وتصديقه فلا مجال للانكار أو التردد فى عصرنا هذا .. فقد تقدم فيه العلم الى حد كبير .. واستطاع عزو الفضاء والوصول الى القمر والزمرة .. والبوران حول الأرض .

ذلك لأن الله الحكيم خلق رجالا اخترعوا أجهزة الإنطلاق الى الفضاء بسرعة فائقة ، وخلق رجالا آخرين قاموا بهمة الإنطلاق وكان هذا تنفيذا من عند الله سبحانه لما وعده به عباده فى عالم البشرية حيث قال : « سترهم آياتنا فى الأفق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » الآية ٥٣ - فصلت .

« وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها ، وما ربك بغافل عما تعملون » الآية ٩٣ - النحل .

وهذا شيء علمى مادى عادى والفرض منه معرفة الله خالق هذا الكون العظيم الذى يتضمن على أسرار الخليفة وعجائب

الطبيعة ، كما تنص عليه الآيات .

وأما ذلك (أى تسخير الريح لسليمان فى أسفاره ، وتسخير البراق لمحمد فى أسرائه ومعراجه) فإنما هو شيء سماوى روحى خارق للعادة ، لا يتوقف على العلم ولا يحتاج الى الأجهزة الاختراعية .. والفرض منه اظهار المعجزة تأييدا لصاحبها فى دعوى النبوة والرسالة من عند الله سبحانه ، وتصديقا له فى دعوة عالم الانسانية الى ماهو الحق ، وإلى ما فيه مصلحته

فى شئون حياته فى الدنيا والاخرة .

فكما أن الأول لم يعد بعيدا عن العقل .. بل وقع فعلا أمام أعين العالم وسماعه ، حيث قال تصديقه واليقين به .. فذلك الثانى لم يعد بعيدا عن العقل - ولا سيما العقل العصرى - بل وقع كما أخبر به الله سبحانه واعترف به التاريخ البشرى فى فى أدواره .. وماذا بعد الحق الا الضلال .

للبحث بقية

الإيمان أفضل العمل

عن أبى هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل : أى العمل أفضل ؟ فقال :

« إيمان بالله ورسوله ، قيل ثم ماذا ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله ، قيل ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور »

(حديث شريف)

محبة الأخ لأخيه من الإيمان

عن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

(حديث شريف)

بالمجاهد تمحّن الاسم وتختبر العزائم

تفضيلة الشيخ ابراهيم ملاحوم

وتبيننا صلى الله عليه وسلم
ضرب في حياته للمؤمنين أحسن
الأمثلة في الكفاح والجهاد فقد
عاش حياته مجاهدا لا يبالي بما
يصيبه في سبيل دعوة الحق
والخير التي القيت اليه من السماء
مقابلها ، والصحابة رضي الله
عنهم كان لهم في رسول الله أسوة
حسنة ، فكانوا يجاهدون في الله
حق جهاده ، وكذلك جاهد المؤمنون
في العصور الإسلامية المتتالية ،
وما كانوا يجاهدون الا لاحقاق
الحق ، وإبطال الباطل عاملين على
صد كل عدوان ، ورد كل طغيان
وتأمين دعوة الاسلام ، ولهذا أمدحهم
الله بقوته ، وأبدعهم بنصره (وما
النصر الا من عند الله العزيز
الحكيم)

فليكن لنا من أمجاد ماضينا
ما يحفز هممنا في حاضرا ،
ولنستيقظ من رقدتنا ولنتنبه
من غفلتنا ، فلو ترك العرب ليناموا
كما حدث في بعض الأزمنة الماضية
ما ظهر ما ظهر من رجال ولا عرف
ما عرف من أبطال ، يسجل لهم
التاريخ صفحات مشرقة كلها أعمال
جليلة ومواقف خالدة •

ومن سنة الله تعالى أن يوجد
الظروف الملائمة التي تربي الرجال
وتنشئ الأبطال ، ولقد مرّب
بالمسلمين قبل الهجرة ظروف
عصيبة تعرضوا فيها لأشدّ امتحان
وأقساء ، ولكنهم اجتازوه بنجاح ،
ونالوا من ورائه الفوز والفلاح ،
ولما شكوا بعضهم من شدة ما يعاني
من ظلم الظالمين وطغيان الطاغين
أشار اليه الرسول الكريم بالصبر
والتحمل والاعتصام بالايمان ،
وانزل الله قوله (الم أحسب الناس
أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا
يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم
فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن
الكاذبين)

ان الايمان الحق انها يتجلّى في أروع صوره ، وأوضح حقايقه في
البأساء والضراء وحين البأس ، عندما يحتدم القتال ، ويتصاول
الرجال ، ويحمى وطيس المعارك ، فهنا تظهر الرجولة ، وتتجلّى
البطولة ، وينظر الله بعين رضاه الى عباده المؤمنين به المجاهدين في
سبيله ، الموقنين بأن القوة له ، والواقفين بأن النصر من عنده ولعل
من الحكم السامية التي من أجلها شرع الله الجهاد أن تمحّن أن تمحّن به
الهمم ، وتختبر العزائم ، ويعرف كل امرئ نفسه ، ويظهر كل
انسان على حقيقته ، فاما المؤمنون الصادقون فيقدمون ولا يحجمون
ويكرونها ولا يفرون ، ويلزمون العمل بقوله تعالى (يا أيها الذين
آمنا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون)

ولقد شاء الله وهو الحكيم فيما
يشاء أن يكون العرب في جميع
عصور التاريخ أمة مجاهدة تحمل
رسالة الله وتذود عن دين الله،
باذلة في سبيله الأرواح والدماء
والأموال والأبناء ، وقد وهب
الانسان العربي من الشجاعة
الفطرية ما لم يوهب مثله احد من
أبناء الأمم الأخرى ، وزاده الايمان
بالله شجاعة واقدا و رغبة في
التضحية ، وحبا في الموت ، وطلبا
للشهادة ، حتى قال خالد بن الوليد
رضي الله عنه ، في كتابه الى قائد
جيوش الفرس قبل أن يبدأ
بالقتال •• لقد جئتكم برجال
يحرصون على الموت أكثر مما
تحرصون أنتم على الحياة

واما الضعفاء المتخاذلون فانهم
عندما يشتد الكر والفر يجبنون
ويذلون ، ويهنون ويستكينون ، وقد
يلتمسون حماية الأعداء ، ويتخذون
الكفار أولياء ، فالاسلام منهم براء
ان الاسلام صدق وصبر ، وكفاح
وجهاد ، وما كان لأمة ذات تاريخ
عظيم كأمة العرب أن تخلد الى
الأرض ، وتبيع الهوى ، وتفضل
الراحة والدعة ، والاستمتاع بالدنيا
قاعدة مع القاعد ، مستسلمة مع
المستسلمين ، فان القعود
والاستسلام يسقط هيبتها ،
ويضعف شوكتها ، ويجعلها مطعما
للظالمين ، وفريسة للمفترسين
وكان الصديق رضي الله عنه يقول
(ماترك قوم الجهاد في سبيل
الله الا ذلوا)

فالشدائد والمحن تظهر دائما
 ايمان المؤمنين ، و يقين الموقنين ،
 كما انها تكشف عن تحـاذل
 المتخاذلين ، واستكانة المستكينين
 أولئك الذين يقول الله فى شأنهم
**(ومن الناس من يقول آمنا بالله
 فاذا أؤذى فى الله جعل
 فتنة الناس كعذاب الله)** ويقول
 فى شأنهم ايضا ٠٠ **(ومن الناس
 من يعبد الله على حرف فان اصابه
 خير اطمان به وان اصابته فتنة
 انقلب على وجهه خسر الدنيا
 والاخرة ذلك هو الخسران المبين)**
 وما ازوع الحقيقة الواضحة فى
 قول الله عزوجل ٠٠ **(ماكان الله
 ليذر المؤمنين على ماأنتم عليهحتى
 يميز الخبيث من الطيب)** فالخبيث
 من ضعف وجبن ورضى بالهوان ،
 وحالف أولياء الشيطان ، والطيب
 من كافح مع المكافحين ، وناضل
 مع المناضلين ، وسلك سبيل
 المؤمنين أولئك الذين يعدم الله
 أحسن وعد فى قوله تعالى (فالذين
 هاجروا واخرجوا من ديارهم واؤثروا
 فى سبيلى وقتلوا وقتلوا لاآفرن
 عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات
 تجري من تحتها الأنهار ثوابا من
 عندالله والله عنده حسن الثواب)

وان مما علمناه من هدى ديننا
 وما اكتسبناه من سيرة نبينا
 وأصحابه الكرام ، أننا اذا لقينا
 عدونا والتحمنا به ، لانبألى أو قعنا
 على الموت أم وقع علينا الموت ،
 فشعارنا فى كل معاركنا مع
 أعدائنا وان كثرت أعدادهم
 وأسلحتهم ٠٠ احرص على الموت
 توهب لك الحياة ، فالحياة التى
 توهب لنا ان كانت دنيوية فهى
 عريضة كريمة ، لاندل فيها مخلوق

ولا نخضع فيها لأمة من الأمم
 تريد أن تتحكم فينا ، وفى أقدارنا
 وفى مصائرنا ومقدراتنا ، وانما
 نخضع ونخضع لخالقنا وبارئنا
 الذى يجبر ولا يجار عليه ، أما
 اذا كانت الأخرى فاستشهد منا
 من استشهد فى ساحة القتال
 والنضال فان المؤمن يحكم ايمانه
 اذا مات فى المعركة ، وسالت فيها
 دماؤه يجد عند الله حياة فوق
 ما يتصور البشر ، فيها منالرفعة
 والكرامة مالا توزن به الدنيا بأسرها
 فعن جابر بن عبد الله رضى الله
 عنهما قال : لما قتل عبد الله بن
 عمرو بن حرام يوم أحد ، قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 يا جابر ، ألا أخبرك ما قال الله
 لأبيك ، قلت بلى : قال : ما كلم
 الله احدا الا من وراء حجاب ،
 وكلم أباك كفاحا ، فقال : يا عبد
 الله ، تمن على أعطك ، قال : يارب
 تحيينى فأقتل فيك ثانية ، قال :
 انه سبق منى أنهم اليها لا يرجعون
 قال : يارب : فأبلغ من ورأى ،
 فانزل الله هذه الآية (ولا تحسبن
 الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا
 بل احياء عند ربهم يرزقون ،
 فرحين بما آتاهم الله من فضله
 ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم
 من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم
 يحزنون ، يستبشرون بنعمة من
 الله وفضل وأن الله لا يضيع
 أجر المؤمنين

ومما هدانا اليه ديننا القيم الا
 نأمن مكر العدو ، ولاخيشه وغدره
 وان نعد للامر عدته وناخذ له
 أهنته ، بحيث نكون فى مستوى
 من القوة يجعلنا قادرين على رد
 عدونا عنا ، وقهره وخذلانه ، بكل
 ما نملك من بأس وعزيمة وايمان ،
 وتنمية لمواردنا ، وتوفير لانتاجنا
 واستخراج لكنوز أرضنا وتقجير
 لمنتجات الثروة فى بلادنا وبما نكون

من جيوش ، وما نوفر من اسلحة
 وذخائر تعمل فى البر والبحر ،
 وفى الجو والفضاء نعد لها ليوم
 اللقاء ، وساعة الجهاد والجلاد ،
 قاله تعالى يقول :

**(وأعدوا لهم ما استطعتم من
 قوة ومن رباط الخيل ترهبون
 به عدو الله وعدوكم وآخرين من
 دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم
 وما تنفقوا من شئ فى سبيل الله
 يوف اليكم وأنتم لاتنقلون)**

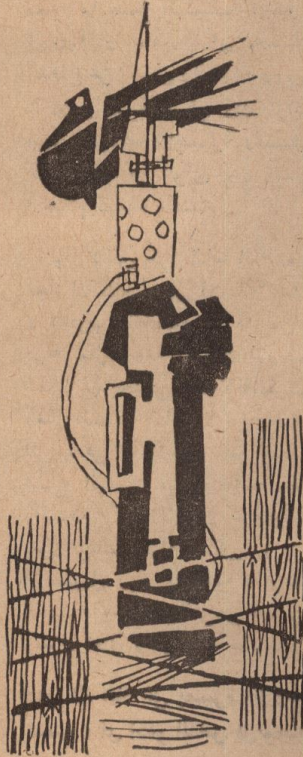
والقوة التى نملكها وبفقدنا
 عدونا ، نملكها فتزلزل الجبال ،
 وتقطع أعناق الرجال وتبديد جحافل
 العدو وحشوده وجموعه ، وتحقق
 لنا النصر فى أقدس ميدان ،
 والغزو فى أشرف معركة ، هى قوة
 الايمان بالله ربنا ، وقوة الثقة
 بالله خالقنا ، فهو القادر على أن
 يزلزل الأعداء ، وأن يعذبهم عذابا
 شديدا بأيدينا وان
 يهينهم ويذلهم لنا وان ينصرنا عليهم
 نصرا تسمع به الآفاق ، وتحدث
 به الأجيال جيلا بعد جيل ، وان
 يشفى صدورنا مما بها من غل
 وحقد وغيظ لعدوانهم علينا ،
 وكفرهم وضلالهم . يقول تعالى :
 (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم
 ويخزهم وينصركم عليهم ويشف
 صدور قوم مؤمنين ، ويذهب غيظ
 قلوبهم ويتوب الله على من يشاء
 والله عليم حكيم)

ولقد هدانا الاسلام فيما هدانا
 إليه ، ألا نهن فى طلب العدو ،
 ولا تضعف فى مجادلته ، وانزال
 الخسائر به ، ولا نبألى بما يصيبنا
 من جراح ، أو تقدم من ضحايا
 فان الحرب لابد فيها من تضحية
 وفداء ولابد فيها من نصر
 وهزيمة ، فان الما فقد ألم عدونا
 وان مسنا قرح فقد مس الأعداء

القرآن

يعلمنا آداب اللقاء في الحروب

فضيلة الشيخ
عبد الوهاب محمد السكّات



قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون واطيعوا الله ورسوله • ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين : ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط ، واذا زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انى برىء منكم انى ارى ما لا ترون انى اخاف الله والله شديد العقاب : اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض عر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم) صدق الله العظيم •

الجهاد ضربة الدم لافرق بين الجهاد لحماية الدين والجهاد لحماية الوطن من عدو يحاول ان يتسلط علينا ليقتضى على ديننا ويضعف من أخلاقنا ويفتصب

قرح مثله ، الا ان لنا عند الله رجاء ، ولا رجاء لهم ، فنحن نرجو من الله نصرا وعزا واکراما فى دنيانا ، ونعيما فى اخرانا ، واعدائنا لكفرهم بالله لا يرجون منه املا حسنا يقول تعالى : (ولا تهنوا فى ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم ياللمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما) •

فحين نهم بالكرة على الباغين علينا الذين اخذهم الغرور بخيلهم ورجلهم ، وسلاحهم وعتادهم فى البر والبحر والجو واعتمدوا على قوتهم ، وارادوا ان يقهرونا ، وان يواصلوا خطتهم الاجرامية فى اغتصاب ديارنا واطنانا فاننا نلقاهم معتمدين على ربنا الذى لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، فهو القاهر ، بذل كبرياءهم ويمزق شملهم ويفرق جمعهم ، فقد اجتمعوا على الباطل ، ولكننا اجتمعنا على الحق ، والله يقول (بل نكاف بالحق على الباطل فيدفعه فاذا هوزاهق اننا لاندافع الا عن حق ، ولا ندرا الا باطلا ، فقضيتنا عادلة ، يعرفها العالم الانسانى وينتصر له الضمير العالى اذ اننا نريد لانفسنا ولغيرنا امنا وسلاما ، ووفاء ووثاقا • واننا حين تلجنا الظروف العصبية الى التضحية فى سبيل الله والوطن فاننا نصحى بكل ما نملك صابرين محتسبين ابلى ما يكون الصبر والاحتساب ، ولئن تزيدنا الاحداث والمحن الا ايماننا على ايمان ويقينا على يقين ، وصمودا فى الشدائد وثباتا فى المخطوب والنوازل ، فذاك شأن المؤمنين الصادقين فى ايمانهم ، الذين اثنى الله عليهم بقوله تعالى (والصابرين فى الباس والضراء وحين الباس أولئك الذين صوفوا وأولئك المتقون) •

أرضنا ويستأثر بخيرات بلادنا
فتجن في صراعنا مع هؤلاء وأمثالهم
مكلفون جميعا أن نجاهدهم
بكل أنواع الجهاد وبشتى أنواع
الأسلحة حتى يجلو عن ديارنا .
لا فرق فينا بين غنى وفقير وعالم
وجاهل كل بحسب وسعه وطاقته
ومن شأن الأمة المؤمنة التي تريد
لنفسها العزة والكرامة أن تكون
مستعدة لمكافحة عدوها ومحاطة
بأسباب القوة من كل جهة لحماية
نفسها من كيد عدوها وما قد
يلحقه بها من العدوان والاضرار ،
والخلفاء الراشدون ما تركوا
الجهاد طرفة عين لذلك خافهم
أعداؤهم واستقر أمرهم وانتشروا
الله .

قال تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين)

وقال تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز) .

قال ابن عباس في معنى الآية
.. لولا دفع الله العدو بجنود
المسلمين لغلّب المشركون فقتلوا
المؤمنين وخرّبوا البلاد والمساجد

وورد عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه قال (إن الله يدفع
العذاب بمن يصلي عن لا يصلي ومن
يزكي عن لا يزكي ومن يصوم
عن لا يصوم . ومن يحج عن لا يحج
ومن يجاهد عن لا يجاهد
ولو اجتمعوا على ترك هذه الأشياء
ما أنظرهم الله طرفة عين . ثم
تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم
الآية (ولولا دفع الله الناس

بعضهم بعض لفسدت الأرض
الآية .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه
قال (إن الله ملائكة تنادي كل يوم
.. لولا عباد ربي . وأطفال رضع
وبهائم رتع لصب عليكم العذاب
صبا) .

وقيل في معنى الآية أن الدفع
بما شرع الله على السنة الرسل من
الشرائع والأحكام التي من شأنها
أن توقف تيار الشر والفساد ولولا
ذلك لتسالب الناس وتناهىوا
وهلكوا .. ولكن الله ذو فضل
على العالمين حيث قبض المؤمنين
لدفع شر الكافرين والمعتدين وإذا
كانت الحروب في طباع الناس
فغاية ما تطمح إليه البشرية
الراقية أن تحصرها في نطاق
الدفاع عن النفس والعقيدة وحرية
الرأى وحماية الوطن وأن تراعى
فيها الحرمات الإنسانية رعاية
كاملة وهذا هو الرأى الذى أقره
الاسلام لحفظ السلام

وإن الذى يقرأ كتاب الله تعالى
يجد أن الأصل فى الاسلام السلام
لا الحرب والخصام .. والمعنى فى
قوله تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة
للعالمين) يجذفى هذه الآية الكريمة
معنى انسانيا ساميا لا يدع مجالا
للرب فى أن الاسلام إنما جاء
ليمنح البشرية الاخوة والحب
والسلام وكيف لا يكون كذلك والله
يقول لرسوله الكريم (ادع
الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)
ويقول تعالى (قل هذه سبيلي ،

**ادعوا الى الله على بصيرة أنا ومن
اتبعتنى) أى ادعوا الناس الى توحيد
الله وعبادته بحجة واضحة
لاغموض فيها ولا التواء والمتبع**

**لحروب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وحروب اصحابه من بعده
يرى أن هذه الحروب لم يبدأها
الاسلام وانما بدأها أعداؤه
بعدوانهم المسلح على دعوته
السلمية .. ولهذا كان الحرب
فى الاسلام ضرورة تقدر بقدرها ..
وكانت عقوبته تزول بزوال
الجريمة التى استوجبتها (وأن
جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل
على الله) .**

ومع هذا فاننا لم نجد حروبا
جمعت بين الفضيلة والعدالة
والكرامة الانسانية مع القتل
والقتال فى ميدان واحد الاحروب
رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحروب اتباعه من بعده وكان
المسلمون يحاربون لاهد شيئين

**١ - اما لدفع الاعتداء كما قال
تعالى (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا
الله واعلموا ان الله مع المتقين)**

ونهى الله سبحانه وتعالى عن
تجاوز الحد فى الاعتداء فقال
تعالى (وقاتلوا فى سبيل الله
الذين يقاتلونكم ولا تقتلوا ان الله
لا يحب المعتدين)

وأمرنا ان ندفع شر من بجوارنا
أولا فقال تعالى (يا أيها الذين
آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من
الكفار وليجدا فيكم غلظة واعلموا
ان الله مع المتقين)

**٢ - دفع الفتنة فقد كان
المشركون يفتنون الناس عن دينهم
فيمنعونهم من حرية الفكر والعقيدة
فكان القتال من أجل أن ينطلق
العقل من اساره ليرى نور الحق**

لأؤمن أن يفتر عن ذكر ربه خصوصا
في موطن الشدة كما كان يفعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد اعداد العدة للقتال وتسوية
الصفوف • واستعراض الجيش •
فقد اتجه الى الله تعالى في غزوة
بدر قبل بدء المعركة قائلا (اللهم
هذه قرش قد أقبلت بغيا لئلا
تجادلك وتخالف أمرك وتكذب
رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني
به •

وفي غزوة خيبر • وقد كان
اليهود يظنون أن النبي صلى الله
عليه وسلم لا يغزوهم لمعتهم
وحصونهم وسلاحهم وعددهم •
وكانوا يخرجون كل يوم عشرة آلاف
مقاتل صفوا ثم يقولون محمد
يغزوننا هيهات هيهات : فأعد العدة
ونزل بساحتهم ليلا ولما أشرف على
خيبر قال لأصحابه قفوا ثم قال
(اللهم رب السموات السبع وما
أقلت • ورب الأرضين السبع وما
أضلت • ورب الرياح وما ذرت • فأنسا
نسالك خير هذه القرية وخير
أهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من
شر هذه القرية وشر أهلها وشر ما
فيها • ثم قال ادخلوا على بركة
الله وكان هؤلاء اليهود يقومون
كل ليلة قبل الفجر فيلبسون
السلاح ويصفون الكتائب فلما نزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم
بساحتهم لم يتحركوا تك الليلة
ولم يصح لهم ديك حتى طلعت
الشمس فأصبحوا وأفتدتهم تخفق
وفتحوا حصونهم وغدوا الى أعمالهم
معهن المساحي والمكاتل فلما نظروا
المسلمين قالوا محمد والخميس
(الجيش خمسة اقسام) ولولو
هاربين الى حصونهم ورسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول (الله
أكبر خربت خيبر أنا إذا نزلت
بساحة قوم فساء صباح المنذرين

ومن هذه الآداب كما نرى في
الآية الكريمة
أولا - الثبات عند الالتقاء
بالعدو في ميدان القتال ثباتا
يصحبه ايثار راسخ وعقيدة
سلمية لا تززع صاحبها الشدائد
بل تزيده قوة وثباتا • فلا يصح
أن يفر الجنود من الميدان وهم
قليلو العدد اذا التقوا بالعدو
الكثير العدد الا لخدمة من خدع
الحرب ومكايدها وذلك كان يفر
لينضم لطائفة أخرى أهم من الطائفة
الأولى •

أو لينتظم في سلك طائفة من
أصحابه في كمين لينقضوا على
العدو في غفلة منه أو ينضم الى
طائفة أخرى يتقوى بها ثم يقاتل
العدو •

أو يفر مظهرًا أنه منهزم ليفسر
عدوه ويخرجه من بين أعوانه ثم
ينعطف عليه وحده فيقضى عليه •

مثل هذه الاحوال تبیح الفرار
أما من يفر للخوف من العدو
فيعطيه ظهرا فانه يرجع في فراره
بغضب عظيم من الله لا يعلم مقداره
ألا هو وماواه جهنم بدل ما أراد من
فراره وبئس المصير الذي انتهت
اليه حالته جهنم • لأن الفرار
من الزحف من أكبر الكبائر قال
تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا
لقتيم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم
الأدبار • ومن يولهم يومئذ دبره
الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة
فقد باء بغض من الله وماواه جهنم
وبئس المصير) •

ويقول تعالى (قل لن ينفعكم
الفرار أن فررت من الموت أو القتل
واذن لا تمتعون الا قليلا)
وثانيا - أمرهم أن يذكروا الله
تعالى في موطن الحروب فلا يجوز

وليعرف سلامة العقيدة الجديدة
وضلال الشرك وظلام الباطل الذي
خيم عليهم أزمانا متطاولة وكان
سبب تأخرهم وذهاب وحدتهم كما
قال تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون
فتنة ويكون الدين كله لله • • وقد
كان القتال من أجل هذا تلبية
لنداء المستضعفين والمظلومين كما
قال تعالى (وما لكم لا تقاتلون في
سبيل الله والمستضعفين من
الرجال والنساء والولدان الذين
يقولون ربنا أخرنا من هذه
القرية الظالم أهلها واجعل لنا من
لدنك وليا واجعل لنا من لدنك
نصيرا)

ثم ماذا كان يفعل النبي صلى
الله عليه وسلم حيال عدوان قرش
وتدبيرها ضده • • يستكين لهم
ويرضى بفعلهم الدنيء فيقضى على
نفسه وعلى المسلمين من حوله
أغيض عينه عن اتباعه الذين
يعذبون في مكة جزاء استبدالهم
التوحيد بالشرك والهدى بالضلال
(وما نقوا منهم الا أن يؤمنوا
بالله العزيز الحميد الذي له ملك
السموات والأرض) أنه مضطر الى
أن يحاربهم ويلقى القوة بالقوة •
بعد أن صبر طويلا وصفح كثيرا
قال تعالى (كتب عليكم القتال وهو
كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا
وهو خير لكم وعسى أن تحبوا
شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم
لا تعلمون)

ومع سمو هذين الغرضين
الشرعيين اللذين يدفعان المسلمين
الى القتال فقد علمنا الله سبحانه
وتعالى آداب اللقاء في الحروب
لنعمل بها ونلاحظها دائما في جميع
حروبنا حتى يكون النصر على
الأعداء وتدور الدائرة عليهم •

فذكر الله تعالى يمد المحارب
بطاقة من الإيمان والاعتماد على
الله تجعله يندفع في قوة وثبات
فيرهب العدو ويتمكن من قتله أو
أساره .

ولو أن رجلا أقبل من المغرب
إلى المشرق متنقيا أمواله في سبيل
الله . والآخر من المشرق إلى المغرب
ضاربا بسيفه في سبيل الله كان
الذاكر لله أعظم أجرا كما قال تعالى
(والذاكرين الله كثيرا والذاكرات)
وقال تعالى (ولذكر الله أكبر)

فاذا كانت هذه منزلة الذاكر
فكيف تكون منزلته اذا جمع بين
الجهاد في سبيل الله وذكر الله
انها لا شك تكون عظيمة لا يعلم
قدرها الا الله .

وثالثا أمرهم بطاعة الله ورسوله
في سائر ما يأمر به لانه لاجهاد
الامم التمسك بسائر الطاعات
ومعاص الجيش أشد عليه من
عدوه . وفي البخاري عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم (انما
تقاتلون بأعمالكم) وطاعة القائد
وتنفيذ أوامره تجعل الجيش يسير
في اتجاه واحد مهتما بتحقيق
الأهداف وتسيديد الضربات
للاستمرار على الأعداء . ومن أجل
ذلك كانت قرة عين أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم في طاعته
والسارعة إلى تنفيذ أوامره كما
روى عن أنس رضي الله عنه ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال
لأصحابه يوم بدر قوموا إلى جنة
عرضها السموات والأرض .

وفي رواية انه قال (لا يقاتل احد
في هذا اليوم فيقتل صابرا
مختسبا مقيلا غير مدبر الا دخل
الجنة وكان عمير بن الحمام بن
جهموح الانصاري واقفا في الصف
يده تهرات ياكلهن فسمع ذلك
قال يخ يخ ما بيني وبين ان ادخل

الجنة الا ان يقتلني هؤلاء والقي
التمرات من يده وأخذ السيف وهو
يقول

ركضا الى الله بغير زاد
الا التقى وعمل المصاد
والصبر في الله على الجهاد
ان التقى من أعظم السداد
وخير ما قاد الى الرشاد
وكل حي قالى نفاد

ثم قاتل حتى قتل رحمه الله مع
الشهداء والنيبين والصدقيين
وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل
من الله

ولقد كان للنساء دور كبير في
الهاب شعور المسلمين واقدامهم
على الحرب بإيمان صادق وعزيمة
قوية ذكر ابن عبد البر في
الاستيعاب . . ان الخنساء بنت
عمرو السلمية حضرت حرب
القادسية ومعهما بنوها أربعة رجال
فقاتل لهم من أول الليل (يابني
انكم أسلمتم طائعين وهاجرتم
مختارين . والله الذي لا اله
غيره انكم لبنو رجل واحد كما
انكم بنو امرأة واحدة . . ماخنت
أباكم ولا فضحت خالككم ولا هجنت
حسبكم ولا غيرت نسبكم وقد
تعلمون ما أعد الله للمسلمين من
الثواب الجزيل في حرب الكافرين
. . واعلموا ان الدار الباقية خير
من الدار الفانية يقول الله عز وجل
(يا أيها الذين آمنوا اصبروا
وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم
تفلحون)

فاذا أصبحتم غدا ان شاء الله
سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم
مستبصرين وبالله على أعدائكم
مستبصرين فاذا رأيتم الحرب قد
شمرت عن ساقها واضطربت لظي
مساقها فقيموا وطيسها وجالدوا
رئيسها عند احتدام خميسها
تظفروا بالغنم والكرامة في دار

الخلود والمقامة فخرج بنوها
قابليين لنصحتها عازمين على قولها
فلما اضاء لهم الصبح بادروا
مراكزهم وقاتلوا حتى قتلوا فبلغها
الخبر فقالت الحمد لله الذي
شرقني يقتلهم وأرجو ان يجمعني
بهم في مستقر رحمته وكان عمر
رضي الله عنه يعطى للخنساء
رضي الله عنها ارزاق اولادها
الأربعة لكل واحد منهم مائتي درهم
حتى قبض رضي الله عنه . . وهذه
واحدة من كثيرات منهن رضي الله
عن الجميع

ورابعا - نهانا الله تعالى عن
التنازع وانقسام الكلمة . . لان
الخير كل الخير في توحيد
الصفوف وتوحيد الأهداف ولهذا
حرص رسول الله صلى الله عليه
وسلم على توحيد الصفوف حتى في
الوقوف أمام العدو في ساحة
القتال . . فقد كان يعدل صفوف
أصحابه قبل الالتحام بالعدو بسهم
في يده . فمر بسواد بن غزوة
حليف بني النجار وهو خارج من
الصف فطعته بالقدح في بطنه
وقال له استويا سواد فقال
يا رسول الله أوجعني وقد بعثك
الله بالحق وبالعذر فأقذني من
نفسك أي مكني من القصاص من
(نفسك) فكشف رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن نفسه وقال له
استقد (أي اقتص) فاعتنق
رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقبل بطنه الشريف فقال ما حملك
على هذا ياسواد فقال يا رسول الله
حضر ماترى فارتدت ان يكون
آخر عهدي بك ان يمسه جلدي
جلدك فدعا له رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم لما عدل الصفوف
قال لهم ان دنالقوم منكم فادفعوهم
عنكم بالنبل واستبقوا نبلكم
لاترموهم على بعد لان النبل مع

البعد يخطيء ولا تسلوا السيوف
حتى يغشوكم •

وهكذا حرص رسول الله صلى
الله عليه وسلم على الاتحاد وجمع
الكلمة حتى تقوى شوكة
المسلمين وتعظم رابطتهم وتعزى
روحهم المعنوية فبهذا يتحقق سبب
عظيم من أسباب النصر على الأعداء
ولكن التنازع والانقسام من شأنه
أن يضيع الأهداف الواحدة وأن
يوهن القوى ويذهبها وقول الله
تعالى (وتذهب ربكم) تعبير قوى
عما تصل إليه الأمة المتفرقة من
ذهاب رابطتها وروحها المعنوية
التي هي عنصر هام من عناصر
النصر على الأعداء بل هي عنصر
أساسي في التغلب على الأعداء فيفيد
هذا ذهاب الأمة المتفرقة وجعلها
أثرا بعد عين قال تعالى (ولا تكونوا
كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد
ما جاءهم البينات وأولئك لهم
عذاب عظيم)

خامسا - نهانا الله عز وجل
عن أن نكون مغرورين مرآين
بأعمالنا كما فعل أهل مكة في
غزوة بدر حيث وسوس الشيطان
لهم أنهم لا يغلبون ولا يطاقون
فركب الغرور وسهم وشربوا
الخمر وعزفت عليهم القيان
وأطعموا الطعام وأخذوا يهجون
المسلمين ويستخرون منهم مباهين
بقوتهم فدارت الدائرة عليهم
وسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر
وناحت عليهم النوائح مكان المغنيات
التي كانت تقنى بهجاء المسلمين

وهكذا يفعل الغرور بالمحاربين
يفقدون الشخصية المحاربة المنتصرة
التي تقدر العدو وتعلم أن نتيجة
الحرب مجهولة يجب أن يحتاط
لها ويقدر لها قدرها

وقد قال المنافقون ومن في
قلوبهم شك وتردد مستهزئين

بالرسول وأصحابه غر محمد
وأصحابه دينهم • وفاتهم أن من
يتوكل على الله كفاه الله ما أهمه
وهانت عليه الشدائد وقوى إيمانه
وزال خوفه لأنه نعم المولى ونعم
النصير (ليس الله بكاف عبده)
(ويخوفونك بالذين من دونه) وقد
كان رسول الله يعلم أنه على الحق
ولهذا استعد له ودافع عنه واكتفى
بالله في أعانته وآوى إليه بعد
الأخذ بالأسباب امتثالا لأمر الله
وطلبا لتأييده ونصره (ومن يتق
الله يجعل له مخرجا ويرزقه من
حيث لا يحتسب ومن يتوكل على
الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره
قد جعل الله لكل شيء قدرا)

ونحن الآن أحوج مانكون الى
العمل بهذه الأوامر الإلهية الصادرة
ممن يعلم السر وأخفى لتغلب على
أعدائنا ونحفظ كياننا وندفع عن
أنفسنا أخطار هذا العدوان

ولم يكن المسلمون والعرب
أجمعون بحاجة الى التكتل والتعاون
فى يوم ما بأشد من حاجتهم اليها
اليوم وإن العرب لن تقوم لهم قائمة
الا باتحاد قوى يدرأ الخطر عنهم
ويرد كيد الأعداء فى نحورهم إن
أملنا قوى فى النصر إن شاء الله
بعد مؤتمر الخرطوم الذى حدد
الأهداف تجاه العدو الفاشم تجاه
تلك الشرذمة التى توعدها الله
بالتشريد كلما طغوا وبغوا
(والله غالب على أمره) وصدق وعده
(ومن أصدق من الله قيلا) •

ولو صمم العرب واستمروا فى
اتحادهم والعمل على نصره حقهم
كما اتحد الغرب على مناصرة اليهود
فى باطلهم لكان النصر وكانت
الغلبة على الأعداء إن شاء الله

انه يجب أن نعمل على خلاص
أنفسنا من آثار هذا العدوان حتى
لاندلغ من جحر مرة أو مرتين

أو مرات لا قدر الله • إن التاريخ
ينادينا أن نصل حاضرنا بماضي
حتى لاتنقطع تلك السلسلة الذهبية
من تاريخ أمجادنا تاريخ العزة
والنخوة العربية التى تأبى الضيم
وإن البشائر تدل على أن العرب
سيثبون وثبة واحدة على الصهاينة
المجرمين بقلوب مؤمنة وعزائم
قوية مخلصين لله قاتمين قومة
رجل واحد واثنين بنصر الله فان
الله مع الصابرين •• طوبى للرجال
المخلصين وشوقا الى المجاهدين
الصادقين الذين يصدقون الله
فيما عاهدوه عليه فيحمون
أنفسهم وعقيدتهم وديارهم
وأوطانهم ومقدساتهم وثرواتهم
وحرياتهم (فلا تهنوا وتدعو الى
السلم)

« ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم
الأعلان أن كنتم مؤمنين »
فالجهد ، الجهاد والاستشهاد
الاستشهاد فى سبيل الله والوطن
(إن الله اشترى من المؤمنين
أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة
يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون
ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة

والانجيل والقرآن ومن أوفى
بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم
الذى بايعتم به وذلك هو الفوز
العظيم) (ولا تحسن الذين قتلوا
فى سبيل الله أموالنا بل أحياء عند
ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم
الله من فضله ويستبشرون
بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم
الا خوف عليهم ولا هم يحزنون)
(إن الله مع الذين اتقوا والذين
هم محسنون)

وفقتنا الله تعالى الى العمل على
حماية مقدساتنا وخلص أوطاننا
والقضاء على أعدائنا أعداء الله
وأعداء الإنسانية جمعاء •

قدمنا تعريفا موجزا لبني اسرائيل ، وابهم - على ما جيلوا عليه من شر وفساد - لا يكون عن دعوى اصطفاء الله اياهم على الناس كافة ، وانهم لذلك شعب الله المختار ، لانهم أبناء يعقوب واسحاق وابراهيم انبياء الله عليهم السلام .. وراينا الانصاف في وزن هذه الدعوة يقتضيها أن نقدم تعريفا بابراهيم عليه السلام فقدمنا - في المقال السابق - تقويمه الفكري والوجداني - على ما جاء في القرآن الكريم ، ووعدنا بتقديم تقويم لرسالته .. رسالته التي مثلها دعوة وثورة على الشر .. ومثلها سجيحة ، وخلقاً ، وعملاً .. وتركها تراثاً انسانياً خالداً ، ليكون ذلك اساساً لوزن ماتدعى فصيلة المسوخين من شرف الانتساب اليه .

على امثل وجه . فقد وجد واجه مجتمعه كله وهو فرد .. واجه طوائفهم وقادتهم .. وناظر ملكهم الاله .. وواجه الشعب في محاكمة جامعة ، فلم يستوحش لقلّة النصير ، وكثرة المخالف الغاضب .. وحكم عليه بالتحريق فلم يزد على أن رأى العقوبة عملاً من عبث الصغار في كون لا عمل فيه الا الله القوى القدير .

١ - ناظر اياه وقومه برفق : « ماتعبدون ؟ قالوا نعبد آلهة فنظّل لها عاكفين ! قال : هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم أو يضرون ؟ » .. ونلاحظ أنه يخاطب فيهم الفكر الخالص ، وينبهه الى بديهتين لايردهما

مثلها الاعلى في الحق والخير الذي نشدد ، والله تعالى هو الحق والخير .. وعلى ضوء هذا الايمان يتبين الشائر ما ينبغي تغييره وما لاينبغي .. ولا بد للداعية الحق - مع الشيوعية والايمان - من اليقين ، ليكون له امتياز القدوة والقائد في نضاعة الحجة ، وحضور البديهة واصالة التقدير لمختلف القيم ، والأشخاص ، والمواقف ، والعواقب ، والقدرة على الامداد والقياس والتصرف في كل حال ..

وتدل المواقف التي احصاها القرآن لابراهيم عليه السلام في الدعوة على أنهما من صنع تلك العناصر الثلاثة ، اذ أتمها له الله

- ٢ -
وقد قدمنا أن شخصيته عليه السلام كانت تنمو على عناصر ثلاثة :

✳ وجدان الثائر ..
✳ وانسانية المؤمن
✳ وعقل المتبصر في اصول العلم والحكمة .. وهو المتبصر الذي بلغ به مرتبة اليقين ..
وتلك الثلاثة هي مقومات الثائر الراشد الحق .. فالثورية هي ارادة التغيير .. ولا نستطيع أن نتصور ثورية صادقة مثل الا اذا صحبها ايمان صادق بالله والا كانت فتنة وصحبا وتخريبا لاوضاع الشعب وقيمته ، فالإيمان بالله هو الذي يرسم لها

منطق ، الأولى : أنه لا يجوز أن يكون المعبود أقل رتبة في الحسن من عابده (هل يسمعونكم اذ تدعون ؟) ويقول الآيه (يا ايت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ؟) . . . والثانية ، أن المعبود يجب أن يكون ذا فاعلية وتأثير في حياة العابد ومصيره فيعنده العابد رجاء نفعه ، ودفعاً لضره ، وذلك اذ يقول لهم « هل ينفونكم أو يضرون ؟ » . . . ومن أسلوبه الحكيم أنه لم يواجههم بسبب آلهتهم بأنها لا تسمع ولا تبصر ، بل سأل مستفسراً ، وحسب الدهن أن ينبهه الى البدهيات ليكون على بينة من أمره . . .

* ونأظر الملك الاله ، فقال الملك : « أنا أحى وأميت » فلم يدخل ابراهيم معه في حوار عقيم ، بل استمد الاجابة من « فعل » الربوبية المائل لذهنه في السماء والأرض تدبيراً وتسخيماً ، فقال : ان كنت لها « فان الله يأتي بالشمس من المشرق ، فأت بها من المغرب » فانقطع الرجل عن الكلام متحيراً دهشاً لا يدري ماذا يجب ، على ما وصفه القرآن به « فهت الذي كفر ، والله لا يهدي القوم الظالمين »

* وكان هذا الاسلوب الحكيم العجيب في حكمة وقوة منطقته جديراً أن يهدي القوم للحق . . . ولكن ماذا يجدى المنطق في مجتمع رئيسه ملك يدعى أنه اله . . . وقادته كهنة يدعون أنهم وسطاء بين الشعب والآلهة ، فتجئى الى هياكلهم ألوان القرايين ومختلف الثمار والثروات ، وتوقف الأوقاف الواسعة باسم الآلهة التي هم وكلاؤها . . . والى

جانب الكهنة الوزراء ورجال الدولة وأرباب المناصب ، وبقاؤهم جميعاً في مناصبهم مرتبط بالوضع الذي يقدره الملك والآلهة . . . وليس من منطق المصلحة الحسية أن يستجيب أو يستمع أحد هؤلاء الى كلمة واحدة مما يدعوا اليه ابراهيم من نبذ الآلهة وعبادة الله الحق . . .

ذلك الى أن الشعب قد ورث قداسة هذا الوضع والتسليم به منذ قرون وأجيال ، ولتيسار العادة سلطانه على القلوب والعقول ، فلا يطيق الرجل العادى أن يسمع كلمة واحدة تمس هذه القداسة ، وتنتع الآباء الأولين بأنهم كانوا في ضلال مبين ، وفيهم قديسون رسمت التماثيل لعبادتهم . . . ثم هو - أى الشعب يجد ملكه وقادته يقومون في معارضة تلك الدعوة ، فيحمد لهم هذا الموقف ويزيده ذلك ايماناً بآلهته على ايمان . . .

* وكان من الطبيعي أن تمتد الدعوة سنينا بعد سنين الى عشرات السنين دون جدوى ، فتلع انثوية في ضمير ابراهيم عليه السلام أن يفعل شيئاً يهز به جمود الموقف ، ويحرك به المنطق الراكس في الأذهان ، وهداه تفكيره أن يكسر الأصنام - لا طيشاً ولا حقاً في ثورة غضب - بل لينبّه أذهانهم عملياً الى أن الاله الذي لا يستطيع أن يدفع عن نفسه اله باطل لا يستحق أن يعبد . . .

واكتشف القوم كسر أصنامهم وهاجوا وماجوا وقرروا محاكمته على أعين الناس . . . سألوه قري

المحاكمة الشعبية الجسامعة ، فالتقى الشعب - ساخرين - على كبير الأصنام ، فهو الذي كسرها وبلغ القمة في سخريته وتدبيره اذ طلب سؤال الآلهة لتأييد قوله . . . انه لم يخرج عن قاعدته في مناظرتهم ، ليس الآلهة ذوى إيجاب واقتدار في تقدير الأمور وتقريرها ؟ . . . اذا ، فمخ يجرؤ أن يمس حرماً بأى أذى الا كبيرهم الذي يملك عليهم الإيجابية والاقتدار ؟ . . . وما داموا ذوى إيجابية فايسر مداهم فيها أن يقرروا ادانة كبيرهم في ذلك أو براءته ؟ . . .

لقد آتاهم من وجهة نظرهم فماذا فعل المنطق الجارف بهاء . . . انها وجهة لم يصنعها العقل ، بل صنعتها لهم أهواؤهم ومصالحهم ومجرد المتابعة لعرف سابق ، وليس شيء من ذلك منطقاً يدعن له العقل ، ان هو الا حجاب أو غشاوة تعزل المرء الى حين عن وصاية العقل ، فما هو الا أن دهمهم الارتباك فجأة بقوة المنطق الجارف حتى انحسرت الغشاوة عن الأذهان ، وسطع النور على أفئدتهم ، ونظر بعضهم الى بعض - في دهشة المفاجأة - نظر اعتراف بخطئهم ، وبصور القرآن تلك الحالة بقوله : « فرجعوا الى أنفسهم ، فقالوا : انكم أنتم الظالمون » . . . ولكنهم ما لبثوا أن تماسكوا مع الدهشة واجتمعت لهم قوتهم فتركوا على رؤوسهم يجادلونه بالباطل فتحول من أسلوب السخرية الى التبكيت الجاد : « أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم ؟ . . . أفلا تعقلون ؟ »

« اتعبدون ما تنحتون ؟ » ٢٠
وزلزلوا لهذا المنطق ، وخشوا -
لو استثمروا فى المخاكمة - أن
يأتيهم المزيد منه على عين العامة ،
فظوؤها مريعا مصطنعين الغيرة
أمامهم على الآلهة ، وأصدروا
الحكم بتحريقه « حرقوه وانصروا
آلهتكم ان كنتم فاعلين » .

وكلنا يعرف أن الله نجاه من
النار ، ولكن الذى يهمنسها هو
متابعة ثوابه ، وما عبرت به عن
نفسها من قول وعمل .. فقد
رأى ابراهيم - بعد أن نجاه الله
من نيران قوله - أن مقامه بينهم
لن يأتى بشعرة ، وما كان له أن
يقيم على جمود .. أنه يدعو الى
الله ، وثورته تلح أن يلتفت إليها
وجها أو مجالا آخر ، فهاجر الى
حران بأعلى الفرات ، وكانت
مركزا من مراكز عبادة الاله
القمر ، وما لبث أن تبين أن
تكرار التجربة بها لن يثمر الا ما
أثمرته تجربته مع قومه ،
ففادرها الى الغرب بجنوب حتى
بلغ تخوم الأرض التى تسميها
اليوم فلسطين ، وكان يسكنها
قوم يسمون الكنعانيين ، وكانوا
يعبدون الأصنام ، والرياسة
الدينية فيهم مرسومة كهنته
« ايل عليون » ولهم بيت عتيق
مرسوم لعبادة الآلهة .

وكان عليه السلام عاقلا حكيما
.. وليست الثورية هى التصدى
للأزمات غير المجدية ، فاكفى
بأن يقيم بتخوم البلاد على

هامشها الصحراوى إقامة البدو
٠٠ ثم بدا له أن يميم مصر لعله
أن يجد بفيته ، ولكنه وجد بها
وثنية أعتى من وثنية الكنعانيين
وكهنة أرسخ مآرب من كهنة
« ايل عليون » فعناد - عليه
السلام - الى أرض كنعان يمارس
الرعى فى حواشيها الصحراوية
.. وقلبه يتلفت بين جنبيه الى
مكان يقيم فيه بيتا لله ، رمزا
لتوحيده ، وعلانا لعبادته .

ولكن أين يجد هذا المكان ؟
انه الآن فى موقع وسط بين
الشرق حيث منطقتة الفرات ،
وبين الغرب حيث مصر وما
وراءها ، وليس فى احدهما
سوى الموانع ، وهو على هامش
أرض الكنعانيين يجد ما حولها
من القبائل ليسوا أقل تمسكا أو
تعصبا لآلهتهم من سواهم ،
وتكرار الجهد العقيم معهم لترك
آلهتهم ليس من الحكمة .. واذا
.. فلا يصلح له الا مكان غير
ماهول ! .. اليس يعمل لله ؟
أوليس من منطق الايمان أن عمل
المرء صادقا لله هو « كشجرة
طيبة اصلها ثابت وفرعها فى
السماء ، تؤتى أكلها كل حين
بأذن ربها ؟ » وهل من فاعل فى
الكون الا الله ؟ .. فلماذا لا يذهب
الى الجنوب القحل يلتمس به
مكانا غير ذى زرع ؟ .. وذهب
أبو الأنبياء يحذوه يقينه الصادق
بالله .. وفى مكان غير ذى زرع
ترك « بذرة آدمية » هى جاريته
وطفله الصغير اسماعيل ، ويعلن

تيته فى ذلك بقوله : « ربنا انى
أسكنت من ذريتى بواد غير ذى
زرع .. لماذا ؟ - ربنا ليقيموا
الصلاة .. » وترعرت البذرة
الآدمية ، فكانت - تحقيقا لقانون
الايمان - شجرة طيبة اصلها
ثابت وفرعها فى السماء ، تؤتى
أكلها كل حين بأذن ربها ، وأقيم
البيت الذى كان أمنية ابراهيم
الكبرى .

- ٣ -

وفى هذه السيرة الموجزة
مجال خصيب لتحليل نموذج
الثورية الصادقة على ما مثله
ابراهيم - عليه السلام - ولكننا
بصد تقويم رسالته أخذنا من
موافقه ، ومن نشأته التى تفاعل
فيها عقله بملكات السموات
والأرض الى أبعد مدى .. ومن
مجموع ما تضمن القرآن الكريم
من ذلك من خصائص تقتصر على
الخصائص الآتية :

أولا - العالمية

فقد وضع ما قدمنا ان رسالة
ابراهيم لم تكن محددة بمكان
معين ، فقد كان عليه السلام
يريدنا لأى مكان ، او لكل مكان
.. وقد رأيناه يخرج من قومه
الى حاران فلا تطيب له اذ
كانت مركزا لعبادة القمر ،
فيفادرها الى أرض كنعان ، فلا
يجد لنفسه فيها متسعا الى جانب
بيت « ايل عليون » وكهنته ،
فيرتاد مصر متوسما فيجدها

على سعتها أضيق من أرض كنعان
فيعود منها بفيرطائل ، ثم يرحل
بابنه الى الجنوب حيث الوادى
القفر لا شئ الا للدعوة « ربنا
ليقيموا الصلاة » ويبنى بهذا
الوادى بيتا لله .. ولو استطاع
أن يبنى بكل بلد بيتا لله لبادر
اليه بكل ما فى نفسه من صدق
وشوق .. وتلك سمات الدعوة
العالية لا المحلية .

هذا ولب الرسالة أعلنه -
عليه السلام - حين تجلت له
الحقيقة الكبرى بقوله « يا قوم
انى برىء مما تشركون انى وجهت
وجهى للذى فطر السموات
والارض حنيفا » .. أى وجهت
وجهى لاله الطبيعة الذى هو وب
كل بيعة فيها على ما بين تلك
البيئات من تباين الأجواء ،
وفواصل البحار والجبال ،
وطبيعة السطح والتربة ، ونحوها
« وهو الذى فى السماء اله وفى
الارض اله » .. واذا هو خالق
كل بيئة فى الارض وما يظلمها
فى السماء ، فكل بيئة مجال
للدعوة للإيمان به وعبادته ..
وذلك تفسير تطوافه فى الارض
.. وهو مفهوم العالمية فى
الدعوة .

ثانيا - الانسانية

١ - وقد عرفنا صلة ابراهيم
عليه السلام بملوك السموات
والارض فى قوله تعالى : وكذلك
نرى ابراهيم ملكوت السموات
والارض « وما لذلك من اثر فى

بناء شخصيته » .. ومن البديهي
أن هذا الملكوت لم يكن منحة
مفردة لابراهيم ، فان صفحته
مبسوطة لكل من حملته الارض
واظلت السماء من الناس ..
مبسوطة بكل ما فيها من آثار
الود ، والرحمة ، والكرم ، والبر
والعدل ، والحق ، والخير ،
ونحوه .. فاذا كانت هذه
الصفحة بالنسبة لابراهيم اهم
مصدر - بعد الوحى - فى بناء
شخصيته ، فهى كذلك بالنسبة
لكل انسان لا فرق بين ابراهيم
وغيره الا أنه - عليه السلام -
أعين عليه بمدد الله وتهيئته
بأقدر المواهب فى قوله تعالى :
« وكذلك نرى ابراهيم ملكوت
السموات والارض » أما غيره
فنودى لتحصيل حفظه بجده
العادى فى قوله تعالى : « أو لم
ينظروا فى ملكوت السموات
والارض ، وما خلق الله من
شئ ؟ .. » .. فملكوت
السموات والارض بالنسبة
للناس كافة هو مصدر الحقائق
التي يقوم بها لب انسانية كل
منهم فى كل عصر .

وذلك مقتضى حكمة الله وعنايته
فانه اذا قدر أن يكون الانسان
من مادة وروح ، جعل له ثمار
الارض على وفق مصلحة بدنه
ونمائه ، وقال : « هو الذى جعل
لكم الارض ذلولا فامشوا فى
مناكبها واكلوا من رزقه » ..
وجعل له رزق الملكوت على وفق
مصلحة كيانه الروحى ونمائه ،

وقال : « انظروا ماذا فى السموات
والارض ؟ ! » .. فالامر فى ذلك
دائر على تحقيق الوجود الكامل
للانسان حسا ومعنى بما قدر
الله من مصادر الرزق لكل من
الحس والمعنى : هذا بالكدح فى
مناكب الارض ، وذلك بالتفكر
فى آيات الخلق ، والامر ما لم
يرض الله أن يقول لنا : « كلوا
من ثمره اذا أثمر » الاوفى مقابله
قوله : « انظروا الى ثمره اذا
أثمر »

فتم وحدة حسية مشتركة
بين البشر كافة ، هى وحدة
اللحم والدم .. ووحدة
أخرى روحية مشتركة ، قوامها
المعارف والعبر المستخلصة
من آثار صفات الله فى الكائنات ،
هى لب انسانية كل انسان ..
واذا كانت حقائق الملكوت - التى
ما قدمنا - هى نفسها قوام
ثقافة الانسان وحكمته ، فنحن
بازاء مصدر واحد للثقافة الكونية
تلتقى عليه أفكار البشر كافة
بالضرورة ، فيترتب عليه بحكم
الوحى وفطرة العقل - وحدة
معنوية تامة ذات جوهر واحد ،
هى : وحدة البناء النفسى ..
أو وحدة الفكر والوجدان ..
وبما أن قوام هذا الجوهر هو
المعارف المستخلصة من آثار
صفات الله فى الكائنات ، فهو
جوهر ينمى ضمير الانسان الى
السماء ، ومجمع الانسانية كافة
على نسب الهى واحد .. وتلك
حقيقة الانسانية

ب - ولما علم عليه السلام أن العقاب يوشك أن ينزل يقوم لوط ، سما بفكره ووجدانه فلم ينظر اليهم على أنهم عصاة يستحقون ما يوشك أن ينزل بهم ، بل نظر اليهم على أنهم عباد الله ، قد يصلحهم العفو - وهو تعالى أهل له - فاقبل على الله يجادله فيهم ، وقد أننى الله عليه فى ذلك بقوله : « ولما ذهب عن ابراهيم الروح وجاءته البشرى يجادلنا فى قوم لوط ، ان ابراهيم لحليم أواه منيب » .. ومثل هذا قوله فى بعض مواقفه : « فمن تبعنى فإنه منى ، ومن عصانى فانك غفور رحيم » ولم يقل ومن عصانى فانك عزيز ذو انتقام - مثلاً - بل قدم وصف الغفور الرحيم لانه الصق بما فى قلبه من اللين والرحمة حتى بالعصاة .. وهو معنى انساني جذير بالتنويه

ج - وأعلى ثمار الانسانية فى القلب حب الخير للانسانية كافة وأن يبذل فيه المرء أقصى جهده ، وذات يده ، وذات نفسه .. وذلك مثل أعلى حققه ابراهيم - عليه السلام - أداء لرسالة الخير ، فما كان تطوافه فى آفاق الأرض الا لايصال الخير الروحي « ربنا ليقموا الصلاة » .. وكان فى رحلته الى الجنوب قد جاوز الثمانين ، وهو أقصى ما يرجى لشيوخ أن يبذله .. ولننظر ماذا بذل من ذات نفسه حين ترك ثمرة فؤاده ، ولده

الوحيد بواد غير ذى ذرع لعله أن يكون بدرة ما يرجو للناس من خير .. وقد عرفنا من حبه للخير أنه لم يكن يفرق بين عاص ومستقيم .. قريب الوطن وبعيده ، وأحصى له القرآن أنه دعا لأجيال مقبلة بقوله : ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، ويذكهم انك انت العزيز الحكيم » ، فهو يحب الخير « لنوع الانسان » بلا استثناء ، وبلا نظر الى فاصل مكان او زمان ، فهو يدعو لأهل زمنه وغير زمنه ، اذ النوع فى الحقيقة نفس واحدة ، أو هو جوهر واحد ، ولا يبلغ الحب الانساني مثله الا على الا اذا كان على هذا المثل .. ومما يبرز اصالة ذلك الحب تعلق ابراهيم بمعنى الخير الشامل ، اذ لم يفهمه خيرا معنويا محضا يدعو به للأجيال المقبلة أن يذكهم رسولهم بما يعلمهم الكتاب والحكمة وبما يتلو عليهم من آيات الله ، بل هو الى ذلك خير حس وغاية لمن يعرف ولن لا يعرف فى أكثر من آية « وارزق أهله من الثمرات » « وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » وهو أصح وأعلى ما يفهم به الخير للانسانية كافة

ثالثا - الايمان بالحياة الآخرة

والانسان اذ يدرك أن وجوده مؤلف من جانب حسي هو البدن ، وجانب روي هو كيانه المؤلف

من قيم واردات وصفات ، يدرك ادراكا لاشك فيه أن كيانه الروحي سيبقى بعد موت كيانه الحسي ، لان ظاهرة الموت ومايلها من تحلل أجزاء البدن لاتنال الصفات والحقائق المعنوية ، وهنا تكون عقيدة الحياة بعد الموت حقيقة واقعة يراها المرء رأى البصيرة ، دون كد للذهن أو حاجة الى تلقين ..

وقد كانت هذه العقيدة دائمة الحضور فى ذهن ابراهيم عليه السلام ، ومن ذلك أنه لما عرف قومه بالهله ذكر لهم أنه « الذى خلقتى فهو يهدين .. » والذى يمينتى ثم يمين ، والذى أطعم ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين »

وتبين أثر هذه العقيدة فى حياة الانسان من قول ابراهيم « والذى أطعم ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين » ، فهى مركوزة فى ذهنه ، تذكره يوم الدين ، وتذكر له خطايا الاعمال ليبادر باصلاحها ما استطاع طمعا أن يغفر له الله ما لا يعلم ، أى لتكون أعماله صالحة مرجوة الأثر عند الله يوم الدين .. فآثرها فى حياة الانسان - متى كان على رسالة ابراهيم - انها واقع يشخص لضمير المرء فلا يفتأ يخطط له عمله على أسس الصلاح والفوز فى الآخرة ، وهى دار لاينفع فيها مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم ، فيكون همه بذل الخير ، والعمل للغير ، واتقاء كل معصية لله ..

رابعاً - إثبات زاد الروح على قيم الحس

ذلك أن رسالة إبراهيم عليه السلام تقوم على تصحيح نظر الإنسان إلى الوجود، فيبصر حقائقه الروحية كما يبصر حقائقه المحسنة .. ويبصر له حينئذ من الحقائق والاعتبارات ما يرخص له قيم الحس، ويجعل نهمته وهيمته في قيم الروح .. ومن ذلك أن قيم الروح ذات معان تنسب إلى صفات الله، فهي تستمد قيمتها من ذاتها، أما قيم الحس فأعراض ليست ذات معان فلا قيمة لها في ذاتها إلا ما يريده لها الناس من قيم اصطلاحية بينهم .. ذلك إلى أن قيم الحس هي مقومات الكيان الفاني، وقيم الروح هي مقومات الكيان الباقي الذي هو لب حقيقة الإنسان، أو قلبه الذي سيقلى به الله .. وقد كانت تلك الحقائق ماثلة لإبراهيم عليه السلام فذكرها وهو يصف يوم القيامة في عرض موجز وموازنة دقيقة بين النوعين بقوله: « ولا تخزني يوم يبعثون، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم » .. وقلب كل شيء لبه ومحضه .. وسلامته أن يزود تقوى الله وكل صفة صالحة، وأن يجنب ما عدا ذلك من باطل، وأن يزكى بفعل الخير .. أما ما لا قيمة له في ذاته، واصطلاح الناس على أنه قيمة وزينة، فلا نفع له في ذلك اليوم .. ولا جرم يكون

اتجاهه - باختياره - إلى إثبات زاد الروح على قيم الحس

خامساً - الفتوة

والفتوة التي نعنيها فتوة الروح، لافتوة السن في حداثة الشباب .. وقد ذكر الله تعالى في شأن يوسف عليه السلام: « ودخل معه السجن فتيان » دون أن يريد بذلك ذماً أو مدحاً، إنما فتوة الروح فهي قوتها في الله، وتكتسب بطول النظر في آيات الله حتى يبلغ المرء اليقين، وهي لا تتقيد بسن معينة فقد تكون للشباب كما قال تعالى في أهل الكهف: « انهم فتية آمنوا بربهم » وقد تكون للشيوخ كما قال عن إبراهيم عليه السلام لما كسر أصنام قومه: « قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم » كان عليه السلام في ذلك يناهز السبعين

✽ وقد لاحظ بعض الصوفية رابطة رمزية بين الفتوة وكسر الأصنام، فعرف الفتوة بأنها: « كسر الصنم الذي بينك وبين الله تعالى وهو نفسك، فإن إبراهيم عليه السلام كسر الأصنام له، فالتفتي من كسر صنما واحداً لله .. وبدون رموز الصوفية نرى قوام الفتوة في شأن إبراهيم عليه السلام هو اليقين الذي لا شبهة معه قط في الإقرار بالله إذا كان يشهده ببصيرته في كل شيء، ولا يشهد معه سواه .. فلم تكن نفسه عنده شيئاً وهم

يلقونه في النار .. ولم يستوحشوا لكثرة المخالفين على طول المدى لأن شهوده للحق كان شهود الكل شيء على ما جاء في الحديث القدسي « ابن آدم اطلبنى تجدني فان وجدتنى وجبت كل شيء » فمعاً ذلك رسومهم عن وجدانه فلم يكونوا شيئاً .. وقد رأيناه يسكن طفله بواد غير ذي ذرع في ذات الله، ثم يمتحن بذبحه لما بلغ معه السعى فيلبي الرؤيا في غير تردد طاعة لأمره تعالى .. ورأيناه يخاصم قومه ويعاديه في الله « كفرنا بكم وبدنا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً، حتى تؤمنوا بالله وحده » .. وبهجر وطنه في الله « أتى مهاجر إلى ربى إنه هو العزيز الحكيم » .. في الله كل شيء في حياته .. في فكره، ووجدانه وعلاقته مع الناس وشأنه كله، وما أروع ما أتى عليه الفخر الرازي بالفتوة في قوله « أن إبراهيم عليه السلام كان من الفتيان لأنه سلم قلبه للعرفان ولسانه للبرهان، وبدنه للتبليغ وولده للقربان، وماله للضيقات وبعد فهذا بعض تقويم القرآن لخصائص رسالة إبراهيم عليه السلام، وهي خصائص غراء سما فيها إلى الذروة فالفداء، والبذل، والجهد، وحسن الخير للإنسانية والعرفه والسمه على الشدائد في الحق حتى جعل الله قدوة الأنبياء ومثلاً للأنسانية في كل جبل، ونعتز به بخصائصه لنحاكم إليه ما تزعم فصيلة المسوخين .. شرف الانتساب إليه .. واللقاء في المقال القادم إن شاء

ان اول يوم من شهر شوال جدير بأن يكون
عيدا للمسلمين . وأن تكون أيامه الخالدة وما جد
فيها موضع العظة والذكرى والعبرة وموضع
الاقتداء والاهتداء . وأن يكون تحديد أوله بالذات
وتشريعه عيداً بعد الهجرة بالمدينة موضع التأمل
والتدبر والتفكير العميق في التاريخ المجيد لحياة
الرسول محمد بن عبد الله القرشي الأمي صلى الله
عليه وسلم . وفي هجرته من مكة البلد الحرام
موطن آبائه وأجداده الى اسماعيل بن ابراهيم
عليهما السلام التي هي مكان انبثاق دعوته ومولد
نبوته ورسالته . الى المدينة موطن وبلدة الأوس
والخزرج وفيهم خؤولته . ثم في رجوعه الى مكة
بعد عشر سنين فاتحاً ومنتصراً . وبذلك كمل دين
الله وتمت نعمته . ودخل الناس في دين الله
ورفرق علم الاسلام على شبه الجزيرة العربية من
أقصاها الى أقصاها .

فضائل

دعوات

شوال

فضيلة الشيخ
السيد خليل الجرامي

فلقد بعث محمد على رأس الأربعين من حياته
الطيبة الخالدة الطاهرة المثالية الرقيقة وأرسله
الله سبحانه للناس كافة بشيراً ونذيراً . وأنزل
عليه القرآن الكريم المعجز ببيانه وأسلوبه وبلاغته
وفصاحته وآياته وأحكامه وكان ابتداء نزوله في
ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان بينما كان
يتحنن ويتعبد صلى الله عليه وسلم بفار حراء
بمكة فقام الرسول يبلغ دعوة الله ويؤدي الأمانة
لا يلوى على شيء الا تنفيذ أمر الله بين قوم يعبدون
غير الله قد اتخذوا الأصنام والأوثان آلهة من دون
الله وفي محيط مظلم ووسط مجتمع مشرك
وجماعات وقبائل همجية في جاهلية جهلاء لا دين
يردعهم ولا وحدة تجمعهم . مكث يدعوهم بمكة
ويجاهدهم مدة ثلاثة عشر عاماً .

ويجب أن نسلم بحقيقتين هامتين . بهما
يقتدى المصلحون والقادة القادرون ويتأسى بهما
المؤمنون الصادقون ويقيم الوزن لذلك المقسطون .
الأولى منهما أن محمداً صلى الله عليه وسلم جاهد

المجتمع الاسلامى المناضل المكافح بسلاح الحق
واليقين وشرع القتال وتنزل التشريع يكفل للناس
جميعا السعادة فى الدنيا والآخرة ١٥

والحقيقة الثانية التى لا تنفك عن الأولى بل
هما حقيقة واحدة . أن كل دعوة خصوصا فى
فجر مطلعها وبزوغ شمسها لابد لها من صاحب
على جانب عظيم من القنطة والدكاء . قوى
العزيمة والارادة . قوى الحجة ساطع البرهان .
حكيم فى معالجة الأمور لتجد الدعوة طريقها الى
القبول . قد نشأ على طراز من السلوك الرفيع .
والتهذيب الكريم . بلغ درجة عالية من سمو
الإنسانى . رسم الحدود لعلاقته مع الناس يعفو
ويصفح ويتحمل الأذى وبصير . مؤمنا بربه ودينه .
موقنا بالنصر فى النهاية ما دام الحق رائده والأمن
والسلام مطلبه . وهذا ما كان عليه صاحب الدعوة
الالهية محمد صلى الله عليه وسلم الى أن أذن الله
له بالهجرة الى المدينة . وقد اختار الرسول الهجرة
الى المدينة بالدات تنفيذا لأمر الله وحكمته ومشيبته
ولم يهاجر الى الحبشة بلد الهجرة الصغرى ومكان
التكريم والأمان والمتعة للمهاجرين من المؤمنين بمكة
فرارا من أذى وتعذيب المشركين لأن أهل المدينة
الأوس والخزرج عرب والقرآن نزل بلغة العرب
وقد اتصل بهما الرسول بمواسم الحج وعرض
عليهم الاسلام فآمنوا وبايعوه على النصرة والمنعة
وقتل من يقف فى طريق دعوته حتى يظهر دين
الله ثم أن الأوس والخزرج أهل قتال وحروب
ونضال من قديم وله فيهم قرابة . وقد وجد الأوس
والخزرج فى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم
المنقذ لهم من تسلط اليهود عليهم واستعبادهم لهم
واستنفاد دمائهم وجهودهم والاستيلاء على ثرواتهم
وخيراتهم باشعال الحرب فيما بينهم ..

فى الله حق جهاده وفى سبيل الدعوة بكل صبر
وضبط نفس . وتحمل الأذى والعذاب الأليم
بشجاعة وإيمان بنصر الله . وكافح كفاح الأبطال
بغير سلاح وإنما بالحجة والبرهان والحكمة
والموعظة والمجادلة الحسنة . والقرآن ينزل عليه
بالبشارة والإنذار . وينبئ على المشركين هذا الصد
والعناد وهذا الكفر والاحاد . ويأتى بالآيات
والسور البيّنات معجزة للرسول لهذا التحدى من
بلغاء العرب وفصحائهم الطفافة العتاة ، وبالتقصص
والأمثال عن الأمم السابقة الذين أهلكهم الله بظلمهم
ودمزمهم وأهلكهم بكفرهم وشركهم وعنادهم
وهو فى الوقت نفسه يخفف عن الرسول الآلام
التي يلاقيها . ويثبّس عنه كربته ويزيل همومه
وحزنه لعدم إيمان قومه وأهله وعشيرته فيذكره
بأولى العزم من الرسل قبله « فاصبر كما صبر
أولوا العزم من الرسل » وأن الرسل قبله قد لا قوا
من العنت والشقة من قومهم وأمهم فنصرهم الله
وكان عاقبة أمر الكافرين خسرا (أنا لننصر رسلنا
والذين آمنوا) (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) .
فحكك القرآن على هذا النحو من التنزيل مدة ثلاث
عشرة سنة ولم ينزل من الأحكام التشريعية الا
قليل ولم يشرع القتال فى تلك الفترة وإنما كان
الجهاد بالحجة والبرهان والعظة والبيان المعجز
لتأسيس الدعوة وتدعيم قواعدها ورسوخ الإيمان
فى قلوب الذين اتبعوه فى وسط هذا الخضم
الهائج المعاند من المشركين والكافرين بمحمد
ودعوته .

فلما اطمأن محمد صلى الله عليه وسلم على أن
الدعوة قد سارت فى طريقها المرسوم وأخذت
تتدرج فى مدارج الكمال ورسخت فى قلوب
المؤمنين به لا يرجعون بعد هذا النور الإلهى كفارا
ابدا . والقرآن قد حق اعجازه على العرب ولم
يبق الا العناد والمكابرة وايداء وتعذيب الموحدين .
أمره الله سبحانه بالهجرة الى يثرب كما كانت
تسمى حينذاك . وهناك أخى بين المهاجرين والأنصار
واشتد أزر المؤمنين وابتدأ عصر جديد وتكون

فان الأوس والخزرج أولاد عمومة ارتحلوا من
قديم من اليمن الى المدينة (يثرب) وساكنتوا
اليهود . وكان اليهود على ما ثبت من التاريخ
والكتب المنزلة والقرآن أهل غدر وخيانة واستغلال

وتعالى قد أبدلكما بهما خيرا منهما . يوم الفطر .
ويوم النحر » .

وأول شهر شوال هو عيد الفطر ويسمى العيد الصغير أو الأصغر . جاء عقيب حوادث خطيرة والتزامات من الطاعات لهذه الأمة . وأثر انتصارات باهرة مظفرة كان لها الأثر الكبير في تاريخ الفزوات والحروب وتدعيم الرسالة المحمدية وتكوين الأمة الإسلامية . جاء بعد شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان . والذى كانت فيه غزوة بدر الكبرى يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ففرق الله بهذا الانتصار الأكبر بين الحق والباطل وقد فرض الله صوم رمضان أكبر طاعة واشق عبادة على النفس ليضاعف الأجر ويجزل العطاء . فكان أول شوال عيداً للمسلمين جديراً بالاحتفاء به واستقباله بالفرح والسرور . وشكر الله تعالى بالتزام الطاعات والبر والإحسان حيث أقدروهم على الصيام . وحباهم بنعمة القرآن . والانتصار الأكبر يقول عليه الصلاة والسلام « للصائم فرحتان . فرحة عند فطره . وفرحة عند لقاء ربه » وقد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر وبعث مناديا في فجاج المدينة « الا ان زكاة الفطر واجبة على كل مسلم ومسلمة » وقد شرعت لتوفير التكافل الاجتماعى والمساواة بين كل الطبقات في أيام الأعياد التى هى بطبيعتها أيام بهجة ومتعة وسعادة . ولذلك يقول عليه الصلاة والسلام فى حق الفقراء « اغنوهم عن ذل السؤال فى ذلك اليوم » . كما أن عيد الأضحى الذى سنت فىه الأضحية . ويسمى العيد الكبير والأكبر جاء أثر فريضة الحج . وعقيب أمور جليلة الأثر كبيرة الإحسان . وهى كمال الدين وتماحه وتقرير القواعد والأحكام والنظم . وإقرار المبادئ الإنسانية وحقوق الإنسان فى السنة العاشرة من الهجرة . يقول تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً » .

ومن مميزات شهر شوال ومن ذكرياته الساطعة « غزوة الخندق » وتسمى غزوة الأحزاب . سنة

واحتكار قد انغرس فى نفوسهم الحب الأعمى للمال وجمعه . وكراهية من عداهم من البشر وتكون منهم فى أرجاء متفرقة من الأرض مجتمعات فاسدة . وجماعات ضالة مضللة . فاصطنعوا مع الأوس والخزرج ما يصطنعوه فى كل زمن مع مواطنهم حتى اضطروهم الى معيشة ضيقة والى خدمتهم لأراضيهم ولأنعامهم وشأنهم واستقلوهم استغلالا فاحشا . ولكى يسود اليهود ويدوم هذا الاستغلال المزرى بالإنسانية القوا بالفتن والوقيعة بين الفريقين وأشعلوا نار الحرب والعداوة بينهم وكلما خدمت الحرب أشعلوها ثانية . وهذه المعاملة من اليهود تجدد وتنمو على مر العصور بأشد وأنفذ مما كانت الى يومنا هذا . وويل للإنسانية من ظلم اليهود ومطامع الصهيونية ان لم يقض عليهم القضاء الأخير .

فلما هاجر رسول الله الى المدينة . وجد قوما أهل حرب وأصحاب حلقة وسلاح مدرين على فنون القتال قد صقلتهم الأيام المريرة ، واكتروا بمختلف الكيد وبأنواع التدبير من اليهود أهل الفتن والقدر والبلاء . فالف بين قلوبهم وآخى بينهم وبين المهاجرين وأخذ فى تأسيس الدولة الإسلامية الفتية وتكوين المجتمع الصالح المجاهد المكافح فى سبيل الدعوة العامة المحمدية . ونصر دين الله . وتوطيد الأمن والسلام والرخاء للإنسانية جمعاء .

ولما كان من شأن الأمم والمجتمعات أن تكيف نفسها تبعا لعاداتها وتقاليدها المنبثقة من تاريخ وقائعها وحوادثها . وتسبب الأعياد والمواسم وتحتفل فيها بما يتفق ومظاهرها وعاداتها . فان الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم قد سن الأعياد الإسلامية التى هى من مظاهر الروح الاجتماعية الدينية ذات الأثر الرفيع المذهب . وجمع بين مظاهر الأعياد السابقة السليمة وبين مظاهر الأعياد الإسلامية « فقد روى أنس رضى الله عنه ، قال قدم الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فى الجاهلية . فقال أن الله تبارك

خمسين أو أربع من الهجرة . فانه لما شمع نور
الاسلام من المدينة وانتصر المجتمع الاسلامى من
المهاجرين والانصار . وأصبحت الدولة الاسلامية
بقيادة محمد الرسول والقائد الحكيم . مادت
الأرض من تحت أقدام اليهود وأيقنوا بمصيرهم
فبيتوا الفتنة والفدر والخيانة وانضموا الى
المشركين بمكة الذين شعروا بسلطان محمد
والمؤمنين بالمدينة وأنه لا محالة سيرجع اليهم فاتحا
ومنتصرا . فجمع المشركون بمكة جموعهم (قريش
وبنو أسد وغطفان وبنو عامر وبنو سليم وثريرة
والنضير) وكونوا جيشا يبلغ اثني عشر ألفا بعدته
وعتاده وبعث اليهم اليهود من يستعجلهم فى
الهجوم على المدينة . وظن المنافقون أن المشركين
يستأصلون المؤمنين . ولكن قوة الله فوق قوتهم
والله غالب على أمره « ولكن المنافقين لا يعلمون »
فجاء جيش الكافرين وحاصر المدينة . فاجتمع
الرسول بأهل الشورى ونصح سلمان الفارسى
بحفر الخندق « وحفر الخنادق من فنون الحرب »
حول المدينة لحمايتها من هؤلاء الطغاة العتاه
فاطمان المسلمون بنصر الله ووعد له بالقلبة
والانتصار . وعمل الجميع فى الخندق وعمل النبى
صلى الله عليه وسلم معهم . وحفر الخندق وترامى
الطرفان بالنبال وانضمت اليهود مع المشركين
وتنقضوا عهودهم فاشتد بذلك الخوف بالمسلمين
المدافعين وهم موقنون بنصر الله ولم يطل خوفهم
فقد قفز أبطال المؤمنين الخندق والتقوا بصناديد
المشركين وأمر الرسول على بن أبى طالب رضى الله
عنه أن يخرج الى عمرو بن عبدود وهو من أبطال
الشیطان المعدودين واشتد الهجوم بينهما وعلاه
على بالضربة القاضية وذبحه فهلل المسلمون وكبروا
فقد جاء النصر من عند الله ولم يطل حصار
المشركين فقد أرسل ربعا عاصفة . وهبت ريح
عاتية أكفأت قدورهم وقوضت خيامهم وأوقعت
الخوف والفرع فى نفوسهم فولوا مدبرين وارتدوا
الى مكة خاسرين وفى ذلك يقول تعالى « ورد الله

الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله
المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا » . ثم انطلق
المؤمنون الى يهود قريظة الذين عاونوا الأحزاب
على قتال المسلمين وتنقضوا عهودهم فى آخر ذى
القعدة أثر غزوة الخندق وحاصروا ديارهم فلما
اشتد بهم الأمر سلموا للمسلمين ونفذ فيهم الرسول
حكم الله جزاء وفاقا . فقد نزل اليهود على حكم
سعد بن معاذ ورضى بذلك الرسول وقال لسعد
قد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة وأورث
الله المسلمين أرضهم وديارهم وأموالهم وحصونهم
وفى ذلك يقول تعالى « وأنزل الذين ظاهروهم
من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم
الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا » ثم توجه
المؤمنون الى خيبر وهى مدينة كبيرة محصنة بينها
وبين المدينة أربع مراحل ففتح الله على المؤمنين
واستولوا عليها بسبب غدرهم ونفاقهم وعداوتهم
للرسول ودعوته وكان فتحها فى شهر المحرم من
السنة السابعة وبذلك قضى على اليهود قضاء تاما
وفى ذلك يقول تعالى « وأورثكم أرضهم وديارهم
وأموالهم وأرضا لم تطووها وكان الله على كل شىء
قديرا » .

« وبعد » فان النصر من عند الله للمؤمنين
المجاهدين . وجنود الله هم الغالبون وباسم الله
تتفتح أبواب السماء للعاملين . وبالتأسى برسول
الله القائد الحكيم ينتصر المسلمون ويعتز المؤمنون
المكافحون فى سبيل الحق وفى سبيل عزة الاسلام
وكرامة مقدساته وأرضه . قال البراء بن عازب لما
كان يوم الأحزاب وخندق صلى الله عليه وسلم .
كان رسول الله يحفر مع جنده وينقل التراب حتى
أغبر بطنه « وظل الرسول بقود المعركة وهو ينادى
ربه (اللهم منزل الكتاب . سريع الحساب .
اهزم الأحزاب . اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم
وزلزلهم) فاستجاب الله دعاه وسطرت قسوات
المسلمين نصرا مؤزرا . « وما النصر الا من عند
الله ان الله عزيز حكيم »

الاجود بالخير خلق الإسلام

الاستاذ ابراهيم الرسوف

خير ، قال صلى الله عليه وسلم
(ما أكل أحد طعاما قط خيرا من
ان يأكل من عمل يده وان نبي الله
داود كان يأكل من عمل يده)
وقال (على كل مسلم صدقة) فقال
أرأيت ان لم يجد قال يعمل بيده
فينفع نفسه ويتصدق قال أرأيت
ان لم يستطع قال يعين ذا الحاجة
الملهوف قال أرأيت ان لم يستطع
قال يأمر بالمعروف قال أرأيت ان
لم يستطع قال يمسك عن الشر
فانها صدقة)

وان أى عمل يقدمه الانسان
لإعلاء كلمة الحق ورفعة رايته فهو
أعلى ضروب الخير ، يقول صلى
الله عليه وسلم (لغدوة فى سبيل
الله أو روحة خير من الدنيا وما
فيها)

ومن أفضل أنواع الخير ما
ينفقه المرء وهو فى عافية من البدن

مفتاحا للخير مفلاقا للشر وويل
لعبد جعله الله مفتاحا للشر مفلاقا
للخير .

والخير الذى ندب اليه الله
ورسوله ينتظم كل بر ويشمل كل
عمل صالح . فطاعة الله خير
وممارسة الفضائل خير والاخلاص
والنية الطيبة خير والاحسان الى
الناس خير وبر ذوى القربى خير
والقول الجميل خير وكل عمل
ينهض بالفرد ويرقى بالجماعة
خير .

والفطرة السليمة تحب الخير
وتتجذب اليه . وقلما تحتاج الى
من يبصرها به أو يدلها عليه .
والدلالة على الخير والارشاد اليه
لا يقل عن ممارسته وفعله قال صلى
الله عليه وسلم (من دل على خير فله
مثل أجر فاعله) وكسب الرجل
وعمله بيده خير ومواساة غيره

كان صلى الله عليه وسلم اجود
الناس ، وكان اجود ما يكون فى
رمضان حين ينزل عليه جبريل
فيدارسه القرآن فلرسول الله صلى
الله عليه وسلم اجود بالخير من
الريح المرسلة .

ان وجهة المسلم وعايته الخير
وفعل الخير - والمسابقة الى كل
خير وقد رغب فيه الاسلام حيث
قال سبحانه (وافعلوا الخير
لعلكم تفلحون) وأوحى به الى
انبيائه فقال (وأوحينا اليهم فعل
الخيرات) ومدح المسارعين فيه
فقال (انهم كانوا يسارعون فى
الخيرات) وجعل جزاء الجنة
حين قال (وما تقدموا لأنفسكم من
خير تجدوه عند الله) . وقال
صلى الله عليه وسلم (ان هذا
الخير خزان . ولهذه الخزائن
مفاتيح فطوبى لعبد جعله الله

ووفرة عن المال واقبال من الدنيا وأمل في الحياة حيث أن ذلك دليل ايثار ما عند الله والرغبة الخالصة في مشوبته سبحانه سئل صلى الله عليه وسلم أى الصدقة أعظم قال ان تصدق وانت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان كذا)

ولقد ربط الله سبحانه بنعمه على عباده حقوقا اذا لم تؤد عرضها أصحابها للزوال قال صلى الله عليه وسلم (ان لله عند اقوام نعماء اقراها عندهم ما كانوا فى حوائج الناس ما لم يملوهم فاذا ملوهم نقلها الى غيرهم .

ولقد ربط الله سبحانه بنعمه الانسان ووصفه بالشح والحرص والبخل والتقتير ، مخافة الفاقة والفقر والحاجة والمهانة قال تعالى (ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا) وقال سبحانه (قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربى اذا لامسكم خشية الانفاق وكان الانسان قتورا) .

وعلى هدى من ذلك كله فقد نظر الاسلام الى خلق السخا والجود نظرة خاصة وكان التخلق بهما فى نظره من اعظم القربات وأجل الاعمال وكان خلق المؤمنين وشعار خير النبيين .

قال تعالى (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وقال (ياأيها

الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون)

وقال صلى الله عليه وسلم من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يقبلها بيمينه ثم يربها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوة حتى تكون مثل الجبل .

وفى التنفير من الشح يضح الاسلام بد المؤمن على حقيقة الدنيا وما للانسان منها وهو بذلك يحفزه الى ان يضعها من نفسه موضعها قال صلى الله عليه وسلم يقول العبد مالى مالى وانما له من ماله ثلاث ما اكل فافنى أو لبس فابلى أو اعطى فافقتنى وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركة للناس

وحين رغب صلى الله عليه وسلم فى الصدقة اسرع اصحابه الى البذل والانفاق فقد تقدم أبو طلحة بأحب ماله عنده (ببرحاء) وهى حديقة ذات عمل كانت قبالة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا انها صدقة ارجو برها وذخرها عند الله عز وجل فضعها يارسول الله حيث اراك الله قال فقال صلى الله عليه وسلم بخ ذلك مال رابع ذلك مال رابع

ولكيلا يداخل المتصدق الغرور أو الرياء كانت صدقة السر لها مكان عظيم قال صلى الله عليه وسلم صنائع المعروف تقي مصارع السوء وصدقة السر تطفئ غضب الرب وصلة الرحم تزيد فى العمر

كما رغب فى الصدقة ، على القريب قائلا الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذوى الرحم (القربى) ننتان صدقة وصله ، ولقد ضرب صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك أروع المثل فرأينا أبا بكر وقد تصدق بكل ماله وعمره بنصف ماله وعثمان يجهز جيشا من ماله ويتصدق بعير كاملة على نقرأ المسلمين والمهاجرين يقاسمون الانصار ما يملكون مقتدين فى ذلك برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المبعوث رحمة للعالمين فانه على الله عليه وسلم ما كان بيت وفى بيته درهم حتى يبحث عن محتاج يعطيه له بل كان يقترض ليتصدق ويقول لاسماء لا توكني نيوكني الله عليك ، ويقول فيما يرويه عن رب العزة قال تعالى

« يا عبدى أنفق أنفق عليك » وقال يد الله مالى لا يفيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرايتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فانه لم يفض ما بيده وكان عرشه على الماء ويده ميزان يخفض ويرفع وما أكرم ان ينفق المرء ماله فى اطعام الطعام فهذا عبد الله بن عمرو ابن العاص رضى الله عنهم . يذكر أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الاسلام خير قال اطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف والله سبحانه وصف الأبرار قال فيهم « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا » ولقد

رغب الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك فقال من فطر صائما كان له مثل اجره غير انه لا ينقص من اجر الصائم شيء وفي رواية قالوا ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم فقال صلى الله عليه وسلم يعطى الله هذا الثواب من فطر صائما على تمر أو شربة ماء أو مذقة لبن .

ولقد كان صلى الله عليه وسلم أجود الناس . فما كان يسأل عن شيء إلا أعطاه فعن أنس رضي الله عنه أن رجلا سأله فأعطاه غنما بين بجلين فرجع إلى قومه فقال أسلموا فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخشى فاقة - وأعطى غير واحد مائة من الإبل وأعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة ولقد كان هذا خلقه حتى قبل البعثة فقد قال له ورقة ابن نوفل انك تحمل الكل وتكسب المعدوم ورد على هوازن سباياها وكانت ستة آلاف . وأعطى العباس من الذهب مالم يطق حمله وحمل إليه تسعون ألف درهم فوضعها على حصير ومقام من مجلسه حتى فرغ منها ولقد جاءه رجل فسأله فقال ما عندى شيء ولكن ابتع لي عمر ما لكفك الله مالا تقدر عليه فكره صلى الله عليه وسلم ذلك فقال رجل من الأنصار يا رسول الله انفق ولا تخش من ذي العرش اقلا فتبسم صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه وقال بهذا أمرت وذكر معوذ بن عذار قال أتيت النبي بقناع من رطب وأجر فزغب يريد قتاه فأعطاني ملاء كفه ذهبيا (أجر بضم الهمزة وسكون الجيم بعدها راء جمع جرد وفي الصحاح والجرد والجردة الصغير من القثاء)

ولما قفل من حنين صلى الله عليه وسلم جاءت الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى شجرة فخطفت رداؤه فوقف النبي صلى الله عليه وسلم وقال اعطوني رداي لو كان لي عدد هذه العضاة نعمنا لقسمتها عليكم ثم لا تجدوا في بخيلا ولا كذبا ولا جبا .

وفي الصحيحين عن جابر أنه صلى الله عليه وسلم ما سئل شيئا فقال لا وإنه قال لجابر لو جاءنا ماء البحرين لقد أعطيتك هكذا وهكذا وقال بيديه جميعا . وروى البخاري من حديث سهل بن سعد أن شمسة أهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلبسها وهو محتاج إليها فسأله أياها رجل فأعطاه فلامه الناس وقالوا أكان محتاجا إليها وقد علمت أنه لا يرد سائلا فقال اني سألتها لتكون كفتي فكانت كفنه ولقد كان جوده صلى الله عليه وسلم لله وابتغاء رضائه فقد كان يبذل المال ما لا يقدر أو محتاج أو في سبيل الله أو يتألف به على الإسلام من يقوى الإسلام بإسلامه ، وكان يؤثر على نفسه فيعطى عطاء يعجز عنه الملوك والأكاسرة والقيصرة ويعيش في بيته عيش الفقراء فيأتي عليه الشهر والشهران لا يوقد في بيته نار وربما ربط على بطنه الحجر من الجوع .

وقد أتاه سبي مرة فشكت إليه فاطمة ابنته ما تلقى من خدمة البيت وطلبت منه خادما يكفيها مؤنة بيتها فأمرها أن تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد عند نومها وقال لا أعطيك وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع .

لقد كان هذا ما طبعت عليه نفسه من جود - إلا أنه كان في رمضان يتضاعف جوده فيه على غيره من الشهور كما أن جوده به يتضاعف فيه .

ومن أجل ذلك كان كثير من السلف يؤاسون من افطارهم أو يؤثرون به ويطوون ، كان ابن عمر يصوم ولا يفطر إلا مع المساكين فإذا منعهم أهله عنهم لم يتعش تلك الليلة وقال الشافعي أحب للرجل الزيادة بالجود في شهر رمضان اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ولحاجة الناس فيه إلى مصالحهم ولتشاغل كثير منهم بالصلاة والصوم عن مكاسبهم . ولقد جاء سائل إلى الإمام أحمد فدفع إليه بما أعده لفظه ثم طوى وأصبح صائما - إلا ما أجمل أن يتأذى المسلمون بهذه الأخلاق السامية الرفيعة العالية إذا كانوا بذلك الأمة المشالية التي فضلها الله وأرادها لتكون خير أمة أخرجت للناس .

الجزاء من جنس العمل

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - (أيما مسلم كسا مسلما على عري كساه الله من خضر الجنة - أي من ثيابه الخضر - وأيما مسلم أطعم مسلما على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة ، وأيما مسلم سقى مسلما على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم - الرحيق الخالص من الشراب الذي لا فساد فيه - المختوم الذي تختم أوانيه وهو عبارة عن النفاسة والجودة

(وما خلقنا السموات والارض وما
بينهما لاعين ، ما خلقناها الا
بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون)

يصرح القرآن بان الدين اول
العلم وآخره ، فهو اول العلم من
حيث انه اول امر به ومنبه عليه
وحيث على فضله ، ومبين لشرفه
ورفعة اهله .

وأوليات العلوم والمعارف انما
جاءت على السن الرسل ، وانفع
الحكم المنورة للعقول مستمدة من
أحاديث الانبياء وكلامهم وما أوحى
اليهم من عند ربهم .

والدين آخر العلم لانه النتيجة
الغائية لكل عالم نبيل أو فيلسوف
محقق ، تصفح أعيان الكائنات
بنزاهة وإخلاص فأرشد الى عللها
ومصادرها ومصيرها ، وتوحدت
في نظره القوة الخالقة والعظمة
المدبرة التي تسوس مخلوقاتها
وتكلمها وتعمل على اسعادها ،
هذا ما لم يستخر طالب العلم علمه
في الالتواءات المسادية ، أو اذا
انتكس فلا يرى في الكون الا
ظواهر المادة .

وإذا كان غرض العلم الحقيقي
إصلاح الحياة وتضامن أهل
الإنسانية واسعادهم وتأخيرهم ،
فهو مرشد الى ما أرشد اليه الدين
من قبل ، وحينئذ لا يكون ثمة
خلاف بين الدين والعلم اللهم الا
أسبقية الدين للعلم في هداية
أفراد الخليقة الى ما ينفعهم
ويوجب لهم السلام والتضامن ،
والجزي مع العلم الى ما يقاربه من
الحقيقة الكونية .

يقول الله سبحانه وتعالى (انا
انزلنا التوراة فيها هدى ونور
يحكم بها النبيون الذين اسلموا
للذين هادوا والربانيون والاحبار

ليظة الرسل

الاستاذ محمود أبو الفيض المنوف

الأفكار وتقسية القلوب وتخليتها
من عوامل الشفقة والرحمة
والعطف والمروءة وحب الخير ،
فهذا العلم حقا لا يتفق والدين في
طريق .

لا من حيث ضعف نتائج الدين
ومتانة ذلك العلم ، ولكن من حيث
ان مثل هذا العلم لا يكون علما
صحيحا ، وإذا لم يكن علما
صحيحا فهو باطل ، والباطل لا
يمشي الحق في سبيل كما تقدم
(وان قطع أكثر من في الارض
يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون
الا الظن وان هم الا يخرصون »
« ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت
السموات والارض ومن فيهن بل
اتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم
معرضون » .

وقدما ان الغرض الاول للدين
هو الاعتقاد بالخالق ، وهذه
الحقيقة من ضيعها فقد حكم على
عقله بالعقم وعلى نفسه بالشروء
عن بدائه الحقائق .

« وقفنا على آثارهم بعيسى ابن مريم
مصدقا لما بين يديه من التوراة
واتينا الانجيل فيه هدى ونور
ومصدقا لما بين يديه من التوراة
وهدى وموعظة للمتقين » « وأنزلنا
اليك الكتاب بالحق مصدقا لما
بين يديه من الكتاب ومهيما عليه
فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع
أهواءهم »

وقال : (ولقد جنناهم بكتاب
فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم
يؤمنون هل ينظرون الا تاويله يوم
ياتي تاويله يقول الذين نسوه
من قبل قد جاءت رسل ربنا
بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا
لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا
نعمل قد خسروا انفسهم وضل
عنهم ما كانوا يفترون) .

واما اذا كان غرض العلم
المزعم ، جحود الحق والاحاد
بالخالق وافساد النفوس وتضليل

والغرض الثانی حمایة الاجتماع وصيانة المخلوقات عما يشينها أو يبيدها .

وهذا ما يدعيه العلم ويدعم عليه شرفه

والغرض الثالث للدين : شكر الخالق وعبادته وحبه ، وهذا ادب لو تجرد منه العلم لاصبح عاطلا من افضل حلية تزيينه وتكسيه الجلال والهيبه في أعين الجهلاء والمتعلمين ، ولو أعمله العالم لحكم عليه علمه بالجهل وقدينا في غير هذا المقام مقدار اعتراف العلم والعلماء بتوحيد الخالق وتقديسه وتضائلهم أمام عزته .

وبقى علينا الان ان نفصل لك بعض التفاصيل ما يختص بالمعاملات والعبادات انظر الى قول الله عز وجل (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون)

أفهل ينكر العلم الصحيح ذلك أم يأمر به ؟ فإذا كان يأمر به فلا خلاف بين العلم والدين في مثل هذه الفضائل الاجتماعية الا في نظر عدو للدين والعلم معا . وان كان لا يأمر به ، فأظنك معي في تسمية ذلك العلم جهلا مريبا .

يقول الله تعالى (ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل)

أفترى أن العلم الصحيح يعترض على ذلك ؟ طبعاً كلا .

ويقول الله سبحانه وتعالى (ياايها الذين آمنوا لا تأكلوا

اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكونوا تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيمًا) ويقول (ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها) .

فهل يقول العلم الحقيقي بغير هذا ؟

واليك شيئاً من اتفاق العلم والدين في باب العبادات .

فمثلا ان كل ما حرم شرعاً حرم علماً وعقلاً ، كالزنا والفساد والسرقه والخمر والقتل وغير ذلك

وكل نجس في نظر الدين فهو قبيح وبئى في نظر العلم ، كالفضلات وسور الكلب والميتة والماء الذي تحل فيه ، فإذا سالت الدين عن مثل هذه الاشياء ، قال لك انها نجسة ، وإذا سالت العقل استقدرها ، وإذا سالت العلم كشف لك عن جراثيم (ميكروبات) الامراض التي تحويها .

والعلم مثلاً يحضننا على تهذيب النفس ورياضة الجسد وتنظيفه وخصوصاً الفتحات التي تتصل بالجو ، كالانف والاذن والعين ، لازالة ما قد يعلق بها من مسببات الامراض .

والدين يأمرنا بالنظافة غسلنا ووضوءنا واستنجاءنا ، وفي ذلك من الصحة مالا يخفى على كل عالم مخلص - ويأمرنا بالصلاة وفي ذلك من رياضة الجسم والنفس معاً مالا يحتاج الى شرح .

والعلم يوجب الحمية وتنظيف المعدة للمحافظة على الصحة او عند طرؤ المرض - والدين يأمر بالصوم .

وفي الصوم من الحكم ما يعجز عن حصره الطب نفسه .

والعلم يحثنا على الرحمة بالمساكين والفقراء .

والدين يأمرنا بالزكاة . ويجعل الاحسان للغير واجبا مقدسا ونصييا للفقير في مال الغنى .

والعلم يقول بالسياحة وتكوين الجمعيات والمؤتمرات ، والدين أوجب ذلك بالجمعة والحج ، لان الغرض من تشريع الجمعة اجتماع اهل كل حى في مسجد جامع يكون لهم بمثابة عيد اسبوعى واجتماع عام يجلس فيه الاميرالى جانب الحقير والغنى ملاصقاً للفقير .

والغرض من تشريع الحج ، السياحة لحفظ الصحة وزيادة المعرفة ولكي يكون الحج فضلاً عما فيه من العبادة مؤتمراً عاماً شاملاً لأكثر المسلمين في جميع انحاء العالم ليتعارفوا ويتذكروا في شئونهم العامة والخاصة وليؤدوا - شعائر دينهم مهلبين مكبرين، ويعودوا الى اوطانهم اخواناً على كلمة التوحيد .

وفي الدين من مثل هذه الحكم الجليلة الشئ الكثير الذى يقره العلم ويتفق معه العقل .

وافضل ما يقال اخيراً قول الله سبحانه وتعالى وهو خير القائلين واحكم الحاكمين (ياايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيراً لكم وان تكفروا فان لله مافى السموات والارض وكان الله عليهما حكيمًا) « ياايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نوراً مبيناً »

وان معاونة الانسان لأخيه الانسان
 مهمة اجتماعية لاغنى لاي فرد عنها
 فان مطالب الحياة كثيرة وحي على
 كثرتها متنوعة ولا يستطيع اى فرد
 بالغاً ما بلغ من القدرة والمال والعلم
 أن يقوم بمطالب حياته وحده بل
 لابد أن يسأله فيها غيره فكل
 فرد مضطر أن يعمل ولا بد أن
 يكون له فى عمله زملاء وأعوان
 وكل فرد مضطر كذلك للتعامل
 فى قضاء حاجاته ومعلوم ان
 حاجات الناس فى هذه الحياة
 متشابهة لا يستقل بها فرد أو اثنان
 اذن لا مفر من الاختلاط ولا مناص
 من التعارف والتعارف قد يعمق
 فيكون اندماجاً ويكون صحبة
 وصداقة ونحن نعلم مدى تأثر
 الانسان بمن يخالطه ومبلغ انفعاله
 بمن يعاشره أو يصاحبه فان النفوس
 البشرية جبلت على ان تتأثر بمن
 حولها وأن تتخلق بأخلاق البيئة
 التى تعيشها وان تأخذ عادات
 وتقاليدها الاوساط التى تحيط بها
 - فالمعاشرة تنقل الى النفس هذه
 الأخلاق والعادات بغير تفكير ولا
 قصد الى هذا التخلق الجديد فان
 (الطبع سراق) كما يقولون
 تساعد هذا المعنى واضحا فيما
 ينشأ من علاقة الطفل بأبيه
 وفيما يظهر من - ارتباط التلميذ
 بمربيه كما نشاهده كذلك فى
 الطوائف التى يجمعها عمل واحد
 أو تشملها مهنة واحدة أو يضمها
 لقب واحد فان لكل منها طابعا
 خاصا يميزها ولهجة خاصة فى
 تفاهمها - وشعارات خاصة فى
 تعارفها وسرعان ما تنتقل هذه
 الخصائص وتلتقى هذه الشعائر
 فى كل فرد من ابناء هذه الطائفة
 تلقائيا دون ارادة ولا توجيه سنة
 الله فى الخلق ولئن تجد لسنة
 الله تبديلا - ونحن نعلم كذلك ان
 الناس ليسوا سواء بل هم معادن

من توجيهات النبوة فى اختيار الصديق

فضيلة الشيخ عبد الحميد بايع

سؤال خطير يشير الاهتمام ويستدعى العناية واستفهام جدير
 يلقي بحثا سريعا مقرونا بالاجابة فيما يظهر انما
 نشأ هذا السؤال من وحي الواقع فى حياة مجتمعنا الذى نعيشه
 وصدى للتعامل فى وسطنا الذى ننتمى به ونشيد - لان السائل
 فيما يبدو يحفظ فى ذهنه صورة للصديق موروثه من الاولين فيها
 معنى الصديق والوفاء وروح الاخلاص وكرم الاخاء فيها المؤازرة
 عند الشدة والاعانة على كل ما هو خير وبر ورحمة .

أقنعة للحصول على غرض معين -
 ومن هنا نشأ هذا السؤال .

وأقول للسائل مهلا يا أخى واعطنى
 جزءا من وقتك والى الى شيئا من
 تفكيرك وسمعت مناقش سؤالك
 سويا رجاء أن نحصل على معنى
 الصديق الذى تنشده والذى
 ورثت عن الاولين صورته فان
 البحث يحتاج الى تمهيد وتقديم
 ذلك .

ان اختلاط الانسان بأخيه
 الانسان ضرورة عمرانية لابد منها

ولكنه عند تطبيق هذه الصورة
 لم ير فى وسطه شخصا تنطبق
 عليه لم ير هذا الصديق الوفى
 ولا صاحب المخلص التقى ولم
 تقع عينه الا على شخص يظهر
 لأخيه بمظهر الصداقة لحاجة فى
 نفسه من أجلها يكثر لأخيه التودد
 ويلين له الحديث ويظهر له
 الاهتمام بشأنه حتى إذا ما حصل
 على ما يريد منه قطع التودد له
 وانهى كل اتصال به والواقع انه
 لاصداقة ولا صديق وانما هى الفاظ
 أضاع الناس معناها واتخذوها

كذلك ان التدين فطرة الله التي فطر الله الانسان عليها من أجل ذلك كله يقول للانسان الرجل على دين خليله الخ والانسان بفطرته السليمة يعلم أن لاشئ أعز من الدين ولا أرفع مقاماً من التدين ولا أعلى درجة هن الاتصال بالله فاذا سمع قول الرسول (الرجل على دين خليله) كرس جهده لمخاللة أهل الدين والخلق ليحظى بشرف صحبتهم في الدنيا وينال كرامة معيشتهم في الآخرة فان الرسول يقول (المرء مع من احب) وهذا لون آخر من التوجيه النبوى الكريم الى شباب الأمة الراغبين فى الزواج يوجههم الى اختيار الزوجة وفى صديقة الزوج ومربية الولد ورفيقة الحياة فيقول لهم (تتكج امرأة لأربع مالمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك) نرى ان المعلم الأول والمربي الاعظم بين الدوافع للاقتراح بالزوجة فى نظر الناس وأنها المال والحسب والجمال والدين كما تراه يعرب عن رأيه فى الاستجابة لآى دافع منها وكان رأيه الاستجابة لدافع الدين فيقول فاظفر بذات الدين (بل نراه يعد الحصول عليها ربها وكسبا اذ يقول فاظفر) وذلك لان الدين قوام الحياة مربى النفوس ولا غنى عنه فى أى مجال من مجالات الحياة اما الدوافع الأخرى فانما هى بواعث الشهوة وداعية الانحراف ومقتاح باب الفساد والشر ، وكما رغب الرسول فى

الدنىء العفن واسمع مارواه أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لاتصاحب الا مؤمنا ولا ياكل طعامك الا تقى . . نصيحة غالية وتوجيه جميل ولون من التربية العالية رقيق ودقيق لا يصاحب المؤمن الا المؤمن فى هذا الدين لمجتمع عال وعظيم فأن الإيمان أمن وسلامة يضى على صاحبه جلال التقوى ووقار المهابة ويحبب اليه خلال الخير والبر ويبعث فيه النزوع الى مواطن الفضيلة والأخلاق الكريمة ولقد صدق الله (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) ولاشك أن من يصاحب شخصا هذا شأنه وهذا خلقه تصفو سيرته . وتجمل سيرته . ويتبوأ مكانه فى مصاف أولى الراى المروقين .

لاتسل عن المرء وسل عن قريته أن القرين الى المقارن ينسب تأمل الابداع فى الدعوة الى هذه المثل العليا والأسلوب الرشيد فى التوجيه الى هذه الاسس الاجتماعية الكبرى . تأمل هذا فيما يرويه أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم اذ يقول (الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل) يعلم الرسول أن الانسان طموح يطلب الرفعة كريم يهدف الى العزة فخور يحب الثناء وجميل الذكرى والرسول يعلم كذلك ان الطريق الذى يصل بالانسان الى هذه الاهداف النبيلة هو مصاحبة اهل الدين الأتقياء وأن ايسر ما يحصل له هذه الغايات السامية هو مصادقة البررة الأوفياء ويعلم

متها الجيد ومنها الرديء ومنها الفث ومنها التمين فالناس مختلفو الطباع متفاوتو الأخلاق متباينو النزعات وبهذا يتضح أن ليس كل انسان يصلح للصحبة وليس كل شخص يختار المصادقة ومن أجل هذا وجب على الانسان أن يكون حذرا فى اختلاطه حريصا فى تخير معارفه وأصدقائه لكي تسلم روحه وتصفو نفسه وتطيب حياته والانسان كما يختار لنفسه الطعام والشراب ينتقى لها الجيد ويعاف العفن حرصا على صحته وحفظا لأعضائه يجب عليه كذلك أن يهتم بروحه يختار لها ما يصونها بل الروح بهذا أولى وأجدر فانه (بالروح لا بالجسم انسان) يجب على الانسان أن يختار الصديق الواعى المستقيم وينتقى الصاحب الصادق الوفى الأمين يجب أن يختار العشير طيب القلب كريم الطبع شريف المبدأ . نبيل الغاية ، على الخلق اتخذ دينه مصباحا له يسير على ضوئه وقانونا لحياته لا يخرج على وضعه وهذا هو الصديق الذى ننشده والصاحب الوفى الذى نطلبه به يعلو ذكر صاحبه ويرفع شأنه ويوسم بميسم الصلاح والتقوى فابحث عنه وأن لقيته فعض عليه بالناوذة تكن من المفلحين ولتحذر كل الحذر أن تتخذ صديقا - ماجنا محبا لذاته مبتدعا خائفا أن مصاحبة هؤلاء جنابة كبرى جنابة على النفس والمال جنابة على الولد والوطن خسارة فادحة لتحقق المجتمع من أجل هذا نرى ان الاسلام فى مبادئه يدعو الى التجمع والاختلاط وفى احكامه يهدف الى التأخى والائتلاف وفى تعاليمه يوحى بمخالطة الاتقياء ومعاشرة البررة الأوفياء محذرا من التعرف على المنحرف ومن مصاحبة النذل

الزوجة ذات الدين والخلق حذر
من الوقوع فى احضان غيرها •

فقال فى توجيهه آخر (أياكم
وخضراء الدمن - قيل وما خضراء
الدمن يارسول الله - قال المرأة
الحسنة فى الميت السوء) -
وزيادة فى التعريف بالصدى
الحق وأمعانا فى الترغيب فى
مضافاته ومصادقته ضرب الرسول
مثلا ملموسا من واقع الحياة يبين
به ما يعود على الانسان من مصاحبة
أهل الخير من نفع ويبين به كذلك
ما يعود على الانسان من الاختلاط
بأهل السوء من سوء العاقبة
وبئس المصير فيقول

(مثل المجلس الصالح
والجلس السوء كحامل المسك
ونافخ الكير فحامل المسك امان
يحذرك واما ان تتباع منه واما ان
تجد منه ريحا طيبة ونافخ الكير
اما ان يحرق ثيابك او تشم منه
ريحا منتنة)

متفق عليه مثل الرسول
الصدى الحق بحامل المسك
أو بائع العطر وبين أن الجلوس
معه لا يخلو من نفع أما ان يحذرك
يعنى يعطيك من طيبه وأما ان
تشتري منه طيبا وأن لم يعطك
ولم تشتري منه شيئا فانك واجد
منه ريحا طيبة فجلوسك معه
ربح على كل حال فكذلك صاحب
الصحيح اتصالك به نفع واختلاطك
به ربح فاحرص عليه أما صاحب
السوء فلا تصال به خسارة
والاختلاط به ضلال فى السرى
وسوء فى السلوك وقد مثله
الرسول بنافخ الكير فقال (واما

نافخ الكير أما ان يحرق ثيابك
وأما ان تجد منه ريحا منتنة ،
فاحذره ان يصيبك بما هو خطر
عليك واعلم ان هذا الصديق
يغريك ويغرك واذا وقعت فى
حيالته يبترا منك ويضرك ويرجع
باللائمة عليك وأوضح مثل لهذا
ما حكاه الله عز وجل مما يدور بين
الشیطان واتباعه وقد خافوا من
لقاء المسلمين فى احدى الغزوات
فشجعهم الشیطان على لقاء عدوهم
ثم تبرأ منهم وفى ذلك يقول الله
عز وجل (واذا زين لهم الشیطان
أعمالهم وقال لا غالب لكم
اليوم من الناس واني جار
لكم فلما تراءت الفئتان
نكص على عقبيه وقال انى برىء
منكم انى ارى ما لاترون انى اخاف
الله والله شديد العقاب) واستمع
الى تبرئته منهم يوم القيامة ورجوعه
باللائمة عليهم (وقال الشیطان
لما قضى الأمر ان الله وعدكم وعد
الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان
لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم
فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا
انفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم
بمصرخى انى كفرت بما أشركتمون
من قبل ان الظالمين لهم عذاب
اليم)

واستمع الى الاتباع يندمون
فى موقف لا يفيد فيه الندم يحكى
الله ذلك فيقول (ويوم يعرض
الظالم على يديه يقول يا ليتنى
اتخذت مع الرسول سبيلا يا ليتنى
ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا لقد
اضلنى عن الذكر بعد اذ جاءنى
وكان الشیطان للانسان خلويا)

وبعد أن حكى الله براءة المتبوعين
من التابعين وحكى ندم التابعين
لاستمرارهم فى صحبة المتبوعين
نهى عن التعرف عليهم وحذر من
مؤالاة هؤلاء وأولئك فقال
(ولا تكونوا الى الذين ظلموا فتمسكم
النار وما لكم من دون الله من
أولياء ثم لا تنصرون) •

(وبعد) فأرجو ان يكون
السائل عرف من هو الصديق
الوفى وأرجو له ان يوفق فى
البحث عنه وأرجو له كذلك
ان يوفق فى الحصول عليه فانه
نادر الوجود ولعل السائل لا يغتر
بما يراه فى بعض الناس من أمور
تعجبه أو عمل يغيره مظهره فيجب
صاحبه لذلك ويرغب فى صداقته
فليس هذا هو الصديق الذى نحن
بصدده وانما نقصد الصديق
المؤمن الذى اتخذ تعاليم الاسلام
مصباحا يسير على ضوئه فى حياته
فتألفه النفس لعمله ويحبه القلب
لدينه وينفعل به انفعالا ينتهى
بمحبتة لله وفى الله لا لغرض
ولا لمة متأسيا بقوله الله تعالى
لنبيه (واصبر نفسك مع الذين
يدعون ربهم بالغداة والعشى ،
يريدون وجهه ولا تعد عينك
عنهم تريد زينة الحياة الدنيا
ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا
واتبع هواه وكان امره فرطاً) ،
وأرجو الله عز وجل للأصدقاء
الأوفياء وللأصحاب الأخيار الأتقياء
ان يشملهم وعد الله القائل (وجبت
فى المتزاورين فى المتباليين فى
محبتى للمتحابين فى المتجالسين فى
والله ولى التوفيق •

الاعتصام بالدين والنقاء الأخلاق

فضيلة الشيخ
محمد بن عبد الله بن سليمان

الإسلامى فى استقامة تامة ومراقبة
لله سبحانه •

(قل ان تخفوا ما فى صدوركم
أو تبدوه يعلمه الله • ويعلم ما
فى السموات وما فى الأرض والله
على كل شئ قدير يوم تجد كل
نفس ما عملت من خير محضرا وما
علمت من سوء تود لو أن بينها
وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله
نفسه والله رءوف بالعباد • قل ان
كنتم تحبون الله فاتبعونى يحبكم
الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور
رحيم • قل أطيعوا الله والرسول
فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين)
ولا شك أن تقوى الله هى زاد
المسلم فى الحرب والسلام وفى
كل زمان ومكان (وتزودوا فان
خير الزاد التقوى)

• ويحكى لنا التاريخ صورة
رائعة مثالية عن امرأة عربية
أصيلة كانت تحمل بين جنبيها
قلبا كبيرا وضميرا حيا يقظا
فكانت مثلا أعلى للفتاة الأمينة
العاقلة التى تعرف ربها معرفة
صادقة • • وتلك هى قصتها •

كان عمر بن الخطاب قد أمر
مناديا ينادى فى الناس الا يشاب
اللبن بالماء فقالت امرأة لابنتها •
يابنتاه قومى الى اللبن فامدقيه
بالماء فانك بموضع لا يراك فيه
عمر ، ولانمادى عمر فأجابته
الصبية أمها • يا أماء ما كنت لاطيعة
فى الملا وأعصيه فى الخلا !!

(انها يخشى الله من عباده
العلماء ان الله عزيز غفور ، ان
الذين يتلون كتاب الله واقاموا
الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا
وعلانية يرجون تجارة لن تبور •
ليوفيه أجورهم ويزيدهم من
فضله انه غفور شكور • والذي
أوحينا اليك من الكتاب هو الحق
مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده
لخبير بصير • • ثم أورثنا الكتاب
الذين اصطفينا من عبادنا فهمهم
ظالم لنفسيهم ومنهم مقتصد ومنهم
سابق بالخيرات باذن الله ، ذلك
هو الفضل الكبير • • جنات عدن
يدخلونها يخلون فيها من أساور
من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها
حرير • • وقالوا الحمد لله الذى
أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور
شكور • • الذى أحلنا دار
المقامة من فضله لا يمسنا فيها
نصب ولا يمسنا فيها لغوب)

(يعلم خاتنة الأعين وما تخفى
الصدور) (يعلم ما تكسب كل
نفس) (يعلم ما بين أيديهم وما
خلفهم)

ولقد اعد الله للذين يجاهدون
أنفسهم أجرا كبيرا ومقاما كريما
لأن الجهاد هو الطريق لنيل
الحق ولتصبح كلمة الله هى العليا
وبالجهاد يؤيد الله الذين آمنوا
على عدوهم فيصبحوا ظاهرين •

ولابد - للذين يريدون عزًا
وسيادة وسعادة من جهاد النفس
والشيطان ليستقيم الأمر باتباع
الطريق المحمدي والتخلق بالخلق

لا يشك عاقل فى أن الاعتصام
بالدين يهذب النفس ويرقى
الحس ولا بد للنفس البشرية من
توجيهات الهية تهذبها وتربها ،
وتؤدبها وترقيها • وتطهرها من
أدران الرذائل وقاذوراتها ومطامع
الحياة وشهواتها لأن الإيمان
القوى يصنع الرجال ويكون
الأبطال ويبنى الشجاعة التى تدافع
عن الحق ولا تنثنى وتتناضل فى
سبيله ولا تنحني فلا يكون المؤمن
مستهترا جبانًا ولا مستكبرا جبارا
فاذا أسند اليه عمل آداه بزمه
وهمة مراقبا ربه الذى يعلم
السر واخفى •

وكان عمر يسمع هذا القول وهو متكئ على جدار في جوف الليل .. وقد أعياه تعب العسس بالمدينة فقال عمر لصاحبه (يا أسلم) علم الباب .. وأعرف الموضوع : ومضى عمر في عسسه ولما أصبح قال ، يا أسلم : امض الى ذلك البيت فانظر من القائلة .. ومن القول لها .. وهل لهم من بعل ؟ فأتى أسلم الموضوع ، ونظر فإذا الجارية أيم لا بعل لها وإذا تيك المرأة أمها وليس لهما من رجل فأتى أسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأخبره الأمر ، فدعا عمر ولده وجمعهم اليه وقال هل فيكم من يحتاج الى امرأة فأزوجه ولو كان بأبيكم حركة الى النساء ما سبقه أحد منكم الى هذه الجارية فقال عبد الله ابنه (لى زوجة) وقال عبد الرحمن (لى زوجة) وقال عاصم ، يا ابتاه لأزوجه لى (فزوجنى) فبعث عمر الى الجارية وزوجها من ابنه عاصم فولدت له بنتا وولدت البنت (عمر بن عبد العزيز) رضى الله عنه : ذلكم الخليفة الذى ملأ الأرض عدلا وأمنا وسلاما .. ولقد كان المسلمون الأولون يرون أن الدين هو الذى يبنى أمة التوحيد المحمدية التى قال لها رب العالمين (كنتم خير أمة أخرجت للناس) وكانوا يعتبرون هذا الدين القيم وحده هو صاحب الفضل فى بناء هذه الأمة المسلمة ولكن فريقا من الناس ممن أصيبوا بجنون السفسطة وبدأ التقليد الأوربى فى غزوه للخلق الإسلامى

والتراث العربى - يرون أن الدين رجعية وعودة للوراء ولكن الحق أن شعار الأمة العربية المسلمة هو الاسلام وأساس دينها القرآن وليس من المروءة أن يتحلل الانسان من الخلق العربى الأصيل الى تقليد استعمارى ذليل وفى هذا يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه موجها ومرشدا ..

(لقد تركت فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا من بعدى كتاب الله وسنة رسوله)

ولكن المدنية المزيفة والحضارة الكاذبة تظن أن الاباحية حرية ، وأن الخلاعة رقى .. وهذا الاتجاه الزائف فيه خطأ كبير وضرر كثير يلحق بالأمة المحمدية التى هذب القرآن اخلاقها وأصلح الله بالاسلام أعمالها وصحح الله بهذا الدين القيم عقائدها وعاداتها وسلوكها ومعاملاتها وأصبحت بصيرة بدينها ودنياها وبالهدى السماوى أصبحت عزيزة الجانب مهيبة السلطان جليلة القدر قوية الشوكة يخشى بأسها الغادرون المجرمون

هذا وفى خلق الاسلام صلاح الأمم وإسعاد البشر واطمئنان القلب وراحة الضمير وحياة العزة الاصيلة الفاضلة ولقد شرع الله العبادات لتوجيه النفس الى ربط الصلات والعلاقات بالله السدى خلق النفس وكلفها بطاعته فى السر والعلن فلا تامل فى العمل ولا تجامل ولا تخشى فى الحق

لومة لائم ، وما فرض الله الصلاة على عباده المؤمنين الا لتنتهى عن الفحشاء والمنكر ولتطهر النفس من الذنوب والعيوب ليكون الانسان طاهر الظاهر والباطل لينجى ربه مثنيا عليه راجيا منه العون على الهداية قائلا :

(اياك نعبدواياك نستعيناهدنا الصراط المستقيم صراط الذى انعمت عليهم غير المنضوب عليهم ولا الضالين)

والصلاة الحقيقية المخلصة لله تقود النفوس البشرية الى خشية الله الخالق الواحد القهار : (قل ان صلاتى وتسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين)

ولابد من تربية الضمير المحاسب المراقب ليتحقق الانتاج ويتضاعف الدخل القومى ويراعى الصالح العام الجاد من غير اختزان للطاقات ، ولا خيانة للامانات ، ومراقبة الله تحقق الاستقامة الكاملة فى كل عمل والله يقول : (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شىء عليم)

ومراقبة الله تخلق الحياء ويقول عمر بن الخطاب فيمن يقل حياؤه وينقص خلقه ..

من ذهب حياؤه مات قلبه ، ومن كذب فجر ومن فجر هلك) وقال

الأحنف بن قيس (لا مروءة لكذب ولا سؤدد لبخيل ولا ورع لسه الخلق ، وقال أحد الحكماء

اجتنب سبع خصال يسترح قلبك : لا تحزن على ما فاتك • ولا تحمل هم مالم ينزل بك ، ولا تلم الناس على ما فيك مثله ولا تطلب الجزاء على مالم تعمل ، ولا تنظر بشهوة الى مالا تملك ولا تغضب على من لم يضره غضبك ولا تمدح من لم يعلم من نفسه خلاف ذلك •

ويقول على كرم الله وجهه : أدب المرء خير من ذهبه بشر نفسك بالظفر بعد الصبر خف الله تأمن غيره ، خليل المرء دليل عقله ، صاحب الأخيار تأمن الاشرار عش قنعا تكن ملكا • وحدة المرء خير من يجلس السوء • شر الناس من لا يبالي أن يراه الناس سيئا كما تزور تحصد وكما تدين تدان • الحازم من حفظ مافي يده ولم يؤخر عمل يومه لغده •

ومن الاعتصام بالدين تأدية الأمانة كاملة وهي في جملتها عبارة عن التكاليف الشرعية كاملة ودين الله أمانة في قلوب الناس له قدسيته في الذمة فلا يستهان ، أبدا ومن ثم كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمانة (في كتاب الله وسنة رسوله) استودعها قلوب المؤمنين والدعاة المصلحين ليعملوا بالخير والبر ويبلغوا النصح للناس (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)

يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون •

يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا •

وعن سفيان بن عبد الله قال قلت يارسول الله قل لي في الاسلام قولاً لا أسأل عنه أحدا غيرك قال (قل أمنت بالله ثم استقم) فكان يجوابه بجامعا • هذا والاستقامة هي طريق النجاح (وما من شيء ياتقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن ، وان الله يفض الفاحش البذيء) (ومن سعادة المرء حسن خلقه • ومن شقاوته سوء خلقه) وان هذه الأخلاق من الله فمن أراد الله به خيرا منحه خلقا حسنا ومن أراد به شرا منحه خلقا سيئا (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) وفي الحديث (ان الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وان الله يعطي الدينيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين الامن يحب ، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه ، والذي نفسى بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه قيل وما بوائقه ، قال غشمة وظلمه) ولا يجرم أن من احسن ما

بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته ومن عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه والله يقول :

(من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى) (ولن خاف مقام ربه جنتان) (وان ليس للانسان الا ما سعى)

(ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (والتقوى طريق الى النصر المبين كما قرر ذلك القرآن الكريم •• وأودعنا ان اذكر ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب خطابا لسعد بن أبي وقاص قائد جيشه ومما يقول فيه (أما بعد : فاني أمرك ومن معك من الإيجناد بتقوى الله على كل حال فان تقوى الله أفضل العدة على العدو •• وان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وانما ينصر المسلمون بمعية عدوهم لله • لان عدونا ليس كمدهم ولا عدتنا كعدتهم فان استوتينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة ومنه وترفق بالمسلمين في سيرهم حتى يبلغوا عدوهم ، والسفر لم ينقص قوتهم ، وأقم بمن معك في كل جمعة يوما وليلة • حتى تكون لهم راحة يحيون فيها أنفسهم

ونح منازلهم عن قري أهل الذمة
فلا يدخلها من أصحابك الا من
تثق به فان لهم حرمة وذمة ابتليت
بالوفاء بها ..

واذا وطئت ارض العدو فاذاك
العيون بينك وبينهم ولا يخف عليك
امرهم وليكن عندك من تطمئن الى
نصحه وصدقه ، واختر للطلائع
أهل الراى والبأس من أصحابك
وتخير لهم سوابق الخيل واجعل
أمر الطلائع الى أهل الجهاد
والصبر على الجلال ولا تخصص بها
أحدا بهوى . فاذا ما لقيت العدو
فاضم اليك أقاصيك ، ثم لا تعالجهم
بالتأخر مالم يستركه فقل حتى
تبصر عورة عدوك فتقاتل وتعرف
الأرض كلها كعرفة أهلها واذك
حرسك على عسكريك وتيقظ من
البيات جهذك (..)

والى الذين همهم أن يشبعوا
تهمهم أسوق العبرة من هذه
العظة لعلها تحد من الانتهازية
والأنانية المقوية .. خطب رسول
الله صلوات الله وسلامه عليه
فقال .

أيها الناس كان الموت فيها
على غيرنا قد كتب ، وكان الحق
فيها على غيرنا قد وجب ، وكان
الذى تشيع من الاموات سفر ، عما
قليل الينا راجعون ، نبؤهم
أجدانهم وناكل من تراثهم كانا
مخلدون بعدهم ، ونسينا كل
واعظة وأما كل جانحة ، طوبى
لمن شغله عنه عن عيوب الناس :
طوبى لمن أنفق مالا اكتسبه من

غير معصية وجالس أهل الفقه
والحكمة وخالط أهل الذل والمسكنة
طوبى لمن زكت وحسنت خلقته ،
وطابت سريرته ، وعزل عن الناس
شره ، طوبى لمن أمسك الفضل
من ماله وأمسك الفضل من قوله ،
ووسعته السنة ولم تستهوه
البدعة .

.. ان الله أمرنا بالاعتصام
بدينه واتباع سنة نبيه وأوضح
لنا السبيل وأبان الدليل وقال
لنا (ولنبلونكم حتى نعلم
المجاهدين منكم والصابرين ونبلو
أخباركم) . والله قد وصانا
بالوحدة وعدم التفرقة وقد روى
أن أبا قتادة ضاق ذرعا من مسلك
خالد مع مالك بن نويرة فانسحب
من الجيش وعاد الى المدينة
ليشكو الأمر لأبي بكر ، فأمره
أبو بكر بالعودة فورا ليلحق
بالجيش منتظما مع الجنود تحت
أمره خالد فاذا رابه أمر ، ابلغ
عنه ، وهو ضمن الجيش المتحد
التماسك صيانة لوحدة الصفوف
المجاهدة كالبيان المخصوص ..

ان الاسلام دين التعاون والتآزر
والتضامن جاء ليربط الناس جميعا
برباط الاستقامة والعهد
والاحسان وفرض على الجميع ان
يتحصنوا بالخلق ضد اخطار
الفساد ، بروح مؤمنة جماعية
قوية وما من شك فى ان النقاء
الاخلاقي من أعظم القربات عند
الله سبحانه وتعالى ... قال
الاصمعي دخلت البادية فاذا أنا
بامرأة من أحسن النساء وجهها

متزوجة برجل من أقبح الناس
وجهها ، فقلت لها (ياهاثة) كيف
ترضين لنفسك أن تكوني زوجا
لهذا فقالت يا هذا أسكت فقد
أسأت فى قولك ، لعله أحسن فيما
بينه وبين الله فجعلنى جزاهه ،
أو لعل أسأت فيما بيني وبين الله
فجعله عقوبتي ، أفلا أرضى بما
رضى الله لى ؟ قال فأسكتنى ..

ولما وقعت سفانة بنت حاتم الطائي
أسيرة فى جيش المسلمين طلبت
لقاء النبي فذهبوا بها اليه فقالت
له :

شكرتك يد افتقرت بعد غنى ،
ولا ملكتك يد اغتنت بعد فقر ،
وأصاب الله بمعرفك مواضعه ولا
جعل لك الى لئيم حاجة فقال
خلوا منيها فان أباهما كان يحب
مكارم الاخلاق ، وحمل لها على
بعيرتين وزدها الى أهلها معسرة
مكرمة ..

وهذا تقدير كريم من الرسول
لايها الذى كان يحب مكارم
الاخلاق وعن عبد الله بن سليمان
ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه
قال أى الناس أفضل قيلوا
المصلون . قال ان المصل يكون برا
وفاجرا قالوا الصائمون ، قال ان
الصائم يكون برا وفاجرا ، قالوا
المجاهدون فى سبيل الله ، قال ان
المجاهد يكون برا وفاجرا ، قال
عمر ، لكن الورع فى دين الله
يستكمل طاعة الله عز وجل ،
وسئل عمر عن رجل لا يشتهي
المعصية ولا يعمل بها أفضل أم

أوجل يشتهي المعصية ولا يفعل
بها فقال أن الذين يشتهون
المعصية ولا يعملون بها أولئك
الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى
لهم مغفرة وأجر عظيم ٥٠

وقال عدى بن سهل الأنصاري
قام خطيبا فينا عمر بن الخطاب
فقال :

أما بعد فاني أوصيكم بتقوى
الله الذي يبقى ويفنى ما سواه ،
والذي بطاعته ينفع أوليائه ،
وبمعصيته يضر أعداءه ، فانه ليس
لهالك هلك عذر في تعمد ضلالة
حسبها هدى ولا ترك حق حسبه
ضلالة ، قد ثبتت الحجة واتقبح
العذر فلا حجة لأحد على الله عز وجل
الا ان احق ما تعاهد به الراعى
وعيته أن يتعاهدهم بالذى لله
عليهم فى وظائف دينهم الذى
هداهم وانما علينا ان نأمركم
بالذى أمركم الله به من طاعته
وأن نهلك عما نهاكم الله عنه من
معصيته وأن نقيس أمر الله فى
قريب الناس وفى بعيدهم لانبأى
على من مال الحق ليتعلم الجاهل
ويتعظ المفرط وليقتدى المقتدى
وقد علمت أن أقواما يتمنون فى
أنفسهم ويقولون نحن نصلى
مع المصلين ونجاهد مع المجاهدين
ونقاتل العدو ، ومع ذلك
يفعل أقوام لا يحتملونه بحقه
فان الأيمان ليس بالتمنى ولكنه
بالحقائق فمن قام على الفرائض
وسدد نيته وحسبته فذلكم
الناجى ومن ازداد اجتهدا وجد

عند الله مزيدا وإن الجهاد
سنام العمل انما المجاهدون
الذين يهجر السينات ومن
يأتى بها ويقول أقوام رجاهدنا
وانما الجهاد فى سبيل الله اجتناب
المحارم مع مجاهدة العدو وإن
الأمر جد فجدوا وقد يقال
أقوام لا يريدون الا الأجر وآخرون
لا يريدون الا الذكر وإن الله رضى

منكم باليسير واثابكم على اليسير
الكثير ٥٥ الوظائف ٥٥ الوظائف
٥٥ أدوها ٥٥ تؤدكم الى الجنة ،
السنة السنة ٥٥ الزموها تنجكم
من البدعة ٥٥ تعلموا ولا تعجزوا
فان من عجز تكلف وان شررا الأمور
محدثاتها ، وإن الاقتصاد فى
السنة خير من الاجتهاد فى البدعة
فافهموا ما توقعون به فان السعيد
من وعظ بغيره وإن الشقى من
شقى فى بطن أمه وعليكم بالسمع
والطاعة فان الله قضى لهما بالعز
واياكم والمعصية والتفرق فان الله
قضى لهما بالذل (هذه خطبة فيها
ذكرى وموعظة وفيها توجيه للحض
البر والخير ومثل هذا فليعمل
العاملون ومثل هذه العبر فليقتد
المقتدون ٥٠

(يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة
الساعة شئ عظيم) هذا ٥ وفى
التسامح والتواضع ودقة الحس
يقول الرسول صلى الله عليه
وسلم (لا يؤمن أحدكم حتى يحب
لأخيه ما يحب لنفسه) ولقد جرى
بين الحسين رضى الله عنه وبين
أخيه محمد بن الحنفية كلام
وافترقا متغاضبين ، فلما وصل

محمد إلى منزلة كتب إلى الحسين
بعد البسمة ٥٠

من محمد بن على إلى أخيه
الحسين بن على - (أما بعد) ،
فان لك شرفا لا أبلغه ، وفضلا
لا أدركه ، فان أمى امرأة من بنى
حنيفة ، وأمك فاطمة بنت رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، ولو
كان ملء الأرض نساء مثل أمى
ما وفين بأمك ٥

واذا قرأت رقتى هذه فاليس
رداك وتعليك سر إلى لترضىنى
واياك أن أسبقك إلى هذا الفضل
الذى انت أولى به والسلام

والى القارىء نماذج من
التوجيهات التى يقتدى بها
شاء أن يهتدى بما رسم السابقون
الأولون وهذا ما كتبه عمر إلى بعض
عماله

حاسب نفسك فى الرخاء قبل
حساب الشدة ، فان من حاسب
نفسه فى الرخاء قبل حساب الشدة
عاد مرجعه الى الرضا والقبطة ،
ومن ألته حياته وشغلته الاهواء
عاد أمره الى الندامة والحسرة ،
فتذكر ما توقع به ، لكى ما تنهى
عما تنهى عنه وتكون عند التذكرة
والموعظة من أولى النهى ٥

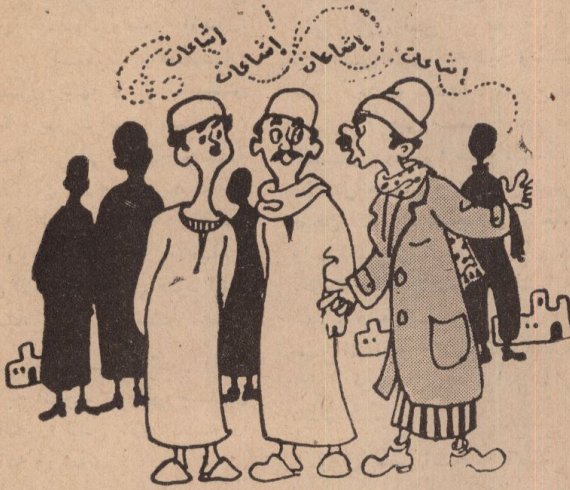
وعن أبى جبريل الأزدي قال
كان رجل لا يزال يهدى لعمى
فيخذ جذور الى ان جاء ذات يوم
بخصم فقال يا أمير المؤمنين اقض
بيننا قضاء فضلا كما يفصل الفخذ
من سائر الجذور ، قال عمر فما
زال يردد على حتى خفت على
نفسى فقضى عليه عمر وكتب الى
عماله ٥٠

(أما بعد فايكم والهدايا فانها
من الرشا)

معنى الاشاعة :

الاشاعات

ومضارها



الشيخ عبد المنصف محمود

طائفة العقاب الشديد ، لتسببه في اثاره المشاعر ، وبليلة الافكار ، وتهيج الشعب ، لاحداث الفتن والاضطرابات ، التي هي اساس بلاء الامة ومصدر شقائها .
قال الله تعالى :

« لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا » .

والارجاف : هو التحريك والاضطراب ، من الرجة التي هي الزلزلة ، وصفت به الاخبار الكاذبة ، لكونها متزلزلة غير ثابتة ، أو لتزلزل قلوب الناس واضطرابها منها .. والمرجفون : هم المتلسمون الفتنة ، المشيعون للاكاذب والباطيل ، وقد نزلت

الباعث عليها :

قد يكون الدافع الى الاشاعة : هو الحقد والكراهية ، أو التشفي والانتقام ، عن طريق التشهير والتشنيع .. ولا ريب في أنه يترتب على ذيوعها وانتشارها اثار سيئة ، واضرار عظيمة ، وعواقب وخيمة .. تتفاوت باعتبار متعلقاتها فان منها ما هو متعلق بالفرد أو الاسرة ، ومنها ما هو متعلق بالجماعة أو الامة .. ومما لاتزاع فيه : ان ضررها فيما هو متعلق بالجماعة أو الامة اشد ، حيث تكون الطامة الكبرى ، والخطب الجسيم .. والاشاعة في مثل هذه الحالة : تعتبر خيانة عظمى ، وجريمة كبرى في نظر الاسلام ، يستحق صاحبها أن يقع تحت

يقال في اللغة : شاع الخبر يشيع اشاعة وشيعوعة : ذاع .. واشاع الخبر : اذاعه .. ورجل مشيع : مذياع .. وشاع الشيء يشيع شيوعا : ظهر وانتشر .. والاشاعة : هي تلقى الحديث على علته ، ونشره بين الناس من غير ترد أو تثبت ، للتعرف على مدى صلاحه أو فساد ، صدقه أو كذبه .. وغالبا ما يكون هذا الحديث مقترى ، لا نصيب له من الصحة .

قال الله تعالى :

« اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم » .

وروى مسلم في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : « كفى بالمرء اثما أن يحدث بكل ما سمع » .

وروى البخاري ومسلم عن المغيرة بن شعبه : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : نهى عن قيل وقال » أي الذي يكثر من الحديث عما يقول الناس ، من غير تدبر ولا تيقن .

فناقل الاشاعة : شريك في ترويجها ، وعامل على ذبوعها وانتشارها ، وهي فتنة : والفتنة أشد من القتل .

قال الله تعالى : « والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً » .

وقال جل شأنه : « ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم واتم لا تعلمون » .

هذه الآية في شأن المنافقين ومرضى القلوب : هاتكة سترهم ، كاشفة حالهم ، مهددة لهم ، وأى تهديد اعظم من قوله تعالى :

« لنفرنك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا »

ولا شك ان الارجاف واذاصة السوء واشاعة الاكاذيب : التي يروجها المنافقون وضعفاء الايمان : تباعد بين الشعوب وامالها ، وتحول بينها وبين تحقيق امانها ، بما يترتب عليها : من نرب اليأس الى القلوب ، واشاعة الضعف بين الصفوف ، حيث انها تفت في عضد الجماعة ، وتقتل فيهم روح الشجاعة والاقدام ، لتبقى الامة ترسف في قيود الدل والاستعباد ، وتفقد ثقتها بنفسها

ولما كان هذا الدور الذي يقوم به المرجفون والمروجون للاشاعات : ليس بالامر الهين ، قال الله في شأنهم :

« ملعونين أين ما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا »

فهم ملعونون ومطردون من رحمة الله تعالى ، بل ومنبذون من الناس حيث عرفوا ، وهم اينما وجدوا جزاؤهم الضرب والتنكيل ، والاخذ بالقوة ، بل والقتل ، اذا ظلوا على ارجافهم وتعادوا في اشاعة السوء ..

دورها في كسب المارك :

والاشاعة كثيرا ما يستخدمها العدو بطريق مباشر او غير مباشر كسلاح قوى يشهره في وجه خصمه ، لتعطيه ، واضعاف روحه المعنوية ، حتى لا يقوى على الصمود امامه ، وبذلك يتمكن من تهره والتغلب عليه ..

افنى غزوة أحد : عندما أشيع قتل النبي صلى الله عليه وسلم ،

لجأ بعض الفسزة المسلمين الى الفرار ، وولوا الادبار .

وقيل في سبب ذلك : ان عمرو ابن قميئة الحارثي لما رمى الرسول بالحجر ، فشح رأسه ، وكسر رباعيته ، أقبل عليه يريد قتله ، فذب عنه مصعب بن عمير ، صاحب راية المسلمين يومئذ ، حتى قتل ، فظن ابن قميئة : انه قتل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : قتلنا محمدا ، فصرخ بها الصارخ ، حتى سمعها الكثير من المسلمين ، وقيل : صاح الشيطان قد قتل محمدا ، وفشت في الناس فوهن اكثر المسلمين ، وضعفوا واستكانوا من شدة الحزن .. وكانت هذه الاشاعة : سببا في شيوع قالة السوء ، حتى قال بعض المنافقين : « لو كان نبيا ما قتل ، ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم » .

وقال بعض اصحاب الصخرة ، اى الذين فروا الى الجبل فقاموا على صخرة منه :

« ليت لنا رسولا الى عبد الله ابن ابي فيأخذ لنا امانا من ابي سفيان ، يا قوم ان محمدا قد قتل ، فارجعوا الى قومكم ، قبل ان يأتوكم فيقتلوك » .

وفي تلك الساعة الرهيبة ، التي زاغت فيها الابصار والبصائر ، واشتد الكرب حتى بلغت القلوب الحناجر انتهى انس بن النضر الى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والانصار ، وقد القوا بأيديهم ، فقال : ما يجلسكم ؟ قالوا : قتل محمد رسول الله ..

فقال انس : ان كان محمد قد قتل ، فان رب محمد لم يقتل .. وما تصنعون بالحياة بعد رسول

الله صلى الله عليه وسلم ؟ .. قوموا فموتوا على ما مات عليه ، ثم شد سيفه فقاتل حتى قتل .. وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو : الى عباد الله ، فاجتمع اليه ثلاثون رجلا منهم ابو بكر وعلى وطلحة وابو دجانة : الذي جعل نفسه ترسا دونه ، فكان يقع عليه النبل وهو لا يتحرك ..

ولما كانت هذه الاشاعة سببا في انفضاض بعض المقاتلين عن النبي صلى الله عليه وسلم ، عاتبهم الله بقوله :

« وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل انا مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين »

فاعلم الله في هذه الآية : ان الرسل صلوات الله عليهم ليسوا بباقيين في اقوامهم ابدا ، ، وانه يجب التمسك بما أتى به المرسلون وان فقد الرسول يموت او قتل ، فالنبوة او الرسالة : لا تدفع الموت ولا تمنعه .

قال الله تعالى :

« وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد اذ ان مات فهم الخالدون »

وقال جل شأنه :

« انك ميت وانهم ميتون » اضرار الاشاعة :

ومن عجب انه لم تخل امة من الامم ، من أن تكون فيها جماعة او فئة من الناس : تدبغ الاخبار وتفسدوا الاسرار ، وتشتيع الاراجيف ، خصوصا ما يتعلق بالحروب والمعارك ، بقصد سوء : كالجاذدين وضعفاء الايمان ، يرومون من وراء ذلك : تزريق

شمل الأمة ، وتفريق الكلمة ،
وتشتيت الجمع ، واللقاء العداوة
والبغضاء بين الحاكمين والمحكومين
.. أو بقصد حسن كما يحصل
من عامة الشعب ..

وقد أوشدنا الله عز وجل :
إلى أن الأمور التي تتعلق بالأمم
والخوف يجب أن نترك الحديث
فيها للقائد العام ، ولاهل الرأي
والحل والعقد في الأمة ، فهم
أدري الناس بها وبالكلام فيها
حسبما تقتضيه المصلحة .

أما أن نتحدث نحن بما نعرف
وبما لانعرف بقصد أو بغير قصد،
فهذا ضرر وأى ضرر يعسود على
الامة .

قال الله تعالى :

« وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به (أعلنوه وأفشوه ونشروه) ولو رذوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم علمه الذين يستنبطونه منهم »
 أى الذين يستخرجون تديبره بफलنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بأمور الحرب ومكايده .. وهكذا يجب أن يكون فى الأمة : رجال أهل بصيرة ورأى فى سياستها ومصالحها الاجتماعية ، وقدره على الاستنباط يرد اليهم أمر الأمن والخوف وسائر الأمور السياسية والاجتماعية والاقتصادية .. وهم الذين يسمون فى عرف الاسلام : أهل شورى ، ويعرفون فى العصر الحديث بالنواب (أعضاء مجلس الأمة) وفى هذه الآية انكار على من يبادر الى الأمور قبل تحقيقها فيخبر بها ويفشيها وينشرها ، وقد لا تكون صحيحة ولو سكتوا حتى سمعوا من القائد العام (وهو الرسول صلى الله عليه وسلم) وأولى الأمر لعلموا

صحتها ، وهل هي مما يذاع أو لا يذاع ..

وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين بلغه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لاقى نساءه ، جاء من منزله حتى دخل المسجد ، فوجد الناس يقولون ذلك ، فلم يصبر ، حتى استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم ، فاستفهمه أطلعت نساءك ؟ فقال : لا ، فقال عمر : الله أكبر (وعند مسلم قال عمر : « قلت : أطلقتهم ؟ فقال : لا ، فقمعت على باب المسجد ، فناديت بأعلى صوتي : لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ، ونزلت الآية : « وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو أدوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » وكنت أنا استنبطت ذلك الأمر .

موقفنا من القضاء على الأسلحة :
وإذا كانت الأسلحة كسلاح
سوم يستقله العدو أحيانا ،
للليل من خصمه ، فحري بنا أن
نعمل على وإدها في مهدها ، وأن
نقضى عليها بجميع الوسائل
الممكنة ، حرصا على مصلحة
الفرد والجماعة ، ولا نهتز لها ،
و نأثر بها ، ثقة بالله واعتمادا
عليه وحده .

قال الله تعالى :

« الذين قال لهم الناس ان
لناس قد جمعوا لكم فاخشوهم
فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا
الله ونعم الوكيل » .

(الذين قال لهم الناس) وهو
نفعيم بن مسعود الأشجعي،
واللفظ عام ومعناه خاص،
وقيل: ركب عبد القيس مروا
بأبي سفيان بن حرب فذسهم

الى المسلمين ليضطوهم ، وقيل :
المنافقون ، فقد قال السدي لما
تجهز النبي صلى الله عليه وسلم
وأصحابه للمسير الى بدر
الصغرى لميعاد أبي سفيان ، أتاهم
المنافقون ، وقالوا : نحن أصحابكم
الذين نهيناكم عن الخروج اليهم
وعصيتونا ، وقد قاتلوكم في
ديارهم وظفروا ، فان اتيتوهم في
وباركهم وظفروا ، فان اتيتوهم في
فقالوا :

((حسينا الله ونعم الوكيل))

وقيل : دخل ناس من هذيل
من أهل تهامة المدينة ، فسألهم
أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن أبى سفيان فقالوا :
« قد جمعوا لكم فاخشوهم »
أى فخافوهم واحذروهم فإنه لا
طاقة لكم بهم « فزادهم إيماناً »
أى تصديقاً و يقيناً وجراً وقوة
واستعداداً .

« وقالوا : حسينا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم » .

التثبت في تلقى الاخبار :

وقد دعانا الاسلام : الى الادب
الكامل ، والتريث في كل الامور ،
وحذرنا من العجلة والتسرع ،
والعمل بالخبر قبل الكشف عنه
والثبوت فيه لكي نقف على حقائق
الاشياء تحاشيا من الوقوع في
الاخطاء فكم فرق الكذب بين
الاصدقاء وكم سفك من دماء وكم
كان التسرع في الحكم مدعاة لشحن
حروب وغارات واثارة احسن
ومنازعات ..

قال الله تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ
فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا

قوما بجهالة فتصيبوا على ما فعلتم نادمين»

وقد روى في سبب نزول هذه الآية : ان النبي صلى الله عليه وسلم : بعث الوليد بن عقبة في جمع صدقات بنى المصطلق ، فلما سمعوا بمقدمه ، أعدوا أنفسهم لاستقباله تكريما له ، فحذره الشيطان : أنهم قاتلوه فرجع وقال للنبي صلى الله عليه وسلم : ان بنى المصطلق منعوا صدقاتهم ، فغضب لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم بغزوهم . واما بنو المصطلق : فلما بلغهم رجوع الوليد ، اتوا رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، يشرحون له حقيقة الحال ، وقالوا : نعوذ بالله من سخط الله ورسوله ، بعثت الينا رجلا يجمع الصدقة ، فسررنا لذلك وجمعنا أنفسنا لاستقباله ، ثم رجع من بعض الطريق ، فخشينا أن يكون ذلك لغضب من الله ورسوله . ثم نزلت الآية . فلو ان النبي صلى الله عليه وسلم ، عمل بقول الوليد بن عقبة ، لغزا قوما مؤمنين يحبون الله ورسوله ، وسفك منهم دماء ، وأخذ أموالا بغير حق . فاذا ما تبين له الواقع بعد فوات الأوان ، ندم على كل ذلك .

روى ابن جرير عن قتادة : ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم نزلت الآية :

« التثبت بن الله والعجلة من الشيطان » .

واذا فمن الكياسة والحزم : أن يعامل ولاية الأمور : مروجى الاشاعات ، ودعاة التفرقة ، والمخدولين والمبشطين . . بأقصى أنواع العنف والقوة والشدة . . حتى يتطهر الوطن : من جرائمهم وفسادهم ، وفتنهم وفسادهم . والله يقول الحق وهو يهتدى السبيل .

قد افلح من تزكى

قال الله تعالى : قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى ، بل تؤثرون الحياة الدنيا ، والآخرة خير وأبقى . والمعنى : (قد افلح) ، قد نجا من المكروه وظفر بما يروجوه (من تزكى) من تطهر من الكفر والمعاصي بتذكره وانعاطه بالذكرى . أو تطهر للصلاة أو تكثر من التقوى من الزكا . وهو النماء . أو أدى الزكاة كتصدق أدى الصدقة . (وذكر اسم ربه) أى ذكر ربه بقلبه ولسانه . أو كبر تكبيرة الاحرام (فصلى) : أقام الصلوات الخمس . وقيل : من تزكى ، تصدق صدقة الفطر . وذكر اسم ربه : كبره يوم العيد .

فصلى صلاته ، وعن علي رضي الله عنه التصديق بصدقة الفطر وقال : لا أبالي ان لا أجد فى كتابي غيرها لقوله تعالى : قد افلح من تزكى ، أى اعطى زكاة الفطر ، فتوجه الى المصل ، فصلى صلاة العيد

(بل تؤثرون الحياة الدنيا ، أى لاتفعلون ما ذكر من التزكى وذكر الله والصلاة بل تؤثرون اللذات العاجلة الثانية فتسعون لتحصيلها والخطاب أما للكفرة فالمراد بإيثار الحياة الدنيا هو الرضا والاطمئنان بها والاعراض عن الآخرة بالكلية كما فى قوله : ان الذين لا يرجون لقاءنا ، ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ، والذين هم عن آياتنا غافلون ، اولئك ماواههم النار بما كانوا يكسبون) ، أو المراد الكل من الكفار والمؤمنين فالمراد بإيثارها ما هو اعم مما ذكر وما لا يكاد يخلو منه الانسان من ترجيح جانب الدنيا على الآخرة فى السعى وترتيب المبادئ . (والآخرة خير) افضل وانعم (وأبقى) : ادم . والمعنى : بل تؤثرون الحياة الدنيا والحال أن الآخرة خير فى نفسها كما ان نعيمها مع كونه فى غاية ما يكون من اللذة خالص عن شائبة الغائلة أبدى لا انصرام له دائم لا انقطاع له .

قال النبي (صلى الله عليه وسلم) : ما الدنيا فى الآخرة الا كما يضع أحدكم اصبعه فى اليم ، فليظن ثم يرجع ؟ وعن عمر رضي الله عنه : ما الدنيا فى الآخرة الا كنفخة ارنب - أى كوثية ارنب يريد تقليل مدتها وقال مالك بن دينار : لو كانت الدنيا من ذهب بفتى والآخرة من خرف يلقى لكان الواجب ان يؤثر خرف يلقى على ذهب يلقى فكيف والآخرة من ذهب يلقى والدنيا من خرف يلقى ؟

دين القوة والسلام

الاستاذ محمد المتولى النظامي

دين السلام :

الدعوة الاسلامية دعوة انسانية عالمية للناس كافة في جميع الامكنة وعلى جميع الازمنة تقوم على السماحة واليسر ، وتدعو الى السلام والمحبة والاخاء (وتهدف الى تحقيق اخوة انسانية عامة بنعم بها الناس على اختلاف ألوانهم واجناسهم وعقائدهم ، وتحارب العنف والاكراه ، وتنادى بالايان عن اقتناع ، وتغاطب العقل معتمدة على المنطق والبرهان والدليل .

نشأت في بيئة مريضة مفككة ، فبدلت بالمرض صحة وقوة ، وبالتفكك وحدة واخوة ، وبالاوهام والخرافات عقيدة قومية ، بتحقيق مبادئها السامية بالعمل ، ويرتبط العمل فيها بالصالح والايان .

وانتشرت مبادئها بذاتها كما ينتشر النور ، وتعلقت بها النفوس كما تتعلق الرثة بالنسيم الطليق نظرا لسماحتها ويسرها وعدالتها ومساواتها ، والقوة المثل من ابنائها .

ضرب البراء بالقنابل الحارقة ، والغازات الخانقة ، ومن اقامة حكومات عنصرية ، وتفارقة بين البيض والمولونين - وكما يشهد بذلك ماضيهم المؤسف حين لم يقبلوا من احد من مسلمي الاندلس البقاء على دينه ، ونصح بعضهم بقطع رؤوس جميع من لم يتنصر من العرب ، وعندما سمحوا لهم بالهجرة الى افريقيا اخذوا يعصدونهم في الطريق ، وبلغ جملة من قتل بيد الغدر هناك مليون مسلم .

ولم تنتشر هذه المبادئ بالحروب والغزوات والاكراه والعسف واستعمار الشعوب كما يزعم بعض مثيري الشبه حول الاسلام من ابناء الدول التي دأبت على الغدر والعسف ، والافتخار بمجرمي الحرب من بنيتها - كما يشهد بذلك حاضرمهم المؤلم ، من استعمار الشعوب واستنزاف اقواتها وخيراتها ، ومن سلب الاوطان من أهلها ، ومن الغدر بالاحرار من ابنائها ، ومن اباداة الأبرياء من أجل اجراء تجارب ذرية ، ومن



ولكن الاسلام دين السلام
والجسواء والعدالة والحرية تشهد
بذلك صفحات مشرفة ، وامجاد
خالد سجلها التاريخ بكل اكبار
وفخر ، نذكر منها :

اولا : أن الدين الاسلامي دين
السرمد العاني (حث أتباعه على
العمل للسلام ، والتمسك به وجعل
السرمد دسورا للمسلمين وسعارا
لهم قال تعالى واصفا للمؤمنين
« وعباد الرحمن الذين يمشون
على الأرض هونا وإذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلاما » . وجعل
الجنة دار سلام لهم ، وجعل تحتهم
يوم لقائه السلام قال تعالى :
« لهم دار السلام عند ربهم » وقال
« تحتهم يوم يلقونه سلام » وقال
« الذين تتوفاهم الملائكة طيبين
يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة
بما كنتم تعملون » .

ثانيا : أن الرسول مكث بمكة
ثلاث عشرة سنة يدعو إلى دين الله
بالحكمة والموعظة الحسنة ، متحملا
هو وأصحابه في سبيل الدعوة
كثيرا من صنوف الأذى والتعذيب ،
ثم أخذ يعرض على الملوك والرؤساء
وابشعوب ، المبادئ التي كلف
بإبلاغها ، فاعتنق الدين نظرا لما
يمتاز به من يسر وسماحة أبطال
أشداء استبسلوا في سبيله ، حتى
حققوا النصر ، أمثال عمر بن
الخطاب ، وخالد بن الوليد وعمر
ابن العاص ، وسعد بن أبي وقاص ،
ولو كان الإسلام قد انتشر بالقوة
والرهبة ، لما اعتنقه أمثال هؤلاء
الذين لا يخشون القتال ولا يرهبون
النزال ، - على أن قریشا رغم
قوتها وكثرتها لم تستطع أن تجعل
أحدا يعتنق الكفر بعد الإيمان قال
تعالى « إلا من أكره وقلبه مطمئن
بالإيمان »

ثالثا : أن الحروب التي خاضها
المسلمون كانت حروبا دفاعية ،
وما حصل من مقاومة فيها إنما كان
من جانب الحكومات والطبقات
العليا محافظة على سلطانهم ، أما
الشعوب فكانت مستجيبة لنسداء
الإسلام عن رغبة ، وما كانت القوة
مهما عظمت لتجعل العقيدة تسيطر
وتستمر وتنتشر ، على أن نجد أن
الكثرة العظمى من المسلمين في أنحاء
العالم قد اعتنقوا الدين بدون قتال
إيماناً بالعقيدة السمحة ، وحيا في
مبادئها السامية ، وتأسيا بالقوة
المثلى من أبنائها - كمسلمي
اندونيسيا والملايو والهند والصين
وتركيا ، وصحاري أفريقيا . قال
تعالى « وما أرسلناك إلا كافة
للناس بشيرا ونذيرا » وقال « وما
أرسلناك إلا رحمة للعالمين » .

رابعا : أن الدين نور للنفوس
المظلمة ، وري للأرواح الظلمة ،
فاذا وقف معتد في سبيل النور
والرى كان جهاده واجبا مشروعا ،
وبذلك نجد أن الجهاد في الإسلام
إنما شرع حين لا يقع السلم ،
وحيث تصبغ الحرب مشروعة
للدفاع عن العقيدة ، والحياة ،
والحرية والأمن والسلام ولرد
الظلم ودفع العدوان ، ومنع الأذى
والفتنة ، واتقاء الهجوم الغادر -
فاذا امتنع الأعداء عن الاعتداء
فالإسلام أصلا هو دين السلام ،
والمسلمون أول الملتزمين بقواعد
الدين . قال تعالى : « وإن حنحوا
للسلم فاحنح لها » وقال « فإن
اعتزلهمكم فلم يقاتلوكم ، والقوا
المكة السلم فما جعل الله لكم
عليهم سبيلا » .

خامسا : أن المسلمين لم
يحملوا أي شعب على الإسلام ، ولم
يجبروا أي أحد على اعتناقه ، وإنما

كانوا يخيرون الكفار بين ثلاثة
أمور : الإسلام ، أو انبعاث على دينه
ودفع جزية نظير الانفتاح بمصايح
العامه والمتمتع بالحسيات من
الأعداء ، إذ الجزية إنما هي عبارة
عن قبول الصلح لدفع لحراسة
الوطن ، نظير إعفاء غير المسلمين
من الحرب ، - فالإسلام لا يلج
بمسئولياته لغير المسلمين ، ولا
يزج بمخالفه في الحروب حتى لا
يقال إنه يريد التخلص منهم ،
ومتى عجز المسلمون عن حمايتهم
ردت اليهم الجزية ، ومتى حاربوا
أسقطت عنهم الجزية .

ومن لم يقبل الإسلام مختارا أو
البقاء على دينه ودفع جزية ، فقد
اختار لنفسه بعباده وإصراره
الثالث : وهو الاسترقاق .

وبذلك نجد أن الكثيرين منهم
تركوا على معتقداتهم حسب رغبتهم
وسوى بينهم وبين المسلمين في
الحقوق العامة ، وشاهدوا العدل
الإسلامي والتسامح المثالي ،
والمساواة الحققة في أسوأ صورها
قال تعالى « لا أكره في الدين »
وقال « وقل الحق من ربكم فمن
شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر »
وقال « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي
هي أحسن » وقال « ولا تجادلوا
أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن »
وقال « فإن حاجوك فقل أسلمت
وجهي لله ومن اتبعن ، وقل للذين
أوتوا الكتاب والأمة أسلمتم ؟
فإن أسلموا فقد اهتدوا ، وإن تولوا
فإنما علمك البلاغ » أي البلاغ
بالحجة والافتناع لا بالقوة ، القتال

ودعا الإسلام أتباعه إلى السلام
وإرحمة مع المخالفين في العقيدة
قال تعالى « لا ينهاكم الله عن الدين

لم يقل: اتلوكم في الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم ان يبروهم ونعسطوا اليهم » وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - « من ظلم معاهدا او انتقصه او كلفه فوق طاقته او اخذ شيئا بغير طيب نفسه ، فانا حجيجه يوم القيامة »

سادسا : ان المسلمين تقيديوا في حروبهم المشروعة بما قيدهم به الدين من رحمة وششفه وحق وعدل ، لمسكوا بما معهم منه من الاعتداء حتى مع مقاتليهم ، وبما حرمة عليهم من نقض العهد او القتل غدرا او المباغطة ، ومن قتل العجزة او النساء ، او الاطفال ، او المرضى ، او الاجهاز على الجرحى ، قال تعالى : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » وقال « واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها » وقال ابو بكر - رضى الله عنه - موصيا جنده « ستجدون قوما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله فلعوهم ، وما حبسوا أنفسهم له ، ولا تقتلن امرأة ولا صبيا ولا كبيرا ولا هرما » .

دين القوة :

والدين الاسلامي يابى الضعف والمذلة واخوف لأتباعه ، ويدعوهم الى اتخاذ الوسائل الكفيلة بتوفير القوة والعزة لهم ، ويحمد القوة ويستحثهم عليها لأنها قوة خلقية مؤمنة تتسم بالعطف والرحمة ، وتمنع الاعتداء ، وتحافظ على الحياة والسلام والأمان والعمران والخير .

وليست كالقوة فى يد الدول الآتمة تهدد بها وتدمر ، وتفتك بالأبرياء ، وتقضى على السلام

والأمان واخير والاخاء والتعاون . قال تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » وقال تعالى واصفا المؤمنين بالخير « الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر » وقال واصفا لهم بالعزة والقوة : « اذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون يومه لانهم » .

وانا ل نجد الدين الاسلامي يحمد القوة فى اتم صورها ، واكمل معانيها ، فهو يحمد الرحمة ويدعو اليها لأنها دليل القوة قال النبي - صلى الله عليه وسلم - « الراحمون يرحمهم الرحمن » « ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » . وهو يحمد العفو لأنه دليل المقدرة والقوة قال تعالى : « خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين » وقال « والسكاظمين انغيظ والعافين عن الناس » .

وهو يحمد الكرم لأنه خلق رفيع واحسان يتسم بالقوة قال تعالى : « والله يحب المحسنين » وقال « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » .

وهو يحمد الايثار لأنه من أسس مراقى القوة حيث يكون مع ضرورة الانسان وحاجته قال تعالى : « وبؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » وقال « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيمسا وأسيرا » .

وهو يحمد الصبر لأنه دليل على جلد الأقوياء قال تعالى :

« والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأؤثرك هم المتقون » .

وهو يحدد اتقان الصنعة والابتكار فيها لأن ذلك دليل الذكاء القوى قال تعالى « وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم » وقال النبي « المؤمن كيس فطن » وقال « ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه »

وهو يدعو المسلمين الى الوحدة ، لأن الوحدة قوة قال تعالى « ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص » وقال : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » .

وهو يدعو المسلمين الى الجهاد والتضحية فى سبيل الحق لأن التضحية بذن ، والبذل فداء وافتداء قوة قال تعالى : « فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ، ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما » وقال عليه السلام « المؤمن اقوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف » .

ورسول الله سن التضحية بأذن من لديه يوم دفع الى وجه العدو فى أول معركة فى تاريخ المسلمين بثلاثة من أقرب الناس اليه وهم حمزة وعلى وعبيدة بن الحارث . وحينما جاهد بنفسه الأعداء فى أحد حتى جرح ، وسقط فانكسرت رباعيته ، ودخلت حلقتان من المغفر

فى وجنته ، وحينما اذن لابن عمه وأخيه على بن أبى طالب بمبارزة قائد المشركين فى موقعة الأحزاب «عمر بن عبدود» بعد أن قلده سيفه وعمه بصمته وصوت المسلمين يعلن « لقد برز الايمان كله للشرك كله » ورسول الله يدعو ربه « رب لا تدرنى فردا وأنت خير الوارثين » وانتهت المعركة بانتصار على بن أبى طالب بعد أن جند رأس خصمه ، وقبل رسول الله رأس على قائلا « ذهب ربيع أعدائنا لا يغزوننا بعد اليوم ، ونحن نغزوهم ان شاء الله » وحينما ولى ابن عمه جعفر ابن أبى طالب قيادة جيش المسلمين فى غزوة مؤتة ، فجاهد حتى قطعت يده فحصل الراية بقمه حتى استشهد فقال رسول الله « لقد أبدله الله جناحين فى ابجنة يطير بهما » .

بطولات مثالية :

وتاريخ آباؤنا خالد على صفحات انزم ، فياض بالبطولات ، حافل بالأعمال المجيدة والتضحيات ، زاخر بأرباب العزائم القوية الذين باعوا أنفسهم فى سبيل الله دفاعا عن المثل العليا ، فانتصروا على الأعداء بالرعب ، ومكنوا لدين الله فى الأرض ، وخلصوا الانسانية من العسف والعدوان ، وحققوا لها أحاديث أحلامها ، وهو أجمل أمانيا من حرية وعدل ومساواة ، وإخاء ورحمة وأباء وبطولة وفداء ، وصبر على الشدائد حتى ينجلي الحق ، يتبدل الظلام ، ويشرق النور وصدق الله « انا لننصر رسولنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » وقوله « كتب الله لأغلبن أنا ورسول » .

ولقد كان القرآن الغذاء الروحى لهم ، خلق منهم قوة لا تهز ،

وعزيمة لا تلين ودعاهم الى التضحية والصبر ، وهدهم الى الحق . وهيا لهم القوة والنصر . وسجل التاريخ لهم من البطولات صفحات مشرقة أعجب بها الأعداء قبل الاصداقاء . وفى موقعة اليرموك بيلاد الروم سأل قائد الروم « جرجة » قائد جيش المسلمين « خالد بن الوليد » حينما انتحبه قائلا : ياخالد : هل انزل الله على نبيه سيفا فأعطاكه فلا تسله على قوم الا هزمتهم . قال لا : ولكن الله أخذ بقلوبنا فهذانا الى الاسلام « وأرسل » سعد بن أبى وقاص « قائد جيش المسلمين بالعراق رسالة الى الخليفة « عمر ابن الخطاب » يصف فيها أخلاق المسلمين ، وقوتهم فى الجهاد قائلا « كانوا يدنون بالقرآن اذا جن الليل دوى النحل ، وهم آساد الناس لا تشبههم الأسود ، ولم يفضل من مضى منهم من بقى الا بفضل الشهادة » .

ولقد طلب «رستم» قائد جيش الفرس من بعض جواسيسه أن يترصد طعام المسلمين لعل فيه سر قوتهم ، فأخبره بما كان أحد الأسباب فى اضعاف روح الأعداء المعنوية قائلا : أنهم يمشون عيदानا « يقصد السواك » حين يمسون ، وحين ينامون ، وحين يصبحون ، وفى الصباح كبر سعد بن أبى وقاص قائد الجيش المرة الأولى فكبر المسلمون واستعدوا ، وكبر الثانية فكبروا وآتموا عدتهم وكبر الثالثة فكبروا وبرزوا ، وكبر الرابعة فكبروا واقتحموا المعركة بروح قوية متمنين الشهادة قائلين : لا حول ولا قوة الا بالله ، ثم

أخذوا يقرأون صورة الجهاد حتى انتصروا ، وكان الهتاف المؤمن ، والقرآن من أسباب انتصار ثلاثين ألفا من المسلمين على جيش من المشركين تعدده ١٢٠ ألفا ١٠٠

ولقد كان البطل منهم يقتحم المعارك قائلا : آنى لأجد ربيع الجنة ، وكانوا فتية آمنوا بربهم ، وباعوا أنفسهم فى سبيل مبادئهم وعقيدتهم ، يجاهدون لتكون كلمة الله هى العليا ، لا ابتغاء لمجد أو شهرة . فهذا خالد بن الوليد يعزل من القيادة ، وهو فى قلب المعركة . ويصبح جنديا تحت إمرة أبى عبيدة ابن الجراح يحارب بنفس الروح التى كان يحارب بها وهو قائد ، وحينما أدركته الوفاة لم يكن بجسده موضع خلا من أثر ضربة سيف أو طعنة برمح ، أو رمية بسيف .

وكانت جراحهم رمز صدق ، وشارة فخر استحقوا بها التكريم والتقدير والخلود .

فالخنساء عندما استشهد ابنائها الأربعة فى معركة القادسية قالت : الحمد لله الذى شرفنى باستشهادهم ذهبوا فداء ربهم ووطنهم . قال تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا ، بل أحياء عند ربهم يرزقون » .

وعثمان بن مظعون ضربه لبيد ابن ربيعة على عينه ففقاها وسال الدم منها بسبب تمسكه بمبادئه ، ودفاعا عن عقيدته فقال : والله ان عيني السليمة لتحب أن تصاب بمثل ما أصيب به اختها فى سبيل

الله « وصدق رسول الله » عيثان
لا تمسهما النار عين بكت من خشية
الله ، وعين باتت تحرس في سبيل
الله .

ولقد كان سيدنا عمر يوزع على
الناس اعطياتهم ، فنظر الى ارجح
كبير عائر في وجه مجاهد من اثر
ضربه في احدى عزوات المسلمين
فقال عدوا له الف درهم فاعطى ثم
قال عدوا له ألفا اخرى ، فاعطى ،
فعل ذلك أربع مرات ، فاستحيا
الرجل وانصرف . فقال عمر : والله
لو مكث بظلمت اعطيته : انه
لرجل !

وما انتصر المسلمون رغم قلتهم
على الكثرة الباغية في اليرموك
والقادسية وحطين وجميع
المعارك التي خاضوها ، الا لانهم
صمدوا للشدائد واستهزؤا بقوة
الباطل ، وأقبلوا على التضحية
والفداء بروح الثقة والايمان ،
والعمل الخالص لوجه الله مع
التوكل عليه ، واستمداد العون
والتوفيق منه حال العمل . قال
تعالى « وكان حقا علينا نصر
المؤمنين » وقال « ولينصرن الله من
ينصره ان الله لقوى عزيز الذين
ان مكناهم في الأرض اقاموا الصلاة ،
وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ،
ونهوا عن المنكر » .

علينا أن نثبت وجودنا كما
أثبت آباؤنا ، وأن نضحى بأعز ما
نملك حتى يعود لنا المجد الذي
عرفه التاريخ لنا ، وان الروح التي
خلفها الآباء لا تزال فينا قوية ،
وان العزم الذي ورثوه لا يزال
بيننا حيا ، وان الماضي لأعظم مرشد
وحافز لنا ، وان نصر الله قريب ،
وفى الأزمات العظيمة تولد العزائم

والهمم ، وان قى ثنايا الأيام
لمعجزات من النصر والفخار لنا
كبار ، وان قطرات الدماء التي
أريقت وتراق انما هي المياه
إطاهرة نبتت شجرة العزة
والكرامة . قال تعالى « وجهدوا
في الله حق جهاده هو اجتباكم »
وقال : « كم من فئة قليلة غلبت
فئة كثيرة باذن الله والله مع
الصابرين » وقال « انما المؤمنون
الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم
يرتابوا ، وجهدوا بأموالهم
وانفسهم في سبيل الله اولئك هم
الصادقون » . وسأل رجل النبي :
أى الناس أفضل ؟ قال مؤمن مجاهد
بماله ونفسه في سبيل الله .

ولن نياس من النصر ، فاليأس
ليس من صفات المؤمنين بحقهم ،
وان كل يائس فهو خائن كفور
بأتمه وبدينه ، وهوميت ونحامة
حية لا مجال فيها للأموال قال
تعالى « ان الله لا يحب كل خوان
كفور »

وبقلوب مؤمنة ، وعزائم ثابتة
سنخوض معركة المصير لنثار من
أعداء الله ، ذئاب البشرية الذين
غدروا ، ثم أسرعوا بالظلم ودماء
الجريمة تملأ الأنيا بوالشفاعة ،
فوجدوا العون والتأييد من أناس
حشيت أدمغتهم بالحقد والمكر
والدهاء قال تعالى : « فقاتلوا
أئمة الكفر انهم لا ايمان لهم » وقال
« لعن الذين كفروا من بني اسرائيل
على لسان داود وعيسى ابن مريم ،
ذلك بما عصوا ، وكانوا يعتدون
كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه »

ومن قبل سنة ٦٥٦ هـ استولى
المغوب على بغداد ، وجعلوا منها
عاصمته دولة وتنية تتاخم حدود
الدولة المصرية في اراضي اسبام ،
واستمر قتالنا معهم بيما وستين
عاما ، وسجل التاريخ بالفخر بطولة
سيف الدين قطز في (عين جالوت)
والظاهر بيبرس في (أبلستين) ،
والناصر محمد بن قلاوون في
(غازان) وفي موقعة «مرج الصفر»
كان النصر خليفنا . وقام فداثونا
بالقضاء على قادة المغول واعتسق
باقى المغول الاسلام .

ومن قبل دخل الصليبيون
بلادنا ، واستمر الكفاح بيننا
وبينهم مستمرا لفترة طويلة ثم
هزموا هزيمة منكرا في (حطين)
بقيادة البطل صلاح الدين .

والشراذم الباغية تتطلب حديدا
أقوى من حديدنا ، وعزائم أشد
فتكا من نارها .

ونحن خير خلف لخير سلف .
نؤمن بأن الجهاد فرض عين علينا ،
وانه الوسيلة الوحيدة الى العزة
والكرامة ، واحقاق الحق ، واکراه
العدو على الاجلاء ، حفاظا على أنفسنا
ومكاسبنا وتاريخنا ، والأجيال
إقامة من بعدنا ، قال تعالى :
« فلا تهنوا وتدعوا الى السلم
وانتم الاعلون والله معكم ولن
يتركم أعمالكم » وقال « ولولا أن
كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في
الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار »
وقال « سألني في قلوب الذين
كفروا الرعب فاضربوا فوق
الأعناق ، واضربوا منهم كل
بنان » .

أسلوب الشريعة الإسلامية في تربية النفس

الأستاذ الرفاعي السيد

واحدة منها عرضة للضعف والقوة ومجازة الحد وقابلة للاعتدال ، ولا تكون واحدة منها فضيلة الا اذا لزم حد الاعتدال فلم يعترها الضعف ، ولم تجاوز الحد . فمتى لزم حد الاعتدال كانت حميدة الأثر ، جميلة العقبي . وقد جعلوا لها أسماء بحسب حالاتها . فسموا قوة التمييز عند اعتدالها حكمة ، فاذا ضعفت وقصرت كانت غباوة وجهلا . وان جاوزت حد الاعتدال كانت خبثا ومكرا . وسموا قوة الشهوة عند اعتدالها عفة ، فان قصرت وضعفت كانت جمودا وبلادة ، فان جاوزت الحد كانت شرها . وكذلك قسوة الغضب تعتدل فتكون الشجاعة فان نقصت كانت جبنا واذا زادت كانت تهورا . والفضيلة في كل واحدة هي الاعتدال والتوسط حتى سموا حالة اجتماع تلك الفضائل الثلاث بالعدل وما أحسن قول القائل :

ولا تغل في شيء من الأمور واقتصد

كلامك في قصد الأمور ذميم

والى هذا المعنى يشير الرسول - صلى الله عليه وسلم - بقوله (ان هذا الدين متين فأوغل فيه

أخى القارىء . . . انه لا يستطيع امرؤ مهمما أوتى من المقدرة الكلامية أو غزارة العلم أن يزعم أنه استقصى ما فى الشريعة الإسلامية من مصالح وحكم . . وانما هى ثمرات يلتقطها المتبصر والمتأمل فى رياض هذا الدين الحنيف بقدر ما تسمح به قوة بصيرته وصفاء ذهنه ، ولو أنه أعاد التبصر والتأمل لظفر بأضعاف ما جنى . . وكلمتى هذه انما هى نظرة فى أسلوب الشريعة الإسلامية فى تربية النفس على الأخلاق الكريمة والصفات النبيلة التى ينتهى إليها الكمال البشرى الذى هو عدة الانسانية وذخرها بل هو حياتها وروحها الصاعد بها فى سلم الحياة والدارج بها سبيل الرشاد كما هو عصمتها من الزلل وحمايتها من كل شر يتهدد حياتها ويضر كيائها وقبل أن أتحدث عن محاسن الشريعة فى تربية النفس أحب أن أثبت ما ذكره الباحثون فى علم الأخلاق حيث قالوا :

ترجع أصول الأخلاق الى ثلاث خصال : الحكمة والعفة والشجاعة . . وعلموا ذلك بأن النفس البشرية أوتيت ثلاث قوى . . وهى قسوة التمييز وقوة جلب المنافع وقوة دفع المضار . . وبعبارة أخرى : العلم والشهوة والغضب ، وكل

برفق: فان المنيب لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى) . . .
وقوله (قم ونم وصم وافطر فان لبدنك عليك
حقا وان لزوجك عليك حقا)

هذا وليس من مقصدي أن أخوض في بحث
علماء الأخلاق أو اختلافاتهم وإنما أريد التمهيد
لشرح أسلوب الشريعة الإسلامية ودقتها في
تربية النفس على الاخلاق وترغيبها فيها ترغيبا
مثمرا . . . ولا ضرب لك أمثلة لما جرت عليه الشريعة
في كل باب من الأبواب الثلاثة لكي تتعرف بها
هذا الأسلوب البليغ ومدى تأثيره وانطباعه على
(الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) . . . فمثلا في
تربية القوى العلمية يقول الله - تبارك وتعالى - في
تربية قوة التمييز والعلم ومنعها أن تتخطى
حدودها أو تتعدى أحكامها (ولا تقف ما ليس
لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك
كان عنه مستولا) .

فانظر يا خي في هذه الآية الكريمة كيف تربي
في النفس قوة التفكير وتضبط العقل عن أن
يجرى وراء الأوهام بعبارة تشعر بالاشفاق على
من يسمعها والرافة به كيلا يضع جهده عبثا
فنتهه عن أن يفتوا أي يتبع ويسترسل وراء أمر
لم يتبينه ولم يحيط به علما حتى لا يذهب سعيه
سدى ولا يضع تعب عبثا فلا هو بالذى وصل الى
ما يريد ولا هو بالذى وفر على نفسه الكد
والشقاء . . . ثم يردف ذلك بتوجيه عقله الى ما
منحه الله من وسائل تتيح له المعرفة الصحيحة
المبنية على الأسس والقواعد الصحيحة ليحسن
استعمالها وليسخرها فيما خلقت من أجله فيقول
(ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه
مستولا) .

فقد أشارت الآية الكريمة الى أهم أسباب العلم
التي هي الحواس السليمة والخبر الصادق
والعقل الراجح . . . وجعل كل واحد منها مناط
السؤال حثا على حسن الاستعمال وارشادا الى
حق الاعتدال وقطعا للتعلل بالمحسالات وزائف
الاقوال . . . فبالسمع تستفيد ما عند غيرك من
معلومات اكتسبها . . . وبالصبر تدرئ ما يحيط
بك من عوالم متفرقة وبالفؤاد والعقل تميز الفث
من الثمين والحق من الباطل وتفرق بين النافع
والضار . . . أفلا ترى في هذا ارشادا كاملا لما
ينبغي أن يكون عليه المرء من حسن التفكير

والتحكم في النفس عن التخبیط في الأحكام
وبيان أن ذلك في مصلحتها فهذا من كف النفس
ومنعها من أن تتأرجح في حكمها وتشتط في
استنباطها على غير هدى وعلم حتى لا يكون
صاحبها ممن قال الله فيهم :

(ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني عن
الحق شيئا) .

وأما ما فيه الحث على التفكير والنظر ، فأكثر
من أن يحصى ، فقد أمر بالنظر وحث على التفكير
والتبصر ونهى على من عطل موهبة العقل وركن
الى التقليد في أعظم الأمور وأخطرها . . . وكما ترى
في القرآن الكريم من آيات كثيرة في هذا الباب
(أو لم يتفكروا) ، (أو لم ينظروا) ، (قل
سيروا في الأرض فانظروا . . .) .

ومن النعم على المقلدين (قالوا بل وجدنا عليه
آباءنا أو لو كان آبائهم لا يعقلون شيئا ولا
يهتدون) . . . وأما ما فيه الارشاد الى آداب
المناظرة مع الغير للوصول الى الحق الذي ينشده
الطرفان فكثير أيضا مثل قول الله تعالى :
(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة
وجادلهم بالتى هي أحسن) . . . وانظر في قوله تعالى
(ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا
وقال اننى من المسلمين) . . . ولا تستوى الحسنة ولا
السيئة ادفع بالتى هي أحسن فاذا الذى بينك
وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها الا الذين
صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) .

فقد بدأت الآية الكريمة ببسط المقالة الحسنی
وجعلت عمادها الدعوة الى الله تعالى لتجديده
وعبادته اذ كان هو الخالق والرازق وهو المهيم
على عبادته بيده الضر والنفع والموت والحياة . . .
فمن أحسن قولا ممن يدعو الى سبيل هدايته
والطريق المقربة اليه . . . ثم قرنهما بالعمل الصالح
الذى يفرق بين الصديق في الدعوة والتفاسق
فيها . . . فان العمل على وفاق الدعوة أساس في
انتشارها ووصولها الى القلب ، فما خرج من
القلب لا بد وأن يصل الى القلب ، لذلك عقب
العمل الصالح بقوله (وقال اننى من المسلمين)
أى ممن أسلم وجهه لله وأخلص النية وابتقى من
عمله الدار الآخرة لا مجرد أن يكون مسلما اسما

ملكة الأخلاق هو ما يربى نباته باقنصاع النفوس
بالآثار المترتبة ، وشرح نتائجها الملزمة ..

ويقول فى آية أخرى فيما يقصه علينا من
نصح المهتدين الراشدين للفاوين الضالين :
(وابغ فيما آناك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك
من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ
الفساد فى الأرض ان الله لا يحب المفسدين) .

وهى واردة فيما وجه الى فارون من قوم موسى
فماذا تستطيع أن تنصح به من أحببت من أهل
النعم ويكون أنجح أثرًا وأكثر اعتدالا واتصافا
مما اشتملت عليه هذه الآية ، فقد نبهته الى أن
ما هو فيه من نعم انما هو أمر آناه الله إياه لينتفع
به فى الحياة وأعظم وجوه النفع وهو أدومها
وأبقاها وان ذلك هو ما فى الدار الآخرة دار
الخلود والنعيم المقيم .. ثم أبانت الاعتدال فى
ذلك بأنه لا ينسى نصيبه من الدنيا مما أحله الله
له بل اذا راعى فى انتفاعه به رضا ربه ، فقيده
كسب لآخرته نصيبه من الدنيا .. فالآية تفيد
أمرين الأول ألا ينسى الانسان نصيبه من الدنيا
وأن يتمتع فى الحدود التى رسمها الله والثانى
ألا ينسى النصيب الأوفر الذى يستفيد من
دنياه لآخرته .. والنصيبيان مما تحرص النفوس
الرشيده على بلوغهما ثم قال (وأحسن كما أحسن
الله اليك، تذكرنا له بأن مقابلة الاحسان بالاحسان
هو ما يجدر بالانسان الكامل وهل يخفى على
أحد قيمة النفس التى تقابل الاحسان بالاساءة ،
ثم صورت مخالفة هذه الطريقة للمثل بأنها فساد فى
الأرض بل مخالفة هذه الطريقة فساد كبير فان
النفوس مجسولة على المنافسة . فحين يرى
الفقير ما فيه الفنى من حظ كبير يحقد بلا شك
ولا يطفى غله الا أن يراه قد تجمل بالاحسان
والعطف والمواساة .. فاما اذا رآه قد منع
خيرته وحرمه نصيبه الذى جعله الله له فى
ماله ، فان نفسه تتحرك غيظا وتلمس الفرص
للكناية والتكيل متى استطاعت ويشعر الفنى
بهذه الثورة النفسية فيقابلها بمثلها ويتفاهم الشر

أو كما يقول البعض مسلما (فى شهادة الميلاد)
ولما كان هذا المقام لا يكاد يسلم صاحبه من
الاذى ومن أن تعترضه الفتن وتقف أمام دعوته
العقبات كما قال تعالى (ألم أحسب الناس أن
يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) .. ذكر
جل شأنه مايجهل بصاحب هذه الدعوة النزيهة
أن يتحلى به عندما تعترضه العقبات ويساء اليه
(ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هى
أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي
حميم) .. ثم بين الله سبحانه وتعالى أن هذه المنزلة
لا بد لصاحبها أن يروض نفسه على الصبر حتى
يكون الصبر ديدنها وعادتها فقال - تعالى - :
(وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو
حظ عظيم) ..

فانظر يا أخى الى أسلوب الحكيم البديع فى
تربية نفس الداعى وما يجب أن يكون عليه وأن
يتجمل به حتى يستطيع أن يفرس بدور الايمان
فى قلب أخيه .. وصدق الله العظيم حين يقول
(والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى
خبث لا يخرج الا نكدا) .

أما أسلوبه فى تربية القوة الشهوية فيقول تعالى :
(ولا تجعل يدك مفلوطة الى عنقك ولا تبسطها كل
البسط فتقعد ملوما محسورا) .. فقد حددت
الآية قانون الاقتصاد فى غير ما سرف ولا تقتير
ودعت اليه بأسلوب من شأنه أن يحل فى النفوس
الرشيده أمكن محل ، فصورت التقتير بأشع
صورة اذ جعلته من باب غل اليد الى العنق ..
وتقييدها به تقييدا يشل حركتها ويعطل منفعتها
ويجعلها كلما حركتها الرغبة منعها القييد ..
وناهيك باستبشاع جعل اليد مربوطة بالعنق
وما فيه من المضايقة الكبرى .. ثم عادت للطرف
الأخر وهو أن يبسطها كل البسط فتطيش
حركاتها وتلف رزق صاحبها وتضيع ثمرته ثم
وتبت على ذلك النتيجة الملزمة المنتظرة وهى أن
يقعد المرء ملوما محسورا ولا يجد من يشفق عليه
ولا من ينصره .. وهكذا نجد أن الفرس الصحيح

به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه
ورزق ربك خير وأبقى» .

فقد بدأت بالتهى عن مد العينين الى ما وهب
للغير فكيف بتعليق القلوب به وعبرت بأنه متعة
دنيوية زائلة ثم عبرت بأنه زهرة وما أسرع ذبول
الزهرة فإذا كان الحال كذلك فما أجمل رزق الله
فى الآخرة فهو خير وأبقى وعلى هذا الأسلوب
الحكيم تيسر التربية فى القرآن الكريم والشرع
الحكيم مما ىرقى بمصالح الناس ويعود عليهم
بالمنفعة الدنيوية والأخروية .

حتى ينمو ويعظم الى أن يصبح حرباً وحينئذ
يعم الفساد فى الأرض والله لا يحب المفسدين .
وما الذى يوقف توالد هذه الميكروبات الفسادة
بالأخلاق ويقضى على جرائم الشر حتى لا تودى
بالنفوس ؟ لا شىء سوى أن يقتصد الفن فى
أمره ويقابل احسان الله اليه باحسانه الى الفقراء
والمساكين فتحسم مادة الفساد وتآلف النفوس
وما أجمل قول القائل :

أحسن الى الناس تستعبد قلوبهم
فظالما استعبد الإنسان احسان
ثم لم ينس الشرع أن يخاطب الفقير ليربى فيه
القوة الشهوية فقال « ولا تمنن عينيك الى ما متعنا

من أوامر العليم الحكيم رجاء النصر

قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدا فيكم غلظة ، واعلموا أن الله مع
المتقين)

والمعنى : (قاتلوا الذين يلونكم) : الذين يدنون ويقرّبون منكم وتتصل بلادهم ببلادكم (من الكفار) : وهم اليهود حوالى
المدينة كبنى قريظة والنضير وخيبر وأضرابهم . وقيل : هم الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من
المدينة .

وخص الأقربين مكاناً بالذكر مع أن قتال عامة الكفار واجب لتأمين الدعوة الى الاسلام وحرية الدين والدفاع عن
أهله .

يقول الله تعالى : (وقاتلوا المشركين كافة) ويقول : فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) - خص الأقربين بالذكر لا
لان القتال مقصود عليهم بل لافادة أولوية البدء بقتالهم لقرب ميدانهم ، وقلة نفقاته واحتمال النصر معهما اقوى . وفى النصر
أعزاز المسلمين وألقاء مهاتمهم فى قلوب الأبعد من الأعداء ، ولأن ترك الأقرب والاشتغال بالأبعد لا يؤمن معه الهجوم على
الزواجر والضعفاء ..

فاتضح جلياً أن فى التنصيص على قتال الأقربين لافادة أولوية البدء بقتالهم رسماً لخطة حربية تقتضيها الحكمة ، واصابة
الرأى . إذ تساعد من الإخطار وتقلل من الأضرار ، وتكون أدنى الى تحقيق النصر .. ويصح أن يكون المعنى قاتلوا الأقرب
فالأقرب ، وعلى هذا تكون الآية اداة وجوب قتال الكفار عامة مثلاً افادته الايات السابقة بيد أنها الممت ايضا الى
أن بدء خط القتال ينبغي أن يكون من الأطراف القريبة لا من الجهات النائية :

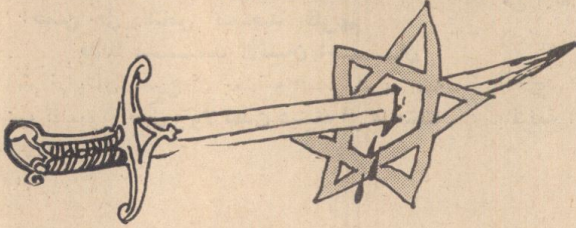
(وليجدا فيكم غلظة) : الغلظة : الشدة وهى تقتضى الجرأة والصبر على القتال والعنف فى القتل والأسر ونحو
ذلك .

ومن هنا قالوا : أنها كلمة جامعة .. والظاهر من قوله تعالى : (وليجدا فيكم غلظة) انه امر للكفار بأن يجدا فى
المؤمنين غلظة وليس هذا هو المقصود بل المقصود أمر المؤمنين بالانصاف بما ذكر من الغلظة والشدة حتى يجدهم الكفار
متصفين به ونظيره قوله تعالى : وأغلظ عليهم وقوله : ولا تهنوا .. وقوله فى صفة الصحابة : أغزة على الكافرين وقوله :
أشداء على الكفار .

وأن معاملة العدو المعاربة بالرافة واللين تحل على الشراسة ، وتطعمه فى كثير ، وتطوع له السعى اليه للحصول عليه ،
ولا كذلك المعاملة بالغلظة والشدة فانها تقضى على توازن الشراسة فيه وتحسم مادة الخيعة (واعلموا أن الله مع المتقين) له
فى مراعاة أحكامه وسننه بالعمونة والنصر أهمها ما يجب اتقاؤه فى الحرب من التصغير فى أسباب النصر ، والغلب التى
يبنيها الله فى كتابه ، والتى تعرف بالعلم والتجارب كأعداد ما يستطاع من قوة ، واليقظة والحذر والصبر والثبات
والطاعة والنظام وترك التنازع والاختلاف وكثرة ذكر الله ، التوسل على الله والمراد من معية الله للمتقين ولايته
الدائمة المفيدة للعمونة والتأييد والنصر

للاسلام مع إسرائيل

أداة العدوان وبؤرة الفساد



الأستاذ أحمد دافني

فاعتنقها كثير منهم على دخل ابتغاء
السلامة ، وانمحت فيهم هناك مصالح
اليهودية ومظاهرها جميعا ..

وكان المسيحيون في أوروبا عموما ،
وحتى بعد أن زال فيهم سلطان الكنييسة
واظلتهم مبادئ الحرية الفكرية
والقائدية . كانوا - وربما لا يزالون -
يتعاملون شر اليهود وينجسون من
الاتصال بهم ، ويوصون أبناءهم بالابتعاد
عنهم ، وفي ذلك يقول المؤرخ اليهودي
الفرنسي « جول إيسزالك » : (انه لمن
المألوف اذا طلب طفل يهودي في المدرسة
من طفل مسيحي أن يلعبه ، فان الطفل
المسيحي يابى ذلك في اصرار قائلا له :
كلا .. لانكم قتلتم المسيح ..! وما
يقول طفل مسيحي هذا أو يستشعره
هكذا الا عن ايضاء وتوعية ولقائه من
ابويه ..! وفي تأكيد هذا المعنى يقول
المؤرخ الفرنسي مستظردا : « ان شابا
إيطاليا قال له : انه كان يسكن مع
أهله في عمارة كبيرة في روما .. وفي
الدور الاول من العمارة كانت تكن
أسرة يهودية ، فكان أهله يقولون له :
إياك ان تعرف الى سكان الدور الاول

الصليبية يعيشون في كنف الحكم
العربي الاسلامي ، وادعين أمنين مثلما
يعيش أهل الذمة جميعا - لهم ما
للمسلمين ، وعليهم ما عليهم ، ولقد
كانوا في عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، من أشد أعدائه وأكثرهم
أذى له وللمسلمين ، ورغم ذلك فان أمير
المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ،
راى ذات يوم يهوديا عاجزا لا يقدر على
شئ فاجرى عليهم من بيت مال المسلمين
زرقا يدفع عنه الحاجة ..! ولم يكن
لهؤلاء اليهود وجود في فلسطين عندما
دخلها المسلمون فاتحين من أربعة عشر
قرنا ، فقد كان المسيحيون وولاة الحكم
من الرومان لا يأذنون لأحد من اليهود
بالإقامة في وطن المسيح الذي خانوه ،
ودفعوا به الى خشية الصليب ؟! وقد
اشترط المسيحيون في عهد الصلاح الذى
عنفوه مع المسلمين ألا يسكنها يهودى
أبدا ؟!

وفي محاكم التفتيش الاسبانية ،
عمولوا كذلك بالقسوة والصرامة وطبقت
عليهم قرارات الكنييسة التى تقضى
بإبادتهم ! أو اعتناقهم المسيحية ،

لفرق اليهود منذ آلاف السنين في
أقطار الدنيا التى ، وكان المفروض
بحكم التوطن والقام ، ووفقا لمنطق
الحياة الواشجة بين بنى الإنسان - أن
يتصهروا في المجتمعات التى ألقت بهم
اليها عصا الترحال ، أو عصا الطرد
والإبعاد ؟ فهذا الانصهار بما يصاحبه ،
عادة ، من أخاء وتعاطف وتبادل منافع ،
كان قبيحا أن يكفل لهم كما يكفل لغيرهم
من المواطنين الخلاء ، أمنا وسلاما ،
ومقاما كريما .. وما يكونون في ذلك ،
لو فعلوه ، بنعا من الناس ، فما كانت
هذه المجتمعات الانسانية المتعددة ،
قديما وحديثا ، الا اخلاطا من البشر
يختلفون وجوها ومسارات ، وأفكارا
ومعتقدات ، ولكنهم جميعا يتلاقون في
أصل واحد ، هو آدميتهم التى كرمها
الله ، وفضلها على سائر خلقه ، ...
غير أن اليهود في كل العصور
والاوطان يتجاوزون الوحدة الانسانية
الجامعة ، ويؤثرون عليها الحياة الناشئة
والنصرية المنزلة ، ذهابا مع الاثرة
والانانية ، وانعاما من شهوة التميز
والحقن على من سواهم ، وذلك طبعهم
الردى الذى سول لهم أن يكفروا بأنعم
الله عليهم ، فبادوا بقضب منه سبحانه
وتعالى ، وحققت عليهم لعنته ، كما حققت
من قبلهم على إبليس الذى طاب لهم
أن يتخلوه حليفا واماما ، يسيرون
سيرته ، وينهجون نهجه ..! ومن هنا
كانت تقودهم وتتحكم فيهم نزعتهم
« الشيطانية » الخبيثة ، فكانوا ، حيثما
وجدوا ، مصدر القلاقل والتاعب ، ومثار
الفتن والشرد ، وكثيرا ما كانت تنحسر
عنهم الاقنعة ، فتكشف خياناتهم
وجرائهم ، فتقع عليهم ؛ من ثم ،
ضربات قوية ، تبدد شملهم بعد التنام
وتعديمهم ، كرة أخرى ، الى التشتت
والشراد ؟!

وأقسى الضربات وأشدها إجحاعا لهم ،
تلك التى كانت تصب عليهم وتلاحقهم
من المجتمعات المسيحية .. ففي الحروب
الصليبية التى أشعلتها الكنييسة المتعصبة
في القرن الحادى عشر ، كان القضاء على
اليهود في بيت المقدس هدفا من أهدافها
المفردة ، فكانت منهم حينذاك مقتلة
كبيرة على أشد ما يكون القتل فظاعة
وتكرا .. حتى لقدخلت منهم « فلسطين »
تماما ، وكانوا قبيل هذه الحروب

اليهود ، أو تدخل شقتهم ، والا خطفوك وذبحوك كما فعلوا بالمسيح ؟؟ . ولهذا فانه عاش سنوات يسرع في صعود السلم عندما يعبر الدور الذي تسكنه الاسرة اليهودية ؟؟

ولا شك في أن هؤلاء المسيحيين قد توارثوا هذه العقيدة جيلا بعد جيل ، فمن العسير أن تصورهم قد تجردوا منها ، وبخاصة اذا كانت متصلة بوجدانهم الدينى ، .. ولعلمهم فيما يتناصرون به من الابتعاد عن اليهود خشية الخطف والذبح ، كانوا يستعرضون فى أذهانهم - الى جريمة الصلب - صورة أخرى من جرائم تطفح فراوة وبشاعة ، يمارسها اليهود فى شكل طقوس دينية ، وفرائض تعبدية ، وهى خطف الأطفال ، والرجال من غير اليهود وذبحهم ، وجمع دماهم ليصنعوا بها فطائر يقدمونها من معابهم فى الأعياد والمواسم ويتنافسون عليها ويلتهمونها طعاما شهييا ، ذا بركة وقداسة ، والىاذ بالله !!

وفى أحد الكتب التى أصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية عقب العدوان الصهيونى الفادر ، قرأنا لبعض مؤرخى اليهود ودارسى التلمود ، اعترافات تؤيد هذا التقليد اليهودى الفاجر ، منها ، « أن لحوادث الدم البشرى مفاهيم ، انتشرت بين عامة الشعب - اليهودى - وهى ليست خرافة - كما قد يتبادر الى الأذهان - فالذين يؤمنون بتعاليم الدين اليهودى وشريعة اليهود ، يجب تقديمهم قرايين الى الهنا الأعظم ..! » ومنها « يقول التلمود عندنا مناسبتان دمويان ترصيان الهنا يهوه ، احداهما عييد الفطائر المزوجة بالدماء البشرية ، والاخرى ، مراسم ختان أطفالنا ؟! »

ثم أورد الكتاب حادثة ذبح « الاب توما » وخادمه فى حى اليهود بمشق فى ١٨٤٠ وكان هذا الاب - وهو قسيس ايطالى - قد تلقى دعوة من صديقه اليهودى « داود هراى » ليزوره فى داره ، فلبى الدعوة ، مطمئنا ولكنه ما كاد يدخل دار صديقه حتى اقتضوا عليه ، وكهموه ، وقام صديقه (الحميم) داود هراى بذبحه بيده .. ثم « جمعوا دمه فى وعاء ، ونقلوه الى قارورة كبيرة ، وسلم الى الحاكمباشا

يعقوب العنتابى الذى تمت العملية بناء على أوامره لحاجته الى الدم لاستعماله فى فطير عيد البوريم الذى كان يصادف ١٤ فبراير سنة ١٨٤٠ » . وكذلك فعلوا بخادم القسيس حين جاهد باحثا عن سيده ..! وقد انكشف سر هذه الجريمة الشنعاء ، وقدم التهمون الى المحاكمة الجنائية فى ذلك الحين ، وقد اعترفوا بها صراحة ، فصدر الحكم باعدامهم ، ولكن هذا الحكم لم ينفذ « لان المليونير اليهودى موسى مونتفير واليهودى كراميو ، ذهبا الى مصر ، وقبعا رشوة كبيرة الى محمد على باشا - وكانت سوريا تحت حكمه - فاصدر فرمانا عجيبا ، الفى به حكم القضاء ، وعفا عن المجرمين ؟! » . وجاء هذا مصدقا لمقررات اليهود التى سجلوها فيما أسموه « بروتوكولات حكماء صهيون » وهى أن التلب سلاحهم الذى لا يخطئ مقتلا ، وعذتهم التى يملكون بها الناس والحكومات ؟؟

فذلك هو الوضع الذى اختاره اليهود لانفسهم فى المواطن والشعوب التى آوتهم ، وأحسنيت جوارهم ، .. كانوا فيها على الدوام ، جسما غريبا غير قابل للانتماج والتحلل ، وبؤرة جرائم تنفث المداوة والشقاء ، والفتن والحروب ..

وقد بدا لهم أنهم فى تفرقهم هنا وهناك سيظلون ضعفا لا يملكون حرية الحركة ، ولا القدرة على تحقيق الغاية التى يرتسمونها ، ويهدفون اليها جميعا ، فلو أنهم اجتمعوا فى موطن واحد فسيكونون قوة قادرة تذلل الصعاب فى طريقهم ، وتندرو الاخطار عنهم ، فقرروا فى مؤتمراتهم وتشكيلاتهم التى كانت تعمل فى سرية وخفاء ، أن يداهنوا الدول ذات القوة فى القرن الماضى ، لتعطيتهم وطنا ..!

واذ كانت انجلترا وقتذاك اكبر دول الاستعمار ، وأقواها نفوذا ، وأكثرها ممتلكات ، فقد أحكم اليهود صلاتهم بها ، واندفعوا معها فى تيارها الاستعمارى الجارف وكانوا بما فى أيديهم من مال ، وبما أوتوا من حقل وخبرات ، أدوات نشاط استغلالي واسع النطاق وإفراثر

فى قلب البلاد المستعمرة ، وفى زحمة الحركة والامتصاص ، واتساع رقعة الاستعمار ، وتدقق ميايزب التراء ، وفى نشوة السلطان الامبراطورى المنبسط على قارتي أفريقيا وآسيا .. من خلال هذا كله ، وكنتيجه له ، ازداد شعورهم بالقوة وتصاعدت عندهم حرارة الامل فى الوطن اليهودى المنشود ، وعندئذ بداوا يطالبون به جهارا ، ورحبت بريطانيا بمطلبهم متأثرة بما قد أستوى لهم فيها من مشاركات ايجابية فى مجالها الاستعمارى الواسع ..! ولعلها كانت لازال تذكر سيئاتهم التى طوت لهما فى أواخر القرن الثالث عشر أن تطردهم من بلادها وتقرنهما عليهم ثلاثة قرون ونصف قرن ، فارادت أن تتخلص منهم مرة أخرى ، على رغبة منهم ورضى ..! فعرضت عليهم « أوغندا » وهى واحدة من مستعمراتها الافريقية التى يستترف كنوزها البكر رأس المال اليهودى والبريطانى المشترك .. وفرحوا بهذا العرض أول الامر ، ولكن فريقا منهم يمثلون الآباء الربانيين ومعهم المتأثرون بهم روحيا ، طالبوا « بفلسطين » دون سواها ..! فيها تراهم الروحي ، واليهما معادهم كما يزعمون ؟؟ .. ولكن « فلسطين » عربية اسلامية ، وجزء من وطن كبير يتبع الخلافة العثمانية ، فاتجه سعى اليهود الى الخليفة العثماني ، وتوسلوا اليه بالرشوة والحيلة والدماء السياسى والشغافات الدولية ، وعلى أن هذا ، أو بعض هذا ، كان كافيا لقضاء المطالب ، وتحقيق الآرب ، مهما كانت قيمتها ، فى البلاط العثماني حينذاك لضعف الدولة ، وشيوع الفساد بين حكامها ، فان الخليفة قد رفض المطالب اليهودى رفضا قاطعا لارجمه فيه ، احتراما لعروبة فلسطين ومقساتها الدينية ..! الى أن نشبت الحرب العالمية الاولى ، وتغير الموقف الدولى فى غمارها ، فاحتبل اليهود فرصتها ، ووجهوا سعيهم الماكر الى الجبابيين المتحاربين ، يظهرون كلا منهما ضد الآخر فى وقت واحد ، واستطاعوا بهذه المداخلات ذات الوجهين أن ينالوا من ألمانيا وتركيا عهدا بأن تكون فلسطين لهم وطنا بعد الحرب ، كما استطاعوا أن ينالوا المهدي نفسه من انجلترا وحلفائها ، وأى الفريقين سيكون له النصر فهم الظافرون بغيثتهم منه فى النهاية ؟! وكان النصر

جادة الحق الصريح ، أن تتوالى عريضة اسرائيل وتصريحات قادتها بانهم يريدون تسبيرا من الاراضي المحتلة الا مسوقا باعترااف العرب بدولتهم وانهاء حالة الحرب بمفاوضات واتفاقات صلح بينهم مباشرة واعطائهم بلا قيد حرية المرور في قناة السويس !!

وفي تصوير موقف اسرائيل مستندا الى تأييد أمريكا يقول الكاتب الصهيوني « ايلي ويزل » في مؤتمري التغطيات الصهيونية الامريكية الذي عقد في شهر نوفمبر الماضي ، « أن أمريكا في صديق اسرائيل الوحيد الذي لشك في صداقته .. واسرائيل انما تدافع عن جبهتها من أجل أمريكا ، فسلطة اسرائيل تكمن في هذه الحقيقة ، وقد بلغ جونسون اباباين أن أمريكا مستعدة لتقديم كل ماتحتاج اليه اسرائيل من اموال واسلحة .. وبترول!

فالعلاقة بين اسرائيل وأمريكا تجاوز ما قد أسلفنا ذكره من حاجة جونسون الى أصوات الناخبين اليهود في نيويورك أو اتفاق عدوانهم على حياته ، .. انتهت فوق ذلك ، وكما يقول الكاتب الصهيوني - الأمريكي - : مقتضيات الدفاع عن جبهة امريكية في الاراضي العربية !! وليس هذا مفهوما جديدا كنا نجهله فمن القضايا المسلحة والمغامير الواضحة منذ أن أمريكا في سياستها الاستعمارية الجديدة تعمل جامدة ، ومن زمن طويل ، لاقاء الشرق الاوسط في شياها ، وقد حاولت أن تشده بالاحلاف والتقواعد والملاء ، فاستحال عليها بلوغ هذه الغاية لانتشار الوعي السياسي العربي وقيام الثورات التحررية في صورة شعبية ديمية وممزولة سرت مسرى الكهرايا نورا ونارا وانفجرت حربا شعواء على الاستعمار القديم والجديد على السواء !!

وبقوة هذه الثورات الطويلة وبفدايتها الشجاعة المؤمنة تحسرت الجزائر من الاستعمار الفرنسي بعد ١٣ عاما ، وتحسرت مصر من الاحتلال البريطاني بعد ٧٥ عاما وتحسرت أخيرا الجنوب العربي من استعمار إنجلترا بعد ١٢٩ عاما ، وتخلصت سوريا ولبنان والعراق من بقايا القيود الاستعمارية وقامت في كل هذه الدول المتحررة حكومات وطنية في ظل دساتير وقوانين اشتراكية لامكان فيها للاقطاع أو الاستغلال داخليا كان أو خارجيا .. وذلك أمر يلزع أمريكا بوجه خاص ، لأنها الدولة الكبرى ، التي تمسك الآن الامبريالية والاحتكارات المستقلة وسيطرة رأس المال ، والشرق الاوسط مجالها الحيوي - أو هكذا تريد - ببتروله ومعادنه واسواقه ، فاذا خسرت فقد خسرت موددا نرا ، وتقوض ركن هام من أركان اقتصادها ، وتحطم السياسات الرأسمالية والعسكري الذي يحتاج بينها وبين النظم الاشتراكية الزاحفة !!

بالاسم ، فلقد كان ترومان هذا يرشوا اليهود بمساعداته ثمنا لاصوائهم ، ويقول لسفراء امريكا في الدول العربية ، حينما اجتمعوا به وحذروه من خطر الاندفاع في تأييد الصهيونية ضد العرب : « ايها السادة .. ما هو عسدد أصوات العرب في الكافة لليهود لقاء وكذلك موقف « جونسون » الآن ، أنه يرشى اليهود طمعا في أصوائهم ، وقد دنا موعد انتخابات الرئاسة وهم خسة ملايين ناخب ، .. وقد يضاف الى هذا أنه لا يجهل قدرتهم على اغتيال الرؤساء الذين لا يحققون لهم مطامعهم ، كما قد فعلوا بكيندي الرئيس السابق ، فهو يخشاهم قتلة مجرمين ، أكثر مما يخشاهم أصحاب أصوات ناخبين ..!

ولقد كان العدوان الصهيوني في يونيو اثر من آثار هذا السلوك المخرف الذي تتميز به أمريكا في العهد الحاضر ، فمن الحقائق التي لا تحتاج الى بيان ، أن أمريكا بفضل قيادة رئيسها جونسون قد ألقت بثقلها كله في المعركة لخدمة اسرائيل ، وتدخلت بفسطها المؤثر في ساحة الامم المتحدة ومجلس الامن ، ومنحت اليهود مزيدا من الشراء والفرود فراخوا يعيشون فسادا في الاراضي العربية المحتلة ، ويستقلون في غيرما حرج ولا حياة ، بانتهاك المقدسات الاسلامية والمسيحية ، ويمعنون في تقتيل العرب واجلائهم عن ارضهم وبيوتهم ، ويفتصبون كل ما تمتد اليهم ايديهم الآثمة من منافع وأموال وخزعات ، وما الى ذلك مما تفق به الروايات والانباء مع كل صباح ومساء ..!

ثم أخيرا ، وبعد ستة شهور ، صدر قرار مجلس الامن قاضيا بجلد اسرائيل عن الاراضي العربية المحتلة مع تفسيرات مختلفة تدور به في مناهة لا مخرج منها ، فاستفاد الدول العربية في حذر ، ولا ترى فيه فرارا قويا حاسما ، فاسرائيل كعادتها ، لا تحترم قرارات مجلس الامن أو هيئة الامم ، وما أكثر ما أصدرت الهيئات من قرارات خلال عشرين عاما ، لم تنفذ منها اسرائيل قرارا واحدا ، ودائما كانت تلقاها بالاسم وتخفاف والاملاية ، ولم تستطع هذه الهيئة الدولية العليا أن تلزمها بالتنفيذ أو أن تؤذيها على ذلك ، وكان أبسط ما في يدها من وسائل التاديب ، تقرير فصلها من عضوية الهيئة التي لا تحترم قراراتها ولكنها في حصى أمريكا التي بلغ من قوة نفوذها هناك أن تقضى الصين ذات الستمائة مليون عن عضوية هيئة الامم لتحل في مقعدها جزيرة صغرى من جزرها ذات عشرة أو خمسة عشر مليونا لا غير ؟! فلا بأس على اسرائيل - إذن - ولها من أمريكا ما شابت وأكثر مما تشاء من مساعدات وتأيد !

وغير مستغرب في هذا الجو المشحون بالطف على اليهود ، والانحراف عن

حليف إنجلترا فلم تنكر للعهد الذي ماهدتهم عليه ، ولكنه كان عهدا مشوبا بالتردد والحذر ، يعطيهم حق إنشاء وطن يهودي (في فلسطين) ولكن في غير مضارة لحقوق العرب اصحاب الوطن الاصلاء ، وكان واضحا أن إنجلترا تقدم بهذا نوعا من الكافة لليهود لقاء جهود شاركوا بها في الحرب بطريق الانتاج الحربي الذي يسيطرون على مباديته ، أو بطريق البلد المالي الذي يملكون موارده ، أو بطريق الشبان اليهود الذين جعلوا منهم تشكيلة عسكريا متميزا بعلامه وشاراته ، وفوق هذا وذلك ، ثمنا للمجهود العلمي الذي بذله زعيم اليهود الدكتور حايم ويزمان في اختراع الكيماويات والمواد التي صنعت منها أنواع من القنابل والمفرقات والسوم ساعدتهم الى حد كبير في تقصير أمد الحرب وكسبها ، إذ كان لهذا السلاح المدمر قوة ضاربة مدمرة ، قضت على ما لا يحصى من الحاردين في الجانب الآخر .. ومن هنا يجوز القول بان الوعد الانجليزي بالوطن اليهودي صدر مطعنا بالدم والعار ، وقد ظل ينزف دما وعارا منذ ذلك التاريخ ، ولم يرقا بعد ..؟

ولم يسكت العرب .. فردوا على هذا الوعد بالثورات الدامية ، ثورة بعدد أخرى ، وراحوا يدافعون الاحتلال اليهودي الذي وفد عليهم الكوابي في شكل هجرات ، وكان الانتداب البريطاني على فلسطين بعد الحرب يسطح حمايته على هذه الهجرات اليهودية .. ثم طويت صفحة هذا الانتداب في مايو سنة ١٩٤٨ فخرجت إنجلترا من فلسطين ليتسلسلها اليهود من يدها ، وقد تلطخت صفحة وجودها هناك ، بل بدماء الشهداء العرب فحسب ، بل كذلك بدماء الانجليز تنفسهم ، فقد كان اليهود قد طغوا بانجلترا اللثون في آخر عهد انتدابها ، ولاخطوا أنها تلقى مطامعهم فيما يشبه الاعراض ، احساسا منها بغدفة الغضب لأنها كانت سببا في تزويج العرب بهذه الفئة الباغية ، وكان اليهود قد أقاموا لهم حصونا ومستعمرات وكونوا منهم مصابات اراهية مسلحة بالاسلحة الانجليزي .. فسلطوها على الانجليز يضالوهم في الشوارع والاندية والفنادق ويعلقون جثثهم على فروع الاشجار ، الى آخر ما هو معروف ..!

وكان ظل إنجلترا - العظمى - قد اخذ يتقلص بعد الحرب الثانية ، فولى اليهود وجوههم الى أمريكا الدولة الفتية الغنية ، واستطاعوا بما لهم هناك من سلطان المال وكثرة العدد أن يستميلوا اليهم كبار المسؤولين ، وعلى رأسهم الرئيس « ترومان » فاعانوم مالي وعسكري وسياسيا ، - ولا يزالون - في سخاء ليس بعهد سخطه - ولم يكن « جونسون » اليهود باقل عطا وتأييدا لهم من « ترومان »

من أجل هذا كانت الأرض العربية « جبهة » أمريكية ذات خطر .. وقد وجدت أمريكا في إسرائيل مجموعة بشرية طامعة فرست فرضا ، وفي ظروف شاذة على قلب الوطن العربي ، لتتخذ من ظهورها مركبا إلى متفاتها التي أغيها تحقيقه ، وأذ كانت هذه المجموعة اليهودية لم تنفج بعد نفوج شعب متكامل ، ولم تبلغ مبلغ دولة بين الدول ، وما برحت في الشعوب العربية دخيلا يغضا ، ولصا متسللا ، لا يملك قوة الحياة ، ولا قدرة الدفاع عن وجوده فان أمريكا القوية القادرة لتقبل عليها بأسطة كفيها ، ولا تزال تظها بالحماية والمرد حتى تشد من ضعف ، وتسم من هزال لتتلق في هذا الوطن الآمن وحشا ضاريا حاد الاقار والانياب ..

فالقضية ليست قضية إسرائيل التي استولوها سفاحا على الأرض العربية وانقلوا من أجلها شعبا من وطنه وشروه .. ولا هي ، بالأحرى ، قضية مليونين من اليهود هم كل من استطلعت الصهيونية العالمية ومعها الشعب ونفوذ الاستعمار ومؤثرات الدعوة الدينية أن تحملهم إلى فلسطين ، راضين أو كارهين من الغرب والشرق ، طوال خمسين عاما ، فإسرائيل بملبونيهاذين ، بل وبالخمسة عشر مليونا يهوديا الآخرين المتنازعين في مختلف الأوطان ، لو أنها أفلحت في اقتناعهم بالهجرة إليها - وإن تلج - .. إسرائيل بكل هؤلاء ، لاشكل خطر إرهيه العرب أو يشق عليهم إزالته والخلص منه في غير ما جهد ولا عناء ، فهم مائة مليون عربي أباة ضم ، يحيطون بها من كل جانب ، ولا يرضون بها ، في شجى في حلوهم ، وشوكا وأخزا في جنوبهم !!

وانما القضية قضية الاستعمار ، ومصالح أمريكا ، ومحاولات القضاء على النهضة العربية التحررة ، ومن هنا تردد صدى العدوان الأخير قويا بعيد الصوت في الشعوب الحرة التي تعيش ظروفا ، وتقف مثلنا في وجه التحديات الاستعمارية المسلحة فهتفت تستنكر العدوان وتضج عليه وتؤيد حقنا علنا في مؤتمرات عالية كالؤتمس الدولي (لسانة الشعوب العربية) التي عقد في نيوديل بالهند ، وتحدث فيه شرات من ميثاق سياسة الحاد وعدم الانحياز على امتداد أفريقيا وآسيا وأوروبا وأمريكا نفسها ، ففضحوا الاستعمار الرابض وراء إسرائيل وكان من خطيائه الذكور هربت إنيكار ، وهو عالم يهودي أمريكي ، وقد قال في خطابه : « انه من الضروري أن يصبح واضحا أن القضية المطروحة أمامنا ليست قضية عرب ضد يهود ، أنها على العكس تماما ، قضية الاستعمار والإمبريالية ضد حركة التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي .. »

وهكذا بات جليا أن دور إسرائيل لا يختلف عن دور الجنود المرتزقة يلقى بهم الاستعمار في طريق التحرر الوطني ، والتقدم الاجتماعي لصد تياره ، ووقف مساره ، وهي محاولات فاشلة لن تصيب نجاحا أبدا لأنها ضد تطور طبيعي متصاعد يزداد مع الأيام قوة وانتشارا ..

والعرب يتفهمون جيدا موقفهم ومستوياتهم تجاه ما يدبر لهم من كيد وعدوان مؤمسين ، يحقهم لا يفرطون في ذرة منه ، وقد استعدوا قوتهم ودعموا ، واستفادوا من النكسة التي بوغتها بها ، تجربة ، وتعرفا على أعدائهم ، كما استفادوا بها لأنفسهم مزيدا من التقارب وصفا القلوب ، واجتماع القوى ، واتحاد الصف والهدف ، ثم أضافت إلى ذلك كسبا عالميا بعيد المدى لقضيتهم التي كانت تلقها غواشي الدعايات الصهيونية والاستعمارية الفسلة ، فتكشفت حقائقها في وضوح من فوق منابر مجلس الأمن وهيمة الأمم المتحدة ومن خلال المؤتمرات الشعبية الحرة ، وبأفلام الكتاب الأحرار في سائر أنحاء العالم .

ولن يرضى العرب على الإطلاق بديلا من جلاء اليهود ، جلاء تاما ناجزا غير مشروط ، عن كل الأراضي العربية التي تختص باحتلالهم ، وقد كان السيد رئيس الجمهورية العربية المتحدة معبرا أصليا تعبير عن رأى العرب وخطتهم وتصميمهم الموحد حينما أعلن في خطابه الجامع الرائع أمام مجلس الأمة شعبة الخميس ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦٧ أنه :

« لن نسحب لإسرائيل مهما كان الثمن أن ترحل في قناة السويس »
« لن نتنازل عن الانسحاب الإسرائيلي الكامل من كل شبر عربي »
« لا اعتراف بإسرائيل ، ولا صلح معها ولا مفاوضة ، ولا تصرف في قضية فلسطين لأنها ملك الشعب الفلسطيني »

« ما يؤخذ بالقوة ، لا يسترد إلا بالقوة »

والعرب - جميع العرب - واقفون من النصر ، مستعدون له بانظم وأغلى ما يملكون من قوى وتضحيات ، ولن يتول بهم الطريق ، أو يرهقهم الجهد ، فهم أقوياء بعقدهم ومعتدى عليهم في أرضهم ، وبالقوة ما بلغت قوة الأعساد ، فان مصيرهم المحتوم إلى هزيمة وخذلان ، لأنهم دخلاء ، وأهل غدر وعسدوان ، وسيفض (سامره) انفضاض ما قد سبق من سوامر الاستعمار ، ما من ذلك يد ولا محيص ، ولا يبقى لإسرائيل منه سوى نثار من المظلة المحطمة ، ومبكي جديد على ذكرى أمالهم المبددة !!

وحساب إسرائيل المسير اليوم إلى شباب المقاومة العربية الشجاعة وفتيان الغداة الإبطال ، من أبناء الوطن السليب

والأرض المحتلة ، وقد قال السيد الرئيس في خطابه : « ان المقاومة الفلسطينية تشد ، وهذا عنصر إيجابي له قيمته الآن في الحركة الشاملة » . فلا شك بأن إسرائيل مأخوذة باليهود والبلاء ، من خلف ومن أمام ، ومن فوق والرؤوس من تحت الانقسام ، ولن تكون أقوى قوة وأزع عنة ونفرا ، من دول الاستعمار الكبرى التي أوقتها وأدالت من فونها العسكرية الطاغية ، ضريات الفدائيين البواسل ، فارتطت كرها واضطرازا وتركت البلاد لأهلها الأحرار .

وما أصدق ما قرأناه لأحد الاقارب اليابانيين الذين زاروا مصر في الفترة الأخيرة تعليقاً على العدوان الصهيوني الاستعماري .. قال :

« اننا في اليابان نعتقد أن الجولة الحقيقية بين العرب وإسرائيل لم تبدأ بعد .. ان العرب في تاريخهم الطويل لم يقبلوا الاستعمار ولم يستسلموا له .. لقد واجهوا استعمارا أشد ضراوة من الاستعمار الصهيوني وانتصروا عليه واجبروه على الجلاء عن أراضيهم ونسج الفارق الهائل بين قوته وقوتهم .. وواجه العرب مؤامرات ومحاولات استعمارية لفرض مواقف معينة عليهم واستطاعوا مجابهتها والخروج منها مؤكدين استقلالهم وسيادتهم .. ولسنا نعتقد أن الجيل الحالي من العرب أقل تمسكا بالحرية والميادنة من أي جيل سبقه .. اننا جميعا - بلا شك - نعلم أن الحرية تؤخذ ولا تعطى .. »

وهذا هو الذي يقتضيه ويؤمن به ويعمل له الجيل الحالي من العرب ، ولقد قيل أن اليهود يقيمون في الأرض المحتلة المشاريع والمستعمرات والحصون علامة استقرار ، واسترسلا مع أوهام النصر الزائف أو تحصيننا لواقع القتال المنتظر ! .. ولكنهم لن يكونوا بذلك

كله أمتع حصونا من أسلافهم يهود يرب الذين خانوا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتلوه (في قري حصة أو من وراء جدر) فاتاهم الله بمالهم يقدروا وأودت المسلمين (أرضهم وديارهم وأموالهم) وقال سبحانه وتعالى في وصف حالهم .

« هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول أنحره ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وحذف في قلوبهم الرعب ، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ، فاتعبروا يا أولي الأبصار ، ولولا أن كتب الله عليهم الجلال لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار ، ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فإنه الله شديد العقاب »

روابط المودة بيت المسلمين والنصارى

فضيلة الشيخ
عبد الفتى الرجعى

عانى نبي الاسلام صلوات الله وسلامه عليه
الشدائد والأهوال فى سبيل نشر دعوته ، ما فاضت
بذكره كتب التاريخ وآيات الذكر الحكيم والآثار
والسنن التى تحدثت عن سيرته الطاهرة وغزواته
وجهاده • الكافرين أهل الشرك وعبادة الأصنام فى
مكة والطائف وثقيف وغيرها من قبائل العرب
واليهود فى يثرب وضواحيها من خيبر وقرينة
وبنى النضير وبني قينقاع وغيرها •

والنصارى فى نجران والفساسنة والمناذرة وغيرهم
من اطراف الجزيرة وخارج الجزيرة • تلك هى
العناصر الثلاثة التى تتكون منها البيئة الفكرية ،
ويتكون منها المناخ العقائدى ، الذى نادى فيه خاتم
المرسلين بدعوة الحق والحرية والسلام •



ماكان من آثاره هذه الغزوات الحربية التى تحدث
عنها القرآن الكريم وأظن فى درسها المؤرخون
مبينين اسبابها ونتائجها • • واما النصارى داخل
الحجاز فلم يؤثر عنهم أنهم بادعوا الرسول بعدوان
لاقبل الهجرة ولا بعدها • بل اثر عنهم انهم كانت لهم
لقاءات مع الرسول للجلل والنقاش وتبادل وجهات
النظر ، وأنه قد بشر برسالاته قبل بعثته بحيرى

أما المشركون فى مكة مركز الزعامة للمشرك
والمشركين ، فعلى ما بادعوا الرسول به من العدوان
قبل الهجرة وبعدها • فقد قضى عليهم الاسلام
وانتهى منهم فى السنة الثانية من الهجرة فى غزوة
الفتح
وأما اليهود فقد ابتلى بهم الاسلام والمسلمون
ابتلاء شديدا ، وأظهروا من الكيد للاسلام والمسلمين

الراهب لما رآه وهو فى رحلة الى الشام مع عمه ابى طالب ، وابن ورقة بن نوفل النصرانى أو المستنصر أيقن برسائلته وبشر بها لما ذهبت به اليه خديجة وأخبرته خبر ما رأى صلى الله عليه وسلم فى غار حراء .

ولئن أودى الاسلام وعودى عند ظهوره من يهود الجزيرة فى يثرب وغيرها واستمر هذا العداء مستحكما تتسلسل وقائعه الى يومنا هذا ، فانه لم يقابل من نصارى الجزيرة وغيرها الا بما هو امله من المسالمة والمودة والتعايش السلمى والتفاهم المتبادل والتعاطف بين الجانبين فى احيان كثيرة .

ولئن شن اليهود فى داخل الجزيرة على الاسلام نور ظهوره حملات دنيئة من الكيد والنفاق والحروب المسلحة فى معارك متعددة فان النصارى داخل الجزيرة وخارجها لم يكونوا ابدا بهذه المثابة من الكيد والعداوة ولكن كانت الهوادة والتفاهم والمسالمة وشهادة الحق رائدا لهم فى كثير من الاحيان وعديد من المواقف ولئن كان اليهود يعتبرون أنفسهم فى كتبهم الدينية المفتعلة انهم هم الادميون وما سواهم من الناس حيوانات مستباحة لهم ، يحل لهم ان يفعلوا بها كل ما يريدون ويحلو لهم من السلب والنهب والربا والقتل والاعتداء فقد كان النصارى فى كتبهم المقدسة يأخذون انفسهم بمبادئ العفو والصنع والاخاء والمسامحة ومقابلة السيئة بالحسنة والأعراض عن شهوات الحياة وآثامها وكل ما من شأنه ان يعكر صفو البشر ويعرض الناس لأراقة الدماء فليس بالخيز وحده يحيا الانسان ولكن كلمة الله وما لقيصر لقيصر وماله لله ، يقول الشيخ رشيد رضا أشهر آداب دينهم التواضع والتذلل وقبول كل سلطة والخضوع لكل حاكم ، بل من المشهور فى آدابهم الأمر بحبة الأعداء وإدارة الخد الأيسر لمن ضرب الخد الأيمن ، فتداول هذه الوصايا ووجود أولئك القسيس الرهبان لا بد أن يؤثر فى نفوس جمهور الأمة ، فتضعف صفة الاستكبار عن قبول الحق ، وقد عهد من النصارى قبول سلطة المخالف لهم طوعا واختيارا والرضا بها سرا وجهارا ، وما اليهود اذا اظهروا الرضا بذلك اضطارا ، اسروا الكيد اسرارا ، ومكروا مكرا كبارا ، وشريعة اليهود نفسها تربي فى نفوسهم الاثرة الخسيسة والعنصرية لأنها خاصة بشعب اسرائيل وكل أحكامها ونصوصها مبنية على ذلك .

ومهما يكن من شئ فقد ذكر العلماء والمفسرون فى سبب نزول قوله تعالى (لتجدن أشد الناس عداوة

للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ، روايات تاريخية كثيرة تعود فى نهاية أمرها الى ابراز ما كان بين المسلمين وهم فى مكة وبين الحبشة ونجاشيها ونصاراها من علاقات المودة والتفاهم الدينى والاجتماعى ، فسواء كان نزولها فى وفود من الحبشة جاءوا الى النبى بمكة فسمعوا منه القرآن فبكوا ، أم كان نزولها فى حاشية النجاشى وبطائنه فى الحبشة وهو على رأسهم حين قرأ عليهم جعفر بن أبى طالب سورة مريم فبكوا ، فالضمون فى النهاية شئ واحد يقول قتادة فيما يرويه ، انه لحق جعفر بن أبى طالب بالحبشة هو وأربعون معه من قريش وخمسون من الأشعريين ، فبعثت قريش فى طلبهم عمرو بن العاص وعمار بن الوليد فاتوا النجاشى فقالوا ان هؤلاء قد افسدوا دين قومهم ، فأحضرهم النجاشى فسألهم ، فقالوا بعث الله فينا نبيا كما بعث فى الامم قبلنا . يدعوننا الى الله وحده ، ويأمروننا بالمعروف وينهاوننا عن المنكر ويأمروننا بالصلة وينهاوننا عن القطيعة ويأمروننا بالوفاء وينهاوننا عن الغدر ، وان قومنا بقوا علينا وأخرجونا حين صدقناه وآمنا به ، فلم نجد أحدا نلجأ اليه غيرك ، فقال عمرو وصاحبه ، انهم يقولون فى عيسى غير الذى تقول ، قال وما تقولون فى عيسى ؟ قالوا نشهد انه عبد الله ورسوله وكلمته وروحه ولدته عذراء بتول ، قال ما اخطأتم ، ثم قال لعمره وصاحبه ، لولا انكما (قبلتما فى جوارى لفعلت بكما . ثم قدم مع جعفر الى مكة سبعون منهم فلما قرأ عليهم رسول الله القرآن فاضت أعينهم .

هذا التلاحم وهذا التناصر من نصارى الحبشة للاسلام والمسلمين فى الدور المكى والعداوة من كفار مكة لرسول الله والمسلمين مشبوبة الاوار جعلت كفرة مكة يحسون بما كان من هذا التقارب بين الدينيتين السماويتين فيحقدون عليه ويتعصبون ضده ، فلما انهزم الروم أهل الكتاب النصارى فى حرب لهم مع الفرس الوثنيين اشياه المكيين ، فرح كفار مكة بذلك وأظهروا شتماتهم بالاديان السماوية فتوعدهم ابو بكر بان الروم سوف ينتصرون على أعدائهم الفرس عما قريب ، ووصل النقاش بين الكفرة والصديق الى درجة المراهنة على ذلك ونزول القرآن مصدقا لنبوءة أبى بكر حيث نزل قوله تعالى : (ألم غلبت السروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفعلون فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ، وعد الله لا يخلف الله

اربابا ، من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا باننا مسلمون ، قال ابو سفيان . فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الضجيج وارتفعت الأصوات واخرجنا فقلت لأصحابي حين اخرجنا ، لقد أمر ابن أبي كبشة ، انه يخاف ملك بني الاسفر فمازلت موقنا انه سيظهر حتى ادخل الله على الاسلام *

ثم كتب هرقل بما رأى وسمع الى صاحب له يروما وكان نظيره في العلم والمعرفة ، وسأر هرقل من القدس الى حصن فاتاه كتابي صاحبه يوافق رأيه على خروج النبي صلى الله عليه وسلم . ثم فاذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص ، ثم أمر بابوابها فغلقت ، فقال يامعشر الروم ، هل لكم في الفلاح والرشد وان يثبت ملككم فتبايعوا هذا الرجل ؟ فحاصوا حصنة حمر الوحش الى الأبواب فوجدوها قد غلقت ، فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من أيمانهم ، قال ردوهم على . فقال . انى قلت مقاتلى أنفا اختبر بها شدتكم على دينكم المدني فقد رأيت فسجدوا له ورضوا .

وفى اخريات الدور المدني من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، نزلت سورة آل عمران وفيها كلام كثير عن عيسى ومناقشة النصارى فى شأنه ، وبعد ان اثبتت السورة ، عدم الوهيته وان لم يكن له والد وان مثله عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ، عادت آياتها تقول للرسول الكريم (فمن حاجك فيه من بعد ما جاك من العلم فقل تعالوا ندع ابنائنا وابنائكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ، ثم تبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) نسيت هذه الآية الكريمة بآية المباحلة ، فقد دعا النبي نصارى نجران الذين ناقشوه فى شأن عيسى ، الى هذه المباحلة ، فابوا وامتنعوا ، وقد اخرج البخارى ومسلم انه صلى الله عليه وسلم دعا نصارى نجران الى ذلك وان العاقب والسيد رئيسى النصارى فى نجران قال أحدهما لصاحبه ، لا نلاعن محمدا ابدا ، فوالله لئن كان نبيا فلاعننا لا نفلح ولا يفلح عقبنا بعدنا ، ثم قال له ، نعطيك الجزية وتبقى على ديننا فابعت معنا رجلا امينا ، فقال قم يا أبا عبيدة فلما قام قال هذا هو أمين هذه الأمة .

وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون) وهكذا حقق الله وعده وانتصر الروم على الفرس بعد بضع سنين فى يوم انتصار المسلمين على المشركين فى غزوة بدر الكبرى ، فكان فرحا مزدوجا حيث انهزمت الوثنية فى كل من فارس والحجاز وانتصرت الاسلامية والنصرانية فى كل من الشام والحجاز .

وفى الدور المدني للاسلام والمسلمين وعقب غزوة الحديبية وصلحها ومعاهدتها مع كفار مكة ، كان ابو سفيان فى بلاد الشام على تجارة لأهل مكة ، فلما علم هرقل عظيم الروم والنصارى بوجوده دعاه هو وأصحابه الى مجلسه ليسأله عن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، وعن الدين الجديد الذى جاء به فكان ما قاله لأبى سفيان ، سألتك عن نسبه ، فذكرت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث فى نسب قومها ، وسألتك هل قال احد منكم هذا القول قبله ؟ فذكرت ان لا ، فلو كان احد قال هذا القول قبله لقلت رجل تأسى بقول قيل قبله ، وسألتك هل كان من آبائه من ملك ؟ فذكرت ان لا ، فلو كان من آبائه من ملك لقلت رجل يطلب ملك أبيه . وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال فذكرت ان لا ، فلم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله ، وسألتك اشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ، فذكرت ان ضعفاءهم اتبعوه وهم اتباع الرسل ، وسألتك ايزيدون أم ينقصون ؟ فذكرت انهم يزيدون . وكذلك امر الأيمان حتى يتم ، وسألتك أيرتد احد منهم سخطه لدينه بعد ان يدخل فيه ؟ فذكرت ، ان لا ، وكذلك الأيمان حين تخالط بشائسته القلوب ، وسألتك هل يفدر ؟ فذكرت ان لا . وكذلك الرسل لا تفدر وسألتك بماذا يأمركم ، فذكرت انه يأمركم ان تعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا وينهاكم عن عبادة الأصنام ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف ، فان كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين ولو أنى أخلص اليه لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه ، ثم دعا بكتاب رسول الله الذى بعث به دحية الكلبي الى عظيم بصرى فدفعه الى هرقل فقرأه فاذا فيه ، بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم . سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد . فان ادعوك بدعاء الاسلام . أسلم تسلم . يؤتك الله أجرك مرتين ، فان توليت فان عليك اثم الاريسيين يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا

وفي أخريات هذا الدور المدني أيضا من حياته صلى الله عليه وسلم بعث كتبا كثيرة الى الملوك والرؤساء خارج الجزيرة العربية يدعوهم بدعاية الاسلام ، فكان النصرارى من هؤلاء الملوك والرؤساء أحسن ردا بينما كان كسرى الفارسى من أسوأ الناس ردا حيث فرق كتاب رسول الله ونبذه فدعا صلى الله عليه وسلم عليه بتمزيق ملكه ، كان موقف النجاشى ملك الحبشة ممتازا وكان موقف هرقل موقف العالم المجتهد الذى يدرس ويحلل ويستخلص النتائج من المقدمات حتى اهتدى الى صدق الرسول وصحة دين الاسلام ، وكان موقف المقوقس عظيم القبط فى مصر لا يقل عن موقف أخويه نبلا ومسألة فقد أحسن الرد وأهدى الى الرسول دابة ليركبها وطيبنا لعلاجه ، وجارية هى مارية القبطية أم إبراهيم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما وعظه حاطب بن أبى بلتعة حامل كتاب الرسول اليه بقوله ان هذا النبى دعا الناس فكان أشدهم عليه واعداهم له اليهود والذين اشركوا واقربهم منه النصرارى ، ومادعاؤنا اياك الى القرآن الا كدعاء أهل التوراة الى الانجيل ، ولسنا نهاك عن دين المسيح ولكن نأمرك به كان رد المقوقس عليه ، انى قد نظرت فى فى أمر هذا النبى فوجدته لا يأمر بمزهد فيه ، ولا ينهى عن مرغوب فيه ، ولم أجده بالساحر الضار ، ولا الكاهن الكاذب ، ووجدت معه آية النبوة .

وبهذا كله يبدو لنا واضحا ان النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين رأوا من مودة النصرارى ولين جانبهم ، وقربهم من الاسلام ، بقدر ما رأوا من عدواة اليهود وغفلتهم وفضائلهم وحروبهم الطاحنة التى شتوها على الاسلام والمسلمين ، وان النصرارى الذين كانوا مجاورين للحجاز فى آسيا وأفريقيا كانوا أقرب مودة للمسلمين وأدنى الى قبول الاسلام أو مسألته ، وان من توقف من ملوكهم بعد ذلك عن الاسلام وقبوله ، ما كان توقفه هذا الاضنا بملكه وخيرة واضطرابا ، ولظروف سياسية طارئة أدت الى الحرب بين المسلمين واطراف الدولة الرومانية ولما فتحت مصر والشام وعرف أهلها الاسلام على حقيقته دخلوا فى دين الله أفواجا ، وكان القبط

فى مصر الى ذلك أسرع وأكثر ترحيبا ، ومن بقى على دينه ، بقى مسالما ضالعا مع العرب والمسلمين

لم يكن بغير هدف ان الأسراء بنى الاسلام كان الى بيت المقدس حيث ولد المسيح وعاش وبشر مسجلا ذلك فى كتاب الاسلام الخالد مقرونا بالثناء على تلك البقاع المباركة حيث يقول سبحانه (سبحانه الذى أسرى بعبده ليلا عن المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير) وحيث يقول صلى الله عليه وسلم ، لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ، ومسجدى هنا ، والمسجد الأقصى) ولم يكن غريبا ولا غير منتظر طلب المسيحيين بفلسطين اثناء الفتح الاسلامى حضور عمر بن الخطاب بنفسه لاستلام مدينة القدس وبيت المقدس واعطائهم العهد والأمان بنفسه ، وطلبهم منه عدم السماح بالاقامة لليهود معهم (بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما اعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل ايليا ، من الأمان ، اعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم ، لاتسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من شئ من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن معهم بايلياء أحد من اليهود) ولما كتب لهم عمر هذا الكتاب فى كنيسة القيامة وحنان وقت الصلاة ارادوه ان يصلى صلاته فى كنيستهم ، لكنه خاف اذا صلى بها ان يحولها المسلمون الى مسجد فانتحى مكانا بعيدا وصلى فيه هو وأصحابه فكان بعد ذلك المسجد العمري او مسجد الصخرة وبالتالي لم يكن غريبا ولا غير منتظر ما يقوم به البابا كيرولس والبابا بولس من جهود مشكورة فى الاحتجاج على ما قامت به اسرائيل من عدوان مسلح على الأماكن المقدسة .

ان النصرارى والمسيحيين أدرى من غيرهم بما يقول اليهود فى عيسى واه ، وبما يضمم اليهود من العدواة لكل الشعوب والاديان وبما كان بين اليهود والنصارى على مدى التاريخ من صراع وحروب كانت تبلغ فى بعض الأحيان

درجة الأباد ، وبما بين المبادئ المسيحية الانسانية الرحمة وبين الطبيعة اليهودية المادية العنصرية من تباين وافتراق ، وبما تنطق به كتب اليهود والصهاينة من ان هدفهم الحقيقي هو السيطرة الكاملة على جميع البشر ، بواسطة تخريب البشرية بافساد الذمم والضمائر والاخلاق والعقائد والديانات عن طريق الخمر والنساء والشبهوات ، وتركيز السيطرة المالية فى ايديهم ، شركات ، صحافة اذاعة مصانع ، سينما ، بنوك ، الحصول على الذهب من أى طريق ، المال هو كل شيء ، بأى ثمن الله شتتهم فى بقاء الأرض ودول العالم تمكيناً لهم من اداء هذه الرسالة الوضيعة التخريبية ، الطواغيت الثلاثة الذين حاولوا ان يشوهوا جلال الانسانية برآئهم وافكارهم ومذاهبهم الفاسدة ، ثلاثتهم يهود (دارون) صاحب نظرية التطور التى تريد النزوع بالانسان فى أصله الى عالم القرود ، فرويد النفسانى الذى ارجع جميع غرائز الانسان الى غريزة الجنس الشهوة الحيوانية (ماركس) المادى الذى لايعترف الا بالمادة والجدلية المادية ، فلا عقائد ولا روحانيات ولا خليقات ولا قوى خالقة وراء المادة •

قد يقول قائل اذا كان ما نقول من المودة بين النصارى والمسلمين حقاً ، فماذا تقول فى الحروب الصليبية ؟ والجواب عن ذلك ان مسيحي الغرب ، انصرفوا عن مبادئ دينهم من المحبة والمودة ، وأصابهم السعار والكلب المادى الدنيوى كعدوى من اليهود وكانت الغالبية العظمى منهم تحت شعار الدعاية الكاذبة ضد الاسلام والمسلمين والبعد الجغرافى تجهل حقيقة الدين الاسلامى والاخلاق الاسلامية التى مكنتهم الحروب الصليبية من الاطلاع عليها وتعديل معلوماتهم عنها ، هذا من جانب ومن جانب آخر كانت هذه الحروب فى حقيقة أمرها حروباً تجارية يراد بها فتح الطريق الى تجارة الشرق الاقصى وتمكين التجار الأوربيين من شواطئ الشرق الأوسط وموانئه وما كان اسم الصليب الا شعاراً منتحلاً . وقد حارب نصارى الشرق بجوار وفى صفوف اخوانهم العرب والمسلمين ، يقول المفكر الاسلامى الشيخ رشيد رضا مما يدل على كون النصارى اقرب من اليهود

الى الاسلام بطبيعة دين كل منهما كثرة من يسلم من النصارى كل زمان وقلة من يسلم من اليهود ولولا ضعف المسلمين فى هذا الزمان واعراضهم عن هداية القرآن واحمالهم الدعوة الى الاسلام واطهاره بصورته الصحيحة ولولا فساد حكوماتهم وضعف رجالهم فى السياسة ، وتخلفهم عن مجاراة الامم فى العلم والحضارة مع بلوغ دول الأفرنج النصرانية أوج العزة والقوة واستمالتهم لنصارى الشرق وجذبهم اليهم واعتزاز هؤلاء بهم ، ولولا ما أشرنا اليه من التنازع السياسى الدنيوى بين دولنا ودولهم لولا ذلك كله لكانت المودة بين الفريقين أتم وانتشار الاسلام فيهم أعم لان الاسلام اصلاح فى النصرانية ، كما ان النصرانية اصلاح فى اليهودية ودين الله على السنة موسى وعيسى ومحمد واحد ، ولكنه جرى مع البشير على سنة الارتقاء الى أن بلغ سن الكمال •

اما قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فانه منهم ، ان الله لا يهدى القوم الظالمين ، فالعنى أن اليهود بعضهم أولياء بعض ، وان النصارى بعضهم أولياء بعض ، لا ان اليهود أولياء النصارى والنصارى أولياء اليهود ، والمؤالة التى نهانا الله عنها فى هذه الآية هى مؤالة المذلة والانحياز لغير المسلمين ضد المسلمين ، فالاسلام لايتهى المسلم عن مؤادة غيره من غير المسلمين مادام مسلماً مؤالياً فان بغى واعتدى فالشر بالشر والبادى اظلم والله يقول (لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون •

تجسد سيئات بنى اسرائيل المتكررة ومخازيهم
الآثمة واعتداءاتهم الفاحشة ، لا تزال قائمة تتمثل
امام ناظرى تستدعينى المضى فى طريق الكشف
عنها ، وتلج على أن اتابع الكتابة فيها ، وتحفظنى
حفزا الى اكمال سلسلتها . ونشر فضاءاتها ، التى
سجلتها الكتب السماوية المقدسة ، والتى تنزلت
على الانبياء ، بل سجلها كتابهم الدعى ، المسمى
بالتلمود ، وشروحهم المنتطلة ، المسماة ببروتوكولات
صهيون التى سطرها احبارهم ، ويقولون كذبا ،
آنها من عند الله ، وما هى من عند الله « ان يقولون
الا منكرا من القول وزورا » .

وموعنا اليوم مع موقعة أحد، وقد نشبت المعركة
فى يوم السبت الموافق ستة عشر من شهر شوال من
السنة الثالثة من الهجرة . بعد نضال المسلمين
ببدر ، وبعد عام مضى ، وبعد أن عاد المسلمون الى
المدينة منتصرين مرفوعى اليرس ، ثابتى الاقدام .
وعاد المشركون الى مكة منكسرى اليرس مهينى
الجناح ، واستولت عليهم مرارة الاحزان ، وعلتهم
كآبة الانهزام ، وارتسم فى اسارير وجوههم غضب
الانتقام ، وبدت البقضاء فى اقوالهم ، وما تكن
نفوسهم اكبر ، فلى مبرجل الحقد فى صدورهم ،
وارادوا ان يتجمعوا فى دار الندوة للتشاور فى
خطة الانتقام من محمد . واخذ الثار من أصحابه ،
وتوافد زعماء قريش على مجلس ندوتهم مسفيان
ابن حرب ، وعكرمة بن أبى جهل ، وجبير بن مطعم ،
والحارث بن هشام ، وصفوان بن أمية ، وحويطب
ابن عبد العزى ، وعبد الله بن ربيعة وغيرهم وكلهم
مفيظ محقق ، على فقد رجال قريش وأعر ابنائها
فى غمضة عين ، فى موقعة بدر ، وطلبوا رصد
ربح العير « التجارة » التى كانت سببا فى افنائهم ،
لشراء السلاح والطعام والمتاع لقتال محمد ، وقرروا
فوق ذلك جمع المال تبرعا لتلك الغزوة المقبلة ، لاخذ
ثأرهم ، وقرروا ان ينتشروا فى القبائل للتحريض
على مقاومة محمد ودينه الذى سيمحو دين آبائهم
واجدادهم واوغلوا فى الاستيعاب حتى استطاعوا
ان يجمعوا جموعهم .

وقد كان العباس بن عبد المطلب عم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، بعد أن أسلم يوم بدر عاد الى
مكة موطنه وأقام بها وقد جعل من نفسه سفيرا
يتفقد أحوال قريش حتى رثق كسل الوثوق بانهم
أجمعوا أمرهم على قتال الرسول بالمدينة ، فى
جيش عظيم وعدة وافرة من السلاح والرجال ،
فكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

النضال يوم أحد بعد النضال يوم بدر

تأليف
إيمان حسن عبد الوهاب



وأيتمونا نهمهم ودخلنا عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم
وان رأيتمونا تقتل فلا تميئونا ولا تدفعوا عنا وانما
عليكم ان تثبتوا مكانكم ، وان ترشقوا الغيل بالنبل
فان الغيل لا تقدم على النبل ، وامرهم الا يقاتلوا
الا اذا امروا بالقتال وعليهم ان يحموا ظهور الجيش
من الميمنة والميسرة » .

وأما قريش فتجهزت في ثلاثة آلاف مقاتل
ونزلوا خلف جبل أحد في سفحه ، وكان معهم مائة
فرس مطهمة ، وصفوا جيشهم استعدادا للمعركة ،
حين أبصروا المسلمين قد خرجوا اليهم ، وجعلوا
على الميمنة خالد بن الوليد وعلى الميسرة عكرمة بن
أبي جهل ، وأعطوا اللواء لعبد العزى طلحة بن أبي
طلحة ، ثم استعد الفريقان للقتال في أول
النهار في البكور وكل يحرض عسكره ويث في
روحه الشجاعة والأمل : فاما قريش ، فتذكر بدرا
وما أصابها من فقد رجالها ، وأما المسلمون فيذكرون
الله والجنة التي أعدها للشهداء والرسول صلى الله
عليه وسلم يخطب ويحض على القتال ويعد رجاله
بالنصر ، اذا صبروا واتبعوا تعاليمه واسترشدوا
برأيه ، وأخذ المسلمون يهجمون على المشركين بقوة
إيمانهم وصاح حمزة بن عبد المطلب صبيحة كبيرة
أشعلت الحماس في المسلمين يوم أحد ، وكان
شعارهم « يومئذ » « أمت ، أمت » بكسر الميم
وسكون التاء ، واندفع المسلمون وراء جيش قريش
حتى فروا وانكشف معسكرهم وانتصر المسلمون
وفرحوا بنصرهم في أول يوم من قتالهم والحق
أن ظفر المسلمين في صبيحة أحد كان معجزة من معجزات
الحرب ، وذلك لتخطيط الرسول صلى الله عليه وسلم
ومهارته الحربية والواقع ان سيمعانة من المسلمين
يهاجمون عدوا يزيد على خمسة أمثالهم ولهم عدة
وافرة يرجع الى الايمان الصادق بانهم على حق في
مبادئهم ومن آمن بمبادئه لم تخفه أية قوة في الدنيا
مهما عظمت ، ففقه الايمان وقوة العقيدة وقوة
الفكرة متى تفاعلت بها الامة فلا غالب لها ، ولذلك
تمزقت امام تلك القلة المؤمنة ثلاثة الاف من فرسان
قريش واوشكت نسوة قريش ان يقعن اسرى ذليلات
واصبح المسلمون قاب قوسين من الفوز والانتصار .

ولكن الرماة لما رأوا انهزام المشركين وفرارهم من
المعركة وخلا الميدان منهم سال لعابهم للفتيمة
ومالوا للدنيا ، فتركوا مواقعهم ولم يلتفتوا لنصيحة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وامره بان لا يتركوا
اماكنهم ولو تخطفهم الطير ، وقال لهم اميرهم

وبعث الرسول صلى الله عليه وسلم من يستطلع
خبر قريش وقيدومهم فاذا بالمنذر بن الحباب جاء
يخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بخبر العباس ،
فاخذت الرسول الحيرة واذا بالاخبار تأتي رسول
الله صلى الله عليه وسلم بان طليعة خيل قريش
تقترب من المدينة وتكاد تدخلها ، وعلم المسلمون
بالامر ، فاخذوا يستعدون للقتال وحرست المدينة
طول الليل ، وبات وجوه المسلمين من المهاجرين
والانصار في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعليهم السلاح خوفا على النبي صلى الله عليه وسلم
وكان ذلك يوم الخميس الموافق ١٤ اربعة عشر من
شوال من السنة الثالثة من الهجرة .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
مساء الجمعة الموافق خمسة عشر من شوال
وبات في أحد ، وكان معه ألف مقاتل من
أصحابه ومن المتظاهرين بالاسلام ، وفي أثناء
الطريق بصر بكتيبة لا يعرف أهلها ، فسأل عنها
فقبل انهم من اليهود وحلفاء ابن أبي رئيس المنافقين
فردهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال :
لا يستنصر باهل الكفر على اهل الكفر ، ما لم يسلموا ،
فانصرفوا عائدين الى منازلهم وأخذ اليهود الذين
ردهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يكررون في
الجيش وقالوا لابن أبي بن سلول ، لقد نصحتك
وأشرت عليه بالرأي ، ولكنه رمى برأيك عرض
الحائط وأطاع الفلمان الذين معه فصادف -
الحديث هوى من نفس ابن أبي سلول وبدأ له ان
يرجع فرجع بثلاثمائة من أتباعه وقال لو تعلم قتالا
لا تبعناكم ولم يبق مع الرسول صلى الله عليه وسلم
سوى سيمعانة من أصحابه ، فاخذ الرسول صلى الله
عليه وسلم ، يلقي عليهم حديث الاستشهاد
**فاذا نصركم الله على عدوكم رجعنا بالغنime والاجر ،
وان انهزمنا لنا الشهادة وكانت لنا جنة عرضها
السموات والأرض .** وسار النبي - صلى الله
عليه وسلم - بالمؤمنين المصادفين من أصحابه
الى أحد في صبيحة يوم السبت الموافق ستة عشر
من شوال من السنة الثالثة من الهجرة ونزل في
عدوة الوادى عند الشعب وأخذ ينظم الجيش وجعل
له ميسرة وميمنة ، وحدد لكل مكانه وجعل ظهره
وظهر عسكره الى أحد وجعل الرماة امام الجيش
وكان خمسين راميا بقيادة عبد الله بن جبير
وأعطى اللواء لمصعب بن عمير وقال للرماة **احموا
ظهورنا فانا نخاف ان يهيمونا من ورائنا والزموا
مكانكم ولا تبرحوا عنه ، حتى لو رأيتمونا نهزم ، وان**

عبد الله بن جبير أن الرسول أمركم بلزوم مكانكم ولو هزمت قريش فعصاه أكثر الرماة وانطلقوا لجمع الغنائم ولم يبق معه سوى أفراد من الرماة واشترك مع القاتنين بعض صفوف المينة والميسرة من المسلمين ، وإذا بخالد بن الوليد يلتفت وراءه فيجد المسلمين قد كشفت ظهورهم وانهم اشتغلوا بجمع الغنائم وتفرقوا في الميدان ، فانتهاز خالد تلك الفرصة وهاهتيلها وشيكا واقبل بفرسانه على مكان الرماة ، فاحتل مكانهم بعد أن أجلى بقيتهم ثم صاح خالد بن الوليد صيحة مدوية جمعت كل جيشه وراء جيش المسلمين وتداخلوا في صفوفهم واختلطوا بهم وانخنوهم قتلا وضربا ، وتمزق المسلمون اربا اربا ودارت الدائرة عليهم فالتى كل مسلم ما كان بيده من غنيمة وعاد الى سيفه وحرته ليقاتل بها ، ولكن هيهات هيهات فقد تفرقت الصفوف وتمزقت وحدة الجيش ، لانهم عصوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعصوا على أوامره بانسواخذ ، فأصابهم غمنا بغم وحزنا على حزن ، حين سمعوا بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصاح صائح الشيطان أن محمدا قد قتل فازدادت الفوضى وعظمت البلية وقالوا كنا نمشك في موت رسول الله صلى الله عليه وسلم ونستبعد موته حتى طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين السعدين (سعد بن ابى وقاص ، وسعد بن جبيل) فعرفناه بكتفيه وفرحنا برؤيته كأنه لم يصيبنا ما أصابنا ، فرقى إلينا وهو يقول (اشتد غضب الله على قوم دموا وجهه نبههم)

وحين سرى نبا موت رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قريش اندفعت بقوتها وعسكرها تدافع السبل الى مكان نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم كل يريد أن يكون له الفخر والشرف في قتل سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهنا احتاط المسلمون القريبون من النبي وموقفه يحومونه ويدافعون عنه دفاعا مستميتا وقد ملك الايمان الصادق قلوبهم وهان عليهم الموت وكرهوا الحياة بعده وزادهم ايمانا حين رأوا الحجارة تقذف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد وقع في حفرا ابو عامر فاصيبت رباعيته وشج وجهه وكلمت شفته ودخلت حلقتا المغفر في وجنتيه ، وسال الدم من رأسه على ثوبه ، فأصرع سيدنا على رضى الله عنه ونهض به من الحفرة واخذوا بمسحون الدم من وجهه ، واحتدم القتال وكانت مذبة رهيبه تقشعر منها الاجساد وتخلع القلوب ، وجاء ابو دجانة وترس نفسه دون رسول الله صلى الله عليه وسلم

وجعل ظهره مكانا لتلقى النبل ووقف سعد بن ابى وقاص الى جانب الرسول صلى الله عليه وسلم يرمى بالنبل دون رسول الله والرسول يناوله النبل ويقول له ارم فذاك أبى وأمى وعلى ابن عمه يرمى بالقوس وكانت أم عمارة الانصارية تسقى الماء فى صفوف المسلمين فلما رأت انهزام المسلمين ألتقت بالسقاء واستلت السيف وقامت تبائر القتال بنفسها وتذب عن الرسول بالسيف وترمى بالقوس حتى اصيبت بكثير من الجراح .

والله عز وجل لم يترك المؤمنين بعد تلك المعركة بدون درس وتاديب ، وتسليية وتدريب ، واستعداد دائم للنضال وعدم الخضوع لعدوهم وطلب النصرة والعلو عليه فانزل ما ياتى لتحقيق هذه الاهداف فى رسالتهم ، التى انزلت من عند الله لتقدم الانسان وبيان كرامته .

قال الله تعالى (ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين) ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا منكم ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين) آية ١٣٩ ، ١٤٠ الى عمران وقال تعالى فى تلك السورة آية رقم ١٤٦ « وكان من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين) وفى الآية دعوة صريحة للامة وابلاغ لمبدأ هام هو ، ان الحرب سجل بيننا وبين أعدائنا .

ونحن اليوم امام عدونا اسرائيل ومن معه من الامريكان وغيرهم من الدول المتظاهرة مع اسرائيل نقف على شاطئ القتال ومستعدون لهم ولن نبرح مكاننا حتى تنتصر باذن الله ولنا فى معركة أحد خير درس تعلمناه فقد خرج المسلمون من أحد اقوياء اشداء ووقفوا ببسالة امام الاعداء وقاوموهم فى ايمان واصالة فكان النصر المؤزر بعد احد على طول الخط وفى السنة الرابعة من الهجرة اجلى الرسول بنى النضير وفى السنة الخامسة اجلى بنى قينقاع وفى السادسة قضى على جميع اليهود فى خيبر ثم فتح مكة فى السنة الثامنة ودخل الناس فى دين الله افواجا ونحن كذلك سنتنصر عليهم بفضل الله وتنقدم وترتفع ونزيل آثار العدوان وسنخرج اليهود من كل ارض عربية وسنحفظ بقداسة بيت المقدس ونعيد اهل فلسطين الى ديارهم واموالهم ، وما ذلك على الله بعزيز اللهم انا نسالك وانت القوى العزيز ان ترد عنا باس - الذين كفروا فانك اشد باسا واشد تنكيلا ، يانعم المولى ويانعم النصير .

أُمثلة

من الأفضية في الإسلام

المستشار عبد الستار آدم

« ثم تخير للحكم بين الناس افضل رعينك في نفسك ممن لا تضيق به الامور .. واصبرهم على تكشف الامور واصبرهم عند انصاح الحكم ممن لا يزدهيه اطراء ولا يستميله اغراء ثم اكثر تعهد قضائه افصح له في البذل بما يذبل علته وتقل معه حاجته الى الناس ، واعسد له من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره .. »

(تراجع كتاب القضاء في الاسلام للاستاذ محمد سيلا مذكور ص ٢٦ ، ص ٢٧) .

وكان القاضي - سواء اكان هو الخليفة أو الوالي أو الأمير أو الوزير أم شخصا آخر - يحكم بكتاب الله وسنة رسوله لقوله سبحانه وتعالى في سورة النساء :

« يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول أن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا »

وقول رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه :

« لقد تركت فيكم ما ان تمسكنم به لن تضلوا بعدى : كتاب الله وسنتي » . وفي رواية أخرى :

« لقد تركت فيكم بعد وفاتي أمرين ، لن تضلوا ما تمسكنم بهما : كتاب الله وسنة نبيه »

هذا اذا كان الحكم واضحا في الكتاب والسنة والا فان القاضي كان يحكم بما أجمع عليه الصحابة فاذا لم يجد اجتهاد وكان اذا استشكل عليه أمر في قضائه استعان بالفقهاء الوجوديين معه وكثير منهم كان يرجع الى الخليفة نفسه أو الى الوالي في طلب الرأي ، ومع هذا فقد كان القضاء في أحكامهم لا يتأثرون بميول الحاكم بل كان قضاؤهم نافذا حتى على الولاة أنفسهم ..

هذا ويدخل في الاجتهاد أن يحكم القاضي بالقياس والقرائن والامارات والوسائل التي وضعها الشارع للدلالة على حكمه أحيانا كان القاضي يحكم بالفراصة لذلك يشترط الاسلام في القاضي أهلية الاجتهاد بان يكون عالما وأن يعرف الاحكام ومسالكها ووجهه دالة اللفظ على المعاني ، وأن يعرف علوم اللغة بالقدر الذي يمكنه من فهم النصوص فهما صحيحا .. هذا فضلا عن العقل ، والبلوغ ، والحرية ، والبصر ، والنطق ، وعدم الحد في قذف ، والا يجر لنفسه مقننا بهذا القضاء ، والمعادلة ، وعدم ارتكاب شئ يدل على قصر العقل أو بخل بالمرودة ..

وسأحدث ، باذن الله تعالى ، على صفحات هذه المجلة الفسار عن بعض الأمثلة من الأفضية في الإسلام .. وكلها تدل ، دالة قاطعة على ذكاء القاضي في الإسلام وعدله وفطنته وفراسته وحسن اجتهاده .

٦ - أمرت أن أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر .

٧ - دع ما يريبك الى ما لا يريبك .

٨ - ان الله تجاوز عن عمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه .

٩ - لا يحل سلف وبيع ، ولا شرطان في بيع ، ولا ربح ما لم يضمن ، ولا بيع ما ليس عندك .

ولقد تولى الصحابة القضاء .. ومن تصاح رسول الله ، صلى الله عليه وسلم لهؤلاء الصحابة قوله للإمام علي ، كرم الله وجهه - عندما بعته وهو شاب الى اليمن ليقتل فيها :

« اذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقص حتى تسمع كلام الآخر كما سمعت من الأول فانه أحسرى أن يتبين لك القضاء »

ومن ذلك قوله ، عليه الصلاة والسلام :

« لا يقضى القضاى بين اثنين وهو غصبا »

وبعد الرسول تولى الخلفاء الراشدون القضاء .. وكان الخليفة يقضى بين الناس بنفسه أو يعهد بذلك الى الولاة أو الأمراء

ولما اتسعت الدولة الاسلامية عين للقضاء اشخاصا غير الولاة والأمراء

وكان يختار القاضي من خيرة العلماء وافضلهم .. وكانت لهم منزلة عند الولاة والخلفاء ومركز مرموق .. قال علي بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، لأحد ولاته - بعد أن أمره بتقوى الله وبين له سياسة الدولة - :

كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم أول قاض في الإسلام فقد كان المسلمون يرجعون اليه في فتاواهم واقضيتهم فكان يقضى ويحكم بينهم بما أنزل الله وبما أراه الله .. قال سبحانه وتعالى :

« وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيئنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا .. »

وقال ، عز من قائل :

« انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للفاثنين خصيما .. »

وفد وضع ، صلوات الله وسلامه عليه ، احكاما وقواعد عامة كانت ولا تزال نبراسا لكل قاض على مر السنين والأيام .. منها ، على سبيل المثال ، لا الحصر ، القواعد والاحكام الآتية :

١ - البيئة على من ادعى واليمين على من أنكر .. وقد وردت هذه القاعدة في الحديث الشريف : « لو يعطى الناس بدعواهم لادى رجال أموال قوم ودماءهم ، لكن البيئة على المدعى واليمين على من أنكر »

٢ - الصلح جائز بين المسلمين الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا .

٣ - الدين ، وان قل ، بمنع ملك الولاية في التركة بقدره كالكف .

٤ - السلطان ولي من لا ولي له .

٥ - لا ضرر ولا ضرار في الإسلام

ولعل خير ما أبدا به الحديث الشريف التالي :

روى أن رجلين اختصما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما :

« انكما تحتكما إلى رسول الله .. وأنا بشر مثلكم .. وقد يكون أحدكم الحن بحجته (أى افطن بها وأبصر) فمن اقتطع من حق أخيه شيئا فسيأتى به أسطاما من نار في عتقه يوم القيامة . » فبكى الرجلان وقال كل منهما : حتى لأخى .

وفي رواية أخرى :

انكم تختصمون إلى .. ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، فاقضى بنحو مما أسمع ، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذه ، فإنما أقطع له

قطعة من نار . » فبكى الرجلان وقال كل منهما : حتى لأخى .

(تراجع كتاب الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية للإمام ابن القيم الجوزية . تقديم فضيلة الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد طبعة سنة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م)

ومن أعظم ما يروى في هذا الشأن ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم : أن امرأة تدعى فاطمة المخزومية (أى من قبيلة بني مخزوم) سرقَت فِعْلَمَ أهلها أن يدها مستقطعة فذهبوا إلى أسامة بن زيد ، حسب رسول الله وابن حبه، ليشفع لها عنده فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا وقال لأسامة : أتشتع في حد من حدود الله ياأسامة . ثم وقف خطيبا فقال :

أما بعد فإنما أهلك الذين من قبلكم . انهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد . واني والذي نفسي بيده ، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها .

ومن أمثلة الحكم بالقرينة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حبس في تهمة وعاقب في تهمة لما ظهرت له أمارات الريبة على التهم (تراجع كتاب القضاء في الإسلام سالف الذكر ص ١٩٤) .

وفي الأعداد التالية سأحدث ، بعون الله سبحانه وتعالى ، عن أمثلة أخرى للأقفية في الإسلام .

فالى العدد القادم ان شاء الله .

والله ولى التوفيق .

بقية مقال «انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون»

ومنها كذلك أن كل حرف من حروفها صالح لأن يتصل به ما بعده ، وما قبله ، سوى ستة أحرف هي ، الألف والدال والراء والزاي والواو (فإنها تصلح لأن تتصل بما قبلها ، لا بما بعدها بخلاف الحروف في اللغات الأخرى ، فإنها كلها منفصلة عما قبلها ، وعما بعدها .. ولهذا الخاصية في حروف اللغة العربية أمكن كتابة كل كلمة منفصلة عن غيرها من الكلمات ، فامتازت الكلمات عن بعضها ، تمام الامتياز بذلك ، واستغنى عن الأوضاع والأشكال ، والاعتبارات الكثيرة كالفواصل المستعملة في اللغات الأخرى ، لتميز الكلمات بعضها من بعض ، وهو طريق اقتصاد في اللغة العربية ، لا يوجد في غيرها .

وما ذكرنا من خصائص اللغة العربية بعض مما امتازت في مجموعه عن اللغات الأجنبية الأخرى المقول في شأنها: انها من اللغات الحية، كالفارسية والتركية والفرنسية وغيرها .

للبحث بقية

اللام الشمسية، فكل حرف يكتب بسيطا، ينطق به بسيطا أيضا، مثل لفظ (كتب) فهي تكتب (ك - ت - ب) وتنطق كما تكتب .

وهذا بخلاف اللغات الأخرى المشهورة .. فإنك كثيرا ما تجد بين حروف الكلمة حرفا أو أكثر يكتب ، ولا ينطق به ، مثل كلمة Right الانجليزية ، التي معناها (حق) وهى مكونة من خمسة أحرف ، ففيها حرفا gh لا ينطق بهما ، وكلمة (ثوث) الانجليزية التي معناها فكرة فإنها تكتب بسبعة أحرف Thousht ولا ينطق منها إلا بأربعة أحرف هي Thot .

وفضلا عما تقدم، فإن مما يزيد اللغات الأخرى تعقيدا ، أنه بينما الحرف الواحد في العربية له نطق واحد كما تقدم ، فإننا نجد في اللغات الأخرى الحرف الواحد ينطق بصور مختلفة ، مثل حرف C الذى ينطق به (سى) فى مثل كلمة Center أى : وسط ، بينما ينطق به (ك) فى مثل كلمة Coal أى فحم (١٥)

كيفية تلاوة القرآن الكريم
 وصيلة الشيخ محمد خليل المصري

قال الامام المحقق ابن الجزرى فى كتابه (النشر):
(ولاشك ان الائمة - كما هم متمبلون بفهم معانى
القرآن واقامة حدوده - متمبلون بتصحيح الفاظه ،
واقامة حروفه على الصفة المتلقاة من ائمة القراءة ،
التصلة بالحضرة النسبوية الافصحية العربية التى
لا تجوز مخالفتها ، ولا الصول عنها الى غيرها) .
وتلك الكيفية هى التى نزل بها القرآن الكريم ، وهى
المرادة من الترتيل الذى امر الله به نبيه محمدا صلى
الله عليه وسلم فى قوله تعالى : (ورتل القرآن ترتيلا)

قال ابن عباس : أى بينه • وقال مجاهد ، تأن
فيه • وقال الضحاك : أتبذه حرفا حرفا ، وأفضل
الحرف من الحرف الذى بعد • وجاء عن علي رضي
الله عنه انه قال : الترتيل تجويد الحروف ومعرفة
الوقوف • وقال بعضهم : أى تثبت في قراءتك
وتمهل فيها •

ولم يقتصر سبحانه على الأمر بالفعل حتى اكده بالمصدر اهتماما به وتعظيما له ليكون ذلك عونا على تدبر القرآن وتفهمه ، وهكذا كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ، كانت غاية في الترتيل والتؤدة

اتفق علماء القراءة ، وإثمة الأداء ، على أن تلاوة القرآن الكريم لها كيفية مخصوصة ، يجب على القارئ - شرعا ان يلاحظها أثناء تلاوته ، ليحز الأجر الذي وعد الله به القارئ - فإذا أهملها أو قصر في مراعاتها كان من الأثمين .

وهذه الكيفية هي تجويد كلماته ، وتقويم حروفه وتحسين أدائه بإعطاء كل حرف حقه ، ومنحه مستحقه من الإجادة والافتقان والترتيل والاحسان ولا يكون ذلك الا بتصحيح اخراج كل حرف من مخرجه الأصلي المختص به تصحيحا يمتاز به عن مقاربه ، وتوفية كل حرف صفته المعروفة به توفية تخرجه عن مجانسه ، مع تفسير النطق به على حال صفته ، وكمال هيئته ، من غير تشدق ولا اسراف ، ولا تصنع ولا اعتساف ، ومع العناية بابانة الحروف ، وتمييز بعضها عن بعض ، واظهار التشديدات وتوفية الغنات ، وإتمام الحركات ومع تقخير ما يجب تقخيجه وترقيق ما يجب ترقيقه ، وقصر ما ينبغي قصره ومد ما يتعين مذه ، ومع ملاحظة الجائز من الوقوف والممنوع منها ، فيوقف على ما يصح الوقف عليه ، ويوصل مالا يصح الوقف عليه ، الى غير ذلك من الاحكام والقواعد التي وضعها أئمة القرآن .



وذكر الزهري أن قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم : كانت آية آية • وهذا هو الأفضل ، وهو الوقوف على رؤوس الآي وان تعلقت بما بعدها • وذهب بعضهم إلى أن الوقوف على رؤوس الآي أفضل ما لم تتعلق الآية بما بعدها ، فان تعلقت بما بعدها كان الوقف على ما يتم به الكلام أفضل ، ولكن اتباع هدى الرسول وسنته أولى ، وممن ذكر ذلك البيهقي في شعب الايمان ورجح الوقف على رؤوس الآي وان تعلقت بما بعدها •

وقد اختلف العلماء هل الأفضل الترتيل مع قلة القراءة ، أو السرعة مع كثرتها ؟

وذهب فريق إلى أن الترتيل والتدبر مع قلة القراءة أفضل من سرعة القراءة مع كثرتها • وهذا مذهب ابن عباس وابن مسعود وغيرهما ، وقد احتجوا لهذا المذهب بأدلة :

الأول : أن المقصود من قراءة القرآن فهمه وتدبره والتفقه فيه والعمل به ، وما تلاوته وحفظه إلا وسيلة إلى معانيه ، فقد قال السلف : نزل القرآن ليعمل به ، فاتخذوا تلاوته عملا ، ولهذا كان أهل القرآن هم العالمين به العالمين بما فيه ، وأن لم يحفظوه عن

واية في الاتفاق والجودة ، لم تكن هذا ولاعجلة • بل كانت مفسرة كلمة كلمة مبينة حرفا حرفا •

وقد روى عن زيد بن ثابت أنه صلى الله عليه وسلم قال : (ان الله يحب أن يقرأ القرآن كما أنزل) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه • وعن أم سلمة انها سئلت عن قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم فاذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا • أخرجه الترمذي • وقالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ السورة حتى تكون أطول من أطول منها • وسئل انس بن مالك عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كانت مدا ، ثم قرأ انس بسم الله الرحمن الرحيم ، ومد الله ويمد الرحمن ، ويمد الرحيم • وعن أم سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان يقطع قراءته فيقول : الحمد لله رب العالمين ، ثم يقف الرحمن الرحيم ، ثم يقف ، مالك يوم الدين ، وهكذا • رواه الترمذي وابو داود قال القرطبي : (قال علماءنا : قول أم سلمة (كان يقطع قراءته) يدخل فيه جميع ما كان يقرؤه من القرآن ، وانما ذكرت فاتحة الكتاب لتبين صفة التقطيع ، أو لأنها ام القرآن فيغنى ذكرها عن ذكر ما بعدها ؛ فالتقطيع عام لجميع القراءة لظاهر الحديث (١)

ظهر قلب • وأما من حفظه ولم يفهمه ولم يعمل به فليس من أهله وإن وجود كلماته وأتقن حروفه

الثاني : أن الإيمان هو أفضل الأعمال على الإطلاق وفهم القرآن وتدبره هو الذى يثمر الإيمان ، وأما مجرد التلاوة من غير فهم ولا تدبر فيجعلها البر والفاجر والمؤمن والمنافق ، فمن أوتي تدبرا وفهما فى التلاوة أفضل ممن أوتي كثرة قراءة وسرعتها بلا تدبر •

الثالث : انه كان من هدى الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان يرتل السورة حتى تكون أطول من أطول منها ، وثبت عنه أنه قام بآية واحدة فى الليل وأخذ يرددنها حتى الصباح وحى (ان تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) رواه النسائي وابن ماجه •

وقال أبو حمزة لابن عباس : انى رجل سريع القراءة وربما قرأت القرآن كله مرة فى الليلة ، فقال له ابن عباس : لأن أقرأ سورة واحدة أرتلها وتدبرها أحب الى من ان أفعل الذى تفعل فان كنت فاعلا لابد فاقرا قراءة تسمعها اذنك ويعيها قلبك • رواه البخارى •

وقال ابن مسعود : لاتهنؤا بالقرآن هذا الشعر ، ولا تنثروه نشر الدقل ، وقفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة •

والله : الاسراع ، أى لاتسرعوا فى القراءة واسراعكم بالشعر • والدقل بفتح الدال والقاف : أرادوا التمر والمعنى النهى عن عدم العناية باتقان القراءة ، بالاسراع فيها وعدم رعاية حدودها •

وقال ابن مسعود أيضا : (اذا سمعت الله تعالى يقول : (يا أيها الذين آمنوا) فاصغ لها سمعك فانه حين تؤمر به ، أو شر تنهى عنه) • وجاءه رجل فقال : انى أقرأ الفصل فى ركعة فقال : اهكذا الشعر ؟ • وسئل مجاهد عن رجلين أحدهما قرأ البقرة والاخر قرأ البقرة وآل عمران فى الصلاة ، فذكرهما وسجودهما واحد • فقال الذى قرأ البقرة فضل •

وعن محمد بن كعب القرطبي انه قال : لان أقرأ فى ليلتى حتى أصبح سورتي الزلزلة والقارة لا ازيد

عليهما وأتردد فيهما وأتفكر أحب الى من أن أهتأ القرآن هذا وأنثر نثرا)

وعن عائشة رضى الله عنها أنه ذكر لها أن أناسا يقرأون القرآن فى الليلة مرة أو مرتين فقالت : أولئك قوم قرأوا ولم يقرأوا ، كنت أقوم مع الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة التمام ، فكان يقرأ البقرة وآل عمران والنساء فلا يمر بآية تخويف الا دعا الله واستعاذ ، ولا يمر بآية فيها استبشار الا دعا الله ورغب اليه • رواه أحمد

قال ابن كثير : (وفى الحديث دليل على استحباب ترتيل القراءة والترسل فيها ، من غير هزيمة ولا بسرعة مقرطة ، بل بتأمل وتفكر ، قال تعالى : (كتاب أنزلناه اليك مبارك ليديره آياته وليتذكر أولوا الألباب) • والهزيمة : الاسراع فى القراءة •

ونك الغزالي : ان الترتيل مستحب ، للمجرد التدبر فان الاعجمى الذى لا يفهم معنى القرآن يستحب له فى القراءة الترتيل والتؤدة ، بل لان ذلك أقرب الى توقير القرآن واحترامه ، وأشد تأثيرا فى القلب من السرعة والاستعجال •

وذهب فريق منهم - ومنهم أصحاب الشافعى - الى أن كثرة القراءة أفضل ، واحتجوا لذلك بحديث ابن مسعود : (ومن قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول (ألم) حرف ولكن الف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف) أخرجه الترمذى وقد تقدم •

قالوا : ولان عثمان بن عفان رضى الله عنه قرأ القرآن فى ركعة ، وذكروا آثارا عن كثير من السلف فى كثرة القراءة •

وقال العلامة ابن القيم فى زاد المعاد : (والصواب فى المسألة أن يقال : ان ثواب قراءة الترتيل والتدبر أجل وأرفع قدرا ، وثواب كثرة القراءة أكثر عددا •

فالاول كمن تصدق بجوهرة عظيمة جدا أو اعتق عبدا قيمته نفيسة جدا • والثانى كمن تصدق بعدد كثير من الدراهم ، أو اعتق عددا من العبيد قيمتهم رخيصة

العيد في الإسلام

في موسم معين كموسم الشتاء مثلا حيث يهطل المطر على الارض اليابسة الجافة فيطفئ ظمأها ، ويعدها لاستقبال الزرع ، او يساعد على نموه فيكون فيه رحمة للعباد .. والله سبحانه وتعالى يقول : « وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته ، وهو الولي الحميد » .. وهو الذي يقول : وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون » . ومثل هذا اليوم يوم الحصاد ، ويوم وفاة النيل ، وغير هذا وذاك من الايام التي تهيأ فيها الارض للزرع ، او تجود بالمحصول

وبعض هذه الاعياد قد يرجع الى سبب اجتماعي كذكرى يوم تألفت فيه قلوب الناس بعد خصام ، او تجمعت صفوفهم بعد فرقة ، او تم فيه عمل نسيج من ورائه خير كثير لعدد كبير من المواطنين .. وقد تكون هذه الاعياد لسبب سياسي كذكرى يوم تمتع فيه الناس بالحريّة بعد الاستعباد أو تمكنت فيه الجماهير من أن تشارك في التخطيط لمستقبل أيامها ، وتدعيم اسباب الرفاهية والسعادة لأفرادها، أو استطاعت أن تجعل لها فيه صوتا مسموعا ورأيا نافذا بعد أن ذابت الواتا من السيطرة والعبودية .. وقد تكون الاعياد علاوة على كل هذه المناسبات التي يمجدها الأفراد ويتفنون بها لمناسبات دينية لها في التشريع السماوي اصول .

ولقد كان العرب في الجاهلية، ككل الشعوب ، يحتفلون بيومين يلهون فيهما ويلعبون ، وينشرون خلالهما جوا من المرح والسرور ،



يحتفل المسلمون في هذه الأيام بعيد الفطر المبارك الذي يجيء بعد رحلة صوم لا تزيد على شهر من الزمان جاهدوا خلاله النفس تقريبا الى الله الذي خلقهم من نفس واحدة ، وطعما في الجزء الأوفى مصداقا لقوله تعالى في الحديث القدسي : «كل عمل ابن آدم له الا الصوم فإنه لي وأنا اجزي به » .. وامثالا لامره عز وجل حيث فرض الصوم في قوله : يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، اياما معدودات ، فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ، فمن تطوع خيرا فهو خير له ، وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون»

وفكروا فيها منذ عرفوا الاجتماع والتقاليد والذكريات ، وبحكم هذه السنة الفطرية كان لكلامة أيام تظهر فيها زينتها ، وتعلن سرورها ، وتسرى عن نفسها ما يصيبها من مشاق الحياة . والواقع ان هذه الاعياد ترجع الى دوافع كثيرة تختلف باختلاف الامم ، وتختلف باختلاف طبيعة الناس انفسهم في عاداتهم وتقاليدهم ونظرتهم الى الحياة . فبعض هذه الاعياد قد يرجع الى سبب معاشي كاختيار يوم معين

وحين يستقبل المسلمون في مشارق الارض ومفاريها عيد الفطر في اول شوال من كل عام ، لا يكونون في احتفالهم به، وسرورهم بلقائه ، بدعا بين أهل الأرض ، فقد سبقتهم أمم من قبلهم ، ولا تزال أمم غيرهم حتى اليوم ، اتخذوا ويتخذون من بعض ايام السنة اعيادا يترقبونها على شوق ، ويستعدون لها بكل ما وسعهم من امكانيات الفرحه والبهجة .. فالاعياد سنة فطرية جبل عليها الناس وعرفوها ،

« والامم التاهضة لا تعرف في تاريخها اعز ولا اكرم من يومها الاول الذي وضع فيه اساس بنائها ، ويومها الثاني الذي تم فيه صرح البناء ، وما اجدر اليومين ان يكونا عيدين ترسم فيهما ذكرياتهما واثارهما وايحاؤهما على صفحات القلوب »

وقد تميز عيد الفطر بأنه اليوم الذي يصل فيه التكافل الاجتماعي أعلى مراتبه فالمسلمون في صلاة العيد يجتمعون في المساجد من كل مكان صفوفًا مترابطة ، تضم الفنى والفقر ، والأبيض والأسود والقوى والضعيف ، وصاحب السلطان ومن لا سلطان له ، يتجهون جميعًا بقلوبهم الى الله العلى القدير يدعون دعاء واحدًا ، ويبتهلون ابتهالات واحدة تتردد اصداؤها في الفضاء تعلن عن الايمان والرضى والاطمئنان ، وهم يرفعون اصواتهم بالدعاء : « لا اله الا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، واعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده » .. وهم في يوم العيد أخوة متحابون ، يسأل بعضهم على بعض ، ويعطف بعضهم على بعض ، وبذلك تستبين الفاية من دعوة الاسلام الى اقامة المجتمع المتضافر القوى ، المجتمع الذي يأخذ فيه القوى بيد الضعيف ، ويد في الفنى للفقير في مودة ورحمة وتعاون ، وهداية وطاعة للخالق عز وجل .

وفي عيد الفطر يجتمع المسلمون جميعًا على حمد الله وشكره على ما اعانهم عليه من صوم رمضان امتثالًا لامره ، وعلى ما مكثهم من اداء فريضته تعظيماً لنفوسهم ، وتنقية لقلوبهم ، وحنان لهم على الكمال الذي اراده لعباده الطائعين الخاشعين الذين يؤمنون بالله

يتمشى الاحتفال بهما مع المنطق السليم ، ومع الدعوة التي جاء بها الاسلام ، فعن انس رضى الله عنه قال : « قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة فوجد للأنصار يومين يلعبون فيهما فقال : ما هذان اليومان ؟ قالوا : يومان كنا نلعب فيهما في الجاهلية فقال : قد أبدلكم الله بهما خيراً منهما .. يوم الأضحي ويوم الفطر » .

وهكذا أقر النبي المصطفى مبدأ العيد الذي يجلب السعادة والسرور الى قلوب الناس ، ويجمعهم على الألفة والمحبة والتعاون ، لم ينكر - صلوات الله وسلامه عليه - ان يكون للعرب يوم عيد يحتفلون فيه بذكرى عزيزة عليهم ، ولكنه أبى في الوقت نفسه ، ان يبقى على يومين احتفل بهما العرب في الجاهلية مخافة تقديسهما ، وانما استبدلهما بيومين لهما في تاريخ الاسلام وتاريخ البشرية كلها ما جعلهما موضع الاجلال والتقدير ، فقد جعلهما عيدين ، وعرف عيد الأضحي بالعيد الأكبر ، ويوم الفطر بالعيد الأصغر رمزاً لما بين آثار اليومين من تفاوت ، فيوم الفطر يذكر بهذه النعمة العظمى التي كانت أساساً لبناء دولة الانسانية الموحدة ، دولة التحاكم الى الرحمة الواحدة ، دولة الصفاء الروحي والاستقامة القلبية ، دولة الحق والعدل ، دولة العلم والحكمة ، دولة التعمير والبناء ، دولة الهدى والرشاد ، دولة السعادة في الدنيا والآخرة . فيوم الفطر يوم البناء ، ويوم الأضحي يوم الأكمال والاتمام لهذا البناء : اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً .

واستمر العرب على ما وجدوا عليه آباءهم من تمجيد هذين اليومين حتى بعد ان بعث محمد - صلوات الله وسلامه عليه - ليعلم للناس مولد الدين الجديد الذي ارتضاه الله للناس كافة .. وحتى بعد ان امره ربه سبحانه وتعالى ان يكون هادياً ومبشراً ونذيراً .. وحتى بعد ان اخذت دعوته - عليه الصلاة والسلام - تهز النفوس ، وتملأ القلوب ، وتنتشر في البلاد تضيء للناس طريقهم ، وترشدهم الى الخير في الدنيا والآخرة .. ولقد شاهد الرسول الكريم بنفسه احتفال العرب بهذين اليومين حيث دخل المدينة مهاجراً من مكة الى قوم ينصرونه ، ويشدون ازره ، ويقفون الى جانبه يمتعون عنه ما يمنعون عن انفسهم

والرسول الكريم الذي ادبه ربه فاحسن تأديبه ، وعلمه مالم يكن يعلم وبصره بامور الحياة حلوها ومرها ، واطلعه على مالم يطلع عليه غيره من عباد الله ، أدرك ان الاسلام لا يأخذ الناس الى حظيرته بالقوة والعنف ، وانما يخاطبهم على قدر عقولهم ، ويستوهمهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويقنعهم بالحجة والمنطق ولذلك لم ينكر الرسول الكريم على العرب مبدأ اختيار أحد الأيام يحتفلون فيه بذكرى كريمة عزيزة عليهم ، فيتزينون ويلعبون ، ويتزادرون ويتبادلون الراى فيما يعترض حياتهم ، ويتفنون بآمالهم في مستقبل الأيام .. ولم يكتف - صلوات الله وسلامه عليه - بعدم انكار ما رآهم عليه في هذين اليومين ، ولكنه - وهو معلم البشرية وداعيا الى الخير والصواب باذن الله - وجههم الى يومين آخرين

وملائكته وكتبه ورسله اولئك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .. والمسلمون الذين ادوا الواجب لخالقهم ، واطاعوه فيما امرهم ، وانتهوا عما نهاهم عنه يتساوون في الفرحة بهذا اليوم ، فرحة الذين ادوا الواجب على احسن ما يكون الاداء ، وانتظروا الجزاء الحسن من عند الله ، وما اعظمه من جزاء ، فيه الخير والفلاح في الدنيا والاخرة .. قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « اذا كانت غداة الفطر ، يبعث الله ملائكته ، فيقومون على افواه الطرق ينادون بصوت يسمعه جميع الخلائق ، اخرجوا الى رب كريم يغفر الذنب العظيم ، فاذا يريزوا الى المصلى يقول الله تعالى : ملائكتي ، ما جزاء الاجير اذا عمل عمله ، فتقول الملائكة ، الهنا وسيدنا ، جزاؤه ان يوفى اجره ، فيقول تعالى ياملائكتي ، اشهدكم اني جعلت ثوابهم من صيامهم وقيامهم رضاي ومغفرتي ، باعبادي سلوني ، فوعزتي وجلالي ، لا تسألون اليوم في جمعكم هذا شيئا لاخرتكم الا اعطيتم ، ولا شيئا لديناكم الا نظرت اليكم ، وعزتي وجلالي لاسترن عيوبكم ، ولا افضحكم ، ولا اخزيكم انصرفوا مغفورين ، لقد ارضيتهموني فرضيت عنكم »

وليس بالشيء المستغرب ان يفرح المسلمون في عيد الفطر ، فهو اليوم الذي يعلنون فيه انتصارهم على النفس اذ كبحوا جماحها عن ملذات الاكل والشرب ، وحالوا بينها وبين النظرة الخاطئة والعمل الدنس ، والبعد عن الشهوات والمعاصي ، والرسول الكريم يقول للمسلمين الاول حين اتم الله عليهم فتح مكة : « مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصفر الى الجهاد الاكبر ، قالوا وما

الجهاد الاكبر يارسول الله ، قال جهاد النفس »

ولعل من اظهر مظاهر هذا العيد زكاة الفطر التي تمثل التكافل الاجتماعي في اجلى صوره ، واروع مظاهره ، عالج بها الاسلام مشكلة الفقر التي حاول المصلحون على مدى عصور التاريخ ان يعالجوها ففجزوا عن ايجاد الوسيلة الناجمة ، والاسلوب العملي ، حتى اذا جاء الاسلام ونزل القرآن وفيه قوله تعالى : « واقيموا الصلاة واتوا الزكاة ، واركعوا مع الراكعين » .. علم الناس في كل بقاع الارض ان محمدا الصادق الامين قد بعث ومعه الوسيلة العملية لعلاج هذه المشكلة الخطيرة التي تهدد الناس في كل وقت ، كما تهدد المجتمعات والامم ، والتي فشلت في حلها كل المذاهب والنظم التي ابتدعتها الانسان : « لقد انتكست المذاهب البشرية جميعها ، وراى قادة العالم ومفكروه ، ان لا سبيل الى ما تنشده الحياة من استقرار واطمئنان الا ان تستهدى بهداية الدين ، وتستظل بروحه وريحانه .

» فالدين وحده هو التنظيم الذي استكمل جميع المقومات الضرورية لسعادة العالم وصلاحته واستقراره وامنه ، هو النظام الذي قدر نواحي النفس الانسانية والعقلية والوجدانية والعاطفية والمادية والحسية ، وقاسى نزعاتها وفصل ما بينها اياه من انفعالات واتجاهات وعواطف .. فوضع لكل ناحية من هذه النواحي ومقتضياتها ، واعد لكل مرحلة من مراحل الحياة زادها ومتاعها من الميادى والتعاليم والانظمة والتشاريح ، وما افلست المذاهب البشرية ولا فشلت هذا الفشل

الذريع الا لعنايتها الفائقة ببعض تلك النواحي دون البعض الآخر ، ولعجزها التام عن الوصول الى الموازنة والتوفيق بين هذه النواحي جميعا .. ثم جاء الاسلام بمبادئه وتعاليمه ونظمه وتشريعاته فنظر الى جوانب الحياة المختلفة ، وعالج مشاكلها مجتمعة ، وبذلك كان الدين الخالد الصالح لكل زمان ومكان .

وليست الزكاة بمعنى الاحسان والصدقة يجود بها المرء او لا يجود ، ولكنها الركن الثالث من اركان الاسلام الخمسة التي لا يكون المسلم مسلما الا بها جميعا ، وليست الزكاة عطاء يمنن بها الانسان على اخيه الانسان ، وانما هي واجب مفروض عليه اذاؤه بحكم الدين والشرع ، والله تعالى يقول : والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم .. ويقول عز من قائل في موضع آخر : واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة انا هدنا اليك قال عذابي اصيب به من اشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون » .

ان المال الذي اجمعه ، وتجمعه انت ، ويجمعه غيرى وغيرك انما هو نعمة من الله افاء بها علينا جميعا ، ومكننا منها لننفق على معاشنا ، ونترود لآخرنا بالعمل الصالح والنهج القويم ، ولننفق على اخوان لنا في الدين وفي الوطن يكونون في حاجة الى شربة ماء تطفئ الظما ، او لقمة عيش تسد الرمق ، او لباس يستر العورة او دواء يشفى من ألم ، او مشروع نافع في حاجة الى ان يتم فينتج عنه الخير ، فمن الواجب ان نخرج حق هؤلاء جميعا ، والله

والأعياد الإسلامية كثيرة

أعظمها شرفاً وفضلاً ثلاثة أعياد عيد يتكرر في كل أسبوع .. وعيدان يأتیان في كل عام مرة مرة من غير تكرار في السنة .. فاما العيد المتكرر فهو يوم الجمعة ، وهو عيد الأسبوع وهو مرتب على اكمال الصلوات المكتوبة ، فان الله - عز وجل - فرض على أمة محمد في كل يوم وليلة خمس صلوات ١٠٠ وأيام الدنيا تدور على سبعة أيام فكلما كمل دور أسبوع من أيام الدنيا واستكمل المسلمون صلواتهم فيه شرع لهم في يوم استكمالهم عيداً وهو يوم الجمعة وقد جعل الله لكل أمة في الأسبوع يوماً يتضرعون فيه

فضيلة الشيخ

زكي الدين صعبان

للعيادة ، ويجتمعون لتذكر المبدأ والمعاد والثواب والعقاب ، ويتذكرون به اجتماعهم يوم الجمع الأكبر قياماً بين يدي رب العالمين ، وكان أحق الأيام بهذا الغرض المطلوب اليوم الذي ويتذكرون به اجتماعهم يوم الجمعة ، فادخره الله لامة محمد - صلى الله عليه وسلم - لفضلها وشرفها .. فشرع اجتماعهم في هذا اليوم لطاعته، ورد في الصحيح من حديث أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال « ما طلعت الشمس ولا غربت على يوم خير من يوم الجمعة ، هداًنا الله له

أحكام

عيد

الفطر

وآرأبه

العيد كلمة عذبة جميلة تملأ القلوب فرحاً وغبطة ، ونفوس انشراحاً وبهجة ، وذلك لما ترمز اليه من كثرة عوائد الله تعالى على عباده في هذا اليوم المبارك ، ومن العود الى الفرح والمرح والانس والبشاشة ، ومن رجوع في كل عام الى ما يليق بمنزلة كل انسان من ملابس وهيئات ومأكول وضيافات، ومما يجب أن تكون عليه النفوس المؤمنة من ود وصفاء وما ينبغي أن يسود علاقات الناس من سلام ووثام وألفة وإخاء .

تعالى يقول : وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السماوات والأرض ، لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير » .

من هذه المعاني التي جالت بالخطر حول عيد الفطر ندرك تمام الادراك : « ان الاسلام دين الانسانية الفاضلة ، وقانون الاخلاق السامية ، ونظام الحياة الامثل .. كشف بمبادئه عن اسمى معانيها ، وانبل مقاصدها، ودعا الى الإصلاح الشامل الذي يجمع بين شتات الناس ليجعل منهم وحدة مترابطة تتعاون على الخير وتأمر به ، وتتباعد عن الشر وتنهى عنه ، كما دعا الى الاخوة والوحدة والتضامن والتكافل .

وبعد .. فهذا عيد الفطر استقبلناه بالحمد والشكر لله العلي القدير على ما هدانا اليه ، وعلى ما وفقنا للعمل بما امر ، والبعد عما نهى ، نرجو الله ان يجزينا خير الجزاء ، وان يمنحنا القوة على أعدائنا وان ينصرنا على القوم الكافرين وأن يثبت أقدامنا على طريق الحق وأن يهيئ نفوسنا الى ما يحبه ويرضاه لنكون جديرين بما وعد به المتقين من عباده .. انه نعم المولى ونعم النصير ..

وَضَلَّ النَّاسَ عَنْهُ ، فَالْنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ ، هُوَ لَنَا ، وَلِلْيَهُودِ يَوْمَ السَّبْتِ ، وَلِلنَّصَارَى يَوْمَ الْاَحَدِ .

وأما العيذان اللذان لا يتكرران في كل عام وإنما يأتي كل واحد منهما في العام مرة واحدة فهما عيد الفطر والأضحى .. وقد شرع الله عيد الفطر عقب شهر رمضان اظهارا للقيام بشكر الله تعالى على نعمة التوفيق في أداء عبادة الصوم ، واستجابة لضيافة الله تعالى على موائد كرمه واحسانه بعد طول الحرمان من الشهوات المباحة في أثناء القيام بهذه العبادة ، وتقربا الى الله - جل شأنه - باطعام الطعام وصلة الأرحام ، وإبتهاجا بما يكون في ذلك اليوم من تضاعف السموات وترادف الخيرات وإبداء مظاهر الفرح والاحتياط .

وشرع الله عيد الأضحى لكثير من هذه المعاني وللشكر على نعمة الغذاء التي من الله بها على سيدنا إبراهيم - عليه السلام - استبقاء للذلة كبده ، وحققا لدم ولده ، وللشكر على ما أفاء الله على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها من اجتماعهم عند بيئته المحرم ليؤدوا فريضة الحج .. وليقوموا بالناسك ولكل عبيد أحكامه وآدابه .. فمن أحكام عيد الفطر وآدابه الصلاة المسماة بصلاة العيد ، وقد أطال الفقهاء القول في هذه الصلاة ، فمن قائل بوجوبها مثل الحنفية .. ومن قائل بأنها سنة مثل الشافعية ومن قائل يكبر في الركعة الأولى سبع تكبيرات قبل القراءة وفي الثانية خمساً قبل

القراءة ، وهم الشافعية ، ومن قائل يكبر أربعاً في الركعة الأولى قبل القراءة وفي الثانية ثلاثاً بعدها ، وهم الحنفية .. وكل أصحاب المذاهب اتفقوا على أنها تصلى في مكان خاص غير المسجد الا الشافعية ، فقد قالوا : ان فعلها في المسجد أفضل الا لعذر كضيقة فتكره الصلاة فيه للزحام ، وحينئذ يسن الخروج الى الصحراء .

والمقول من هدى النبي - صلى الله عليه وسلم - في ذلك أنه كان يخرج الى المصلى بغير منبر ، ولم يصل العيد بمسجده الا مرة واحدة أصابهم مطر فصلى بهم العيد في المسجد وكان - صلى الله عليه وسلم - اذا انتهى الى المصلى بدأ بالصلاة من غير اذان ولا إقامة ولا قول : الصلاة جامعة ، ولم يكن هو ولا أصحابه يصلون اذا انتهوا الى المصلى شيئاً قبل الصلاة ولا بعدها ، وكان يصلى ركعتين يجهر بالقراءة فيهما ، يكبر في الأولى منهما سبع تكبيرات متوالية بتكبيرة الافتتاح ، يسكت بين كل تكبيرتين سكتة يسيرة ، ولم يحفظ عنه ذكر معين بين التكبيرات ، وكان صلى الله عليه وسلم اذا أتم التكبير أخذ في القراءة ، فقرأ فاتحة الكتاب ثم قرأ بعدها ق والقرآن المجيد في إحدى الركعتين وفي الأخرى اقتربت الساعة وانشق القمر ، ورهباً قرأ فيهما بسبح اسم ربك الأعلى وهل آنالك حديث الغاشية ، فاذا فرغ من القراءة كبر وركع ثم اذا أكمل الركعة وقام من المسجد كبر خمساً متوالية ، فاذا أكمل التكبير أخذ في

القراءة فيكون التكبير أول ما يبدأ به في الركعتين .

وكان صلى الله عليه وسلم اذا أكمل الصلاة انصرف فقام مقابل الناس ، والناس جلوس على صفوفهم فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم وينهاهم ، فان كان يريد أن يقطع بعثاً قطعه ، أو يأمر بشيء أمر به ، ثم ينصرف

وروى الترمذى وابن ماجه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان لا يخرج يوم الفطر حتى يأكل ، وكان لا يأكل يوم النحر حتى يصل .

ومن محاسن الاسلام الجميلة ومزاياه الحميدة السدالة على تقديره لما في فطر الناس من روح المدنية والحضارة ، ولما في طبائعهم من ميل الى الانتهاج والانصراف أنه جعل يوم العيد يوم سرور شرعى ، وجعل اظهار السرور فيه من شعائر الدين واعلاء شأنه ، لذلك كان صلى الله عليه وسلم - يتفصل يوم العيد قبل خروجه الى المصلى ، وكان يلبس أجمل ثيابه ، وكانت له حلة يلبسها للعيدين والجمعة ، وأحياناً كان يلبس بردين أخضرين ، وتارة يلبس برداً فيه خطوط حمر كالبرود اليمنية .

وكان من هديه - صلى الله عليه وسلم - مخالفة الطريق في العيد ، فكان يذهب في طريق ويرجع في أخرى ليسلم على أهل الطريقين ، ولينال بركته الفريقان ، وليقضى حاجة من له حاجة منهما ، وليفطز المنافقين برويتهم عزة الاسلام وأهله وقيام شعائره ، ولتكسر

شهادة البقاع له ، فان الذاهب
خطوتيه ترفعه درجة ، والاخرى
خطوتيه ترفع درجة ، والاخرى
تحط عنه خطيئة حتى يرجع الى
منزله ١٥٠

وكان أصحابه - صلى الله
عليه وسلم - كذلك يفتسلون
ويتطيبون ويتجملون بالثياب
ويلبسون أحسن ما يجدون
منها ، وكانوا اذا التقوا يوم
العيد يتصافحون هاشين باشين
ويقول بعضهم لبعض : تقبل
الله منا ومنك ، واذا التقوا
بالرسول - صلى الله عليه
وسلم - قالوا له : **تقبل الله
منا ومنك ، فيقول لهم : نعم
تقبل الله منا ومنك ..** وهذا
كله لبدء السرور وللإعلام بالفرح
فى هذا اليوم الميمون .

كذلك مما يدل على محاسن
الاسلام وسماحته وفسحة
تشريعه أنه يفتقر فى يوم العيد
من اللهو البرىء واللعب المباح
ما لا يفتقره فى غيره من الايام ،
فها هى ذى السيدة عائشة
- رضى الله عنها - تحدثنا أنها
كانت فى يوم عيد ، وكان عندها
فئتان من فتيات الانصار ..
وكانتا تغنيان بما قال الانصار
بعضهم لبعض من فخر وهجاء
يوم بعث ، وهو يوم مشهور من
أيام العرب كانت فيه مقتل
عظيمة بين الأوس والخزرج ،
وقيلت فيه أشعار فى التفاخر
بالشجاعة وأوصاف الحرب ..
وكان ذلك قبل اسلامهم ، وأن
رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - دخل عليها وهى تستمع
لفناء الفتاتين فلم ينكر عليها ،
ولكنه اضطلع على الفرائس ،
وحول وجهه عنهما لأن مقامه
- صلى الله عليه وسلم - يقتضى

أن يرتفع عن الاصغاء الى مثل
ذلك ١٥١

وبينما هى على هذه الحال مع
الجاريين اذ دخل عليها أبو
بكر - رضى الله عنه - فظن أن
ما تفعله الجاريتان بغير علمه
- صلى الله عليه وسلم - لأنه
دخل فوجده مفطى بثوبه فظنه
نائما فاتجه له الإنكار على ابتته
عائشة قائلا : مزماراة الشيطان
عند رسول الله ؟ ولم يكذب النبى
- صلى الله عليه وسلم - يسمع
هذا القول من أبى بكر حتى
أقبل عليه وكشف عن وجهه
وقال له : **دعهم يا أبا بكر ،
وأفهمه أن لكل طائفة من الملل
المختلفة عيدا ، وأن هذا اليوم
يوم عيدنا ، وإظهار السرور فيه
من شعائر الدين ، فلا ينكر فيه
مثل هذا القناء كما لا ينكر فى
الأعراس .**

ومما شرعه الله تعالى فى عيد
الفطر زكاة الفطر ، شرعها الله
طهرة للصائمين ، وتكميلا
لصومهم ، وشكرا له على نعمة
أداء الصوم ، وسدا لحاجة
الفقراء ، واستجابة لضيافة الله
تعالى ، وإدخال السرور على كل
الطبقات فى هذا اليوم العظيم ،
أخرج أبو داود وابن ماجه عن
ابن عباس - رضى الله عنهما -
قال : **فرض رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - صدقة الفطر
طهرة للصائم من اللغو والرفث
وطعمة للمساكين .**

وكان من هديه - صلى الله
عليه وسلم - إخراج هذه الزكاة
قبل صلاة العيد ، وفى السنن
عنه - صلى الله عليه وسلم -
أنه قال : « من أداها قبل

**الصلاة فهى زكاة مقبولة ، ومن
أداها بعد الصلاة فهى صدقة
من الصدقات » .**

وكان من هديه - صلى الله
عليه وسلم - تخصيص المساكين
بهذه الصدقة ، ولم يكن يقسمها
على الأصناف الثمانية الذين
تقسم عليهم زكاة الأموال .

ومقدار هذه الزكاة صاع من
تمر أو صاع من شعير أو زبيب
على كل مسلم وعلى من يمونه من
صغير أو كبير ، ذكر أو أنثى ،
كما روى عن رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - وروى
الدارقطنى من حديث ابن عمر
أن رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - أمر عمرو بن حزم فى
زكاة الفطر بنصف صاع من
حنطة .

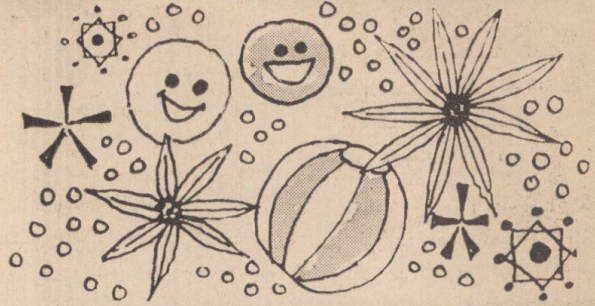
وقد اختلف الفقهاء فى تقدير
الصاع بالكيل المصرى ، فقدره
بعضهم بقدرين وثلى قدح ،
وقد ره بعضهم بقدرين فقط ١٥٠
وأجاز فقهاء الحنفية دفع القيمة
- وهو أيسر على المزكين - وأنفع
للمحتاجين .

هذه أهم أحكام عيد الفطر
وآدابه نقدمها للمسلمين فى
هذا العيد سائلين المولى - جل
قدرته - أن يهبى لنا من أمرنا
رشدا ، وأن يجعل للمسلمين
عبرة مما هو واقع بين ظهرانيهم
فتألف على الخير قلوبهم ،
وتمتلئ بالعطف والحنان نفوسهم
ويعودوا الى ما كان عليه أسلافهم
حتى يسلمنا الله بعنايته ،
ويكلائنا برعايته ، ويمدنا بنصر
من عنده أنه نعم المولى ونعم
النصير .

هو الذى يشيع البهجة فى نفوس
الناس فى الأعياد وبخاصة
الفقراء فوق ما يجده الفقراء
من عون مادي تنبسط به أكف
القادرين فى هذه المناسبات .

والاعیاد مواسم للبر والخير
تلين فيها الأيدي وتكون النفوس
أسرع استجابة لحاجة المحتاج
ودعوة الداعى حتى أنه لكثرة
العطاء قد يصاب به غير المستحق ..
ويحظى به غير المستحق ..
وحبذا لو نظمنا طرق البر فى
الأعياد ، ولعلنا لو استفلنا تهيؤ
النفوس لعمل الخير فى الأعياد
وأحسننا جمع موارد البر فيها
وأحسننا طرق التصرف فيها
وإيصالها الى مستحقيها ، فكان
الانتفاع بها أتم وأكمل وأعم
وأشمل ، وقد يكون من طرق
تنظيم البر فى الأعياد أن تنشأ
لها هيئة تسمى هيئة صندوق
المعابدات ، ويجمع فى ذلك
الصندوق ما يتبرع به أهل المروءة
وما يتفق فى رسائل المعابدات
وتجعل حصيلة ذلك الصندوق
لسد حاجات الفقراء والمكويين
على امتداد العام ، ولهذا المشروع
جدور فى الشريعة الإسلامية
ففى حديث رواه مسلم أن
النبي - صلى الله عليه وسلم -
خرج يوم أضحى أو فطر
فصلى ركعتين لم يصل قبلها
ولا بعدها ثم أتى النساء ومعه
بلال فأمرهن بالصداقة فجعلت
المرأة تلقى خرصها وتلقى سخاها
- الخرص والسخاب - نوعان
من الحلى .

ان هذا الصندوق قد يسهم
بحظ غير قليل فى ازالة عثرات
طائفة من الناس قد لا يجدون



خزنة العيد

ويتنسوا نسمات من السعادة
حيث يجتمع شتيت الأهل
ويلتئم شمل الأحبة والأصدقاء
والذى لا شك فيه أن الناس
فى الأعياد يتخففون من
مسئوليات الحياة أو يحاولون
أن يتخففوا منها اللهم الا من
مسئوليات الود والاخاء ..
ومقتضيات المجاملة والمروءة ..
فمسئوليات الود والمروءة فى
الأعياد تضاعف ويحس الانسان
بالحاجا عليه واقتضاها منه
سواء فى محيط الأسرة أو
الجماعة ، ومن مقتضيات الود
وواجبات المروءة أن يتقارب
البعيدان ويتعاطف الأقرباء ويعود
الفنى بفضل غناه على الفقير ،
ويعود ذو الجاه بفضل جاهه على
الضعيف ويتفاضى العدو عموما
فى نفسه من عدوه .. وتتطامن
النفوس وتتصافح القلوب حتى
يحس الناس بفضل هذا التطامن
والتسامح بأنهم على بساط
الانس والحبوة سواء ، ولعل هذا

يتطلع الناس الى الأعياد
وينتظرونها ويحتفلون بها وكأنما
هى رمز السعادة والهناء وأعز
أمنية الحبيب لحبيبه والصدوق
لصديقه أن يجعل أيامه كلها
أعيادا ..

وقديما تمنى المتنبي لسيف
الدولة أن يجعل الله أيامه أعيادا
فقال فى تهنتته بالعيد :

وما زالت الأيام ليسك بعده
تسلم مغروقا وتعطى مجددا

فما هو السر فى فرحة الناس
بالأعياد ؟

أهناك سر يجعله الله فى الأعياد
أم لأن الناس اعتادوا أن يلقوا
عن كواهلهم ويطرحوا عن
أفكارهم هموم الحياة وشواغل
العيش التى ترهق نهارهم ..
وتؤرق ليلهم .. فهم ينتظرون
فرصة الأعياد لينعموا فيها
بلحظات من الراحة والهدوء ..

ملجأ لاقالة عثراتهم ، وما أكثر الأعياد فى حياة الناس اليوم .

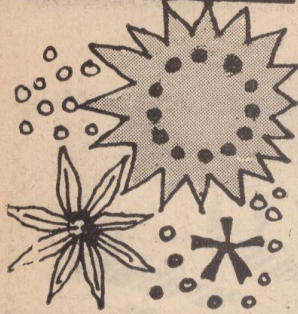
وفى تاريخنا القريب أنشأنا مشروعا سمي مشروع القرش ، واستطاع هذا القرش أن يشيد مصنعا من أهم المصانع أستوعب طائفة من الأيدى العاملة ، واستفتت به مصر عن استيراد صناعة أجنبية كانت تستنفد جزءا كبيرا من مالية الدولة من إيراداتها القومية .

لا ينبغي أن تكون الأعياد لها خالصة وعبثا رخيصة تبدل فيه الأموال ذات اليمين وذات الشمال وفيما لا يجدى من الأمور لان ذلك سمات الجماعات البدائية التى لا تحسن الأمور ولا تستغل الفسوس . بل ينبغي أن يكون للجد فيها جانب وللهو البرىء جانب ، ان الحياة العصرية العنيفة لم تعد تسمح للهو الفاجر أن يزحم شئونها الهامة ، والجماعات فى حاجة الى كل لحظة من الوقت وكل درهم من المال تصلح به من شئونها وتخفف به من آلامها ، وفى حياة الأمم فترات جادة وهامة وفيها فترات قاسية تحتاج الى تعبئة الجهور ومضاعفة التضحيات وحسن استغلال الوقت والمال ، وليس العيد بأكل اللذيذ من الطعام والشراب والتحلل بفاخر الثياب وانما العيد بارضياء النفس وراحة الضمير بلقمة تقدمها لجائع أو بسملة فى وجه مكروب أو كلمة طيبة فى تعزية

مصائب .. ذلك هو العيد لنفس الكريم .. ولذا فان أعياده متجددة تتجدد بما يسدى من الخير وما يصطنع من المعروف .

ومن سنن البر التى سنهها الاسلام فى عيد الفطر عقب صيام رمضان اخراج جزء من المال يسمى زكاة الفطر تعطى للفقراء يخرجها الصائم عن نفسه وعن اولاده وخدمه ومقدارها عن كل فرد من الطعام نصف صاع من القمح أو صاع من التمر أو الذرة أو الأرز .. والصاع ثلث كيلة مصرية تقريبا ومقدارها من المال بحسب أسعار الأصناف المذكورة فى وقت اخراجها ومن تجاوز فى فروق الاسعار لمصلحة الفقير كان مزداد من عمل البر والله يخلفه .. وانما سن الاسلام ذلك ليستكفى الفقراء فى ذلك اليوم عن الكد فى سبيل العيش ويصونوا وجوههم عن ذل السؤال وتعمهم فرحة العيد وبهجته .

الا وان الذى يتذوق طعم العيد ويستشعر لذته هو الذى أطاق الأمانة ووفى بما عاهد الله عليه فصام رمضان والتزم رسومه نهارا وليلا .. أما من خان عهد الله وخارت عزيمته وغلبته شهوته فافطر فى رمضان فهو محروم من لذة السرور بالعيد ، وان بدا مشاركا فيه فهو وراء ومشارك



فضيلة الصيام أبو الوفا الراغب

فيما لا حق له فيه .. وهو مستخر فيما بينه وبين نفسه لأن معنى العيد هو الفرحة بالتوقيف فى أداء الواجب والنصر فى جهاد النفس .. ولا حظ له فى شئ من ذلك .

وتتم لذة النفس بالعيد اذا صمم الصائم أن ينتفع بثمرات رمضان ويروض نفسه على خلال البر ويكف لسانه عن قول السوء وجوارحه عن الأذى ويوصل ما بينه وبين الفقراء والناس جميعا بوشائج الرحمة والاخاء والودة وذلك هو المعنى الذى أشارت اليه آية الصيام الكريمة فى قوله تعالى :

« يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم انصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » .

عيد المؤمنين

الاستاد عبد الله بن المشايخ

ينزل الركب المسافرين في جناتها
الخضر ورياضها الماطر ..
ليستظل أياما بوارف ظلها وينعم
بموفور خيرها ، ثمس طيب جنى
وماء دافق روى .. وظل وارف
ظليل ونسيم منعش عليل ..
يشجب كل ما عانى الركب من
مشقة وعناء .. ويبدلهم به
عناصر نشاط وقوة مضاء .

ولامر ما كانت الألوان الشاقة
من العبادات متلوة بالوان من
الترفيه والتنعيم في هذه
الاعباد ..

فصيام شهر كامل يحرم فيه
المؤمن نفسه ليرضى ربه ، يتلوه
عيد الفطر .. طلق المحيا باسم
الشعر كأنها يقول للصائم بعد
تمام صيام شهره : هنيئا لك
أيها المؤمن الصائم .. مظاهرو
رضا الله عنك بما أحل لك من
ألوان المتع ما لم يكن حلا لك
طوال ثلاثين يوما .. فاستقبل
العيد والبس الجديد وكن برضا
الله عنك المؤمن الصالح السعيد

اهداف الدين • ويتحقق صوالح
المؤمنين .. مادام وكدهم التزام
ما أمر به الدين من خلق كريم .
ألا يكن فما أهون على المرء أن
ينطق بالشهادتين دون أن يكلف
بعدهما شيئا .. وما كان أهون
مثل هذا الامتحان على أي
إنسان - وهذا كتاب الله يقول:
« ألم أحسب الناس أن يتركوا
أن يقولوا آ منا وهم لا يفتنون »
ويقول : « لقد خلقنا الإنسان
في كبد » .

ولما كانت مرحلة الحياة شاقة
وطويلة ، تتقاضى الراحل في
بدايتها استقطاب همه وانتضاء
عزمه .. حتى يلبى في هذه
الرحلة نداء نوازع الخير ..
وينزع عن نوازع الشر ، ويصل
إلى خاتمة المطاف سالما آمنا ..
ظافرا برضا الله ورضا السواد
من عباده الله .. ارتاح الله
للمؤمنين برحمته فشرع لهم
أعيادا كأنها الواحات المخصبة
تخلل بيداء رحلة هذه الحياة .

أنا لحكمة ربانية بالغة ..
وتدبير سماوى حكيم .. أن
تشاء مشيئة الرحمن خلق هذه
الدنيا دار اختبار وامتحان
للإنسان .. امتحان شفهي
وقلبي وعمل .. يتطلب من
المؤمن بعد النطق بالشهادتين :
شهادة يواطىء فيها القلب
اللسان ، أن ينهض بالواجب
العمل من صلاة وزكاة وحج
وصيام .. حتى يظفر من هذه
العبادات الممتازة بحظ وفير
من مكافئ الأخلاق فيصير
المؤمن الشاكر الصابر الحليم
التواضع .. الرحيم بالناس ..
الملتزم جانب العدالة مع الناس .
هذا هو الهدف الأسمى للمسة
الحنيفية السمحة .. فإن فات
المؤمن هذا الهدف ، كان إيمانه
شجرة لا تثمر وقانونا لا ينفذ .

ولامر ما قرن كتاب الله الإيمان
بالعمل الصالح في محكم آياته .
ليشعر المؤمن أن الجانب العلمى
من الدين هو الذى به تتسوكد

واتخذ من مظاهر رضا الله عنك
فى هذا العيد . عنوان مثوبة
عاجلة تتلوها فى الآخرة بمشيئة
الله مثوبة آجلة ١٥٢

وكذلك فريضة الحج بما
فيها من بذل جهد ومال ، تشاء
مشيئة الرحمن أن ترفه بعد
أدائها على جماهير المؤمنين
بمباهج عيد الأضحى وأيام
التشريق ، يتمتعون فيه وفيها
بما لا يتمتعون به طوال العام ثم
يستأنفون أعمالهم فى صحة
ورغبة واقدام ١٥٣

سبحانك اللهم ١٥٤ ما أحكم
تدبيرك وما أجل تقديرك ١٥٥
فلقد شرعت لنا بجانب هذه
الأيام الكبرى أعيادا صفرى ١٥٦
هى أيام الجمع نستجم فيها
ونستحم ونلبس النظيف الجديد
ونذهب زرافات إلى المساجد كأننا
الحجيج ١٥٧ ثم نستأنف أعمالنا
فى هذه الحياة بعد أن توفرت
لنا بهذا النظام السماوى العجب
أبدان فنية وقلوب طاهرة نقية ،
واستجاب لنا به أسباب
سعادتى الدنيا والآخرة ١٥٨

رفه أيها المؤمن أهلك وذويك
فى ساحات العيد ومباهج العيد
ما وسعك الترفيه ١٥٩ فان النعم
- سبحانه - يجب أن يرى أثر
نعمته على عبده . وكتابه العزيز
يقول : « قل من حرم زينة الله
التي أخرج لعباده والطيبات من
الرزق » ١٦٠

اخلع عليهم فاخر الثياب ١٦١
ولون لديهم ألوان الطعام
والشراب ، وأغمرهم بسيل من
العطف والحنان ١٦٢ ونبتهم أن
هذا وهذا بعض هدايا السماء
وموائد السماء ١٦٣ أنزلها الله

على أيدي الآباء للإنشاء ومن إلى
الإنشاء تكريما لهم فى مهرجان
هذا العيد السعيد .

وياك أيها الأخ المؤمن أن
تختص بهذا الترفيه والتنعيم
أهلك وعيالك ١٦٤ فان عامة فقراء
المسلمين أهلك وعيالك ١٦٥ بعد
اذ شرفهم الحديث القدسى بقوله
فيهم على لسان رب العزة :
« الفقراء عيالى ١٦٦ والأغنياء
وكلائى » ١٦٧

هذا إلى أن عيد الفطر يطالبك
باسم الشريعة السمحة بإداء
صدقة الفطر ، ويذكرك هذا
الحديث النبوى الكريم « صوم
رمضان معلق بين السماء
والأرض لا يرفع إلا بركة الفطر »
فأى مؤمن يجب الخير لنفسه
وللناس يرضى أن يستجيب
لنزعة الشح لتظل يده مفلولة
إلى عنقه ١٦٨ فيظل صومه مقيدا
قد أوصد دونه باب القبول بعد
اذ بخل على نفسه وعلى غيره
بالقليل وما دون القليل - مع
أن القليل إلى القليل كثير ١٦٩

أن الحنيفية السمحة قد
شرعت لنا فيما شرعت مبدأ
التكافل الاجتماعى الذى يكلف
الفنى سد حاجة الفقير ١٧٠
كما يكلف القوى الأخذ بيد
الضعيف ١٧١ فالؤمنون
جميعا أعضاء أسرة واحدة ولو
عد أفرادها بملايين الملايين -
يصفها كتاب الله الكريم بقوله
الكريم :

« ان هذه امتكم امة واحدة وأنا
ربكم فاعبدون » ١٧٢

عناصر دستورها الذى صيغت
مواده من أشعة كواكب السماء
حرية ١٧٣ واشتراكية ١٧٤ وعدالة

اجتماعية ١٧٥ من أجل ذلك كانت
جماهير المسلمين سواسية
كاسنان المشط يتكافأ دماؤهم ،
ويسعى بدمتهم أذانهم ١٧٦ وهم
يد على من سواهم .

وليس عجبا بعد اذ انتظمت
هذه المبادئ السامية قلوب
جماهير المسلمين ١٧٧ وجرت
تعاليمها الرائدة الموجهة مجرى
الدماء مع عروقهم ١٧٨ أن نحى
فى غبطة ومسرة ١٧٩ مظاهر
هذه الوحدة المباركة التى ضمت
الشعوب العربية بخاصة ،
والشعوب الاسلامية بعمامة ١٨٠
فى اطار واحد يجعل الأمم
الاسلامية كلها على قلب رجل
واحد ١٨١ ينتزع لها النصر
انتزاعا فى جميع الميادين ويصب
جوامد الانتقام صبا على رعوس
الفاصلين المعتدين ١٨٢

ان الظروف التى تظلنا قد
أملت على أولى الأمر سياسة
حازمة حكيمة تقاضاهم أن
يهجروا سكان مدن بأسرها إلى
أماكن حصينة آمنة من بلاد
الجمهورية حتى يكونوا فى مأمن
من غدر الصهاينة الفادرين
المخاتلين ١٨٣ ولقد أثقل كاهل
الدولة حمل نفقات هذا التهجير
بما يتطلب من توفير مساكن
صالحة واستخدام أساليب
ناجحة ، توفر العيش الكريم
لجماهير المهاجرين ١٨٤ بتدبير
عمل للمتغلطين ، وتيسير أماكن
فى دور العلم للمتعلمين ، وكذلك
شان أخواننا من أهل فلسطين
الذين أخرجوا من ديارهم
وأموالهم بغير حق إلا أن يقولوا
ربنا الله ، يعيشون فى مخيمات

لا تستطيع أن ترد عنهم عوادي
الجو من حر لافح ويرد فارس
ولا يحيون الا على قتات مواند
الأمم المتحدة ، انهم اخواننا وبنو
ايننا وواجبنا ان نسههم ما
استظفنا في تخفيف ويلاتهم بما
نبذل من جهد المقلين وعرف
الكادحين .. كما نسههم في
مشاركة اولي الامر في تيسير
الامر لـ **اخواننا المصريين**
الهجرين .

فيهذا وبهذا وحده .. نرضى
مراسم عيد الفطر الذي
يطالبنا بلسان السماء أن يكون
العيد بمباهجه ومفاتيحه شركة
عادلة بين الأغنياء والفقراء (١٩٤١)

والى جانب المعاني السامية
والاهداف النبيلة التي عرصناها
بين يدي القاريء الكريم لعهد
الفطر .. يستطيع العظم البليبي
أن يلمح فيه فرصة يستعرض
على بساطها مسبقات اعماله ..
ويزنها بميزان الناقد العادل
البصير ، ليلمس فيها جانبى
الحير والشر .. ويحاسب نفسه
قبل أن يحاسب ربه ، فيردها
الى سواء الصراط ان لمس فيها
حيفا ويشجعها على المضي قدما
ان وجدها ماضية فى سبيل
الهدى .. فالكيس من دان نفسه
وعمل لما بعد الموت كما يقول
الحديث النبوى الشريف .

ان هذه الوقفة التى نقفها
المؤمن مستحما بها وسط مراحل
الحياة ، التى تمنحه اياها
فرص الاعياد والمواسم على مدار
العام .. يجب أن يكون لمراقبة
المؤمن ربه فيها أو فى نصيب
وان كان من حق هذه المراقبة
على المؤمن .. أن تحتويه فى

جميع أيامه وإليالية من جميع
نواحيه ..

ان التزام المؤمن فضيلة
المراقبة حرى أن يسدد خطاه
فى سبيل مرضاة الله ، وان
يجنبه مزالي شيطانه ونفسه
وهواه .. وما المراقبة فى اوسع
معانيها الا ملاحظة الرقيب
وانصرف الهم اليه ، حتى يتحرى
من يأخذ نفسه بهذه المراقبة
مواطن رضا الرقيب فيرضاهما
كما يتحرى مواطن سخطه
فيأباهما .

ولقد يكشف لك أيها الأخ
المؤمن عن حقيقة المراقبة تعريف
الحديث الشريف للاحسان اذ
يقول : **الاحسان أن تعبد الله**
كانك نراه .. كما يقول فى
حديث آخر : أعبد الله كأنك تراه
فان لم تكن تراه فانه يراك .

ولقد تنافس الصالحون من
عباد الله فى ميدان هذه المراقبة
وتحدثوا أشهى الحديث عنها
ودعوا أخلص الدعوات اليها .

قال أبو عثمان ، قال لى أبو
حفص - عليهما الرضوان - :
إذا جلست للناس فكف واعظا
لنفسك وقلبك ، ولا يفرك
اجتماعهم عليك فانهم يراقبون
ظاهرك والله رقيب على باطنك .

وقد روى الرواة أنه كان
لبعض المشايخ من هذه الطائفة
الصالحة - تلميذ شاب - كان
يكرمه ويقدمه فقال له بعض
أصحابه : كيف تكرم هذا وهو
شاب ونحن شيوخ ؟ فدعا بعدة
طيور وناول كل واحد منهم
طائرا وسكينا .. وقال : ليذبح
كل واحد منكم طائره فى موضع
لا يراه فيه أحد ، ودفع الى
الشاب مثل ذلك وقال له كما

قال لهم (١٠) . فرجع كل واحد
منهم بطائره مذبوحا .. ورجع
الشباب والطائر حى فى يده (١١) .
فقال له الشيخ : مالك لم تذبح
كما ذبح أصحابك ؟ فقال : لم
أجد موضعا لا يراى فيه أحد ،
اذ الله مطلع على فى كل مكان (١٢) .
فاستحسن الجميع منه هذه
المراقبة وقالوا له : حق لك أن
تكرم (١٣) .

وما أحكم ما قال محمد بن
على الترمذى - عليه الرضوان -
اجعل مراقبتك لمن لا تقيب عنه
نظرة اليك ، واجعل شكرك لمن
لا تنقطع نعمه عنك .. واجعل
طاعتك لمن لا تستغنى عنه (١٤) .
واجعل خضوعك لمن لا تخرج
عن ملكه وسلطانه .

وسئل ذو النون : **يم ينال**
العبد الجنة ؟ فقال بخمس :
استقامة ليس فيها روغان (١٥)
واجتهاد ليس معه سهو (١٦)
ومراقبة الله تعالى فى السر
والعلانية ، وانتظار الموت بالتأهب
له . ومحاسبة نفسك قبل أن
تحاسب .

والى هذه المعانى السامية
يشير قول الشاعر الحكيم :
إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل
خلوت ولكن قل على رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة
ولا أن ما تخفيه عنه يقيب
ألم تر أن اليوم أسرع ذاهب
وان غدا للناظرين قريب
أما بعد يا أيها الاخوة
المؤمنون - فاسالوا الله معى ان
تكون مباهج هذا العيد السعيد
أولى بشائر النصر باتحاد
شعوب العروبة جميعا تحييا
مصر .. وان يجعل عيد اعيادنا
فى طاعته ورضاه ويوم نلقاه .

المعاني الحقيقية للعيد

الدكتور حسن جاد

مع أضواء الفجر الأول من شوال ، وهي تشع
بشريات السماء فيفتن بها ثغر العيد ، ترتفع حناجر
المسلمين في كل بقاع الأرض ، وتنطلق السننهم
الرطبة بذكر الله ، وهي تردد نشيدا واحدا ، تتجاوب
به آفاق الدنيا ، وتهتز له جوانب الأرض ، منبعثا من
أفئدة عامرة بالايمان ونفوس مشرقة بنور الله . انه
نشيد العزة والقوة والانتصار .

(لا اله الا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده
وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده)

واذا كان المسلمون في كل عام يستقبلون العيد
بهذا النشيد ، وهم يستشعرون من معانيه بعض
الجوانب الظاهرة لهذا اليوم ، من توفيق الله لهم
بالصوم ، وانتصارهم على أنفسهم بالحرمات ونجاحهم
في هذا الامتحان ، وفوزهم بجوائز الله ، وخروجهم
الى موائده في مواكب البهجة والفرح ، وهم يجدون
الشباب ويختلفون الى أنواع الطعام والشراب ،
ويتبادلون التهنة والابتسام . فأنهم حقيقبون ان
يستقبلوا هذا العيد من هذا العام ، على نحو اعمق
احساسا بحقيقته ، وأبلغ شعورا بمغزاه .

حقا انه يوم الجائزة : جائزة الله لعباده المخلصين
الذين استجابوا له ، وأخلصوا الصوم لذاته وقهروا
شهوات نفوسهم ابتغاء وجهه فهم حريون ان ينعموا
برضوانه ، ويفرحوا بجائزته ، ويتزينوا لموائده كرمه
وان يستمتعوا بما حرموا منه أيام الصوم ، ويمارسوا
ما شاءوا من اللهو البري ، واللعب المباح ، وان
يجعلوا من هذا اليوم هدنة يستريحون في ظلها
من عناء الكد ، ويروحون عن قلوبهم لاستئناف
الجد ، ويستجمعون قوتهم لمتابعة المسير .

قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
ولأهلها يومان يلعبون فيها ، فقال : ما هذا ؟ قالوا :
يومان كنا نلعب فيهما في الجاهلية ، فقال عليه
السلام : قد أبدلكم الله خيرا منهما : عيد الفطر ،
وعيد الأضحى .

ولقد حرص الرسول صلوات الله عليه على أن
تكون الفرحة عامة بين المسلمين في العيد ، فحث
على ان يعطى من عنده فضل ثوب الى من ليس عنده
ليتزين به ، وفي ذلك تروى قصصه بنت سيرين أن
امرأة قالت : يا رسول الله ، هل على احدانا بأس
اذا لم تخرج لأنها لاتجد جلبابا ؟ فقال : لتلبسها
صاحبها من جلبابها فليشهدن الخير ودعوة
المؤمنين .

وحين أنكر أبو بكر رضى الله عنه على عائشة
رضى الله عنها ، غناء جارتين كانتا تغنيان عندها في
يوم عيد ، قال عليه السلام : يا أبا بكر ، ان لكل قوم
عيدا ، وهذا عيدنا .

وحقا انه يوم المغفرة ، كما يقول الرسول الكريم :
(يغفر الله لأمتي في آخر ليلة من رمضان ، قيل
يا رسول الله ، أهى ليلة القدر ؟ قال : لا ، ولكن
العامل انما يوفى أجره اذا قضى عمله) .

هكذا يجب أن نفهم العيد اليوم ١٥٠٠ انه ليس مجرد تجديد في الشباب ، وتحديد الفراغ ، وتكساف للابتسام . انما هو تجديد للمعاني الروحية في النفوس ، وتجميع للارادة الواحدة في الأمة ، واسترواح للقوة المكثورة من الجهد واستجماع للغزائم التي أوهنها المسير ، واستراحة للجسد التي أضناها الجهاد ، لاستئناف المعركة من جديد

انه يجعل الأقطار الاسلامية كلها دارا واحدة . ينعم أهلها بالتراحم والمودة ، والعطف والاخاء ، والمحبة والصفاء . ألم يشرع الله فيه زكاة ، يمثل فيها التكافل الاجتماعي والتراحم الانساني ؟ ألم يدع الدين في هذا اليوم الى صفاء النفوس ، وتزاور الناس ، وتبادل التهنية ، وتراحم الخلق ، ومعاونة الضعيف ، واعطاء المحروم ، ومواساة اليتيم ؟

انه - كما يقول الرافعي (اثبات الأمة وجودها الروحي في أجل معانيه ، لاثباتها وجودها الحيواني في أكثر معانيه)

ينبغي ان تثبت الأمة الاسلامية للعالم ان فيها قوة تغير وجه الأيام ، ومنها يوم العيد ، وانها قادرة على أن تجعل من العيد وقد جمعها على عقيدة واحدة وكلمة واحدة ، وصلاة واحدة ، وهتاف واحد قائد يقودها الى أسباب النصر ومعانيه ، وأن يوجه قوتها الروحية الى المعاني الكبرى في حياتها ، حتى يكون لها عيد استقلال ، وعيد اقتصاد ، وعيد معرفة ، وعيد فن ، ثم عيد انتصار .

خليق بالعيد ان يثير في نفوس العرب والمسلمين اعظم ذكريات الجهاد والكفاح والانتصار . جهاد النفس وجهاد الأعداء ، كفاح الشهوات وكفاح الحروب والغزوات ، انتصار الروح على الجسد وانتصار كلمة الله الذي نصر عبده ، وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده .

ومن هنا يشعر كل مسلم بالحنين الى أخيه المسلم ، مهما تنامت الديار وتباعدت الأقطار ، وبهذا الحنين تلتقي المشاعر ، وتتقارب الأهداف ، ويلتقي المسلمون صفا واحدا ، يسحق الحدود ، ويجتاز المسافات ، ويستخلص أرضه السليبة ، ويعيد لأمة كيانه وعزها وسلطانها .

ويقول : (اذا كان يوم عيد الفطر باهى الله بعباده الصائمين ملائكته ، فقال : ياملائكتي ، ماجزاء الأجير اذا وفي عمله قالوا : ربنا جزاؤه ان يوفي أجره ، قال : عبيدي قضوا قريشتي ، ثم خرجوا يمشون بالدعاء ، وعزتي وجلالي لأجيبنهم ، ثم يقول : ارجعوا قد غفرت لكم ، وبدلت سيئاتكم حسنات فيرجعون مغفورا لهم)

وهكذا جرت سنة الله ان يكون للمسلمين بعد فريضة الصوم عيد يفرحون فيه بنعمة الله ، كما قال الرسول صلوات الله عليه ، (للصائم فرحتان : فرحة عند افطاره ، وفرحة عند لقاء ربه) وعيد بعد فريضة الحج ، ليكبروا الله على ما عاهداهم

فمن وراء هذا المظهر الجماعي الموحد ، الذي جمع المسلمين على الصوم في زمن معلوم ، والفطر في يوم محدد ، والخروج الى صلاة العيد صفا واحدا ، يردد نشيدا واحدا . حقيقة يجب أن يؤكدوها ، وهي حقيقة الوحدة الجامعة ، والرابطة القوية ، التي تجمع صفوفهم ، وتوحد كلمتهم ، ليكونوا يدا على أعدائهم وقوة تدفع كيد المعتدي ، وترهب أعداء الله .

وليس ثمة أقوى من رباط العقيدة ، في احكام التضامن ، وتحقيق الوحدة ، والتحام الصفوف .

ان يوم العيد لهو يوم الشعور الواحد في نفوس المسلمين ، والكلمة الواحدة على السنتهم ، وهو لذلك خليق أن يطلق روح الأسرة الواحدة بتراحمها وترابطها ، وتزاورها ، وتبادل مشاعرها في الأمة كلها .

يقول الرافعي : (ان العيد تعليم للامة كيف تتسع روح الجوار ، وتمتد حتى يرجع البلد العظيم وكأنه لأهله دار واحدة . انه تعليم للامة الشعور بالقدرة على تغيير الأيام ، لا القدرة على تغيير الشباب . . . وتعليم لها كيف توجه بقوتها حركة الزمن الى معنى واحد ، كلما شاءت . . . ان العيسد ابراز للكتلة الاجتماعية للامة ، وانه لصوت القوة يهتف بها : اخرجي يوم افراحك ، اخرجي يوما كأيام النصر . . انه يجمع الأمة في ارادة واحدة على حقيقة عملية)

وهم لا يعلمون أسلامه ، فخوفهم حتى نقضوا عهدهم مع قريش .

ولما تم نصر الله لعباده المؤمنين ، جاء جبريل الى الرسول يأمره بحصار بنى قريظة ، فحاصرهم في حصونهم والمسلمون معه ، الى أن استسلموا ، ورضوا بحكم سعد بن معاذ فيهم فحكم سعد بقتل رجالهم ، وسبي نساءهم ، ونفذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حكمه ، لانه حكم الله من فوق سبع سموات

وبالقضاء على بنى قريظة تطهرت المدينة نهائيا جميع اليهود ، بعد ان ضاق المسلمون بأذاهم وخياناتهم ، وفي هذا التطهير الأخير يقول الله سبحانه في بنى قريظة في مظاهرتهم للمشركين : (وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب ، فرقا تقتلون وتأسرون فرقا ، وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤوها ، وكان الله على كل شيء قديرا)

بمثل هذا يجدد العيد عزائم المسلمين ، ويشير شهر شوال في نفوسهم اكرم الزكريات المجيدة في تاريخ الاسلام .

وعلى هذا النحو ينبغي أن يكون العيد تجديدا للعهد ، وتوحيدا للكلمة وتجميعا للصفوف ، واستشعارا للقوة ، واستنهاضا للعزائم واستجماما للتحفز ، واسترواحا للتأهب ، واستعدادا لمتابعة الكفاح .

ينبغي أن نستمد من مظاهره الظاهرة ماوراءها من معانيه الباطنة ، فنطهر النفوس ، ونوحد القلوب ، ونؤكد العهد ، ونجدد الثقة بالله فيما وعده من النصر لعباده المؤمنين ، ولن يخلف الله وعده ، اذ يقول : (وكان حقا علينا نصر المؤمنين)

وأخيرا يعجبني قول بعض الصوفية : (في يوم العيد يجدد العامة ثيابهم ، ويظهرون أجسامهم . ويجدد الخاصة نواياهم ، ويظهرون قلوبهم ، ويجدد خاصة الخاصة توحيدهم ، وأهل القرب عهدهم وميثاقهم .

أعاد الله هذا العيد المبارك على العرب والمسلمين بالنصر والعزة ، والتأييد والقوة ، والإخاء والوحدة ، والمجد والكرامة .

ان (شوال) الذي يطالعنا العيد في غرته ، ليدكرنا بغزوة الخندق التي حدثت فيه من صنع اليهود ، حينما غرهم النصر الزائف الذي أحرزه المشركون في يوم أحد ، فانتهزوا هذه الفرصة ، وظنوا أنه لن تقوم للمسلمين قائمة بعدها . أنهم دأبوا مثال الخسة والدناءة ، واللؤم والخيانة والغدر بالفجور .

لقد انطلقوا الى قريش في مكة يحرضونهم على النبي في المدينة ، وكذلك طافوا بكل القبائل حتى جمعوا من ذلك كله جيشا عدته عشرة آلاف ، أحاطوا بالمدينة ، وحاصروا المسلمين ، حتى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بتنفيذ خطة سلمان الفارسي في حفر الخندق حول المدينة ، ليكون بينهم وبين المشركين ، ولم يكتف بنو النضير من اليهود بذلك ، بل تسللوا الى اخوانهم من بنى قريظة بالمدينة ، وحملوهم على نقض عهدهم مع رسول الله ، والانضمام الى جيش المشركين ، حيث يضربون المسلمين من الخلف ، وهكذا أحيط بالمؤمنين من كل جانب ، بسبب غدر اليهود ، وحقدهم ، وانتهازهم للفرص وتقصصهم للمواثيق .

وعظم الأمر على الرسول وصحبه، وزلزل المؤمنون زلزالا شديدا ، كما يقول الله سبحانه : (اذ جاءكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، واذا زأغت الأبصار . وبلغت القلوب الحناجر ، وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون ، وزلزلوا زلزالا شديدا)

ولكن الله جلت قدرته أراد أن يعرض المسلمين ما أصابهم في أحد ، وأن يضع حدا لغدر هؤلاء اليهود وخيانتهم ، وأن يظهر المدينة ممن بقى منهم فيها ، وهم بنو قريظة ، فسلط على المشركين ريحا عاصفة قوضت خيامهم ، وكفأت قدورهم ، وجنودا من الملائكة ملأت قلوبهم رعبا وفزعا ، كما يقول سبحانه (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءكم جنود فارسنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ، وكان الله بما تعملون بصيرا) ، وكما يقول : (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا)

اما بنو قريظة فقد احتال لخديعتهم صديق لهم في الجاهلية ، كان قد أسلم ، فبعته الرسول اليهم

من حيث ذلك التعاطف الانساني الذي يوجب في مال الانغياء حقا معلوما للفقراء . . . والتشريعة ليست شريعة دينيات بحتة، كالابن باله وكتبه ورسله و كالتبعت والتشور مما سماه القرآن بالايمن بالغب الذي يجب ان تؤمن به ولا نراه ، وانما الشريعة نظام وضع ليشمل العقائد والتشريع معا ، وكله انسانية ؛ وكله تكافل اجتماعي ؛ ولذلك اتسعت رفقته في الصدقات ، ولم يكتف بزكاة الفطر ؛ بل قرر بجانبها الصدقة الجارية على مر الايام ، دون تقيد بعيد او موسم او موعد ، وانما موسمها العام كله . مثل قوله :

١ - (ففدية من صيام او صدقة او نسك) .

٢ - (قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى)

٣ - (ان تبنوا الصدقات فنمنا هي)

٤ - (يحقق الله الربا ويربي الصدقات)

٥ - (ان المصدقين والصدقات واقربوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم)

٦ - (ان الله يجزي المتصدقين)

اما الاحاديث في الصدقة الجارية فكثيرة ايضا . مثل :

١ - (ردوا صدقة البلاء ولو بمثل جناح الطائر من طعام)

٢ - (ما من مسلم يكسو مسلما ثوبا الا كان في حفظ الله ما دامت عليه منه رقعة) .

٣ - (تداركوا الهموم والغموم بالصدقات) .

هذه قطرات من فيض مجاه في القرآن الكريم ، والاحاديث النبوية ، من فضائل الصدقات ولا ديب في ان نواحيها الاقتصادية فيها كل ما عرفتته الانسانية من تواد وتعاطف ، وتراحم ، ومن توديث الفقير في مال الغني ، وهما على قيد الحياة .

نعم اننا في ايام ثورة وفقت بجانب الفقراء فانصتهم الانصاف كله ، غير انه لا يزال في الامة عجزه مستحقون ، فحنت بهم الشيخوخة عن العمل والكسب من نساء ورجال ، ولهم اطفال صغار هم بحاجة قصوى الى الرعاية والاحسان ، ليتعلموا فيكونون في الامة من النافعين . قال الشاعر :

ورب فقير قوم علموه
سما وحى المسومة العربات

فضل الله تعالى بعض الملائكة والناس على بعض ؛ فقال (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس) .

وفضل بعض الامكنة على بعض . فقال (سبحان الذي اسرى عبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله) .

وفضل بعض الازمنة على بعض . فقال ليلة القدر خير من الف شهر) ، وقال ايضا (شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) وفي تفصيل بعض الازمنة على بعض يقول الراغب الاصفهاني في كتابه (المفردات في غريب القرآن) مانصه في المراد من كلمة (عيد) . . . وفي تفصيله على غيره من الايام (والعيد ما عاود مرة بعد اخرى ، وخص في الشريعة بيوم الفطر ، ويوم النحر ؛ واثن فالتشريع الاسلامي هو الذي خصص العيد لهذين اليومين ؛ وهو الذي اوجب فيهما الزكاتين ، زكاة الفطر ؛ وزكاة النحر) . . . والسنة هي التي تبين لنا الترابط بين شهر الصوم ، وبين الصدقة بعد انتهائه مباشرة ؛ فيقول صلوات الله عليه (زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث) ، وفحوى ذلك ان الصائم لم يكن معصوما طول شهر الصيام ، سواء اكانت هذه ائذلات من طبعه وخلقه ؛ او دفع اليها ما يعترى بعض الصائمين من حالات نفسية غير طبيعية ، دفعه اليها الجوع والعطش طول النهار ، كما تشاهد ذلك في بعض الصائمين الذين لا يستطيعون السيطرة الكاملة على ستمتهم ؛ فبالزكاة تكمل تطهير نفوس الناس مما عسى ان يكون قد وقع منهم بلا قصد من اللغو والرفث ، والمراد بالرفث هنا هو الكلام القبيح .

وفقت الشريعة الاسلامية بجانب الفقير الذي يباخذ الزكاة ؛ ورفعت من قيمته ، حتى لا يحس في قرارة نفسه بانه ذليل باخذ الزكاة ، وانه محتاج اليها ففسدوا يقول القرآن الكريم (لا تبطلوا صدقاتكم بالبن والاذى) وطورا يقول - وهو من التبريرات القذة في كتاب الله (هو الذي يقبل التوبة عن عباده ، ويأخذ الصدقات)

ومهما قيل في نسبة اخذ الزكاة الى الله ؛ من انه تشبيه او استعارة او مجاز فانه تعبير يجعل اخذ الزكاة في علبين لانه سبحانه هو الذي يأخذ الزكاة نيابة عن الفقير ، وقد ارضى سبحانه ان ينسب اخذ الزكاة الى نفسه ؛ وكان في ذلك قد جعل الفقراء والمساكين من احيائه المقربين اليه ؛ او من عياله الذين يرعاهم بعطفه ، ويرفع من ادميتهم بلفظه ، وهم فقراء محتاجون ؛ ومساكين معوزون ؛ وبحاجة قصوى الى ما يسد رمقتهم ، ولو ببعض لقمات يأخذونها من يد المحسنين . الزكاة والصدقة تراحم وتناصف ، وشريعتنا الاسلامية شريعة ادت ما عليها



سواء سمينا صدقة الفطر بالزكاة ، او سمينا زكاته بالصدقة - فان هذه التسمية لا تخرجها عن المعنى الانساني الذي قصد التعبير بها عنه وهو ذلك القدر من الاشتراكية في اضيق حدوده .

ان في تخصيص عيد الفطر بهذه الصدقة معنى من اسمى المعاني ؛ فانه بعد ان ادنى الصائمون شهر الصيام ؛ وبعد ان تطهروا نفوسهم من اوضاعها ، واستعدت لاداء كل فضية - بعد هذا كله فرض عليهم رسول الاسلام صلوات الله عليه هذه الصدقة ليشترك الفقير الغني في بعض ما ملكت يداه ، فقد روى الامام البخاري في صحيحه (فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر صاعا من تمر ، او صاعا من شعير ؛ على العبد والحر ، والذكي والاثني والصغير والكبير ، من المسلمين)

والجوع والمهانة - عن النبي عليه الصلاة والسلام قال - ويل للفتية من الفقراء يوم القيامة يقولون ظلمونا حقوقنا التي فرضت عليهم . فيقول الله تعالى وعزى وجلال لا دينكم ولأباعدنهم ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم - « والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » - وكان المال مانع الزكاة مكروه من الله - والكنز هو جمع المال بنفسه على بعض وحفظه . ومال مكتنز يعنى مجموع - والكانزون هم الآخرون في الدنيا والآخرة لفضل صنيعهم - روى البخارى - أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: من أتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زيبتان يطوفه يوم القيامة ثم يأتى به بلهزميه - يعنى شديقه - ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم - ولا يحصين الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطروا ما بخلوا به يوم القيامة وبه ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير - آية ١٨٠ سورة آل عمران - ولما تولى أبو بكر رضى الله عنه الخلافة وكفر من كفر من العرب وامتنع قوم عن أداء الزكاة استعد أبو بكر لقتالهم فقام إليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال له كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قالها فقد عصم منى ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله » فقال أبو بكر والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه - قال عمر رضى الله عنه فوالله ما هو الا أن قد شرع الله صدرابى بكر ففرضت أنه الحق - وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال : أتاني الأبل على صاحبها على خير ماكانت اذا لم يعط فيها حقه تطؤه بأظلافها وتنطحه بقرونها . قال ومن حقها أن تحلب على الماء ، قال ولا يأتى أحدم يوم القيامة بشاة يحملها على رقبته لها بعار . فيقول يا محمد فاقول لا أملك لك شيئا قد بلغت يا باني بعير يحمله على رقبته فيقول يا محمد فاقول لا أملك لك شيئا قد بلغت - رواه البخارى . ولعلم منزلتها عند الله ذكرها في قرآنه الكريم مفروزة بالصلاة في حوالى ثلاثين موضعا ، لأنها من أعظم مقومات المجتمعات الإنسانية - فقد نظرت الشريعة الإسلامية الى المجتمع فوجت الى الفقير الحائق والمسكين الجائع ومن على شاكلتهم من المحتاجين قد تدفهم الحاجة واليأس الى ارتكاب السرقة - اذا لم يجدوا من يعد لهم يد المساعدة وويل للمجتمعات التي ليس فيها قلوب تبشئ بالخير من سورة الفقيه المحروم - من أجل ذلك فرض الله الزكاة وحث المؤمنين على الصدقات -

فضائل الزكاة

الأستاذ محمد السعيد الطنطاوى

لسان نبية عيسى عليه السلام - وإوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا - آية ٢١ سورة مريم - وقال عز وجل يخبر عن أهل الكتاب - « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة » - آية ٤ سورة البينة - والزكاة تظهر المسال وتتميه ، ويركسة للمزكى في بدنه وماله وعياله وحرس الفقراء والمحتاجين من ارتكاب السرقات ، وهى جواز مرود على الصراط المستقيم وتزييد درجات الثواب وتثقل الميزان - يوم لا ينفع مال ولا بنون وتكون ظلا لصاحبها يوم الحساب - ولو لم يكن للزكاة فضل غير تفريج كربة الغراء ودفع الهم عن المحتاجين ومنع أذى الجوع والذل عن المساكين لكفى - ولكنها فوق ذلك كله فيها رضى رب العالمين - عن أبى الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما طلعت الشمس الا بعت بعينيتها مكان يناديان وأنها يسمعان أهل الأرض الى الثقلين ، أيها الناس هلما الى ربكم فان ما قل خير مما تكرر والهى . ومكان يناديان اللهم عجل لنفق ماله خلفا وعجل لمسك ماله تلقا - والزكاة شريعة الله شرعاها ليكون المجتمع الإنسانى مجتمعا متماسكا متعاونيا يشد بعضه بعضا وتنشع الألفة والمحبة بين الناس ولبيّن المؤمنين الطبع الذى يخرج حق الفقراء بنفس راضية شاكرة لاتعم له ، والإنسان الذى يمنع هذا الحق ويخجل به ويكنز الأموال ويحبس حقوق الضعفاء والمحتاجين - ولقد تودع الله الكنازين للأموال الحاسبين حق الفقراء المحتاجين سبيل الله .. وسبيل الله هو اطعام المساكين وإعانة الفقراء والتحدث بشعة الله - قال تعالى (والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعباد آليم ، يوم يرمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » - آية ٣٤ ، ٣٥ سورة التوبة - تحذير من الله تعالى للكانزين الذين منعوا عباد الله الفقراء حقوقهم وتركوهم عرضة للغافة

« وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير » آية ١١٠ سورة البقرة - وقال صلى الله عليه وسلم : ان ملكا ينادى من أبواب السماء من يقرض اليوم يجده غدا - والزكاة لغة الزيادة ، يقال - زكا المال اذا نما وزاد وتستعمل بمعنى الطهارة يقال فلان زكى العرى أى طاهره - وفى الشرع - ايجاب جزء من المال فى مال مخصوص ممالك مخصوص - وهى واجبة شرعا على كل من يملك نصابا ملكا تاما خاليسا عن حوائجه الأصلية . وحال عليه الحال - وفقد النبي صلى الله عليه وسلم النصاب فقال : ليس فى أقل من مائتى درهم صدقة - وقال : لا زكاة فى مال الا اذا حال عليه الحال - والزكاة ليست هبة أو منه أو منحة من الأغنياء للفقراء بل هى حق مفروض فرضه الله تعالى مالك الملك فى مال الأغنياء للفقراء . قال تعالى فى قرآنه الكريم : « وفى أموالهم حق للسائل والمحروم » - آية ١٩ سورة الذاريات - وهى عنوان الإيمان الخالص لله والطاعة لأوامره والرحمة بمبادئ الفقراء ، ودعوة إنسانية الى بر الإنسان بابخيه الإنسان ولعلم شأنها جعلها الله تعالى من وصاياها الى أنبيائه ورسله جميعا وأمرهم بأن يوصوا بها عباده - قال تعالى فى كتابه الحكيم يحدث عن إبراهيم وإسحق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام - « وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات وأقام الصلاة وآيتنا الزكاة وكانوا لنا عابدين » - آية ٧٤ سورة الأنبياء - وقال الله تعالى عن نبية اسماعيل عليه السلام - « واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صابقا الوعد وكان رسولا نبيا ، وكان يامر أهله بالصلاة والزكاة وكان عنسده ربه فرسيا - آية ٥٤ ، ٥٥ سورة مريم - وقال سبحانه وتعالى يخاطب بنى اسرائيل - « لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسول وعزتموه وأقرضتم الله قرضا حسنا لا كفرت عنكم سيئاتكم » - آية ١٢ سورة المائدة - وقال الله على

أفكار العبد

الدكتور محمد ضياء الدين الرئيس

يختلف المسلمون في المشرق والمغرب بالعيد المبارك ، بعد أن أدوا واجبه الديني . وليس ادعى للرضا والشعور بالبهجة من أن يجد المرء انه أدى واجبه خير أداء ، فارضى ضميره .. وأرضى ربه .

وقد رسم الدين أن يكون عيد الفطر عقب شهر رمضان ، لأن رمضان تميز عن سائر الشهور بأنه الشهر الذي أنزل فيه القرآن ، فهو شهر الاسلام أى أنه أول شهر ظهر فيه الاسلام ، وهو بدء العهد الجديد فى تاريخ البشرية الذى تحفظ فيه كرامة الانسان وتسود الحرية ويتحقق العدل .. ومن ثم كرم الله هذا الشهر فجعل صومه أحد فروض الدين ، والاحتفال بالعيد هو إذن احتفال بكل هذه المعاني التى تتمثل فى رمضان .

وقد مرت على المسلمين فى تاريخهم بعض أعياد كان لكل منها معنى آخر يضاف الى كل هذه المعاني المذكورة ، فالعيد الذى تلا رمضان الذى وقعت فيه غزوة بدر ، احتفى المسلمون فيه بحقيقة النصر الذى أحرزوه ، فكان عيد النصر أيضا ، وكانت فرحة المؤمنين فيه مضاعفة ١٥

والعيد الذى أعقب رمضان ، الذى تم فيه فتح مكة ، كان كذلك عيدا تجلت فيه كل هذه

وحيد مصارف الزكاة بما يكفل الخير لكل والبركة للمجموع - قال تعالى : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والمساكين عليها والؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والمسلمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » - آية ٦٠ سورة التوبة - وليس ادل على فضل الزكاة والصدقات من أن العليم الحكيم قال فى قرآنه الكريم : « ورحمتى وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتوا الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون » آية ٥٦ سورة الاعراف وقال نبي الرحمة والانسانية صلى الله عليه وسلم حصنوا أموالكم بالزكاة ودأبوا مرضاكم بالصدقة واستقبلوا أنواع البلاد بالدعاء - وأفضل الصدقات وأشرفها ما كانت فى السر قال الله تعالى : ان تبدوا الصدقات فنعما هى وان تخلوها وتؤتوها للفقراء فهو خير لكم - آية ٢٧١ سورة البقرة - وأكرمها وأعزها منزلة عند الله ما كانت والمؤمن صحيح شحيح يخشى الفقر ويأمل الفنى - جاء فى سير العرب أن رجلا أتى الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال انى مجهد - فأرسل النبي الى بعض نسائه فقالت والذى يمشك بالحق ما عنى الا الماء ثم قلن بقية نسائه مثل ذلك فلم يكن عندهن شيء من الطعام - فقال النبي عليه السلام من يضيفه يرجمه الله فقام رجل من الأنصار يقال له أبو طلحة وقال انا يا رسول الله فانطلق به الى رحله فقال لأمراته هل عندك شيء قالت لا . الا قوت الصبيان - قال فملئهم بشيء وتويعهم فاذا دخل ضيفانا وجلسنا الى الطعام فاربه انا ناكل فاذا هوى بيده ليأكل فقومى الى السراج تصليحي فاطفئيه ففعلت فحصل الأنصارى يضع يده فى القصة ويضعها فى فيه ولا يأكل شيئا فاكل الضيف حتى شبع وأتى على ما فى القصة وباتا طاويين - فلما أصبح الأنصارى صلى مع النبي . صلى الله عليه وسلم وسلم الفجر فلما سلم النبي أقبل على الأنصارى وقال له : لقد عجب الله من صنيعكما - يعنى رضى به - وتلا النبي قول الله تعالى : ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون - آية ٩ سورة العشر .

وروى أبو داود فى مسنده عن النبي عليه الصلاة والسلام قال : أيما مسلم كسا مسلما ثوبا على عرى كساه الله من خضر الجنة وأيما مسلم أطعم مسلما مسلما على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة وأيما مسلم سقى مسلما على ظما سقاه الله عز وجل من الرحيق المختوم - ولقد شرع الله الزكاة وفرض صدقة الفطر وحث على التصديق والإنفاق فى سبيل الله ورفق فى ذلك قال تعالى : الذين يتقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون - آية ٢٧٤ سورة البقرة - وقال صلى الله عليه وسلم : ما نقص مال من صدقة قط .



هى طريق الثواب وسند المكافأة ؟ بل كلما عظمت
الغاية كان الوصول اليها أكثر غناء وهكذا مرت على
المسلمين أعوام وأعياد ، كانوا يقاسون فيها من تقلب
الدهر وكيد الأعداء ، ويعانون فيها الشدائد ، بل
أحيانا النكسات والهزائم .. لكنهم ما كانوا يفقدون
أبدا ثقتهم فى الله وفى أنفسهم ، ولا يستكينون
ولا يهنون ، وأمامهم المثل قول الله تعالى :
« ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم
مؤمنين » ، فواصلون الجهاد ويصرون على متابعة
الكفاح ، وهم معتمدون على الله ، حتى يظفروا
بالنصر .. فإذا كان الله شاء أن يتلى رسوله
والمؤمنين فى غزوة أحد فقد ثابروا وصابروا حتى
حققوا النصر فى فتح مكة ، وإذا كان المسلمون
ابتلوا فى عهد عمر فى وقعة الجسر ، فقد عادوا
وفازوا بالنصر المبين فى القادسية والمدائن ..
وإذا كان جند صلاح الدين أصيبوا مرة بكسرة فى
الرملة بفلسطين ، فقد نهض وصبر وجاهد حتى
سجل النصر الخالد على الأعداء فى « حطين » ..
وهكذا كان النصر دائما فى النهاية للمؤمنين ..
والعاقبة - كما يقول الله تعالى - للمتقين .

فإذا كان العيد يقدم اليوم والنفوس يخالطها
كدر ، وتمتزع حلاوة فرحته بالمرارة ، للشعور
بأنار المحنة التى مرت وتمر بها أمتنا العربية ،
وأنار العدوان لا تزال باقية ، والمآسى التى ترتبت

المعاني ، كان أكبر الأعياد فقد سقطت فيه
عاصمة الوثنية والطفيان ، وتأكد فيه النصر
النهائى للإسلام .

وفى قرون بعد ذلك فى عهد بطل الجهاد
صلاح الدين ، لا بد أن أول عيد ورد على المسلمين
بعد الانتصار الكبير الذى حازوه بدخولهم
« القدس » ، بعد أن بقى فيه الصليبيون نحو
قرن - لا بد أنه كان عيدا حقيقيا بكل هذه المعاني
السالفة ، وأيضا عيد النصر الذى طالما ترقبته
وتمنته أفئدة المؤمنين .. وكان استرداد القدس
فى يوم المعراج ، وأقيمت الصلاة فى المسجد
الأقصى فى شعبان ، ثم جاء رمضان على المسلمين
وتلاه العيد وهم رافلون فى ثياب المجد ، مفعمو
القلب بالحبور ، مهللين شاكرين الله على ما أنعم
عليهم به من نصر وما منحهم من تأييد وعازز .

لكن لم تكن كل الأعياد فى تاريخ المسلمين على
هذه الشاكلة .. فإله لم يجعل المجد أو الفوز
هكذا ، مواتيا فى كل يوم .. وحياة المجاهدين لم
تكن كلها أبدا دائما سلسلة من الانتصارات ، ولم
يرد الله أن تكون الدنيا طوال العهد مفروشة
بالورود حتى للأنبياء والمصلحين .. والا فأتين البلاء
وأتين الجهاد ؟ .. وأين مجال الصبر
والاصطبار ؟ .. وأين تمحيص القلوب وتمييز
المعادن ؟ .. وأين تحمل المشاق والآلام التى تكون

واحدا منها ، ولكنه يهدد الجميع ، والعدوان لم يقع على أرض معينة ، ولكن على أرض الأمة العربية كلها ، فمصريها واحد ، وشرها وكرامتها يرتبط بعضه ببعض ، والعدو يحارب كيانهما ككل .. ويعادى قوميتها كوحدة .

كل هذه المعاني أو الأفكار تمر بالذهن في يوم العيد ونحن نتطلع الى عام جديد .. فلننظر الى المستقبل ونتجه الى الامام ، ولنضع نصب أعيننا اثنا في الميدان ، والمركة مستمرة ، والجهاد ماض ، ولتأخذ بكل أسباب القوة ، ولا نهذا أو ندع السلاح الا بعد أن نزيل كل آثار العدوان ونظهر كل الأراضي المكتسبة ، ونواصل النضال حتى نحرر فلسطين ، التي كانت أولى ضحايا العدوان ، ونعيد للعرب عزتهم وكرامتهم .

واذ كان احتفال المسلمين بالعيد لأنه الاعراب عن أداء واجب كبير من واجبات الدين أو العبادة ، فان هذا ينبغي أن يذكرهم بأن هناك واجبا كبيرا آخر ، بل هو في مقدمة واجبات الدين ، لأنه يتعلق بمصير الأمة كلها وهو واجب الجهاد .. الجهاد في سبيل الله والوطن والشرف والعزة .. وقد تعددت الآيات وكثرت الأحاديث التي تعلى من شأن الجهاد ، وتهيب بالمسلمين للنهوض به ، وتبين مقدار ثواب الله للمجاهدين الصادقين والمكافحين الصابرين .. فإذا كانت الأمة فرغت من أداء أحد واجبات العبادة ، فانها يجب أن لا تنسى الواجب الذي جعله الله من أفضل العبادات وأفضل أعمال القربى اليه ، وهو « الجهاد » لأنه الغرض الذي تتوقف عليه حياة الأمة والدين .. بل يتوقف عليه التمكن من داء كل واجبات العبادة ويرتبط به مصير الاسلام نفسه .^(١)

فلتتمثل كل هذه الحقائق ، ولنعذ أنفسنا للقيام بكل هذه الفروض المقدسة .. ولنشكر الله في العيد على ما أفاض علينا من نعم ، ونطلب منه مزيد الفضل والعون والتأييد ..

وأخيرا نتقدم للامة الاسلامية بالتهناني ، سائلين الله أن يعيده على الأمة وقد توج هاماتها النصر ، وفازت بالسؤدد والمجد ، وأغلق الله عليها من السعادة والخير .

عليه لا تزال ماثلة - فان لنا في أسلافنا المؤمنين قدوة ، ومنهجنا - كما كان منهجهم - ينبغي أن يكون هو أن نعمل ونصمد ونجدد العزم ، ونتخذ من المحنة عبرة وتنبيهها وحافزا ، فنصلح أحوالنا ونزيل أخطأنا ، ونحكم تدبيرنا ، ونكمل استعدادنا وتقوى علاقتنا بالله ، ونتخذ كل أسباب القوة التي أمر بها ، ثم نمضي ونحج واتقون من أن الله سيكتب لنا النصر المؤزر ، ويعلى كلمة الحق على الباطل ، ويمنحنا التأييد ليكون لنا في النهاية الفوز المبين على المعتدين الباغين .

ومما يبعث الأمل أن الأمة أخذت في هذا الطريق ، فقد سمت النفوس عن الأثر الذي كان يراد أن تحدثه المحنة ، وحلت محل ذلك الثقة وإرادة الصمود والتصميم والاصرار على الانتصار ، ونتجه الانظار الآن الى المستقبل ، في تفاؤل وتوقع للخير ، ولا تلتفت الى الماضي الا لترى فيه حادثا محدودا في تاريخ ممتد لمركة كثيرة الأحداث ، ولا بد أن تقضى على كل آثاره ، حتى يصبح مجرد ذكرى يلفها الماضي في طوايا النسيان ..

فالعيد يقدم ويبدأ العام الجديد ، وقد قطعت الأمة شوطا كبيرا في تبديل الحال ، والعود لامتلاك ناصية الأمور .. ففي الجبهات العسكرية والسياسية والعربية بذلت جهود ، وتحققت مكاسب ، وأقيمت أوضاع ، وعوض نقص .. وبالجملته وجهت الأمور الى الغاية التي تريدها الأمة ، وتهفو قلوبها الى نيلها ، وهي غاية الرفعة والمجد والنصر .. فالجيش الآن أقوى مما كان ، وأصلب إرادة وأمضى عزما ، والجبهة الداخلية متماسكة ثابتة ، ولايدي تعمل بدأب ونشاط لتنتج ، والقادة ساهرون على تهيئة الوسائل والتقلب على الصعوبات ، وهذا كله مما يبهج النفوس ويسر الأفتدة ، ويعمرها بالثقة والطمأنينة .^(٢)

والى جانب ذلك ، العيد يقدم والامة العربية تشعر بالقبطة ، وتتبادل نفوسها التهنئة ، لأن أسباب الخلاف أو الفرقة قد زالت ، وحلت محلها وحدة متينة مباركة في العمل والهدف ، فهي اليوم قلب وفكر واحد في المركة ، تعمل في تعاون وتساند ، وقد شعرت أن الخطر لا يخص

لما كان الشعر لا يخلو في حقيقته وكنهه معناه
عن كونه تعبيراً بديعاً عن المشاعر والاحساسات
وتصويراً رائعاً للعواطف والوجدانات مهما كانت
الفاظه أو اللغة التي اتخذ منها الشاعر مفردات ابجائية
وكلمات قصيدته - من جهة - ولما كانت النفوس
البشرية والعواطف الانسانية تتأثر وتتفعل بالمناسبات
الدينية أكثر مما تتأثر وتتفعل حيال أي أمر آخر من
أمر العيش أو شأن من شؤون الحياة أيا كانت
صيقته ، مادية أم معنوية - من جهة أخرى - أقول
لما كان الأمر كذلك كان لا بد أن نجد بين شعراء
الإسلام - سواء منهم العرب والعجم - من صور
لنا فيض حسه وعمق انفعاله بحلول شهر رمضان
المعظم أو تقضيه بزوغ هلال شوال وذلك في قصائد
أو مقطعات تنتظم في أبياتها بدائع التعبير وروائع
التصوير ومن يجيل الطرف في دواوين الشعر
العربي والتركي والفارسي يجد قصائد كثيرة
ومقطعات حمة شرح فيها ناظموها ماغمر نفوسهم
أو عرى قلوبهم من الفرح والسرور والجلل
والحبور عندما استقبلوا هلال رمضان كما تجد
كذلك قصائد ومقطعات سميت بالرمضانيات لما
تضمنته من عواطف دينية ومعان روحية وقعت في
نفوس قائلها ونبضت بها افتدتهم أثناء التبتل
والتنسك في شهر رمضان أو أنها تتضمن الوانا من
شدة الألم وفرط الشجن ولعج الندم وعمق الحزن
من جراء انقضاء رمضان شهر الخير والاحسان
والتوبة والغفران ، على أن تلك القصائد وهاتيك
الأشعار التي أنشئت في توديع رمضان متضمنة
شتى معاني الأسى والأسف لغروب شمس أيامه
وأقول أنوار لياليه لم تكن لتخلو - مع ذلك كله -
من التصوير الواضح والتعبير الصريح عن فرحة
الشاعر وسروره وبهجته وجواره بحلول العيد •



من صور توديع شهر الصيام في قريض شعراء الإسلام

واليك مما جاء في هذا المقام على ألسنة شعراء
الإسلام من الناطقين بلغة الضاد مما يعد بحق
بعض فرائض لغة القرآن وقلائد قريض الإسلام
ماقاله الأمير تميم ضمن قصيدته التي أنشأها في مدح
العزير •

وقال الأمير تميم بن المعز يمدح الخليفة ، العزير
ويرث إليه التهاني بعيد الفطر :

الدكتور على صافي حسين

كما اطعت شبابي في الصبا فكذا
اطيع في صالح الاعمال مكتهل
يا شهر مفترض الصوم الذي خلصت
فيه الفضائل بالاخلاص في العمل

ارمضت يارمضان السيئات لنا
شربنا للتقى علا على نهمل

صوم وبر ونسك فيه متصل
بصالح وخشوع غير منفصل

يا ليت شهرك حول غير منقطع
وليت ظلك عنا غير متقل

فالشاعر في هذه الابيات كما ترى عابد ناسك
قانت مبهتل شديد التبتل والتضرع بيدي أسفه
ويشرح ألمه ويصور حزنه وآسائه لمفارقة شهر رمضان
ايامه وهو بعد يرجو ان يمن الله عليه باستقبال
رمضان مرة أخرى بل مرات عديدة فيما يستقبل
من الشهور والاعوام هذا من حيث المعنى أو المضمون
أما الصياغة الادبية والاساليب الفنية فان الناقد
المدقق يصف ابيات تميم بالجودة والروعة واستقامة
الاسلوب وصحة التعبير وبلاغة التصوير مع الصدق
في المعنى وظهور الغرض ووضوح المقصود .

وهناك شاعر اسلامي آخر اجاد التعبير واحسن
التصوير فيما نظم من الشعر في وصف رمضان
والحديث عن الصيام والابتهاج بحلول عيد الفطر مع
ابداء الاسف والاسى على تقضى شهر الصيام
واعنى بذلك الشاعر التركي المعروف باسم
(نديم) الذي اهتم اكثر مؤرخي الادب التركي بذكر
قصيدته التي قالها يمدح ولي النعم والتي عرفت
باسم القصيدة (الرضائية) واليك منها هذه
الابيات مترجمة بدقة عن اللغة التركية

(بينما كان الامام مستلقيا في فراش الغرة ،
ليأخذ نوم وسنة ، قام لصلاة التراويح بقة . وما
رفع الاحباب الكرام ردوسهم من نومهم وظلوا الى
الظهيرة في رقدتهم ، فهم من يعدون ليوم الشك
عدتهم . وكان برد الربيع ذا اثر في الطباع ، ولقد
وجد الجزء التام من ظمأ الصيام ، ودفتنا قليلا من

زمهرير تلك الايام ، حين وافى منذ يوم شهر
الصوم . وقال الحارس ان رمضان قدم ، للسائل
المستعلم . لست ادري ما اذا كان نظر بعين زرقاء
اليمامة الى القمر ، احسن الشاهد ، عجبا لما له من
حدة البصر . والحق ان هذا بهتان عظيم ، ولست
ادري ما اذا كان لدى الشاهد أو في التقويم . ويقول
بعض أهل النشوة : مولاي ويحك وعلى رسلك ، هو
ذا القمر يلوح ، فما حساب شعبان بصحيح . وجاء
أهل النشوة وهم يحملون ، ملقعة أو اثنتين لمسكو
من المعجون ، للقتل بهما والضرب ، فجعلوا من الدنيا
ساحة حرب . ما قدر الله كان ، وإى شيء من الآن
فصاعدا في الامكان . فلنركن الى الاستسلام ، ونضع
في القضاء الزمان . والآن لنا شيء نتمناه ، وهوانتها .
شهر الصوم بالعافية والسلامة ان شاء الله)

وكل ما يتحصل من هذه الابيات هو وصف حلول
رمضان وذكر رؤية هلاله مع الاشارة الى فرحة
المؤمنين بمقدمه ، واستياء الماجنين لحرمانهم من
لذتهم وبهجتهم فيه ، وهذا معنى مطروق وحديث
معاد ، وان كان بعضه لا يخلو من مستطرف حاول
نديم أن يطبعه بطابع الهزل والفكاهة .

وله شعر آخر في ذكر رمضان والعيد نذكر منه
هذه الابيات :

(ولما اشتاق القلب الى عيد الوصل في منتهاه
تعلق بمن يسمى رمضان فكان مناه ، وتلازما كما
يتلازم شعبان ورمضان . ووقعت اسيرا من قبضة
شمس في شرك ، وهي شمس ينحني الهلال لينظر
اليها في سقف الفلك . ان فجر العيد ليتألق ، من
جيبته في المشرق ويلة القدر تختفي وتغيب ، في
شعره الأسود الغريب والقلب معتكف كالخلل من
غدايره خلف حجاب ، والوجه متجه ليل نهار من
حاجبيه الى محراب . ولولا ان قمر العيد في نهاية
رمضان ، لتحققت لي توبة المجان)

ومن يتأمل هاتين المقطوعتين اللتين أوردناهما
هنا على سبيل الاستشهاد وضرب المثل لما جاء في

فشاعرنا في هذه الابيات يصف رمضان بأنه شهر
التوبة والندم والتبئيل والتنسك والاستيقاظ الى فعل
الخير واجتناب الشر والتحلي بكرم الخلال وجميل
الخصال والبعد عن المعاصي والتقرب من الله بالاكثار
من الصلوات وفعل الطاعات والاعتكاف في المساجد
ولزوم مجالس الذكر هذا بالنسبة لما يأتيه المسلم
في شهر رمضان طبقا للصورة التي رسمتها لنا
ايات شاعرنا (حشمت) أما من حيث ما يغمر
المتعبدين والمتنسكين في شهر رمضان من قبل
المليك الديان فرمضان من هذا الوجه يعد بحق
شهر الرحمة والمفخرة والكرم الالهى والاحسان
الرباني اذ يتجلى الله على عباده الصائمين بشتى
الفيوضات النورانية وكثرة النفحات الروحانية
هذا مع عمق المعنى ووفرة المضمون الذي أودعه
(حشمت) صورا صادقة لوقع المراسم الدينية
والمظاهر الرمضانية على حسه ووجدانه ومن فعلت
به نفسه ونبض به فؤاده من فرط التأثير القلبي حيال
ما شاهده في ديار الاسلام من مختلف ألوان الخير
والاحسان أبان شهر رمضان .

هذا بعض ما يمكن ان يقال في وصف شعر
(حشمت) من حيث المعاني والمضامين أما الاساليب
اللفظية والتراكيب الكلامية فان المعين بدراسة
الادب التركي يصفون شعر (حشمت) بجزالة اللفظ
وبلاغة القول وجودة التعبير مع رصانة الاسلوب
واستقامة الاداء والخلو من الغموض والاتواء وجملة
القول في هذا الشاعر الاسلامي أنه كغيره من شعراء
الاسلام قد صور في قريضه مشاعر المسلمين
أجمعين وليس مشاعره هو وحده .. تجاه شهر
الصيام) .



الشعر التركي على لسان نديم في وصف الصيام
والتحدث عن رمضان ، من يتأمل تينك المقطوعتين
وينعم فيهما النظر يجد انهما ينطويان من حيث المعنى
أو المضمون على روائع الانفعالات الدينية واسمى
العواطف الاسلامية ولا عجب فان نديم شاعر
اسلامي قد شرح لنا في شعره عمق وجدانه
الديني وصدق شعوره الاسلامي وان كان قد اصاب
أسلوب النسيب وطريقة القول والتشبيب مقتفيا
في ذلك آثار المتصوفين متخذاً أسلوبهم في التعبير عن
مواجيدهم وما كان يعرف قلوبهم في حبههم وبهم
من لوعة الشوق وشدة الغرام ولعج الهوى وحس
الهيام من أمثال شمس الدين التبريزي وجلال
الدين الرومي والحافظ الشيرازي هذا من جهة
المعاني والمضامين أما من حيث الاساليب التعبيرية
وطرق الاداء الفنية فان نقاد الادب التركي يحكمون
لنديم في جل شعره وبخاصة ما قيل منه في رمضان
بحسن السبك وفصاحة اللفظ وجمال العبارة ودقة
الاشارة واستقامة التراكيب وجودة التعبير وروعة
التصوير - هذا - على أن هناك شاعرا ثالثا اسمه
«حشمت» قد انحدر من أصل تركي أيضا وهو يعد
بحق أوسع شاعرية واعمق وجدانا من الشعارين
السابقين اذ تحدث عن رمضان ووصف الصيام
بمختلف لفات بنى الاسلام اذ أنشأ في ذلك القريض
بالغة الفارسية والمتركية والعربية مع استقامة
الوزن وصحة القافية وروعة الصورة وبلاغة التعبير
واليك مما نظم في رمضان بلسانه التركي هذه
الآيات .

(وتجلى من غرة شهر الصوم الجمال ، وقد
جعلت لقنود الصائمين شكل الهلال . فالتوبة التوبة
انه شهر عظيم البركات ، نزلت فيه من وحى الحق
آيات . وبينما يلقي في مخدع الدنيا الضياء ، اذبه
يطلع صبح اليمين في الظلماء . ويجعل من شمعة
اطفائها ريح العصيان) مشعلا للمفخرة ينير السبيل
للانسان . وشعاعه صاعقة تحرق بيدر الانم
والضلال أما غرته فمنجل لزرعة البر والكرم
والنوال) ..

شكر المنعم واجب كما قرر العلماء • فالإنسان لا يكون جديرا بالنعمة الا اذا عرفها لصاحبها بالذکر والعرفان • وحب الخير يستلزم دوام ذکره لمصدره والنفس الانسانية تتطلع دائما الى الاستزادة من المبرات : والوسيلة الى تحقيق ذلك الشكر كما أرشدنا المولى عز وجل (لئن شكرتم لأزيدنكم) وأعظم النعم ما تفضل به سبحانه على عباده • فهو وحده لاشريك له مصدر الخير ومالك الملك والدين في جوهره مجموعة من الفضائل تعبد الطريق الذي يرتاده المخلوق قدما الى الخالق فعقيدة التوحيد هي اعتراف من العبد بفضل مولاه الذي شرفه بالوجود وكرمه بالعقل وكمله بالتكريم وسخر له كل ما في الكون لمنفعته •



قيمتها بسرية امثالها مما جعلها اقرب الأعمال اخلاصا لله • لأنها سر بين العبد والرب لا يقف على صدقها امثالا واحتسابا الا اعلام الغيوب ثم هي امتحان النجاح فيه فوز بالانتصار على النفس وظفر بثواب غير محدود ولا معدود •

وهي مع ذلك أمل في دوام النجاح بعد اجتياز العقبة وتجاوز الفشل الى العمل • وهي أمان من العجز في المستقبل بعد ان انعم الله بالتوفيق في الماضي

والأعياد لحظات فرح وسرور تقوم احتفالاتها سرورا بنعمة واحتفالا بانتصار وذكرى لنجاح وعيد الفطر يوم سرور عامر اجتمعت فيه هذه المعاني جميعها •

فأي نعمة تقدر بجانب نعمة الله بنزول القرآن الكريم الذي هدى الله به الانسانية جمعاء الى الاسلام بما تضمنه من تقرير النظم السياسية والاجتماعية والقضائية والمالية التي كفلت سعادة الناس في الدنيا وما اشتمل عليه من عبادات تنظم الصلة بين المخلوق والخالق • وتجعل العبد دائم الاتصال بربه يستعين به ويتوكل عليه • ويستغفره ويتوب اليه • ويذكره ويشكره فيظل دائم النعمة موصول الرحمة من العزيز الرحيم

والعقيدة الصافية ليست لفظا عابرا تنتهي بانتها الحروف • لكنها دوام التقديس والتزنية في القلب والوجدان • ولذلك كانت العبادات روافد تنبع من الايمان وتهد القلب بالانوار فيثبت التوحيد ويتجدد ويزداد ويدوم دوام نبض الحياة في روح الانسان وبهذا الايمان وتلك الأركان تتمحض اقوال الانسان وأفعاله وخواطره وآماله تقديسا دائما وعبادة مستمرة للحق القيوم صاحب الفضل الدائم والنعمة المتتابعة •

ولقد حمل رمضان من فضل الله وأنعمه على المؤمنين مالا يستطيع مؤمن أداء حقه

وقد تميز بعبادة الصوم وتفرد بابتداء نزول القرآن •

والصوم عبادة تنصهر بها نفس المؤمن في بوتقة الحرمان احتسابا فتستلب من القلوب جذور النفلة وتزيل غلام الشهوات وتجلي ما تراكم من صدا المادة فتتمحي ذرات الحرص وتزول أدران الشح • وتعاقب أيام رمضان الثلاثين على هذا النقاء والطهر جو تسبح فيه الروح انطلاقا الى افق أعلى من نور الايمان هزمت به وساوس النفس بعد ان جفت منابع الشياطين • وبذلك يتضاعف شعور المؤمن بجلال مولاه ويغمره بحر لحي من الهدى يوقظ الروح الى جمال الله وينبه العقل الى ادراك شواهد القدرة وتفهم أسرار الكون بعد ان مزق الصيام والقيام حجب الاستار التي تكون حائلا بينه وبين مولاه وهذه الرحلة التي صعدت بها الروح وعاشت في أنوارها ثلاثين يوما رحلة شاقة لا يجتازها الا أولو العزم من المؤمنين • وهي رحلة مكتوبة مفروضة زادت

ورسالات السماء رحمة سابعة دائمة من المسولى لعباده • وأعلمها وأكملها رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وقد بدأت فى رمضان وانتصرت فى رمضان وتلك نعم جديدة بالفرح والسرور وحقيقة بأن يكون ذكرها عيداً •

والنجاح فى رحلة الصوم كنز مدخر وخير منتظر وثواب مأمول وتوفيق موصول فما أجدره بأن يحتفل به فى عيد

فاذا أقبل رمضان بهذه الذكريات وبزغ هلال شوال على هذا التوفيق فما أسعد المؤمنين بالاحتفال بهذا العيد عيد ذكرى نزول القرآن وعيد النجاح فى رحلة الصيام وعيد الانتصار لدين الله • انه عيد الأعياد •

ولقد كانت مناسبات عيد الفطر مزيجاً من خير الدنيا والآخرة • فالدستور الإلهى فيه سعادة الدنيا والآخرة ورحلة الصوم الروحية يعيشها المؤمن بسعادة عامة وفرحة شاملة • ويصور ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه) • ولهذا كان السرور بالعيد سروراً تصوره مظاهر مادية فى التجميل والزينة والاستمتاع بالحلال الطيب من نعم الله • وشمول البر والاحسان للمسلمين • كانت العبادة المحتفل بالتوفيق عليها حرماناً وصبراً • وكان الأمر بها حتماً بقوله سبحانه (كتب عليكم الصيام) ثم حتم الشارع ما كان محرماً بهذا الأمر بقوله سبحانه (كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية) وهكذا كان الشأن فى العيد الأكبر • فرضت العبادة بقوله تعالى (ولله على الناس حج البيت) • ثم بعد أداء النسيك وتمام المشاعر جاء قوله سبحانه (فصل لربك وانحر) وقد نظم الاسلام بهجة العيد المادية بهذه المتع التى تحكى جمال المظهر وكمال الزينة ليعيش المسلمون فى جو من المتعة والمسرّة مع القصد والاعتدال وبعيداً عن البذخ والاتلاف ثم شرع إبراز هذا المظهر بهذه الكلمات التى تتعطر بها الألسنة وتتحرك بها الشفاه فى صوت جماعى له نعم أسر ولسماعه تأثير بليغ فى القلب والروح : الله أكبر ولله الحمد

وبهذا النداء المتصاعد من أفواه المصلين فى ختام رحلة الصيام ذهبوا الى المساجد وجلسوا فيها وعودة منها فى البيت وعند الأقارب وفى كل لحظة وعند كل لقاء تتلاقى جموع المسلمين تجمع أفرادها وشيجة الدين وأواصر الإخاء الإسلامى الذى أبرزته

مظهيرية الصيام أمساكاً مع الفجر ومظهرية الإفطار تحللاً عند الغروب • بهذا النداء حين ينشق فجر شوال تصبح جماعة المسلمين ضيوفاً على مائدة الكريم •

الله أكبر نداء قوة الإيمان • ومن أكبر من الكبير المتعال الذى أقدر عباده على قهر النفس وغلبة العادة وفتنة الشيطان بالعزيمة القوية وقوة العقيدة والنية الخالصة • وهو هتاف العرفان بالجميل وصوت الضراعة الى الله والتعبير الصادق عن استغراق القلب فى حب الله •

ولم ير الشارع بأساً على المسلمين أن يشتمل فرحهم بالعيد وسرورهم بتمام النعمة على اللغو المباح واللعب البرى والرياضة البدنية على اللهو بعد الرياضة الروحية • وفى حديث أنس رضى الله عنه •

قال : قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال : ما هذان اليومان ؟ قالوا : كنا نلعب فيهما فى الجاهلية • فقال ، قد أبدلكم الله بهما خيراً منهما يوم الاضحى ويوم الفطر • ثم يصعد بالمؤمنين درجات فى السرور والفرح • فلم ير بأساً عليهم فى سماع الغناء فى العيد فقيما رواه مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت : دخل على النبى صلى الله عليه وسلم فى يوم عيد وعندى جاريستان تغنيان فلم يقل شيئاً ولكنه اضطجع على الفراش وحول وجهه ثم دخل أبو بكر فاتتهرنى وقال : أيمر سادة الشيطان فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال صلى الله عليه وسلم (دعهما يا أبا بكر ان لكل قوم عيداً وهذا عيدنا) قالت عائشة : وكان السودان يلعبون بالسدرق والحراپ فاما سألت النبى وإما قال هوئى : تشتهين تنظرين ؟ قلت : نعم • فاقامنى وراءه رأسى عن منكبيه وخدى على خده حتى اذا مللت قال : حسبك قلت ، نعم

والصوم طاقة تتولد عنها عاطفة البر والاحسان بعد أن ذابت الجماعة طعم الحرمان العام للفروض واشترك فيه الواجد والمعدم والمقل والمكثر فعلم الموسع عليه فى الرزق طعم الشبع بعد الجوع ومذاق النعمة بعد الحرمان ولهذا فان نفس المؤمن بعد التجربة تبحث عن الجوع فى مكائمه فتطاردّه احساناً وبراً • وتفش عن معسر تيسر عليه • وتجد سعادة نفسية فى تنفيس الكربات ودفع الحاجات • وتشعر الجماعة شعور الايثار الغامر الذى يجمع

ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له)
ولقد بدأ تكوين الأمة الإسلامية على يد محمد صلى
الله عليه وسلم وبتعاليمه السامية . فكانت هجرة
المهاجرين إيثارا للدين على الوطن والمال والأهل .
وكان إيثار الأنصار لآخوانهم المهاجرين نموذجيا
فريدا في الإخاء والتعاون فقامسوا الأموال والدور
واستمروا على ذلك حتى فرض الله الزكاة . فلم
يعد التكافل نافلا . بل أصبح حقا معلوما لأممة .
وأوجب الشارع أخذها من مانعيها ولو بقتال . فقاتل
أبو بكر ما نعى الزكاة ولم يكف عمر بن الخطاب
رضي الله عنه بالمقدار المفروض . وتبنى أن يقسم
فضول أموال الأغنياء على الفقراء . فقال : لو استقبلت
من أمرى ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء
فقسمتها على فقراء المهاجرين .

ذلك هو العيد في جوهره الديني . جمال وزينة
وفرح وبهجة تمتلئ بها النفس سرورا وذكر وتسييح
وشكر تسعد به الروح وتحلق في الأفق الطاهر من
حب الله والحب في الله وبر واحسان يغير حياة
المسلمين في حب متبادل . وإيثار محب ورحمة
يتبادلها المؤمنون على الأرض . فيستندرون بهارحة
الله التي وسعت كل شيء .

وما يليق بالمؤمن الا ان يكون سخيا كريما .
فالرزق من عند الله والمال مال الله . ولن يستطيع
مخلوق أن يخلق حبة من قمح ولن تخرج الأرض
ساقا من نبات . ولن تطر السماء قطرة من ماء الا
بفضل الله وقدرته . ولم يأخذ أحد العهد مع أحد
أن يظل صاحب مال وعرض . كلا ولا كان الفقر
أبدا ضريبة على عبد لا يفارقه . انما المال غاد ورائح
وقد أعطانا مولانا وعدا كريما برزقه لنا ورحمته بنا
فقال وفي السماء رزقكم وما توعدون . واستلب
الشك من نفوسنا في صدق وعده فأقسم بذاته
المقدسة أن وعده حق . (فووب السماء والأرض انه
لحق مثل ما أنكم تنطقون)

ومع الوعد الصادق والقسم المعظم كيف يرضى
مؤمن لنفسه الامساك والبخل . وقد حكي الرسول
صلى الله عليه وسلم دعاء ملائكة الله في قوله
الشريف (اللهم أعط منفقاً خلفاً وأعط مسكاً تلقاً)
وفقنا الله الى ما يحبه ويرضاه وكتب لامة محمد
صلى الله عليه وسلم النصر وأمدهم بالعون ورضى
عنهم وأرضاهم انه نعم المولى ونعم النصير

الكل تحت سحائب رحمة الله ومن هنا يسرز في
العيد نوع آخر من البهجة والسرور تلتئم به جماعة
المسلمين على التكافل الاجتماعي الذي تصير به الأمة
الإسلامية كالجسد الواحد ويصبح كل فرد في هذه
الجماعة لبنة في بنائها يشد بعضه بعضا . ولهذا
كانت الزكاة المفروضة في العيد مشاركة محسوسة
شرعا لله ترفيها عن المعوزين والمعدمين وإغناء
للفقراء ودفعاً لحاجة المساكين ولتشرق شمس العيد
ليعيش في أنوار شروقها كل مسلم في كل مكان
قرير العين مثلج الصدر هادئ النفس لا تتخلخ
نفسه حزنا لحرمان ولده ولا يفتن قلبه إسفا على
يؤس زوجه . ولهذا المعنى السامي جاء في الحديث
(اغنوه عن السؤال في هذا اليوم) وبغير ذلك
لا يكون العيد عيدا . وكيف يكون عيدا اذا ازدحمت
واعتلت بالكثرة بطون الأغنياء وتقلصت من الجوع
بطون الفقراء . وكيف يكون العيد عيدا . اذا أصبح
ولدت متعماً بكل شيء وبجواره ولد جارك لا يجد
أى شيء . ان الدين رحمة . . والإيمان يوجب
رقة في القلب والإسلام شريعة التعاون والبر والاحسان
قرين التوحيد . وقد طلبه المولى عاما لجميع خلقه
وأمر به ليناله كل انسان . انه رحمة من الله .
ورحمته وسعت كل شيء قال تعالى (واعبدوا الله
ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذي
القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى
والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل
وما ملكت أيمانكم) . فتصورت الآية بتأسيس
العقيدة على اخلاص العبادة لله وحده ثم رقت من
له الاحسان . فبدأت بأحق الناس به وهم الوالدان
ثم من له وشيجة الاتصال به من ذوى القربى ثم
بكل من يتصل به بصلة الدم ثم من حرم عطف الأبوة
ثم من قعد به الفقر عن امتلاك القوت . ثم الجار
ثم الرفيق والصاحب ثم المنقطع عن الأهل والمال ،
ثم ما ملكت الايمان مع الاخوة والخدم . وليس في
الآية تقييد الاحسان الى هؤلاء بدين أو جنس أولون
أو بلد . وقد أكد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم
لعائشة عند تفريق لحم الأضحية (ابدئي بجارنا
اليهودي)

وقد عالج الاسلام المجتمع الاسلامي فأرشد إلى
المشاركة لدفع غوائل الحاجة لينشأ على الحب والأمن
والسلام فقال صلى الله عليه وسلم (ايما قوم
أصبح فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله تعالى
ومن كان له فضل ظهر فليعد به على من لاظهر له

هنا هو العید

أَلَتَأْمِينِ السَّكِينِ

الاعیاد دائما سمة من سمات الفرحة وآية من آیات البهجة والسرور ، ولهذا فان الشرع الحكيم لم یغفل هذه الناحية ولم یتناساها بل ركز علیها وجعلها اصلا ثابتا فی كل عام ، لان الطبیعة البشرية تحتاج من وقت لآخر الى الترویح عنها والبعد بها عن مجال الكد والكبح ، والتفرغ الى المرح المباح .. ففی هذا استجمام لها واستعادة لشاطها وتعبئة لجهودها من جدید .

ولما كان الدین الاسلامی هو دین السماحة والسمو والنشاط كان جدیرا به أن یتناول هذه الناحية مثاولة لتلیق بها وتزیها للناس فی صورة انسانية خلابة

تسترعى انتباههم وتلفت انظارهم وتثير أحاسیسهم حتی یقبلوا علیها وهمسم مفتبطون راضون .. ومن هنا نجد أن الله سبحانه وتعالی قد اكرم عباده وامنهم علیهم بعیدين مبارکین ، هما عید الفطر وعید الاضحیة ولكل منهما مميزات وخصائص یجب علی كل منا أن یتدبرها ویقبلها ویبدد الغایة من مشروعیتها فان الرسول صلوات الله علیه وسلاله یقول: « للصائم فرحتان ، فرحة حین یفطر ، وفرحة حین یلقى ربه » . ومما لاجدال فیہ أن المسلمین یتفقون فی جمیع انحاء العالم الاسلامی الفسیح ، علی فرحتهم بعیدهم ، مهما تباعدت اوطانهم وتباينت لغاتهم وثقافاتهم ، ویتفقون ایضا علی كثير من مظاهر هذه الفرحة ، لانهم جیما یتهلون من منهل واحد ویشربون من نبع واحد ، ویمانون فی رمضان تجربة واحدة ، هی تجربة القسدة وضبط النفس والاعتدال والتحكم فی دواعی المذات والشهوات وعدم التنبل ، ومن هذه التجربة ایضا الاحساس بالجوع وما یسببه للنفس من ألم ، فان هذا الألم یصهر النفس فی بوتقة الکمال ، ویسمو بها ویصلها ویجعلها طیمة کریمة تجود بما لديها فی سماحة ویر ، لكل هذا تقابلت وجهات نظر المسلمین جیما فی الاحتفال بالعید وجعلوه رمزا للصفاء وعنوانا للمحبة والمودة ، ونید الاحقاد والاضغان ، والالتقاء فیما بینهم علی مجال الامل الفسیح وعقد اواصر الصلة وتجديد روابط المحبة ، فیخرجون مهللین مكبرین یعانق البشر ویتهجونهم ، ویداعب الامل قلوبهم ویتهجون الى الله سبحانه وتعالی أن یلیسهم نوب الصحة والعافية ویجعلهم آمنین مطمئنین فی یر ورخاء ، ثم ینطلقون الى المحافل والنوادی والملاعب معبرین عن هذه الفرحة ، لان الشرع السکریم قد رخص لهم اللعب البری فی آیام العید .

فقد روى عن السیدة عائشة رضی الله عنها أن ابا بكر دخل علیها وعندها جارتان فی آیامنی فتنیان وقربان علی العود ، ورسول الله صلی الله علیه وسلم مسجی بثوبه فاتتھرهما ابو بكر ، فكتف رسول الله صلی الله علیه وسلم عنه وقال : « دعمما یا ابا بكر ، فانها آیام عید » .

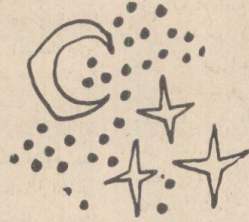
وقالت : « رأیت رسول الله صلی الله علیه وسلم یسترنی بردائه وأنا انظر الى الجیبة وهم یلعبون وأنا جارية » . فاذا عرفنا هذا عرفنا أن العید قد شرع لیحقق لونا من الراحة یتقصدہ الانسان الكادح فلا یجده ولینح الفرصة للتکافل الاجتماعی الذی تناسی الاغناء الاحساس به فتسركوا الفقراء یضلون فی متاعات البسوس والخمران ولیرسم البسمات علی شفاه تبحت عن السعادة فیعجزها العثور علیها .

ان مشروعیة العید نداء الى الناس بان الحیاة کفاح وعمل دائم ، ولیس ازل علی هذا من ان الله عز وجل قد جعل كلا من العیدین اللذین شرعهما فی كل عام عقب فریضة من فرائض الخمس وهما فریضة الصیام وفریضة الحج ، ففی کلنا هاتین الفریضتین جهادومثقة ، ویتجلی ذلك الجهاد وتلك المثقة فی مكابدة النفس وصیامها شهرا كاملا عن ملذات العیة وترفها ؛ ولهذا شرع عید الفطر للترویح والخروج بالنفس الى رحاب اوسع ، فهو بهذا شیهة بالأجازة التریعیة ما دامت فی نطاق العفلاوالدین ونلمس هذا واضحا فی عید الاضحی ، فاننا نرى ان الله سبحانه وتعالی قد تقبّل به علی المسلم بعد أن أمضى آیاما طويلة فی اداء مناسك الحج ، ولأنك انها تقوم علی كثير من مظاهر التشف والحرمان ، فلا اقل من أن يحتفل المسلم بالانتهاء منها متمثلا ذلك الاحتفال فی الافتسال والتطیب وارتداء الملابس ونحر الهدی وحرمة الصیام ، فهل یتسدر المسلمون تلك المعانی الجمیلة ویعرفون هذه القیم السامیة ، التي حثت بالشرع الحكیم أن یحث علی ضرورة توفیر التکافل الاجتماعی بین جمیع طبقات الامة من خلال هذه المعانی المشرقة وتلك الصور المضيئة .

حتى لا یكون هناك جانح ولا معرور ، ولا بائس ولا فقیر ، فی آیام العید ، وحتى لا یشعر الفقیر بالبعد الشاسع بیته و بین الفنی فی تلك الایام ، فتألف بذلك القلوب ، وتقتبط النفوس العیری ویتلقى المسلمون جیما علی بساط الود والحب والرحمة .. ان هذه الفلسفة الاسلامیة جیدرة بالبحث والتأمل لانها فلسفة السماء .

وقد انقضت رمضان

الاستاذ محمد حسن عبد العزيز



انقضت رمضان .. صمته
وقمناه .. مؤتمرين بأمر الله ..
طائعين له .. راغبين في التقرب
اليه .. راجين مثوبته ..

انقضت اعظم الشهور على الله ..
ذكر اسمه في كتابه دون سائر
الشهور .. وأنزل القرآن الكريم
فيه .. فكيف يكون قدره ؟ وقد
جعل الله من بين لياليه ليلة هي
خير من ألف شهر .. من قامها
ايامنا واحتسابا غفر له ما تقدم من
ذنبه .. ليلة التقدير والهداية
والتميز .. التي فرق فيها كل
أمر حكيم .. وفيها سمع صاحب
الرسالة عليه الصلاة والسلام أول
أمر من السماء « اقرأ » وان
الانسان خلق من علق ، وأنه علم
بالقلم ما لم يكن يعلم ، وأن الرسالة
بيان وانذاروسلام - يقول تعالى :
« انا أنزلناه في ليلة مباركة »
انا كنا منذرين » .

وليلة القدر بعيدة كل البعد
عما يتخيله المتخيلون من بقايا
الكهانة والسحر قبل الاسلام . من
أنها مسألة نظر ترى بالعين ..
ومسألة مصادفة وحظ .. من اتفق
له أن يراها فهو سعيد الحظ وقد
تم له ما يريد .

وقد جاء في بعض الروايات أن
كتبنا سماوية غير القرآن نزلت في
رمضان ، فمن قتادة عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال : « نزلت صحف
ابراهيم أول ليلة من رمضان ،
وأنزلت التوراة لست مضين من
رمضان ، والانجيل لثلاث عشرة
خلت ، والقرآن لأربع وعشرين من
رمضان » - والمرجح على ذلك أن
ليلة القدر تقع فيها ، ولو أن أشهر
الأقوال تحدث بأنها ليلة السابع
والعشرين - روى عن أحمد بإسناد

صحيح عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان متحريها فليتحرها ليلة السابع والعشرين » كما روى مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي وصححه عن أبي بن كعب أنه قال : « والله الذي لا اله الا هو انها لفي رمضان - يحلف ما يستثنى - والله اني لأعلم أي ليلة هي - هي الليلة التي أمرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقيامها .. هي ليلة سبع وعشرين وأما رتبها أن تطلع الشمس في صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها .

ويقول ابن مسعود نظرا لاختلاف المفسرين وعدم اتفاقهم على ليلة واحدة . « إن ليلة القدر تنتقل في ليالي السنة فتكون في كل ليلة لأن الليلة من شهر رمضان لا تعود في موسم واحد من السنة » .

انقضى رمضان .. فهل جنينا ثمرته ؟ ألا وهي التقوى .. وهي على أيجاز لفظها تشغل كل معاني الخير والبر .. بر الانسان بنفسه .. وبره بغيره .. ومراعاة لحدود الله .

ان رمضان الى رمضان ... كالصلاة الى الصلاة .. وصيامه تعويدا للمسلم على طاعة الله وخشيته فتتغرس عنده خلق المراقبة والعصبر ، وتتربى لديه ملكة الارادة فيملك زمام غرائزه ليكون في ذلك مثالا ينبغي أن يكون عليه بقية العام في الثبات على الصراط المستقيم .

وقد أوجب الله في رمضان زكاة الفطر ، طهرة للصائم ، فيما عسى

أن يكون وقع فيه من اللغو والرفث ، ولتكون عوناً للفقراء ، والمعوزين في سد حاجاتهم ، وهي غير زكاة المال .

والزكاة في الشرع عبارة عن مال مخصوص يؤخذ من مال مخصوص اذا بلغ قدرا مخصوصا في زمان مخصوص ليصرف في جهات مخصوصة . وسميت بذلك رجاء البركة وتزكية النفس وتنميتها بالخيرات . والكلمة مأخوذة من البناء والطهارة والبركة - يقول الله سبحانه وتعالى في سورة التوبة « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » ومن حيث هي عبادة يشترط في صحتها النية عند ادائها باعتبارها مفروضة .

والزكاة بصفة عامة سواء زكاة المال أو الفطر كانت الحكمة من فرضها علاوة على ما تقدم معالجة مشكلة اجتماعية هامة ألا وهي الفقر .

فالمجتمع البشري يتألف من طائفتين متباينتين ازاء مطالب الحياة وضرورات العيش . تعيش طائفة في رغد من العيش ، وأخرى تعيش في بؤس وفاقة ومظلمة .

وقد اجتهد بنو البشر منذ أقدم العصور في ابتداع حل لعلاج مشكلة الفقر انقاء الثورة الاجتماعية التي تنجم عنها .. واحساسا من الضمير الانساني أن لطبقة الفقراء على طبقة الأغنياء حق أظهرته الأديان السماوية في صورة الاحسان ، وكان أداؤه واجبا لا يرقى الى مرتبة الحق ، وترتب على ذلك ، اهمال الأغنياء للفقراء ، ولم تستطع الدولة أن تتدخل في الأمر لأن أداء الاحسان لم يكن ملزما

وغير محدد المقدار ، ولا مبين متى يجب عليه .. ومتى يجب ..

ويبين لنا القرآن الكريم أن الزكاة كانت مفروضة من قبل .. ففي زمن سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام « وهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين .. وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وآتوا الزكاة وكانوا لنا عابدين » .

وفي عهد سيدنا اسماعيل عليه السلام « وأذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادقا الوعد وكان رسولا نبيا . وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا » .

وعلى عهد سيدنا عيسى عليه السلام « وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا » .

الا أن تحديد مقدارها ومن تجب عليه : ومتى تجب .. كان متروكا لشعور الأغنياء ازاء الفقراء وغريزة حب المال .. والامساك عن بذله تسيطر على الناس .. فانصرفوا عنها بالتدريج .. وكانت النتيجة انهيار الفقير . ولم يتمكن المجتمع مع ذلك من كفالاته .

وأصبح الأمر اذن يحتم ضرورة إيجاد حل دقيق لعلاج المشكلة ؟

وكان الدين الاسلامي قد سطع على العالم نوره .. وأشرقت في الأرض عبادة التوحيد .. وتآلفت القلوب من بعد فرقة .. وأصبح الناس غير الناس .. وأخذ الدين الجديد يضع حلا للمشكلة بدفع المسلمين الى الاتفاق في سبيل الله .. دون تحديد لما ينفق تاركا تقدير ذلك الى شعورهم الديني

وتقديرهم لمسئوليتهم المشتركة ازاء الفقراء .

ويسأل المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم تحديد ما ينفقون ومصارفه وفي ذلك يحدثنا القرآن الكريم في سورة البقرة « ويسألونك ماذا ينفقون ؟ قل العفو » وفي آية أخرى « يسألونك ماذا ينفقون ؟ قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم » ولا تحديد .

وما أن كانت السنة الثانية للهجرة ، والإسلام قد اتسع نطاقه وقويت شوكته ، ونفوس المسلمين كانت قد تهيات الى قبول التحديد ، فنزل القرآن الكريم بفرض الزكاة وجعلها عبادة مالية تطهر المال من دنس البخل والشح والطمع ، والدناءة ، والقسوة ، وتزكية للنفس وتنميتها ، وترفعها بالخيرات ، والبركات ، وذلك بنصيب معلوم ، للسائل والمحروم ، يؤخذ من الأغنياء ، ليرد على الفقراء الذين عدد القرآن فئاتهم : يقول الله سبحانه وتعالى « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها

والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » ويبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم تنظيم الزكاة وتحديد ما على الوجه الذى يكفل صالح الفرد والجماعة .

فتفرض على الأموال الظاهرة كالزروع والتمر والماشية ، وغير الظاهرة - كالذهب والفضة

وعروض التجارة والنقد - وهي اجبارية تؤخذ على ما يزيد عن حاجة الانسان التى تكفل له المستوى المعقول من المعيشة .

وقد فرضت الزكاة بكتاب الله وسنة رسوله الكريم وباجماع الأمة ولاهيتها قرنت بالصلاة فى اثنتين وثمانين آية فى القرآن الكريم - وجعلت الركن الثالث من أركان الاسلام الخمسة - فمكرها كافر وجاحدها مرتد - وأن أبا بكر الصديق رضى الله عنه حارب مانعها مثلما حارب المرتدين عن الاسلام حتى فاءوا الى الحق . . وأخرجوها عن يدهم صاغرون . والأموال المزكاة أربعة :

(١) زكاة المواشى : وهى الابل والبقر والغنم :

فالابل : أول نصابها خمس ، وفيها الى تسع شاة - أى جذع من الضأن وهو ما أتى عليه أكثر السنة أوثنى من المعز وهى - ماله سنة - أو ثنيه من المعز . . فاذا بلغت الابل عشرا ففيها الى أربع عشرة شاتان ، وفى خمس عشرة الى تسع عشرة ثلاث شياه . وفى العشرين الى أربع وعشرين أربع شياه - فاذا بلغت ستا وثلاثين ففيها ابن لبون وهو الذى له سنتان ودخل ، فى الثالثة . .

وهكذا كلما تغيرت الزيادة تغيرت الزكاة . فاذا بلغت مائتين ففيها أحد فرضين . أما أربع حقائق ، أو خمس بنات لبون . وعلى هذا القياس فيما زاد فى كل

أربعين بنت لبون . وفى كل خمسين حقة « وهى التى لها ثلاث سنين ودخلت فى الرابعة » .

فالبقر : وأول نصابها ثلاثون وفيها تبيع - وهو ما له سنة - فاذا بلغت خمسين ففيها مسنة أنثى - وهى ما لها سنتان - وما زاد على الأربعين من البقر عند الشافعى - لا شئ فيها حتى تبلغ ستين ، ففيها تبيعان ، وفيما بعد الستين ، فى كل ثلاثين تبيع . . وفى كل أربعين مسنة . فيكون فى سبعين مسنة وتبيع - وفى ثمانين مسنتان . وفى تسعين ثلاثة أتبعه - وفى مائة تبيعان . ومسنة - وفى مائة وعشرة مسنتان . وفى مائة وعشرين أحد فرضين كالمائتين من الابل - اما أربعة أتبعه ، أو ثلاث مسنات .

ثم على هذا القياس فيما زاد . فى كل ثلاثين تبيع وفى كل أربعين مسنة .

وأما الغنم : فأول نصابها أربعون . وفيها الى مائة وعشرين شاة جذعة . فاذا صارت مائة واحد وعشرين ففيها شاتان الى مائتى شاة . فاذا صارت مائتى شاة وشاة ففيها ثلاث شياه الى أن تبلغ أربعمائة شاة . فاذا بلغت ففيها أربع شياه - ثم فى كل مائة تليفها بعد الاربعمائة شاة - ويضم الضأن الى المعز والجواميس الى البقر والبخاتى الى العراب . لأنها نوعان من جنس واحد . ولا يضم الابل الى البقر ولا البقر الى الغنم لاختلاف الجنس .

زكاة الواشي تجب بشرطين :

أولهما : أن تكون سائمة ترعى الكلاً فتقل مئونها ويتوفر وبرها ونسلها . فان كانت عاملة أو معلوفة لم تجب فيها زكاة . وأوجبها مالك كالسائمة .

ثانيهما : أن يحول عليها الحول الذي تستكمل فيه النسل - لقوله صلى الله عليه وسلم « لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول » . والسخال تزكى بحول أمهاتها اذا ولدت قبل الحول .

ولا زكاة في الخيل والبغال والحمير - وأوجب أبو حنيفة في اناك الخيل السائمة دينارا عن كل فرس .

٢) زكاة ثمار النخيل :

أوجبها أبو حنيفة عامة . وأوجبها الشافعي في ثمار النخل والكرم خاصة ولم يوجب في غيرها من جميع الفواكه . وزكاهما تجب بشرطين :

أولهما : بدو صلاحها . واستطابة أكلها . فليس على من قطعها قبل بدو الصلاح زكاة . ومن المستكره فعـل ذلك تهربا منها .

ثانيهما : أن تبلغ خمسة أوسق فلا زكاة فيها عند الشافعي ان كانت أقل من خمسة أوسق (والوسق ستون صاعا . والصاع خمسة أرتال وثلاث بالعراقي) . ويشترط تصفيتها من التبن والقشر فان تركت في قشرها - كالأرز مثلا - فيشترط أن تبلغ عشرة أوسق .

« فعن أبي هريرة . ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ليس

فيما دون خمسة أوسق صدقة » وأوجبها أبو حنيفة في القليل والكثير . ومنع من خرس الثمار على أهلها . وجوز الشافعي .

ولا يجوز خرس النخيل والكرم الا بعد بدو الصلاح .

والنصاب المقرر العشر . ان سقيت غربا أو سيبا - وهو الذي يجري فيه الماء ويسبح - ونصف العشر ، ان سقيت غربا أو نضحا - والغرب هو ما سقى بالدلاء والنواضح .

ويضم أنواع النخيل بعضها الى بعض . كذلك الكرم . ولا يضم أحدهما الى الآخر لاختلاف الجنس واذا صارت ثمار النخل أو الكرم تمرا . أو زبيبا لم تؤخذ زكاتها الا بعد تمام جفافها - واذا كانت مما لا يؤخذ الا رطبا أو عنباء أخذ عشر ثمن البيع اذا بيعا .

٣) زكاة الزروع :

وقد أوجب أبو حنيفة الزكاة في جميعها . وعند الشافعي لا تجب الزكاة الا فيما زرعه الأدميون قوتا مدخرا . ولا تجب عنده في البقول والخضر . ولا فيما لا يؤكل من القطن والكتان .

ولا فيما يزرعه الأدميون من نبات الأودية والجبات وهي « البر والشعير والأرز والأذرة . والباقلاء واللوبيا والحمص والعنبدس والدخن والجلبان) .

وتجب في الزرع بعد قوته واشتداده . ولا تؤخذ منه الا بعد دياسه وتصفيته اذا بلغ النصف منه خمسة أوساق . ولا زكاة فيما دونها .

وأوجبها أبو حنيفة في قليله وكثيره . واذا جز المالك زرعه بقلا أو فصيلا لم تجب زكاته - أما اذا ملك الذمي أرض عشر فزرعها فقد اختلف الفقهاء في حكمها . فعند الشافعي لا عشر فيها ولا خراج - وعند أبو حنيفة يوضع عليه الخراج ولا يسقط عنه باسلامه .

وقال أبو يوسف يؤخذ منها ضعف الصدقة المأخوذة من المسلم - فاذا أسلم سقط عنها مضاعفة الصدقة . وقال محمد بن الحسن وسفيان الثوري يؤخذ منها صدقة المسلم ولا تضاعف .

واذا زرع المسلم أرض خراج فعند الشافعي يؤخذ منه عشر الزرع مع خراج الأرض . وعند أبو حنيفة لا يجوز الجمع بينهما ويقتصر على الخراج وحده . فاذا استأجر أرض خراج فزرعها فالخراج على مؤجرها . والعشر على مستأجرها . وقال أبو حنيفة : عشر الزرع على المؤجر وكذلك المعمر .

٤) زكاة الذهب والفضة :

وزكاتها ربع العشر . لقوله صلى الله عليه وسلم « في الورق ربع العشر » .

ونصاب الذهب عشرون مثقالا بمثاقيل الاسلام وربع العشر فيه يساوى نصف مثقال - وفيما زاد بحسابه - ويستوى فيه خالصه ومطبوعه - ولا تضم الفضة الى الذهب - ونصاب كل منهما على حدة - وضم أبو حنيفة الاقل الى الأكثر وقومه بقيمة الأكثر - واذا اتجر بالدرهم تجب زكاتها . وربحهما تبع لهما اذا حال الحول

لوجوب زكاة الفضة والذهب بحلول الحول عليهما - وأسقط داود زكاة مال التجارة فشد بهذا القول عن الجماعة - وإذا اتخذ من الذهب والفضة حليا مباحا سقطت زكاته في أصح قسولي الشافعي * وهو مذهب مالك ووجب عند أبي حنيفة وهو أضعفهما - وتجب عند الجميع ان اتخذ منهما ما حظر من الحل والأواني *

واتفق العلماء على أنه لا زكاة في الماس والدر والياقوت واللؤلؤ - والزبرجد ونحوها من الأحجار الكريمة ، ألا اذا اتخذت للتجارة فتجب فيها الزكاة *

(٥) زكاة عروض التجارة :

ويقدر قيمة النصاب فيها بقيمتها من الدراهم والدنانير - ولا زكاة فيها ما لم تبلغ قيمتها مائتي درهم أو عشرين مثقالا من الذهب - ويقول أصحاب الظاهر : لا زكاة فيها أصلا *

وشرط وجوب الزكاة حولان الحول - وان تكون معدة للتجارة * وقال مالك : اذا باعها زكاهما لحول واحد وان مضى في ملكه أحوال - ويرى البعض غير قول مالك وأن نقصان النصاب في أثناء الحول لا يضر ان كمل النصاب في طرفين * لوجود سبب الزكاة وشرطه في كل حول * ولا معنى لتخصيص الحول الأول بالوجوب فيه - كالسوائم * والدراهم ، والدنانير ، ويرون أنه سواء أكان مال التجارة عروضاً أو عقاراً أو شيئاً مما يكال أو يوزن * لأن الوجوب في أحوال التجارة تعلق بالمعنى وهو المالية والقيمة * والأموال كلها في هذا المعنى جنس

واحد * ولذا يضم بعض أسوال التجارة الى البعض في تكميل النصاب *

وإذا كان تقدير النصاب في أموال التجارة بقيمتها من الذهب والفضة .. فلا بد من التقويم حتى يصرف مقدار النصاب - ثم بماذا تقوم ؟

ذكر القدوري في شرحه مختصر الكرخي « أن يقوم بأوفي القيمتين من الدراهم والدنانير - حتى اذا بلغت بالتقويم بالدراهم نصاباً ولم تبلغ بالدنانير » قومت بما تبلغ به النصاب - وكذلك روى عن أبي حنيفة في الأمالي انه يقومها بأنفع التقدين للفقراء - وعن أبي يوسف يقومها بما اشتراها به * وعند محمد بالنقد الغالب على كل حال *

وقد حددت الآية الكريمة مصارف الزكاة وسيلة لإعادة توزيع ثروة المجتمع * واقامة تكافل اجتماعي مثالي يحفظ التوازن بين الطبقات في ثمانية أوجه وهم :

(١) الفقراء : والفقير هو المحتاج المتعفف الذي لا يملك نصاب الزكاة ولو كان من حاجته الأصلية *

(٢) المساكين : وهم الذين قعد بهم العجز عن كسب ما يكفيهم وسكنت نفوسهم للرضا بالقليل عن مد كفاف الدليل *

(٣) العاملين عليهما : وهم الموظفون والعمال الذين تستخدمهم الدولة لخدمة مرافقها المختلفة ويتقاضون أجورهم ومرتباتهم من الزكاة باعتبارها المصدر الأول لموارد الدولة المالية *

(٤) والمؤلفة قلوبهم : وهم المرغوب في تقوية اسلامهم وتثبيتته

في قلوبهم أو كتب شرورهم عن الاسلام والمسلمين أو لترغيبهم في دخول الاسلام *

وهؤلاء سقطوا من مصارف الزكاة بعد أن قوى الاسلام وعز أخذوا بقول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه « كنا نؤلف حين كان الاسلام في ضعف * أما الآن وقد عز الاسلام وقويت شوكته فلا حاجة لنا الى التأليف »

ويرى بعض الأئمة ترك باب التأليف متروكا لتقدير الدولة ان رأت أن هناك حاجة الى التأليف

(٥) وفي الرقاب : وهم المكاتبون والأرقاء الذين منحهم الاسلام الحق في شراء أنفسهم من مسترققيهم وتدفع لهم الدولة من الزكاة ما يمكنهم من شراء حريتهم .. يعان المكاتبون لفك رقابهم من الرق ويشترى به العبيد ويعتقون - فعن البراء قال « جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دلى على عمل يقربنى من الجنة ويبعدنى من النار ؟ فقال : « اعتق السمة ، وفك الرقبة - فقال : « يا رسول الله أو ليسا واحدا ؟ قال : لا - عتق الرقبة أن تنفرد بعقتها - وفك الرقبة أن تعين بشئها » رواه أحمد والدارقطني ، ورجاله ثقات *

(٦) الفارمون : وهم الذين تحملوا الديون وتقدر عليهم أداؤها فمن تحمل حمالة - ما يتحملة الانسان ويلتزمه في ذمته بالاستئذنة ليدفعه في اصلاح ذات البين - أو ضمن ديناً فلزمه - فأجحف بماله أو استدان لحاجته

الى الاستدانة ، ومنه تاج : من معصية ، فلهم أن يأخذوا من الصدقة ما يفي بديونهم . عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تحل المسألة الا لثلاث - لدى فقر مدقع . أو لدى غرم مقطع . أو لدى دم موجع »

وفي سبيل الله : وهم المتطوعون من الغزاة في سبيل الله وليس لهم مرتب من الدولة سواء أكانوا أغنياء أم فقراء ، عملا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا تحل الصدقة لغنى الا لخمسة : الغازي في سبيل الله ، الخ »

وابن السبيل : المسافر المنقطع عن بلده الذي لم يتيسر له شيء من ماله لفقره العارض يعطى من الصدقة ما يعينه على تحقيق مقصده .

واشترط في السفر أن يكون في طاعة أو في غير معصية .

واختلف في السفر المباح .

ف عند الشافعية يستحق حتى لو كان سفره للتفرج والتنزه ، ولو وجد من يقرضه كفايته ولو كان له ببلده من المال ما يقضى به دينه . هو عندهم على قسمين :

١ - من ينشئ سفرا من بلد يقيم به ولو كان وطنه .

٢ - غريب مسافر يجتاز البلد .

وعند مالك وأحمد . المجتاز دون المنشئ . ولا يعطى اذا وجد من يقرضه ولو كان له ببلده مال يقضى به دينه ، ويعطى اذا لم يجد

من يقرضه . أو لم يكن له ببلده مال يقضى منه قرضه .

وقد أخذ الغرب عن الاسلام نظام الزكاة بفرض ضريبة اجتماعية للقضاء على الفقر في المجتمع . فصدر في إنجلترا في سنة ١٦٠١ « قانون الفقراء » ومن الملاحظ عند النظر الى هذا القانون أن التشريع الاسلامي حيث اقتبس منه مبادئه الاساسية لفريضة الزكاة . كما أخذت الولايات المتحدة فيما بعد بهذه الضريبة أيضا .

ولما لم تستطع فريضة زكاة المال من حل المشكلة ، اتجه الاسلام الى فرض نوع آخر من الزكاة ، وهو صدقة الفطر التي فرضت في شهر شعبان من السنة الثانية للهجرة .

وتجب على كل فرد من المسلمين صغيرا أو كبيرا . ذكرا أو أنثى . الحر . أو العبد . المالك لمقدار صاع يزيد عن قوته وقوت عياله . يوما وليلة عند مالك والشافعي . وأحمد . قال الشوكاني : وهذا

هو الحق ، وعند الأحناف لا بد من ملك النصاب صاعا من التمر . أو من الشعير ، أو القمح ، أو الزبيب ، أو الأرز ، أو الأذرة ، أو نحو ذلك مما يعد قوتا - « والصاع أربعة امداد . والمد حفنة بكفى الرجل المعتدل الكفين ، ويساوى قدحا وثلاث أو قدحين . من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات .

وجوز أبو حنيفة اخراج القيمة :

وتؤدي في آخر رمضان واختلف في تحديد الوقت . فقال الثوري ، وأحمد وإسحاق والشافعي في الجديد واحدى الرويتين عن مالك ! ان وقت وجوبها غروب الشمس ليلة الفطر وقال أبو حنيفة والليث والشافعي في القديم والرواية الثمانية عن مالك أن وقت وجوبها طلوع الفجر من يوم العيد .

والمولود الذي يولد قبل الفجر من يوم العيد وبعد مغيب الشمس لا تجب عليه على القول الأول : وتجب على القول الثاني .

ومن المستحسن تعجيل صدقة الفطر قبل العيد بيوم أو يومين وتوزع على الأصناف الثمانية المذكورة في الآية الكريمة « انما الصدقات للفقراء الخ » وان كان الفقراء هم أولى الناس بزكاة الفطر - تأسيسا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أغنوهم في هذا اليوم » وفي رواية للبيهقي « أغنوهم عن طواف هذا اليوم » .

ان صيام رمضان يعلق بين السماء والأرض لا يرتفع الى السماء الا بزكاة الفطر ، والزكاة غير الضرائب التي تفرضها الحكومة - وفقا لما تقتضيه المصالح والمشاريع التي تعود على المجتمع غنيه وفقيره .

انقضى رمضان . صمنا . وقمنا . وتطهرنا بالزكاة مما قد يكون عن صيامنا من اللغو والرفث .

انقضى رمضان . والناس ساهرين في استكمال العيد .

وما ان ينبثق في الأفق الضوء يبعث أشعته الفضية ليبدد ظلام الليل حتى يعلو في أرجاء العالم صوتا يبدو خافتا يهز الكون هذا يقطع السكون ويرسل في القلوب فرحة ورحبة • وخشوعا •

(الله أكبر • الله أكبر • لا اله الا الله وحده • صدق وعده • ونصر عبده • وأعز جنده • وهزم الأحزاب وحده • لا اله الا الله • ولا نعبد الا اياه • مخلصين له الدين حنفاء • ولو كره الكافرون •

اللهم صلى على سيدنا محمد • وعلى آل سيدنا محمد • وعلى أزواج سيدنا محمد • وعلى أصحاب سيدنا محمد • وعلى ذرية سيدنا محمد • وسلم تسليما كبيرا • ويخف المسلمون الى المساجد فرحين مستبشرين - مرددين النداء • ويعلو الصوت شيئا فشيئا •

وتهجر الطيور أوكارها مستقبلة النهار الجديد • بتسبيحة الصباح • ونسيم الفجر بنعش الفؤاد • وابتهاج المصلين يشرح الصدور • ويحرك المشاعر • وما يزال النداء يتردد على السنة المسلمين الذاهبين الى المساجد لينضموا الى اخوانهم المرددين بداخلها •

وتهب الشمس تقطع رحلتها الأبدية • فترسل أشعتها الذهبية على الوجود فتزيده ضياءا على ضياء • وما أن تبلغ رمحين ارتفاعا في كبد السماء • وإذا بالصوت يسكن • ويبدأ أئمة المساجد صلاة العيد في ركعتين بلا أذان ولا اقامة ويرتقون المنابر

بعدها لارشاد المسلمين الى ما يجب أن يكون عليه المسلمون في يوم العيد وذلك في خطبتين خفيفتين تفتتحان بالتكبير في الأولى تسعا وفي الثانية سبعا • وتختتم الخطبة الثانية بقول الله سبحانه وتعالى « سبحان ربك رب العزة عما يصفون • وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين » • وتعود الأصوات عالية تردد النداء من جديد وينتشر المصلون في الأرض عائدین الى منازلهم يتبادلون تحية العيد (كل عام وانتم بخير)

وصلاة العيد سنة مؤكدة على كل مسلم تجب عليه الصلاة •

ولا صلاة قبلها ولا بعدها على أصح الآراء • فعن جابر رضي الله عنه • قال : شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة يوم العيد • فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا اقامة • وعن ابن عباس رضي الله عنه قال « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوم أضحى أو فطر فصلى ركعتين لم يصل قبلها ولا بعدها »

وقد عرفت المجتمعات الانسانية الأعياد مظهرا اجتماعيا يعبر عن جانب من شخصيتها •

كما أن الأعياد مظهر من مظاهر الدين أو للتعبير عن حدث من الأحداث الهامة في تاريخ الأمم •

وقد عرفها العرب في الجاهلية • فعن أنس رضي الله عنه قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما • فقال : « ما هذان اليومان » قالوا يارسول الله كنا

نلعب فيهما في الجاهلية • فقال صلى الله عليه وسلم « ان الله قد أبدلكم خيرا منها • يوم الاضحى ويوم الفطر » •

اما عيدهم فكانوا يحتفلون به : بشرب الخمر • واللب • وضرب النار • والتفاخر بالاحساب والانساب •

وأما عيدنا • فسماحة • وتبلى • وفضل • وهداية • وإيمان • وأمر بالمعروف • ونهى عن المنكر • وتأزر وتماطف وتراحم وتصدق بالصدقات • وزيارة للمقابر • وطلب الرحمة لآخواننا الأموات •

قال صلى الله عليه وسلم « اذا كانت غداة الفطر • يبعث الله ملائكته • فيقومون على أفواه السكك ينادون بصوت يسمعه جميع الخلائق • أخرجوا الى رب كريم • يغفر الذنب العظيم • فاذا برزوا الى المصلى • يقول الله تعالى يا ملائكتي • ما جزاء الاجير اذا عمل عمله • فتقول الملائكة : الهنا وسيدنا • جزاؤه أن يوفى أجره • فيقول تعالى يا ملائكتي • أشهدكم أني جعلت ثوابهم من صيامهم وقيامهم رضاي ومغفرتي • يا عبادي سلوني • فوعزتي • وجلالي لا تسألوني اليوم في جمعكم هذا شيئا لاخرتكم الا أعطيتكم ولا شيئا لديناكم • الا نظرت اليكم • وعزتي وجلالي لاسترن عيوبكم • ولا أفضحكم • ولا أخزيكم • انصرفوا مغفورين • فقد أرضيتهموني • فرضيت عنكم »

أعاد الله على الأمة الإسلامية بركات هذا العيد •

وآمنها من سطوة يوم الوعيد انه سميع مجيب •

التاريخ الإسلامي

الخبر

الاستاذ عبد الحميد السيوفى

وفزارة . وأشجع . وسليما .
وبنى سعد .

٣ - وفى الموعد المضروب
تجهزت قريش واتباعها ..
وخرجوا يحمل لواءهم عثمان بن
طلحة .. وقادوا معهم ثلاثمائة
فرس ، وكان معهم ألف
 وخمسمائة بعير .. وقائدهم
أبو سفيان بن حرب .. ووافتهم
بنو سليم - وهم سبعمائة -
وخرجت معهم بنو أسد ..
وخرجت فزارة فأوعبت وهم
ألفا بعير ، وخرجت أشجع
وهم أربعمائة .. وخرجت بنو
مرة .. فكان هؤلاء الذين
سماهم الله الأحزاب عشرة
آلاف مقاتل فى أكمل سلاح
وأوفى عدة .. قسموا أنفسهم
ثلاث عساكر ، وعناج الأمر
(القيادة العليا) الى أبى سفيان .

وهكذا وجدت مدينة رسول
الله نفسها أمام هجوم عام لم
تعرض لمثله من قبل ، ثم ان
فريقا من اليهود (بنى قريظة)
كانوا ما يزالون يساكنون
المسلمين المدينة ، وهم من قد
علمت الناس (عراقتهم) فى

١ - فى السنة الخامسة من هجرة رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - كانت الدولة الاسلامية فى يشرب تزداد قوة
يوما بعد يوم ، وبخاصة بعد النصر المذهل الذى أحرزته يوم
بدر .. ولم تكن هزيمة أحد - بعد - غير كابوس مزعج ،
سرعان ما أفاقت منه الدولة الناشئة فلم تستحل بهراة
الهزيمة فيه شيئا هزيلا ، بل خرجت منه بدرسه وعبرته ..
فكانت أصلب صلابة .. وأشد عودا .

جميع قبائلهم ، وتكون نتيجتها
- وهو مرادهم الأعظم - القضاء
على الدولة الاسلامية .. فذهب
وفد من كبارهم يطوف بأنحاء
الجزيرة كلها يفرهم بحرب
رسول الله .. فبدأ بقريش
يحرصها ويعطيها المواعيد
بالنصرة حتى نشطت قريش
لما دعواهم اليه من حرب رسول
الله وأجمعوا لذلك واتعدوا له .
ثم قصد وفد الحرب من يهود
الى غطفان من قيس عيلان ..
واستمالوهم بالمال : بأن لهم
نصف ثمر خيبر .. وبعدها راح
وفد الحرب يتم جولته فى أنحاء
الجزيرة يحزبها على حرب رسول
الله والمسلمين ، فأتوا بنى مرة .

وكانت قريش قد نهكتها
الحرب وتوالت عليها - بسبب
الحصار القوى الذى فرضه
رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - على اقتصادها - أيام
عجاف ، أكلت أكثر مالهم ..
حتى أنهم بدأوا يعيدون النظر
فى موروثاتهم الاعتقادية ..
ويسألون من يحسبونهم أهل
الذكر : أديننا خير أم دين
محمد ؟

٢ - .. ولكن اليهود موقدة
الحرب - بعد أن أجلى رسول الله
منهم بنى قينقاع والنضير ..
وتمركزوا فى خيبر - أرادوا أن
تتفانى العرب بحرب عامة تضم

عفوه أرجائه

الخيانة .. فكيف تصرف القائد الملهم والنبي الأعظم .. أمام هذا الخطر الداهم .. والخطب الآتي ؟

٤ - أقبل على أصحابه يستشيرهم :

والمشورة من القائد البصير ليست استشارة بالأراء وكفى ، بل هي كذلك مسبار لمدى ما لدى الناس من طاقات الصمود والمقاومة وكشف عن خوالج نفوسهم ، ومقباس صادق لعتادهم الروحي .. ثم هي بعد حافز قوى لهم ، وصوت بعيد المدى يعطى الأنفس شحنة من المعانى الكبار ، فالامر امرهم .. والمسئولية لا ينفرد بها أحد .. فليختر امرؤ لنفسه .

وبعد فترة من الصمت ينطلق صوت هادئ يقول : يا رسول الله ، انا كنا بفارس اذا حوصرنا خندقنا .. وتفارس رسول الله فى وجوه أصحابه فقرا فيها الارتياح لفكرة سلمان الفارسى ، فوجه امره بحفر الخندق . ولكن هل كان حفر الخندق خطة دفاعية وحسب ؟

ان العرب - ولا ريب - لم تعرف هذه الخطة من قبل .. ثم هي فكرة قد تابعا فروسيتهم التى تؤثر المواجهة على الاحتماء ، وفتخر بمقارعه الابطال .. وترى فى الفراغ عار الدهر .. ولكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اراد أن يدفع عن أمته سطوة هذا الهجوم ، أو كما قال هو فى رواية ابن اسحاق ، « .. رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، وكالبوكم من كل جانب ، فاردت أن اكسر عنكم من شوكتهم لأمري ما ساعة .. » هذه واحدة .. والأخرى أن يكون هذا الخندق برهانا ماديا ان دعوته صلوات الله عليه ليس قصاراها تحقيق مجد حربي .. فالحرب وارقة الدماء عنده ضرورة ، فاذا كان له مندوحة عنها . ولم تقم فى وجه دعوته حواجز تصدها .. فهو يؤثر السلام لا ريب ..

٥ - وخط رسول الله الخندق ييده ، وبدأ المسلمون فى الحفر ١٩٦٥

وها هنا نقاط ثلاث تعيننا على تصور العمل (المعجز) الذى قام به المسلمون فى حفر الخندق . هي : طول الخندق واتساعه وعمقه .. والظروف التى اظلت المسلمين وقت الحفر ثم المدة التى انجزوا فيها حفر الخندق .

لقد كان الخندق يشمل الجهة الشمالية من المدينة مما يلى الشرق ، لانها الناحية التى يسهل منها الهجوم .. فالمدينة من الشرق والغرب والجنوب

حرات مرتفعة ، يصعب على المهاجم أن يهاجم من ناحيتها ، على حين يسهل الدفاع عنها .. ولذلك وكل رسول الله بكل جانب من الخندق قوما وجعله أربعين ذراعا بين كل عشيرة .

أما اتساعه وعمقه فيصوره أقرب تصوير ما حدث عندما خرجت طائفة من فرسان قریش أمثال عمرو بن عبد ود وعكرمة ابن أبى جهل وأضربها لبيدوا بمبارزة المسلمين ، ففاجأهم الخندق ، ولم يستطيعوا العبور منه « حتى تيمموا مكانا ضيقا ، وضربوا خيولهم فاقترحت منه » ومع قصدهم الى هذا المكان الضيق من الخندق ، فإن أحد فرسانهم تردى فيه ولم يستطع الخروج منه .. فبين - اذن - أن اضيق مكان فى الخندق كأنه أعرض من مجال فقرة الجواد الأصيل يقود عنائه فارس مدرب ثم هو أعمق من أن يستطيع رجل الخروج منه وحده ..

ثم ان الظروف التى تم فيها حفر الخندق كانت قاسية من كل جانب : فالأرض التى يحفرون فيها لم تكن سهلة كلها بل كان منها صخرية تكسر الفؤوس ويعبى بحطمها أشداء الرجال من أمثال سلمان الفارسى .. والجو الذى كان يظلمهم بارد غاية البرودة ، يبين ذلك من حديث أنس بن مالك الذى رواه البخارى « .. فاذا المهاجرون

والانصار يحقرون في غداة باردة فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم ، « وبين ذلك من هذا الحديث أن عمل الحفر لم يكن مما يمارسه المحاربون أصلاً ، فاذا أضيف أن المسلمين آنذاك كانوا يعيشون في فاقة ومسغبة حتى يقول جابر بن عبد الله : « ولبثنا ثلاثة أيام لا ندوق ذواقاً » ، وأنهم يؤتون بملء كفى من الشعر ، فيصنع لهم باهالة سنخة - دسم زنج - توضع بين يدي القوم ، والقوم جيعاء ، وهي بشعة في الحلق ، ولها ريح منتن » .

فاذا علمت بعد أن المسلمين - في هذه الظروف القاسية - قد أمثروا هذا العمل الناصب في ستة أيام ، علمت أي أمة كانت ، وأي معين من الإيمان والصبر تستنبط منه هذه الأمة قوى تأتي بالمعجزات .

٦ - ومع العمل الشاق دائماً تكون الأهازيج والأرجاز ، فهي بما فيها من التسلية عون على التحمل ، لأنها تنقل مراكز التنبيه في الإنسان إلى شيء غير التفكير في التعب والألم .

روى البيهقي في الدلائل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - كان أول النصاريين في الخندق بيده ، وقال :

بسم الله وبه هدينا
ولو عبدنا غيره شقينا
يا حيذا ربنا وحب ديننا

وروى البخاري عن البراء ابن عازب قال : « رأيت - صلى الله عليه وسلم - ينقل من تراب الخندق ، حتى وارى عنى التراب جلدة بطنه - وكان كثير الشعر - فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة وهو ينقل من التراب يقول :

والله لولا أنت ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فانزلن سكينتنا علينا
وثبت الأقدام ان لاقينا
ان الألى قد بقوا علينا
اذا أرادوا فتنة أبينا
قال: ثم يمد صوته بأخرها «

ومد الصوت بأخرها تفسره الرواية الأخرى « ورفع يهيا صوته : أبينا أبينا » .

وكان هذا التكرار بصوت مرتفع لآباء الفتنة هو الكلمة التي يبثها رسول الله أصحابه ، يسعر بها حماسهم ، ويستثير لها حميتهم ، فيأتيه جوابهم في هتاف جماعي موقع :

نحن الذين بايعوا محمدا
على الاسلام ما بقينا أبدا
ثم يرددونها مرة ثانية :

نحن الذين بايعوا محمدا
على الجهاد ما بقينا أبدا

وهكذا تسمو الأنفس ، فتسمو أغانيها .. ولا تهبط بها التسلية إلى قول ساقط ، أو لفظ مرذول أو نفم خليع .. ولقد حدث في

أثناء حفر الخندق أن انتقلت أهازيجهم إلى التسلية فقط ، فارتجزوا برجل من المسلمين كان يسمى « جعيلاً » فسماه رسول الله « عمراً » فقالوا :

سماه من بعد جعيل عمراً
وكان للبأس يوماً ظهراً

فلم ينس صاحب الرسالة - صلوات الله عليه - وسط هذا الزحام من العمل والترقب - أن يلفتهم إلى المعين الذي يستنبطون منه أهازيجهم ، فقال « لا يقضب اليوم أحد من شيء ارتجز به ، ما لم يقل قول كعب أو حسان ، فانهما يجدان من ذلك قولاً كبيراً » ، ونهاهما أن يقولوا شيئاً يحفظان به أحداً » .

٧ - وتم حفر الخندق ، وتمت نعمة الله على رسوله وعلى المؤمنين ، قال تعالى : « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً » . ولم استرسل في ذكر غزاة الأحزاب ، فربما وجدت ما يفنيك في غير هذا المقال ، ولكني رايت في هذا الجانب غناء وعبرة .. ولنا في رسول الله الأسوة والقوة ، وفي أصحابه العبرة والمثل ، ولنا بعد من أمداد الإيمان ما لا يملكه عدونا ، ومن عتاد الصبر والتقوى ما يستنزل به جنودنا لا يعلمها غيره .. « واذكروا اذ أتتكم قلائل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس ، فاواقموا يدكم بنصره » .

يوم اليرموك

فضيلة الشيخ
محمد سيد جاد الحق

بمهلكم ، فهذا يوم له ما بعده ولا تقاوتوا
قوما على نظام وتعبئة وأنتم على تساند
وانتشار فان ذلك لا يحل ولا ينبغي
وان من وراءكم لو يعلم علمكم حال بينكم
وبين هذا . فاعملوا فيما لم تؤمروا به
بالذي ترون انه الراى من واليكم
ومحبته .

قالوا : فما الراى ؟

قال : ان الذى انتم عليه أشد على
المسلمين مما غشيهم وأنفع للمشركين
من امدادهم ، ولقد علمت أن الدنيا
فرقت بينكم فالله الله فقد افرد كل
رجل منكم ببلد لا ينقصه منه ان دان
لقيره من الامراء ولا يزيده عليه ان دانوا
له . ان تأمير بعضكم لا ينقصكم عند
الله ولا عند خليفة رسول الله . هلموا
فان هؤلاء قد تهاؤوا وان هذا يوم له
ما بعده ان رددناهم الى خندقهم اليوم
لم نزل نردهم وان هزمونا لم نصلح
بعدها هلموا فلنتجاوز الامارة فليكن
بعضنا اليوم والآخر غدا ، والآخر بعد
غد حتى تتامروا كلكم ودعوني أتامر
اليوم .

الاستجابة لدعوة خالد

ولم يتردد القوم في اجابة خالد الى
ما طلب بعد ان سمعوا كلامه وانتشرت
دعوة خالد في الصكر وجعل الجند
يتناقلونها ، فاهبت النفوس حميمة

هو يوم من أيام الله الخالدة التى
خس فيها الشرك واستخفت فيه جحافل
الباطل وذل فيه البهتان . واليرموك
نهر بناحية الشام في طرف القصور الذى
يسبى في نهر الأردن ثم يمضى الى البحيرة
المتينة وعلى طرف هذا النهر دارت
رحى الحرب بين المسلمين والروم في
أيام أبى بكر الصديق رضى الله عنه
حين جمع هرقل جموعه من شواذ الارض
في مائتى ألف محارب ولى عليهم رجلا
من خاصته فجعل على مقدمة جيشه
جيلة بن الايهم النفسانى تقديرا منه
لشجاعته واقدامه في الحروب .

وكان جيش المسلمين في أديسة
وعشرين ألفا على كل جماعة أمير ..
فابو عبيدة على فريق ، ويزيد بن أبى
سفيان على آخر ، وشرحبيل بن حسنة
على جماعة ، وعمرو بن العاص على
طائفة .. ورأى ابو بكر الصديق رضى
الله عنه أن يمد الجيش بخالد بن الوليد
وحين جاء خالد وجدهم يقاوتون الروم
متساندين ، ورأى جموع الروم تزحف
فى صفوف متلاحقة كالوجع الغاضب .

خالد يوجه وصية الى الجيش

ووقف خالد بن الوليد فى صفوف
المسلمين يقول : ان هذا يوم من أيام
الله لا ينبغي فيه الفخر ولا البغى
فأخلصوا جهادكم وتوجهوا لله تعالى



وأبقت في القلوب الشوق إلى الاستشهاد بل لقد تكررت على كل اللسان كلمة « إنما تكثر الجنود بالنصر وتقتل بالذل » ، وذكروا جميعا غزواته وذكروا قبلها غزوات الرسول . . . وكيف لا يذكرونها وبينهم ألف رجل من أصحاب رسول الله ، منهم مائة من أهل بدر وخالد بن الوليد هذا ليس هو الذي دوخ الفرس وحطم جيوشهم ؟! . فالنصر إذن آت لا محالة . . . » ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

ومالهم لا يؤمنون خالد وهذه المعركة لا ريب تطول وهون عليهم ما بلغهم من تجهز الروم أن يدعوا خالدا يتلقى الصدعة الأولى لأنه قد عرض نفسه لها وما كان لاحد منهم أن ينكر على خالد مقدرة الحربية وشدة بأسه في النزال .

هزيمة الروم

والتقى الجمعان ورأى خالد فيلق الروم يرتد فامر الجيش كله بالتقدم فاذا الروم يلقيه بهجوم ليس دون هجومه عثا ، هنالك أبقي المسلمون أن لا مغرلهم من الفناء الا بالنصر فاذا دوا بالله ايمانا وزاد الايمان هجومهم قسوة واندفع ابن الوليد في مقدمتهم يهوى سيفه على عنقه فيخطف ارواحهم خلفا وبلغت الحماسة بالمسلمين مبلغها حتى شارك الرجال النساء فكانت لجورية ابنة أبي سفيان مواقف تعيد إلى الذاكرة موقف أمها هند في غزوة أحد .

ويحدثنا التاريخ أن نساء المسلمين قاتلن في يوم اليرموك قتالا شديدا وأبلن بلاء حسنا حتى كانت هند بنت عتبة أم معاوية بن أبي سفيان تردد كلمتها المشهورة « عضدوا الفلمان بسيفكم » وكان زوجها أبو سفيان رضى الله عنهم قد خرج إلى الشام تطوعا وحملها معه ثم فرج المدينة فمات بها سنة واحد وتلاثين عن ثمان وثمانين عاما وحين جاء ابنه أم حبيبة نفيه دعت في اليوم الثالث بعفرة فسحقت بها ذراعيها وعارضتها وقالت لقد كنت عن هذا غنية لولا أنى سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا تحد امرأة على ميت سوى زوجها أكثر من ثلاث .

وكان أبو سفيان بن حرب أحد العوران ذهبت عينه يوم الطائف وعين الأشعث ابن قيس يوم اليرموك وعين هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري - وهو المرقال - وعين قيس بن المشكوح .

واستشهد عامر بن أبي وقاص الزهري وهو الذي كان قدم الشام بكتاب عمر ابن الخطاب إلى أبي عبيدة بولاية الشام .

موت أبي بكر وخلافة عمر

وبينما المسلمون يقتلون من الروم ويأسرون جاء البريد بموت الخليفة أبي بكر الصديق رضى الله عنه وخلافة عمر بن الخطاب كله وعزل خالد بن الوليد فاخذ الكتاب منه وتركه في مكانه ووكل به من يمنع أن يخبر الناس بالامر خلا يصفعوا ، ثم دخل على أبي عبيدة وسلم عليه بالإمارة وهو منشراح الصدر راضى النفس شأن النفوس الكبيرة التي تنظر إلى معالي الأمور وتقدير مصلحتها المسلمين معرضة عن بغية النفس وغاياتها .

ولقد كانت تلك الوقعة التاريخية من أعظم الفتوح الإسلامية وباب لما جاء بعدها من فتوح لأن الروم جمعوا فيها خيرة قوادهم وأعظم جنودهم فلمسا كسروا ضعفوا فدخلت هيئة المسلمين في قلوبهم حتى كانوا يفزعون من سماع اسمائهم .

وفي تلك الواقعة يقول القفقاس بن عمرو في أبيات :
بدانا بجمع الصفرين فلم ندع
للسان أنفا فوق تلك المناخر
صبيحة صاح الحصاران ومن به
سوى نفر نجتدهم بالبوأر
وجئنا إلى بصرى وبصرى مقيمة
فالتقينا بالبحشا والمناذر
فضفصنا بها أبوابها ثم قابلت
بنا العيس في اليرموك جمع المشائر
وعقد أبو عبيدة لحبيب بن مسلمة
الفهري على خيل الطلب فجعل يقتل
من أدرك واتحاذ بيلة بن الإيهيم إلى
الانصار فقال : انتم اخوتنا وبنو أبنينا
وأظهر الاسلام فلما قدم عمر بالانقصاص

منه قال : أو عينه مثل عيني والله لا أقيم ببلد على به سلطان .

فدخل بلاد الروم مرندا ، وكان جبلة ملك غسان بعد الحارث بن أبي شمر ، وقدم جبلة وهو على نصرانيته على عمر فعرض عليه الاسلام واداء الصدقة فأبى ذلك وقال « أقيم على ديني وأؤدي الصدقة » .

فقال عمر : ان أقمت على دينك فاد الجزية . فانف منها ، فقال عمر : ما عندنا لك الا واحدة من ثلاث : اما الاسلام واما الجزية ، واما اللهاب إلى حيث شئت . فدخل بلاد الروم في ثلاثين ألفا فلما بلغ ذلك عمر ندم .

معاناة عبادة بن الصامت لعمر

وعاتب عبادة بن الصامت عمر فقال له لو قبلت منه الصدقة ثم تالفته لاسلم ووجه عمر رضى الله عنه في سنة واحد وعشرين عمير بن سعد الأنصاري إلى بلاد الروم في جيش عظيم وولاه الصائفة ولجيلة بن الإيهيم ويستعطفه بالقرابة بينهما ويدعوه إلى الرجوع إلى بلاد الاسلام على أن يؤدي ما كان بطل من الصدقة ويقيم على دينه ، فسار عمير حتى دخل بلاد الروم وعرض على جبلة ما امره به عمر بعرضه عليه فأبى الا المقام في بلاد الروم .

الفتح حليف الصبر

وهكذا تنتهى مقصة اليرموك التي كان النصر فيها حليف المسلمين لثباتهم واستجابتهم لقائدهم مع قلتهم وكثرة عدوهم كما فتح على الأحرار في الجنوب العربى الذين ظلوا في صراع مرير مع القوات البريطانية مدة مائة وتسعة وعشرين عاما ، ولكنهم مع طول الزمن وقسوة الكفاح اشتد ساعدتهم وقوى بأسهم فلم تزدهم الأحداث الا صلابة وشدة حتى تم لهم النصر الذى تحدثت عنه الدنيا في جميع أرجائها ، وولدت جمهورية جديدة ستكون يدا قوية في ركب العرب الزاحف إلى الامام وهى باكورة خير تبشر بان الصمود في وجه الباطل لا يد أن ياتي بنصر الحق مهما طال الزمن .

المعز رسياته في خلافته

انتداز

عبدالله السبيعي

رأينا أن الخليفة المستعين أحمد بن المعتصم بن الرشيد تولى الخلافة بعد المنتصر ، وبويع له بها في اليوم الذي توفي فيه المنتصر وهو خامس ربيع الآخر سنة ٢٤٨ هجرية ولم يزل خليفة إلى أن خلع يوم ٤ محرم سنة ٢٥٢ هجرية .. وغيب خلعهم بوبع للمعز بن المتوكل ابن المعتصم الذي كان قد حبس بأمر من المستعين عند توليه الخلافة ، وتولاها وعمره تسع عشر سنة ، ولم يل خلافة قبله أحد أصغر منه ، ولم يزل واليا إلى أن خلع ثلاث بقين من رجب سنة ٢٥٥ ، فكانت مدة خلافته بعد خلع المستعين ثلاثة سنوات وستة أشهر وثلاثة وعشرين يوما .. وقد رأينا في عهد من سبقه من الخلفاء مدى تغفل الأتراك في الدولة ، وتوليهم مقاليد الأمور الرئيسية فيها ، وقد استمرت هذه الظاهرة موجودة في عهد المعز ، وأصبح عدهم كثيرا في العاصمة والولايات ، وكانوا يستحوذون على أكثر موارد الدولة وإذا تأخر عطاؤهم أهدأوا الشعب والفتن . فيقدر ما كان أبناء الدولة الإصليون يعيشون العيشة المتوسطة كإبن الأتراك يتمتعون بخيرات البلد ، ويرفلون في حلل الرفاهية والنعمة ..

ولاحظ هذه الظاهرة المعز فأراد أن يصحح الأوضاع ، وأن يضع حدا لهذا التنافس ، فأمر باحضار جماعتين أولى العقل - والبصر بالأمور ، ممن كملت عقولهم بالشورة ، وعرض عليهم ما وصل إليه أمر الأتراك من شدة النفوذ وطلب منهم الرأي في كيفية معالجة هذا الوضع ، إلا أن الأتراك كانوا قد تغفلوا في جسم الدولة ، وأصبح شأنهم خطيرا ، ولا أدل على ذلك من أنهم كانوا يتدخلون في تولي الخلفاء الخلافة وكان لهم رأي في عزلهم عنها ، بسل كانوا يدبرون ذلك ، ويشاركون في تنفيذه وحدث في أول خلافة المعز أن كتب يعزل قائد من أكبر قواد الأتراك ، واسمهما وصيف ، وبغا ، لأنهما كانا من الذين ساعدوا المستعين في خلافته ، وكان هذا الكتاب مرسل إلى محمد بن طاهر أمير بغداد ، فبلغهما ذلك ، فجاءا إلى محمد وقالوا : بلغنا أن الخليفة كتب إليك يعزلنا ، ولم يكن الكتاب قد وصله بعد ، فحلف لهما بالله أنه لم يعلم بشيء من ذلك ، وأسرع أصحابهما من الأتراك إلى المعتزلة وأرضوه عنها ، وقالوا له : هما كبريانا ورئيسانا ، فكتب إليهما بالرضا عنهما ، فذهبا من بغداد إلى سامرا ، والمعجب أن الخليفة نفسه أرسل وزيره لزيارتها في منزلهما تطبيقا لخطارهما ، واطهارا لرضاه عنهما ، ثم ردهما إلى عملهما . ورد إليهما ضياعهما ، هذه العادة ترينا مبلغ نفوذ هؤلاء القوم في الدولة فالخليفة نفسه لم يستطع تنفيذ أمر له ولعله كان يرى فيه المصلحة العامة ، لكنه بعد أن أصدر أمره ، عاد فيه ، ولم يكن ذلك عن اختيار كامل منه ، بل كان نتيجة ضغوط منهم عليه ، وتأخذ من ذلك أن كل أمر من الأمور لا بد من أن يقوم عليه أصحاب المصلحة الحقيقية فيه وهم أهل البلاد . ومن يعينهم بالدرجة الأولى مصلحة الأمة ككل ، أما الاستعانة بالغير ، فإن جازت فلنكن في أصيب الحدود ، وذلك عندما لاتوفر الخبرة الكاملة عند أهل البلد الحقيقيين ، وبعبث يكون هؤلاء القراء عنها عاملين في حدود ما وكل إليهم ، وفي الإطار الذي رسم لهم ، والا لو حدث انحراف في ذلك اضطربت الأحوال ولعل القرآن الكريم يشير إلى توفي هذه الظاهرة في قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم لا بآلوتكم خيالا ، ودوا ما عنتم ، قد بدت البغضاء من أفواههم ، وما تخفي صدورهم أكبر ، قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون)

وكان من عناصر الجيش المهمة في ذلك العهد المغاربة ، وكان قد اصطنعهم المعتصم كما اصطنع الأتراك ، وقد حدثت بين الفريقين صراعات كثيرة ، بسبب محاولة كل منهم البقاء وحده في مركز القوة ، وتصدى المغاربة للأتراك ، وأرادوا أن يوقفهم عند حدهم .. لكن ماذا حدث ؟ بعد صراع طويل ، احتفظ الأتراك

بمركز القوة في الدولة ، يذكر التاريخ أن المغاربة حينما رأوا ما عليه الأتراك من النفوذ والسultan ساهم ذلك ، واجتمع بعضهم إلى بعض مع محمد بن راشد ونصر بن سعيد منهم ، وجاءوا إلى الأتراك وهم بالجوسق من سامرا فقبلوهم عليه ، وأخروهم منه ، وقالوا لهم : في كل يوم تقتلون خليفة وتخلون آخر ، ويكونون وذكرا وتضعون غيره ؟ واستولى المغاربة على بيت المال ، وأخذوا خسين دابة كان الأتراك يركبونها ، إلا أنهم لم يستسلموا للهزيمة ، وجمعا جموعهم ، ووقفوا في وجه المغاربة ، لكنهم ضعفوا عن مقاومتهم وانقادوا لهم ، وأصلح جعفر بن الواحد بين الفريقين على ألا يهدوا شيئا ، ويكون في كل موضع واحد من كلا الفريقين ومكثوا على ذلك مدة ، إلى أن احتال الأتراك على محمد بن راشد ونصر ابن سعيد حتى ظفروا بهما فقتلوهما ، والذي تولى ذلك واحد من كبار قسود الأتراك ، وعاد إليهم النفوذ كاملا ، ولعلك تتساءل : وأين الخليفة المعز من هذه الصراعات ، وتعجب إذا علمت أنه كان يقف منهما موقفا سليبا ، لأنه لا يستطيع أن يفعل شيئا ، إذ كان يدبر الضعيف أمام هذه القوى المتصارعة ، وكلما وجدوا منه موقفا سليبا أعتوا في الاستئثار بالسلطة ، وفي التحكم في شؤون الأمة ، حسب ما تليه عليهم أهواؤهم وما يرونه محققا لصلحتهم هم ومصلحة انصارهم وهدفهم الاحتفاظ بالسلطة في أيديهم ، والتشبث بما وصلوا إليه من قوة ، ولا يعينهم بعد ذلك رعاية المصلحة العامة ، أو المحافظة على حقوق جماهير الشعب التي تكبح وتمتد ولا تجد جزءا عملها . بل تجد ناتج هذا العمل موجه إلى من لم يتعب ولا يكبح مع أن الواجب أن يكون الجزاء على قدر العمل . والأجر على قدر ما يبذل من مشقة ، تحقيقا لقوله تعالى (وان ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الاوفا) وقوله « وكل درجات مما عملوا »

اما العلويون في عهد المعز فلم يجدوا التضييق الشديد الذي كان يقع عليهم في عهد غيره ، وقد مات في عهده الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا وهو الإمام العاشر من أئمة الشيعة الإمامية فتولى بعده ابنه الحسن العسكري ، وهو العادي عشر من أئمتهم ، وإنما تقب بالمسكرى لاقامته بسامرا التي كانت تدعى

اذ ذلك بالمسكرى ..

وحدث أن اتهم جماعة من الطالبين في بغداد والكوفة بالدعوة للحسن بن زيد ووجدت مع بعضهم كتب من الحسن ، فأمر المعتز بحملهم إليه بسامرا فحملوا إليه

ولم يرض لهم بمكرهه ، وانما توقع منهم » ، وهذا صنع طيب منه ، حيث انه لم يمد اليهم يدا لاذى ، بل تركهم فى امن وسلام ..

وحدث فى اواخر عهد المتز أن تمكن من مركز القوة أحد قواد الاتراك واسمه صالح بن وصيف ، وكان يطمع فى تكوين ثروة كبيرة ، وفى الحصول على اكبر قدر من المال ليوزعه على انصاره ومن معه من الجنود لكنه لم يجد المال الذى يكفى عطاء هؤلاء الجنود ، فخرجوا عليه ونهبوا الى الخليفة وقالوا له : يا امير المؤمنين اعطنا ارضنا لنقتل صالح بن وصيف وكان المتز يخاف منه ، ولكن لم يكن عنده من المال ما يستطيع أن يجيب به طلبهم فذهب الى أمه ، وكانت تحتفظ لنفسها باموال طائلة وحلى نفيسة كثيرة ، وطلب منها مالا يتفقه فيهم ، فابت عليه ، ولم يكن قد بقى فى بيت المال شيء ، فاجتمع الاتراك حينئذ على خلمه ، ووافقهم صالح ابن وصيف ، ومحمد بن بفا القسايدان المشهوران ، فلبسوا السلاح وجاموا الى دار الخلافة وقبضوا عليه وقالوا له : اخلع نفسك ، فخلع نفسه وأمر بان يوقع على كتاب بهذا المعنى ، فوقع عليه وشهد عليه الحاضرون ، وأحضروا من بغداد الى سامرا محمد بن الوائى ، وكان المتز قد أبعده الى بغداد ، فسلم المتز اليه الخلافة وبايعه ، ثم أن الملال أخذوا المتز بعد خمس ليال من خلمه وعذبوه ومنعوا عنه الماء حتى مات وكان ذلك فى شهر شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين .

وانطوت بذلك صفحة خليفة من الخلفاء الذين سعوا كثيرا للحصول على هذه الخلافة وركبوا الصعاب فى سبيل الحصول عليها ، لكنهم لم يجدوا ما كانوا يؤملون فيها من عز وممنة وسلطان .. ومن أبرز الظواهر فى عهد ان تولى اماره مصر واحد من الاتراك سنة ٢٥٤ هجرية وهو احمد بن طولون .. وكانت سيرته حافلة بالاعمال ..

وموعنامعه فى الحديث القادم بمشيئة الله ..

قضية فلسطين

عن بدايتها .. الى ذروتها

للمرسلات على السجل

المشثوم « الذى منحت بمقتضاه بريطانيا يوم ٢ نوفمبر ١٩١٧ وعدا لليهود باقامة قومى لهم فى فلسطين » .

لكن لماذا بريطانيا؟ ولماذا اليهود؟ وكيف تم هذا اللقاء المقيت بين الاستعمار والصهيونية ، وكيف تلاقت اهدافهما فى مخطط عدوانى اميرالي صهيونى ؟

بداية الحركة الصهيونية :

الصهيونية فى ذاتها حركة استعمارية عنصرية ، تقوم على مبادئ الاستغلال والعدوان وتستند الى اسلوب التوسيع والسيطرة ، وتستخدم وسائل العنف فى تحقيق مآربها . وقد ارتكزت فى اول الامر على اساس ان اليهودية دين وقومية وانه بات من الواجب ايجاد مكان يتجمع فيه اليهود وينظون امرهم » .

وتعرف الموسوعة البريطانية الصهيونية بانها « حركة يهودية قومية هدفها خلق دولة قومية يهودية فى فلسطين ، التى يعتبرها اليهود وطنهم الاصل . والتى يسمنونها ارض اسرائيل »

ورغم أن هذه الحركة السياسية لم تتخذ شكلا منظما الا منذ اواخر القرن التاسع عشر الا ان جلورها تمت عمقا فى وجدان اكتاب والمفكرين اليهود .

وكانت هناك عوامل كثيرة لعبت دورا فى اخراج هذه الفكرة الهداية الى حيز

« ما اخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة » (اعطى من لا يملك وعدا لمن لا يستحق ثم تعاون من لا يملك ومن لا يستحق على حرمان صاحب الحق مما يملكه ويستحقه » (جمال عبدالناصر)

لم يكن عدوان الخامس من يونيو على الدول العربية سوى حلقة جديدة من حلقات التآمر الاستعمارى الصهيونى على الوطن العربى ، وقد اكتهلت اولى هذه الحلقات باغتصاب ارض فلسطين واعلان دولة اسرائيل فى يوم عصيب من ايام التاريخ هو الخامس عشر من مايو ١٩٤٨

وهذا التآمر يبين الاستعمار والصهيونية هو لقاء مصلحة بينهما : فللاستعمار احتكارات رأسمالية كبيرة ومطعم معروفة فى الوطن العربى .. والصهيونية مطامعها التى تبدأ باقامة دولة ثم التوسع الى مالا نهاية .

وبالقوة نلد المخطط الاستعمارى الصهيونى .. وبالتواطؤ (اعطى من لا يملك » وهو الاستعمار » وعدا لمن لا يستحق » وهو الصهيونية ، « وتعاون صاحب الحق ومن لا يستحق » على حرمان ما يملكه ويستحقه »

ولم يكن هذا الوعد الذى اشار اليه السيد الرئيس سوى « وعد بلفور

الوجود ، أهمها النزعة الفطرية لدى اليهود للتوقع داخل المجتمعات التي يعيشون فيها ، والانفلاق على أنفسهم والسعي لجمع المال بشتى الوسائل الامر الذي جعلهم في كثير من الأحيان عوامل هدم في اوطانهم يعيشون الفساد فكانوا يتعرضون للظلم و أو للاضطهاد .

وجاء تيودور هرتزل الصهيوني التمسوي والصهيوني الاول ، فاصدر كتابا في عام ١٨٩٦ تحت اسم « الدولة اليهودية » قال هرتزل :

« ان انماج اليهود في الاقوام التي يعيشون فيها امر مرغوب و ولكنه صعب التحقيق بسبب الشعور المعادي للسامية و ادعى ان اليهود مجبرون بتأثير الاضطوط التي يتعرضون لها الى محاولة تكوين امة . ولم يعد في وسعهم ان يعيشوا حياة طبيعية الا عن طريق التجمع في بلاد واحدة » .

اول مؤتمر صهيوني :

وراج هرتزل يعمل بلا كلل على صياغة افكاره في حركة سياسية منظمة

واستطاع ان يدعو لعقد اول مؤتمر صهيوني في مدينة بال بسويسرا . وانبثق هذا المؤتمر عن ميثاق للحركة الصهيونية وبرنامج تنظيمي وتنفيذي ، استعملته المؤتمرات التالية .

وتضمن هذا البرنامج خطة بعيدة المدى لتوطين اليهود من اعمال والزرايع والعرفيين في فلسطين ، وتنظيم اليهود في العالم تنظيمات محلية ودولية تتكفل بتحقيق هذا الهدف بالدعاية والتمويل .

شعارات ذاتقة :

ومن الشعارات الزائفة التي كرسها المؤتمر الصهيوني الاول شعار ان اليهودية فضلا عن انها دين فهي « قومية » وان لليهود « حقا تاريخيا في فلسطين بدعى ان « يهود » اياه اسرائيل قد ودهم بها لانهم شعب المختار .

وبذا هرتزل يتصل بمختلف الحكومات فاتصل بالحكومة العثمانية التي كانت تسيطر على فلسطين . ولكن السلطان عبد الحميد رفض بفسدة منح اليهود اية امتيازات لاقامة مستعمرات في فلسطين اقاء بفسح ملايين من الجنيات تدخل اغزانة العثمانية .

الا ان الحركة الصهيونية وجدت في بريطانيا استجابة لمطالبها . وعرضت بريطانيا في البداية ان تمنح اليهود وطنا قوميا لهم في اوغندة . ولكن المؤتمر الصهيوني السابع « ١٩٠٥ » رفض هذا العرض .

كانت الحركة الصهيونية قد بدأت في تلك الفترة تنتشر وتمتدخسة وان اليهود استطاعوا شراء الكثير من اجهزة الاعلام والصحافة وشركات الدعاية و فضلا عن سيطرتهم على المراكز الاقتصادية في معظم بلدان الغرب .

لقاء المصلح في العالم العربي :

وكان الوطن العربي منذ اقدم يحتل مركزا استراتيجيا هاما ، خاصة هذا الجزء المحيط بالبحر الاحمر . والمنطقة التي تشقه الان قناة السويس ، والساحل الشرقي والجنوب الشرقي للبحر الابيض المتوسط . فهو يقع في ملتقى قارات ثلاث هي افريقيا واسيا واوروپا ، كما انه معبر المواصلات وطريق التجارة بين الشرق والغرب . وحينما انضمت وجود البترول عصب الاقتصاد والحصادة في زمن الحرب والسلم على السواء - ازدادت اكثر اهمية العالم العربي ، وازدادت مطامع الاستعمار الذي يملك معظم ادوات انتاج البترول في المنطقة

وجاءت قناة السويس التي فتحت آفاقا واسعة امام تنشيط التجارة العالية ، لتكون دافعا هاما جديدا للمطامع الاستعمارية

ومجعل القبول في هذه المنطقة ان الاستعمار بات يغشى قيام دولة عربية قوية في المنطقة و لان هذا يعني انقضاء نهائيا على مصالحه ، ان لم يكن يشكل خطرا على الاستراتيجية العسكرية للعالم الغربي كله . ومن هنا تبلور هدف الاستعمار من وراء تجزئة العالم العربي الى دول صغيرة ، والابقاء عليها مجزأة .

ويمكن ان نبين ثلاثة وسائل وضعها الاستعمار امامه ونصب عينه :

- ١ - احتلال مصر وقناة السويس .
- ٢ - اشاعة الفرقة والنزعة الطائفية داخل كل شعبي عربي - كلما امكن ذلك - لمصلحة الاستعمار .
- ٣ - اقامة الدولة اليهودية في فلسطين .

مؤتمر لندن ١٩٠٧ :

وراجت بريطانيا تدعو دول الاستعمار القديية وهي فرنسا وبلجيكا وهولندا والبرتغال وايطاليا واسبانيا الى مؤتمر عام عقد في لندن عم ١٩٠٧ ، لدراسة المشاكل التي تواجهها هذه الدول وتاليف جبهة موحدة للوقوف في وجه التآمر الاستعماري الالمانى الجديد .

ووقف بانرمان رئيس وزراء بريطانيا في المؤتمر يدعو لابعاد كافة الوسائل للبحولة دون انهيار الامبراطوريات الاستعمارية ، او تاخير سقوطها الحتمي .

وعكف الخبراء الذين حضروا المؤتمر عاما وبعض عام على دراسة الاسباب السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية لانحلال الامبراطوريات الاستعمارية ، والخطط اللازمة لحمايتها .

وجاء في هذا التقرير « ان البحر الابيض يمثل شريان الحياة للاستعمار و لصالح جميع دوله الزاينة والمقبلة و فهو جسر بين الشرق والغرب . وهو المعبر الطبيعي الى اسيا وافريقيا وهو ملتقى طرق العالم ، ولابد لنجاح اية خطة تهدف الى حماية المصالح الاستعمارية المشتركة من السيطرة على هذا البحر وعلى شواطئه الجنوبية والشرقية ، لان من يسيطر على هذه المنطقة يستطيع التحكم في العالم » .

وتوصل المؤتمر الى نتيجة محددة بوعي ان الخطر الذي يهدد الاستعمار في البحر الابيض المتوسط يكمن في حقيقة لا جدال حولها ، وهي ان هذه المنطقة الشاسعة الحساسة التي تمتد من الرباط الى الخليج العربي وساحل المحيط الهندي وبحر العرب تضم شعبا واحدا ، تتوارف له من وحدة تاريخيه ودينه ولغته وآماله و كل مقومات الترابط والوحدة ، وتتوافر له في نزعاته التحررية وفي ثرواته الطبيعية وفي كثرة تناسله كل اسباب القوة والتحرر والتهوض .

واعترف التقرير بانه اذا حدث في يوم من الايام وتوحد هذا الشعب العربي الكبير وتحرر وملك زمام اقتصادياته ، لتبخر عن الفور كل آمال الاستعمار ومطامعه . ومن ثم فان كل دول الاستعمار ان تعاربت بكافة الوسائل قيام هذه الوحدة المنتظرة وتعمل على ابقاء الوطن العربي مفتتا الى مالا نهاية .

ومن هنا برزت توصية المؤتمر « بإقامة حاجز بشري قوى و غريب على الجسر البري الذي يفصل بين قادتي اسيا وافريقيا و بحيث تقوم في المنطقة ، وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار ، وعوة لسكان المنطقة » .

وهنا حدث التلاقي بين هدف الاستعمار وهدف الصهيونية . وتجدد هذا التلاقي في وعد بلفور الذي اصدرته الحكومة البريطانية في الثاني من نوفمبر ١٩١٧ وجاء فيه ان « حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين » .

هذا هو الوعد الذي اعطاه « دن لا يملك لمن لا يستحق » . وكان حلقة في المؤامرة الكبرى . جاءت بعدها حلقات .



- ٢ -

التي يرمون اليها من وراء تأسيس وطن قومي لهم في فلسطين .

ومن اليسير أن ناقش تلك النصوص مناقشة محدودة ؛ وسوف نرى أن اليهود قد تكلفوا كثيرا في تفسير تلك النصوص وحملوها من التأويل الملائع ، وسوف نرى أيضا أن هذه النصوص حجة على اليهود لا لهم

١ - ثابت من تلك النصوص أن الكتانين (أي العرب) كانوا هم سكان فلسطين وأصحابها حينما وفد عليهم اليهود ، كما ثبت أن دخول اليهود فلسطين لم يكن للإقامة الدائمة ، بل كان فترة استراحة واستعداد لمواصلة التنقل والترحال إلى أماكن مختلفة من بينها مصر التي يدعيها اليهود وهو الوطن القومي ؛ بل صيغة الوعد نفسها تدعو إلى الشك في صحته حيث يقول (انظر من الموضع الذي أنت فيه شمالا وجنوبا شرقا وغربا ، لأن جميع الأرض التي تراها أعطيتها لك وتسلك إلى الأبد) فالتعبير الصريح لهذا الوعد يقتضي أن أرض الميعاد هي فقط تلك المساحة الضيقة التي يمكن أن يمتد إليها بصر الإنسان شمالا وجنوبا وشرقا وغربا وهذه المساحة من الضيق بحيث لا يتصور عقل أن يعد الله شعبا كبيرا كاليهود باتخاذها وطن قوميا (فكان هذا الوعد مكذوب على الله ومدسوس في التوراة - ولو فرضنا جلا - أنه صحيح

الثاني عشر من سفر التكوين : - وجدت جوع في الأرض فانحدر إبراهيم إلى مصر ابتغرب هناك لأن الجوع كان شديدا . . . غير أنهم لم يتمسكوا من أن يعيشوا عشية راقية هناك ولم يطلب لهم المقام في مصر . . بل تعرضوا لبطش الفراعنة ، فأخذوا يحنون إلى العودة إلى أرض كنعان حتى ير الله لهم طريق الخلاص من بطش الفراعنة ، فخرجوا فآدين من مصر بزعامة موسى عليه السلام وذهبوا إلى أرض كنعان

وبرى في الإصحاح الثالث عشر من سفر التكوين أن إبراهيم عليه السلام حينما وصل إلى أرض كنعان ظهر له (يهو) اله إسرائيل وقال له (ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالا وجنوبا ، وشرقا وغربا لأن جميع الأرض التي تراها أعطيتها لك لتسلك إلى الأبد) .

هذه هي قصة الميعاد ؛ وتلك هي النصوص الواردة بشأنها في كتب اليهود المقدسة وعلى أساس تلك النصوص يقيم اليهود دعواهم القريضة في أن (يهو) اله إسرائيل القديم قد وعد بني إسرائيل أن يسكنوا أرض فلسطين وما جاورها ؛ وأصبحوا يطلقون اسم (أرض الميعاد) على المنطقة الواسعة الواقعة بين نهري النيل في مصر وبين نهر الفرات في العراق محاولين أن يفسروا بعض النصوص التي جاءت مع التوراة تفسيراً سياسياً خاصاً يحققون به مآربهم وأطماعهم الخفية

ثبت من المقال السابق أن العرب هم أقدم ما سكنت أرض فلسطين في أقدم حقبة تاريخية على الإطلاق ، أي قبل ميلاد المسيح عليه السلام بخمسة وعشرين قرناً من الزمان وهذا يبطل ما يزعمه اليهود . . من أنهم أصحاب تلك البلاد .

وأما قصة الميعاد فهي أضخم خرافة بنى عليها اليهود أضخم حقيقة وخلصتها أن إبراهيم عليه السلام رحل من العراق إلى البادية ، فلما أشرف على أرض كنعان (فلسطين) أعجبته وتمنى لو تتسع له سبل السبي والمرعى في تلك البلاد ، فعبّر هو ومن معه نهر الأردن . . ولذلك سموا باليهودانيين . . نزلوا أرض كنعان ؛ ولكنهم لم يقيموا بها إلا كما يقيم الرحالة المتنقل من مكان إلى آخر ، فكانهم نزأوا ضيوفاً على سكان البلاد الأصليين وهم العرب الكنعانيون . وفي هذا المعنى ورد في الإصحاح الثاني عشر من سفر التكوين في التوراة . . ما نصه ؛

(واجتاز إبراهيم في الأرض إلى مكان شكيم ، وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض وظهر الرب لإبراهيم وقال الرب لتسلك أعطى هذه الأرض) .

بيد أن هؤلاء اليهود بزعامة إبراهيم عليه السلام لم يلبثوا إلا فترة يسيرة من الزمن قاموا خلالها برحلات عديدة نحو الجنوب ؛ لأنهم كانوا من القبائل الرحل التي لا تستقر في مكان ثم حدثت مجاعة شديدة في أرض كنعان . . فهاجر إبراهيم ومن معه إلى مصر كما جاء في الإصحاح

والآية الاخيرة توضح بجلاء انما اصابعهم من التشرد والتناقص كان سببه عصيانهم وفسادهم كما يذكر التاريخ ان الله سلط عليهم (سرجون الثاني) ملك آشور سنة ٧٢٢ قبل الميلاد فخرج منهم عشرة اسباط من اسباط الشمال ، فبادوا في الامم ولم يعرف لهم قرار . وجاء بعد ذلك (نبوخذ نصر) ملك بابل فاستولى على بيت المقدس (اورشليم) سنة ٥٩٧ قبل الميلاد وجعل اليهود اسرى الى ارض بابل فعاشوا هناك في الاسر حتى عهد (كورش) الكبير ملك الفرس الذي استولى على بابل وانشأ امبراطورية فارسية سنة ٥٣٩ قبل الميلاد .



ومن ذلك يتأكد لنا ان الوعد السابق - على فرض صحته - لم يتحقق ولن يتحقق لعدم توفر شروطه و ان واقع التاريخ قد ايد حاجات به آيات القرآن الكريم .

٥ - لو كان هذا الوعد صحيحا صادقا نافذا لملك ابراهيم عليه السلام الارض الموعودة في حياته ، والمعروف تاريخيا انه لم يملكها .

٦ - على فرض صدق هذا الوعد ، وان نسل ابراهيم سيملك فلسطين و لا يكون هذا الوعد حجة قاطعة لليهود فقبائل قریش ، وهم عرب - من نسل ابراهيم أيضا - لانهم ابناء اسماعيل بن ابراهيم ، وقد ملكوا فلسطين فتتحقق الوعد فيهم وظهر منهم نبي وخلفاء قرشيون بسطوا سلطنتهم على شبه الجزيرة كلها و فكان ذلك تأكيدا للوعد .

فها نحن نرى ان صفحات التاريخ تشهد بان فلسطين كانت عربية منذ فجر التاريخ حتى فتح المسلمون بيت المقدس وسلمت المدينة لعمر بن الخطاب نفس سنة ١٥ هجرية الموافقة لسنة ٦٣٧ ميلادية . وفي خلال الفترات القصيرة التي خضعت فيها فلسطين لحكم غير عربي كان ذلك تغييرا في شكل الحكم فقط دون ان يكون له ادنى مساس بعروبة فلسطين .

وهكذا يتضافر التاريخ مع نصوص الكتب السماوية ومع العقل والمنطق لابطال الاسطورة الضخمة اسطورة الميعاد التي يتعلق اليهود ببرائها للوصول الى تحقيق احلامهم في اقامة وطن قومي على ارض اغتصبوها من اصحابها الشرعيين .

(للبحث بقية)

الرابع من سفر التثنية (وانتم قد اخذكم الرب اخرجكم من كسور العديد من مصر لكي تكونوا له شعب مبررات كما في هذا اليوم احترزوا من ان تنسوا عهد الرب الهكم الذي قطعه معكم وتصنعوا لانفسكم تمثالا منحوتا واذا ولدتم اولادا واولاد اولاد اطلعت الزمان في الارض ، وفسدتم وصنعتم تمثالا منحوتا و صورة شيء . فاعلمتم الشر في عيني الرب الهكم لا غافلتهم ، اشهد عليكم اليوم اسماء والارض انكم تبيدون سريعا عن الارض التي انتم عابرون الاردن اليها - لا تطيلون الایام عليها . بل تهلكون لا محالة ويبدكم الرب في الشعوب فتبقون عددا قليلا بين الامم التي يسوقكم الرب اليها) . فهذا النص صريح في ان بقاءهم في ارض كنعان رهن بعدم عصيانهم ومن الثابت انهم قد عصوا وفسدوا في الارض ، فحق عليهم ذلك الوعد الذي جاء به سفر التثنية من التوراة ويؤكد ذلك ماجاء في القرآن الكريم في عدة آيات من سورة البقرة نذكرها فيما يلي :

(واذا واعدنا موسى اربعين ليلة ثم سوء العذاب ، يذبحون ابنائهم ويستحيون نساءهم وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم) (واذا واعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالون) (واذا قلتُم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) (وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباعوا بنفسهم من الله و ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) .

ففيه تحديد واضح للمنطقة التي يباح لليهود السكنى فيها - لا ان تكون وطنيا بالمعنى السياسي - وهي لا تزيد على بضعة اميال مربعة شمالا وجنوبا وشرقا وغربا - بينما يزعم اليهود ان ارض الميعاد تمتد من النيل الى الفرات . ولم ار تناقضا اوضح من ذلك التناقض السافر بين ما يدعيه اليهود وبين ماجاء في كتبهم المقدسة على فرض صحته .

٣ - على فرض عدم التناقض بين تلك النصوص وبين ما يدعيه اليهود و قصة الميعاد لم ترد الا في كتب اليهود فلا تكون حجة على غيرهم ، ولا تكفي دليلا لاثبات حق اليهود في انتزاع ارض فلسطين من ايدي اهلها . هذا فضلا عن اشكوك القوة التي تحول حول صحة كثير مما جاء في كتب اليهود ، والتي توصي بان اليهود قد احدثوا كثيرا من التغييرات الهامة في كتبهم المقدسة وفق اهوائهم واغراضهم لاسيما اذا عرفنا الظروف التي تم فيها تدوين الكتاب المقدس بقسميه التوراة والانجيل وفي ظروف اتاحت لمن شاء ان يزيده او ينقص و لهذا تعددت الروايات وتعددت الاناجيل ، واختلف بعضها عن البعض الاخر اختلافا يحتمل التعارض او التناقض في بعض الاحيان .

٤ - على فرض صحة ذلك الوعد و على فرض اعتياد كتب اليهود حجة على غيرهم فان هذا الوعد كان مقيدا بشرط عدم العصيان والافساد في الارض كما قال موسى عليه السلام في الاصحاح

قمنا في المقال السابق بسرد شهادات زعماء العالم بأن فلسطين أرض عربية ، وأن الذي حصل فيها فعلا هو فرض شعب على شعب أصلى بقوة المال وحدة السلاح ، وهذا مالا يقبله المنطق السليم ولا يسوغه أى قانون أنساني أو عرف دولي . والآن نقوم بجولة سريعة حول نشأة قضية فلسطين وتطورها ، وكيفية وفوق هذه البقعة العربية الإسلامية في برائى الصهيينة عل رغم شهادة العالم والتاريخ بأنها ملك للعرب . وبعد القيام بتطواف سريع حول تطور القضية في مختلف المراحل نتطرق الى مايجب على العرب والمسلمين من عمل ايجابي موحد ، وجهاد جاد مشترك ، لوضع حد لهذه المخاطر التي تحدق بالعالم الاسلامي كله ، وتشتت شمله ، وتوهن قواه وتبعثر مواهبه .

وقد زرعت بذور هذه المأساة الفلسطينية في مطلع هذا القرن ، عندما وافقت الحكومة البريطانية على خلق وطن قومي يهودي في أرض فلسطين ظلما وعدوانا . وكل ما حدث فيما بعد من أعمال العنف والارهاب في هذه المنطقة كان مرده الى هذا القرار الذي اتخذته البريطانيون الذين تولوا الانتداب عل فلسطين في أعقاب الحرب العالمية الاولى فكانت فلسطين قبل الحرب العالمية الاولى جزءا من الامبراطورية العثمانية وحتى عام ١٩١٨ كانت تعرف المنطقة التي تشمل الآن سوريا والاردن وفلسطين المحتلة (اسرائيل) باسم « سوريا » . وبعد الحرب العالمية الاولى قسم الاستعمار أوصل البلاد العربية ، وأنشأ دويلات في هذه المنطقة ، وهي لبنان وسوريا وشرق الاردن وفلسطين وجعل الحد الفاصل بين فلسطين وشرق الاردن على امتداد نهر الاردن .

ولما حدث تنافس بين بريطانيا وفرنسا في أعقاب الحرب العالمية الاولى للسيطرة على هذا الجزء من الامبراطورية العثمانية عقد الحلفاء مؤتمرا في « سان ريمو » في عام ١٩٢٠ وقرر هذا المؤتمر المشنوم وضع العراق وفلسطين تحت الانتداب البريطاني ، وسوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي . ومما هو جدير بالذكر في هذه النقطة الحساسة في مجريات

أضواء على التاريخ الإسلامي

مكانة فلسطين في العالم الإسلامي

الأستاذ محيي الدين الألواني

التاريخ أن ميثاق عصبة الأمم كان ينص على ثلاثة أنواع من الانتداب : درجة « ١ » ودرجة « ٢ » ودرجة « ٣ » وان البلدان التي توضع تحت الانتداب من درجة « ٢ » تعامل على أساس أن سمونها متقدمة نوعا ، وينظر لها أن تتولى بعد مدة قصيرة حكم نفسها بنفسها ، وكانت سوريا ولبنان والعراق وفلسطين موضوعة تحت هذه الدرجة

وبهتفى هذا الميثاق لا بد أن تصح فلسطين بعد انتهاء الانتداب دولة مستقلة يحكمها شعبها الأصلي ، ومع أن شقيقتها - سوريا ولبنان والصراق - عادت الى أهلها مستقلة وذات سيادة بعد فترة الانتداب ، فلماذا إذن لم يطبق هذا المبدأ على فلسطين ؟ ولم تعتبر مستقلة موحدة ، مثل شقيقتها الأخريات ؟

ويبدو أن سبب ذلك التفريق التعميم يرجع الى رغبة الدول المنتدبة في تأمين حقوق معينة للصهيونية المالية في فلسطين غشا وخداعا . ولسنا في حاجة الى مزيد من البيان عن التشجيع والاعتراف والتعاون الذي لقيته الأهداف الصهيونية من القوى القريبة . ولكن ينبغي لنا في هذا الصدد أن نلقى ضوءا على كيفية المؤامرة المشتركة التي تمت بين الصهيونية المالية والانتداب البريطاني لاقطاع هذه البقعة العربية من أهلها العرب لتوضع تحت تصرف مطامع الصهيونية .

وخلال الحرب العالمية الأولى اشتدت حاجة أوروبا والولايات المتحدة للأموال والمواهب اليهودية ، لخدمة قضايا الحلفاء ، فأخذ البريطانيون يزيدون عن عطفهم على الأهداف الصهيونية في سلب فلسطين ، لإقامة دولة خاصة لاستيطان العصابة الشريرة ، أو الطرودة من البلدان الأوروبية التي اكتشفت سمومها ، وخافت من دنسائها ، ولإضافة الى هذه الدوافع الأساسية لهذا المخطط على مطامع الصهيونية ، أدرك الاستعمار البريطاني أن فلسطين قاعدة استراتيجية هامة في الشرق الأوسط ، كما قال اللورد كيتشنر ، ولذلك طلب رئيس وزراء بريطانيا حينذاك من الدبلوماسي البريطاني الشهير المستر سايكس ، بأن يبدأ مفاوضات مباشرة مع القادة الصهاينة لإتفاق على مبدأ « اعط وخذ » . وماذا كانت نتيجة تلك المفاوضات أو المؤامرات بتعبر أدق ؟

واتت أولى نتائج المؤامرة - الصهيونية الاستعمارية - في الوعد الذي أعطاه الدكتور حاييم وايزمان في عام ١٩١٤ الى بريطانيا .

ويأتى وعد وايزمان في تقديم الدعم الصهيوني في الحرب بكل الوسائل مقابل وعد بريطاني بتقديم دعم الطالب الصهيونية ، وكانت تلك المطالب تشمل فلسطين والأردن وقطاع غزة . وبمسند أن ثالث الصهيونية هذا الوعد من بريطاني ضغط الصهاينة في كل المجالات الدولية ، لكي تنفرد بريطانيا بحكم فلسطين بعد الحرب . ومن ناحية أخرى بدأ اليهود في داخل فلسطين وخارجها يضغطون على العرب الذين هم أصحاب الحق الشرعي فيها ، على تركها أو تعرضها لأنواع من الإرهاب والتخريب ، حتى قال « إسرائيل زانكوبل » في عام ١٩٠٩ : « فلسطين وطن بلا شعب ، ينبغي أن تعطى لشعب بلا وطن وعلى اليهود حين يصلون إليها أن يضغطوا على العرب ضغطا يرفعهم على تركها » . وكان زانكوبل قد أنشأ فعلا هيئة يهودية باسم « مؤسسة تطوير الأراضي اليهودية »

وفي عام ١٩٠٩ أيضا حث تيودور هرتسل على اتباع ثلاثة مشاريع رئيسية لتقوية الحركة الصهيونية ، وهي تأسيس منظمة دائمة لتوحيد جميع اليهود تحت مبادئ الصهيونية ، وإنشاء حركة استثمار واسعة ومنظمة في فلسطين ، وكذلك العمل لكسب حق قانوني في استعمار فلسطين .

وهكذا جاءت وثيقة الانتداب البريطاني على فلسطين في عمومها صكا لمصالح الحركة الصهيونية وأهدافها ومطامعها . وفي عام ١٩١٧ دخلت قضية فلسطين في مرحلة مريبة سوداء بسجها التاريخ بكل سخرية وسواد ، لأن هذه المرحلة كانت بنور جميع التورات الرائحة في الشرق الأوسط ، والمظالم والقسوة والجرائم التي تعرض لها ملايين اللاجئين العرب الذين أخرجوا من ديارهم غداة وما هي تلك الرحلة المشؤمة في مراحل تاريخ الإنسانية ؟ فما هي إلا وعد « بلفور » الصادر في ٢ من نوفمبر من العام المذكور . وفي ذلك اليوم وافقت الحكومة البريطانية على مشروع قرار تقدم بوزور الخارجية البريطاني حينذاك آرثر بلفور الذي تعد به بريطانيا بدعم المطامع الصهيونية في فلسطين ، وما لبثت أن صادقت عليه الدول الحليفة الأخرى . فكان من الطبيعي أن تكون صياغة وثيقة الانتداب البريطاني على فلسطين ، بعد انتهاء الحرب مليئة بمصالح الصهيونية التي يتضمونها وعد بلفور .

وإذا اتضح من الوقائع والحوادث السابقة أن صدور وعد بلفور في عام ١٩١٧ هو مكء مشكلة فلسطين ، ومدار الانتداب البريطاني عليها ، نستطيع أن

نتنقل الى أصول نشأة هذه المشكلة وتطورها وعواملها ، لكي يكون هذا التفضل عونا الى التوصل الى جذورها واستكشاف جثومتها ، حتى نجد علاجا ناجحا لهذا الداء ، وحلا سريعا لهذه المعضلة . ونتيجة لهذا الوعد جاء في فاتحة وثيقة الانتداب البريطاني على فلسطين : « أن على الانتداب أن يعترف بالارتباط التاريخي للشعب اليهودي في فلسطين ، وعلى بريطاني تيسير انشاء ظروف سياسية واقتصادية وإدارية تؤمن بدورها الهجرة اليهودية الى فلسطين واستيطان اليهود المهاجرين في البلاد استيطاناً راسخ الاصول .. الخ » . ومن المستغرب جدا في هذه الوثيقة أنها اعتبرت الوكالة اليهودية مؤسسة عامة تتعاون مع حكومة فلسطين في المسائل التي قد ترمى الى توطين السكان اليهود الذين توغلوها إليها وتسربوا من البلدان الأخرى هربا من العقاب الذي لاقوه فيها نتيجة لغدرهم .

وان الالتزام الذي منحه البريطانيون للصهاينة أثناء الحرب يتناقض مع التعهدات الصريحة البرمة التي منحها المتدوب السامي البريطاني على مصر حينذاك وهو السير هنري مكماهون في عام ١٩١٥ الى شريف مكة في جواب طلبه اعتراف بريطانيا باستقلال العرب في المناطق العربية ، ومن ضمنها فلسطين (وأن الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين وخاصة المجموعة الأولى عام ١٩١٥ ، ١٩٢٦ ص ١٤ ، ١٥ ، تلقي أضواء كاشفة على مزيد من الحقائق التاريخية ، والأرقام بخصوص قضية فلسطين وتطورها ولا ينبغي لأى فرد يدرك هذه القضية وبحثت عن جذورها ويسعى لحلولا ، أن يفوته الاطلاع على هذه الوثائق التاريخية) .

ومع اعلان بن جوريون في ١٤ مايو ١٩٤٨ مولد دولة الصهاينة في أرض فلسطين باسم إسرائيل ، تم اقطاع أو اقتصاب بقعة من أحب البقاع المقدسة من جسم العالم العربي الإسلامي ، واستقرت خنجره الصهيونية والاستعمار في قلب العالم العربي والإسلامي ، وضحت القدر على سخرجات التاريخ العالمي ، وبدأ النزاع في هذه النقطة الاستراتيجية لجميع البلدان العربية والإسلامية في وجه الأرض ، بطريقة تستنزف قواها وتعيش جهنمها . وأخيرا وقع العدوان الإسرائيلي الفاسد الخاطف على الدول العربية وحشدت استيلاء الصهاينة على المسجد الأقصى وكان لهذه المسألة وقع الصاعقة على قلوب المسلمين في شتات الأرض ومغارها ، وهذه الصاعقة قد فتحت قلب كل عربي ومسلم ، وأوجبت العمل الإسلامي المشترك الجاد اللاق بمكانة فلسطين في العالم الإسلامي

جلاء القوات الإسرائيلية..

البريطاني كابوسا يخيم على صدور المصريين قرابة سبعين عاما بيد ان البطل الظافر جمال عبد الناصر استطاع ان يحقق الجلاء على يديه وخرجت جنود الاحتلال من مصر تجر اذبال الخيبة والخسران وارتفع العلم المصري فوق قاعدة القنال يرغرف في عزه واباء بعد ما كانت منطقة القناة اشبه بمستعمرة مستقلة من مستعمرات الجيش الانجليزي .. والتهمت الدموع في عيني البطل جمال عبد الناصر وهو يلثم العلم المصري ويغمره قبلاته قبل ان يرفعه على السارية ليحقق باسم مصر وباسم ابناء مصر !

فاذا كانت اسرائيل اليوم بفضل التواطؤ الأمريكي قد استطاعت ان تحقق انتصارات موقوتة فان جلاء هذه القوات عن سيناء وعن الاراضي المحتلة في الاردن بل عن مدينة القدس امر محتم ولا شك فيه ولا سيما بعد ان دمغ العالم الحر اسرائيل بالعدوان ولم يعترف بتلك المخططات التوسعية التي تحققت اسرائيل ضد العرب ، بل ان القانون الدولي لا يعطى لاسرائيل الحق مطلقا في توسيع املاتها بواسطة الحرب وهذه قاعدة قانونية تؤمن بها كل الشعوب الحرة ، فلم تكن شريعة الغاب هي الوسيلة للتحكم بين الدول ولم تعد انتصارات الدم والقتل والسحل والتعذيب الوسيلة لأكراه الشعوب على النظم الدكتاتورية وتكميم الأفواه وخنق الحريات وخمد الأنفاس .

ان جلاء القوات الاسرائيلية عن المناطق العربية التي احتلتها امر محتوم ، ولا بد ، أن يكون غير مشروط ولا بد أن يتم في أقرب فرصة ممكنة، فهذه حقيقة لا تقبل الشك ولا الجدل ، وقد عاهد العرب أنفسهم عليها ، ولن يتزحزحوا عنها قيد شعرة ، فقد اتفقت كلمتهم على مواجهة العدو المشترك في ايمان وعزم وتصميم .

ان دولة الصهاينة ليست الا صنعة من صنائع الاستعمار ، وليست الا بوقا من أبواق الامبريالية وجسرا من جسورها وان الارادة العربية كفيلة بتطهير الوطن العربي من البقعة النجسة في اكثافها .

ولقد استفادت الأمة العربية من النكسة استفادة كبيرة ، واستطاعت ان تملئ ارادتها في ظل الواقع العربي دون تهويل ولا تهليل ودون صلف او غرور، وهي اليوم قادرة على مواجهة الموقف والتصدي لكل التحديات في ثبات لا يتزعزع وايمان لا يبيد . ان اسرائيل اليوم تعتبر اداة طيمسة في يد الاستعمار ، وقد استطاعت الارادة العربية ان تحقق انتصارات كبرى على الاستعمار نفسه بعد ما كان ذلك حلما بعيد المنال وشيئا اشبه بتهاويل الاحلام! اجل ! لقد استطاعت الارادة العربية ان تحقق جلاء القوات البريطانية عن مصر بعدما ظل الاحتلال

أفركوم !

الدكتور جمال الدين الرمادى

مسافات طويلة تقدر بنحو ٢٥٠ كيلو مترا من غزة الى القناة وذلك دون طعام أو ماء رغم مرور أيام على وقف القتال وتجريدكم من ملابسهم وهذه كلها أعمال أودت بحياة المئات منهم وأسفرت عن تدمير جميع المنشآت والمشروعات ونهب جميع المخازن بما في ذلك مخازن هيئات الإغاثة .

بل انها اخذت اللبن المختزن من اجل الاطفال وقتلت جميع الذين رفضوا أن يعلنوا استنكارهم للوضع الراهن في الجمهورية العربية المتحدة وعملت على منع جميع المعونات التي عرض الصليب الاحمر او الهلال الاحمر توصيلها الى الجرحى .

كما ارتكبت فظائع مماثلة ضد شعب سوريا ، وقامت بطرد العرب من بيت المقدس ومن الضفة الغربية للاردن ، وان اسرائيل تفعل ذلك بموجب تنفيذ سياسة القرصنة الاسرائيلية وتحقيق مخططات التوسع وطرد الشعب العربى من ارضه . ومن جرائمهم المفزعة التى لن يغض العالم الحر النظر عنها وسجلت في التاريخ بحروف لن تمحى قضاؤهم على قرى عربية باكملها كجزء من خطة متعمدة لباداة السكان الاردنيين مثل قليقلية التى دمرت تماما بعد اجبار ١٢ الفا من سكانها على اخلاء مساكنهم ودخولهم ساحة الحرم بالقدس ومرايقتهم فيها كما اقتحموا مسجد الصخرة والمسجد الاقصى وشربوا المشروبات وقذفوا بالعبوات على

وما اصدق الشاعر الكبير خليل مطران وهو يواجه العنف والارهاب بتلك الايات التى نظمها حينما بدى اضطهاد الاحرار :

شردوا اخيارها بحرا وبراً
واقتلوا احرارها حراً فحراً
انما الصالح يبقى صالحاً
آخر الدهر ويبقى الشر شراً
كسروا الاقلام هل تكسيرها
يمنع الايدى أن تنفس ضجراً
قطعوا الايدى هل تقطيعها
يمنع الاعين أن تنظر شجراً
اطفئوا الاعين هل اطفأوها
يمنع الانفاس أن تصعد زفراً
اخمدوا الانفاس هذا جهدمكم
وبه منجاننا منكم فشكراً

نعم لقد اقترفت اسرائيل في المناطق التى تحتلها عددا كبيرا وبالعنف والتنوع من الفظائع التى لا يكاد يصدقها العقل ومن بين هذه الفظائع قصف مستشفى العريش والمستشفى المدنى وتقالاات الجرحى مما اودى بحياة عدد كبير من الجرحى من المدنيين والعسكريين على السواء وادى الى مقتل عدد ضخم من الشباب المدنيين خاصة في قطاع غزة وضرب المدن بقنايل التابالم وترك الجرحى من المدنيين والعسكريين يهيمون على وجوههم عبر

الصهيانية انتصارات موقوتة لن يدوم لها حال ولن
تقر في قرار .

لقد ظلت بريطانيا تعطى الوعود تلو الوعود للجلاء
عن مصر منذ عام ١٨٨٢ غير أن وعودها كلها ذهبت
هباء ، ولم تستطع الحكومات المصرية أن تصل الى
حل قضية الجلاء حتى قبض لها بجمال عبد الناصر
فتم الجلاء على يديه (١)

وأن من يعمن النظر في تصريحات بريطانيا المتنوعة
بشأن الجلاء لا يملك الا الرثاء فقد جاء في تصريح
اللورد جرانفيل في سبتمبر عام ١٨٨٢ « ان إنجلترا
لا ترمى الى بسط حمايتها على مصر أو ارقام أحد
على الخضوع لارادتها » كما جاء في خطاب المستر
تشميرلن في ٢٩ ديسمبر عام ١٨٨٢ « لا ريب أننا
سنجلو عن مصر متى استتب النظام فيها اننا لانريد
الا ان نضمن لمصر السعادة والأمن والاستقلال »
وجاء في منشور لورد جرانفيل البريطاني عام ١٨٨٢
« أن الحكومة الانجليزية مصممة على أن تسوى
مسألة مصر وقناة السويس واننا نؤكد لجميع
الحكومات عدم وجود مطامع شخصية لانجلترا »
وجاء في تصريح المستر جلدستون ورئيس الوزراء
البريطاني في مجلس العموم في ٢٣ يونيو عام ١٨٨٤
« نتعهد بالأنا نطيل احتلالنا الحربى لمصر الى ما بعد
أول يناير عام ١٨٨٤ اذا كانت الدول يومئذ تصرح
بأن حالة البلاد تسمح برحيلنا » (٢)

وعلى الرغم من هذه الوعود المعسولة التى تؤخذ
بالجلاء واستمرت منذ الاحتلال الى ما قبل ثورة
عام ١٩٥٢ فان وعدا منها لم يتحقق ولم يخرج الى
حين التنفيذ حتى تم الجلاء على يد عبد الناصر .

وقد استفادت مصر من تاريخها استفادة كبيرة
فلم تعد تؤمن بالوعود المعسولة ما لم تصاحبها نية
خالصة وغزم أكيد ، وعمل كبير ، وانه لخير للجمعية
العام للامم المتحدة من ألا تصدر قرارا تعجز عن
تنفيذه من أن تصدر قرارا مانعا لا طاقة لها بتنفيذه
وكما تم الجلاء في فترة وجيزة بعد قيام ثورة ٢٣
يوليو عام ١٩٥٢ على الرغم من جبروت بريطانيا
وقوة التاج الانجليزى فان جلاء دولة العصابات
عن الارض العربية أمر مفروغ منه ولقد استعد
العرب لمواجهة الموقف بجميع احتمالاته ، واذا
ما فشلت الحلول السياسية فان الحلول العسكرية
لن تفشل بمشيئة الله تعالى في هذه المرة « وان
جنبوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » صدق
الله العظيم .

أرض المسجدين « وكانوا يتصرفون بهذه الاعمال
الشیطانية داخل الحرم .

وهذه الاعمال تتفق مع مبادئهم التى يعتقونها
وتسرى في أجسادهم مسرى الدماء فقد قال جلوزنر
الزعيم الصهيونى المعروف عام ١٩٢٩ « المسجد
الاقصى القائم على قدس الاقداس في الهيكل انما
هو اليهود » (٣)

كما قال زعيمهم بن جوريون « لا معنى لفلسطين
بدون القدس ، ولا معنى للقدس بدون الهيكل » .
وقال اللورد ملتشت وهو وزير بريطانى يهودى
« ان اليوم الذى سيعاد فيه بناء الهيكل أصبح
قريبا جدا ، انى اكرس مابقى من ايام حياتى لبناء
هيكل سليمان مكان المسجد الاقصى » .

وقام رجال الدين الصهيانية بتأييد هذه المخططات
تأييدا كبيرا ومنهم الحاخام الاكبر ابراهيم روزنباخ
الذى طالب باباحة الحرم الشريف للكهنة اليهود
وجاء في ندائه الذى وجهه في ٢٠ نوفمبر عام ١٩٣٠

« ان الملك داود قد اشترى بموجب عقد جبل
موريا في القدس من عرنون البيوسى ووقف ذلك لله
الى الازلى كما اقامت البينة والبرهان على هذا
السكرتير حكومة فلسطين تحت رقم ٢٦ - ٤٨٧ في
القدس وباسم الله الحى الازلى اطلب :

١ - أن تحملوا العرب على أن يبيعوا هذا المكان
للكنة من أبناء هارون ليقموا فيه الشعائر الدينية
وأن تبينوا للعرب أن اباحة هذا المكان يتحقق بها
المساعدة المطلوبة لجميع الشعوب فيستطيع العالم
بأسره أن يسمع بالراديو البركات التى يطلبها الكهنة
من الله في ذلك المكان المقدس .

٢ - بعد أن يبيع العرب هذا المكان ويتم ذلك
بحسن نية يظلون هم حراسه وبهذا تحفظ حقوق
التملك المكتسبة بمرور الزمن للملك داود المذكور
في الزمور الرابع والعشرين من الفث .

فلا غرو اذن أن يصب الصهيانية جام غضبهم
على العرب وأن يقترفوا من الجرائم ما يندى منه
جبين الإنسانية وما يتعارض مع النظم الدولية ،
والقوانين الاخلاقية ، فانهم يفعلون ذلك وهم
متعشون الى الدماء كالتمور المفترسة ، ظانين انهم
سيحققون حلمهم الوعود .

وغاب عنهم أن القدر لهم بالمرصاد .. وأن
دولة الظلم لا تدوم ، وأن الظالم مرتعه وخيم وأن الله
سبحانه وتعالى على الظالمين ، وسيعلم الذين ظلموا
أى منقلب ينقلبون . ومن هنا فان انتصارات

رد على مقال القدس والإسلام

الدكتور محمود دياب

والرد على ذلك :

سأبين اهتمام المسلمين بالقدس من ساعة فتحها حتى قيام الامبريالية والصهيونية بانتزاع فلسطين من أهلها وتسميتها اسرائيل .. ان عدم كتابه « لين ودأوى » .

لا يمنع أن المسلمين اهتموا بالقدس بل يصبح دليلا عليها أن كتبهم ناقصة وتحتاج الى مزيد من العلم والتصحيح .

وسأبين مما لا يدع مجالا للشك أسباب اهتمام المسلمين بالقدس وهي كما جاء فى كتاب الفتح القسى عن الفتح القدسى للعماد الكاتب الاصفهاني ٥١٩ هـ - ٥٩٧ هجرية جاء عنها فى صفحة ١٢٢ حين كانت فى يد الصليبيين ما يلى :

« وكيف لا يهتم بافتتاح بيت المقدس الاقوى والمسجد الأقصى المؤسس على التقوى وهو مقام الانبياء وموقف الاولياء ومعبد الاقبياء وقبة الصخرة ومنها مناجى الميراج ولها القبة السماء وفيه ومضى البارق ومضى البراق وامتازت ليلة الميراج وهو اولى القبلتين وثانى البيتين وثالث الحرمين ، وهو أحد المساجد الثلاثة التى جاء فى الخبر النبوى

جاء فى مجلة « جويش اوبزيرفر » فى عدد ١٤ يوليو سنة ١٩٦٧ .. أنه لم يبد المسلمون اهتماما حقيقيا بالقدس الا فى الحقبة الاخيرة وكان هذا الاهتمام نتيجة جانبية للتنافس بين المسلمين واليهود فى فلسطين ، وجاء أن الكاتب المشهور « لين » .. لم يذكر القدس فى كتابه وأن الكاتب العظيم داوى لم يذكر القدس الا مرة واحدة فى مؤلفه عن جزيرة العرب .

أنه تشد اليه الرحال ويعقد الرجاء بها الرجال .

وقال عز من قائل « سبحانه الذى أسرى بعبد لهيلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى » .

وفيه محراب مريم - عليها السلام - الذى قال الله فيه : « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا » .

وهناك طائفة من الكتب العربية عن القدس منها :

١ - فتوح الشام للواقدى ، تأليف محمد بن عمر بن واقد ، ولد بالمدينة ١٣ هجرية وتوفى ببغداد ٢٠٧ هـ .

٢ - تاريخ ابن واضح لليعقوبى ٢٨٤ هـ .

٣ - تاريخ ابن البطريق : ٣٢٨ هـ .

وهناك ٥٦ كتابا تعتبر مرجعا لكتاب تاريخ القدس لمؤلفه عارف باشا العارف (دارالمعارف بمصر) وتحت رقم ٢٩٨٢ - ١٩٥٣ بدار الكتب المصرية بباب الخلق .. وهناك ١٣ كتابا اجنبيا تعتبر مرجعا لهذا المؤلف فارجو من الكاتب الاطلاع عليها وعلى مثات

من الكتب عن القدس تملا المكتبات العربية .

لقد اهتم المسلمون ببيت المقدس منذ جاء اليها عمر بن الخطاب وجاءه البطرق سفريوس حاملا الصليب المقدس على صدره ومعه عدد من الاساقفة والشمامسة والرهبان حاملين الصليب فقابلهم بعز يد من الحفاوة والاکرام ووثيقته الى أهل ايلىا تعتبر خير وثيقة فى العالم لفتح مدينة وجاء فيها أنه (أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم سقيمها وبربها وسائر ملتها) وطلب من عمر أن يصلى حين أذن المؤذن للصلاة فى كنيسة القيامة فرفض عمر وقال للبطريك لا أحب أن أصلى فى الكنيسة فيقال هنا صلى عمر فيصلى المسلمون فى الكنائس وصلى أمام الكنيسة فى مكان بنى به مسجد متواضع موجود حتى الآن ..

زار عمر مكان الهيكل بعد ذلك وكان فى حالة خراب .. تجمعت فيه الإقذار فاصبح عبارة عن مزلة وراح يحضن التراب ويتحصنه بكفيه وحذا الصحابة الذين كانوا معه حذوه فراحوا ينظفون المكان وبرزت

الصخرة وعليها صليّ عمر وسجد وأمر عمر أن يبنى هناك مسجد فبنى المسجد وكان أول مسجد يبنى بالشام وكان من خشب (٦٣٧ م) . وفي زمن عبد الملك بن مروان بنى المسجدان الصخرة والأقصى بل وتقبل الوليد بن عبد الملك وسليمان ابن عبد الملك يبعثهما على الصخرة ولقد أصلحت القبة في عهد جعفر المنصور وفي عهد المأمون (أنظر كتاب عارف العارف في تاريخ المقدس) .

ولقد اهتم المسلمون في مختلف العصور بالمقدس، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١ - المؤسسات الفاطمية :

بمارستان ودار العلم وهي فرع لدار الحكمة بالقاهرة

ولقد احتل الصليبيون القدس سنة ١٠٩٩ ميلادية وأخرجهم منها صلاح الدين الأيوبي سنة ١١٨٧ م ولقد أمر صلاح الدين بإغلاق كنيسة القيامة أثناء الحرب بينه وبين الصليبيين حتى لا تمس المقدسات المسيحية، ولما انتهت الحرب أمر بفتحها وفتح للمسيحيين مجال التعبد فيها بحرية ..

أين أنتم من صلاح الدين .. أنتم الذين هدمتم المسجد الأقصى بمدافعكم وبدانآكم .

٢ - القدس في عهد المماليك

بنى فيها في عهد سيف الدين ابن قلاوون رباط قسلاوون والمسجد القلندلي .

٣ - وفي عهد الأتراك :

جدد المسجد الأقصى عدة مرات واهتم به السلاطين ، وجعلوا منه سنجقا يتبعه خمس قضاات في القدس ويافا والخليل وغزة وبير سبع .. وفي عهد المسلمين بنيت الأديرة المسيحية التي لا عداد لها في القدس .

يقول الكاتب أن قبة الصخرة التي سماها الصليبيون خطأ مسجد عمر لم يبنها عمر بل عبد الله الامام المأمون الذي حكم من ٨١٣ الى ٨٣٣ م . والرد على ذلك :

تتوسط الصخرة الحرم الشريف أو ميرايا بيت المقدس ومنبسطة تماما وهي هضبة صخرية مرتفعة ٧٥٠ م عن سطح البحر ولهذه الهضبة قدسية في الأديان الثلاثة .

١ - بالنسبة للمسلمين :

أ (المكان الذي كانوا يتجهون اليه في صلاتهم كقبة أولى حتى أمر الله محمدا بأن يتجه نحو الكعبة .

ب (وهو المسجد الأقصى الذي باركه الله وأسرى بعده ليلا اليه .

ج (وهو المكان الذي عرج منه محمد الى السماء ليتلقى من ربه الهدية الكبرى .

٢ - بالنسبة للمسيحيين :

المكان المقدس حيث وعظ المسيح وحيث حاكمه اليهود وحيث صلب في نظرهم وحيث قام ..

٣ - بالنسبة لليهود :

ساحة المعبد ومكان الهيكل والمكان المقدس ، وفي وسط الهضبة تماما الحرم الشريف أقام عمر بن الخطاب مصلى من الخشب وعلى أنقاضه شيد عبد الملك بن مروان البناء الحالي لقبة الصخرة عام ٧٢ هـ .

وقد حدث زلزال وأصلحت في عهد المأمون وفي القبة كتابة كوفية نصها ما يلي : « بنى هذه القبة عبد الله الامام المأمون سنة ٧٢ هـ .

واسم المأمون مكتوب بخط دقيق يخالف الخط المستعمل في باقي أجزاء الكتابة فضلا عن أن سنة ٧٢ هـ تقع في حكم عبد الملك بن مروان وهذا يدل على أن قبة الصخرة أقيمت مكان مسجد عمر في عهد عبد الملك بن مروان (المرجع : (١) الكتابة المكتوبة على القبة (٢) ومجلة الخرطوم عدد سبتمبر سنة ١٩٦٧) .

ويقول الكاتب : وقبة الصخرة بنيت فوق الصخرة المشرفة على جبل موريا وتلقى التقديس من اليهود والمسيحيين والمسلمين ، ويضعها المسلمون في المرتبة الثانية بعد الكعبة من حيث القداسة لا لأسباب اسلامية محضة فحسب ، بل ولاقترانها باليهودية والمسيحية .

والرد على ذلك :

كيف يمكن أن يناقش هذا الكاتب الذي يناقض نفسه .. كيف نضع المسجد الأقصى في المرتبة الثانية بعد الكعبة موحث القداسة وهذا سبب اسلامي محض لأنها مكان الاسراء والقيامة الأولى وكيف نقرن ذلك باليهودية

ان تقيس المسلمين للصخرة
ولحائط المبكى يفوق الى حد كبير
تقيس اليهود الحاليين . .
والمسلمون يعتقدون أنه المكان
الذى ربط عنده جبريل براق
النبي - صلى الله عليه وسلم -
ليلة الاسراء ومن هنا جاء اسمه
الاسلامى البراق .

ويقول الكاتب :

وقد تأثر مفسرو القرآن فى
القرون الستة الأولى من الاسلام
وافواج المثقفين من الشعوب
الأخرى الذين اعتنقوا الدين
الجديد وأدخلوا معهم ثروة علمية
وقدرا كبيرا من الأساطير نقلوها
من دياناتهم السابقة واصطبغت
بصبغة الاسلام بالتدرج فبينما
لم يحدد النبي محمد بناتا فى
القرآن الموقع الجغرافى الدقيق
للمسجد الأقصى كان المفسرون
الأوائل يعتبرون المسجد هو
المسجد الموجود فى المدينة وأن
المسجد الحرام هو مسجد مكة
أما القول بأن الآية قد تعنى
القدس فيها ذلك الاتخمين جاء
فى وقت متأخر .

والرد على ذلك :

أن المسلمين لا يقولون أى
أساطير من ديانات أخرى سابقة
ويرفضونها رفضا باتا .

وليس أدل على هذه الفرية من
قوله أن المفسرين الأوائل فسروها
بمسجد المدينة من أن هذا
ينقضه أن النبي - صلى الله
عليه وسلم - أسرى به من
المسجد الحرام - أى الكعبة -
الى المسجد الأقصى فى القدس
حين وجوده بمكة ولم يكن لمسجد
المدينة وجود لانه بنى بعد
الهجرة .

والثابت أن رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - كان ليلة الاسراء
فى بيت ابنة عمه هند ابنة أبى
طالب وكنيتها أم هانئ ونام
بعد صلاة العشاء الآخرة ثم قام
فى الصباح وقال (يا أم هانئ
لقد صليت معك العشاء الآخرة
كما رأيت فى الوادى ثم ذهبت
الى بيت المقدس وصليت فيه ثم
قد صليت صلاة الفداة معكم
كما ترين . . فقالت يا نبي الله
لا تحدث بها الشاس فيكذبوك
ويؤذوك (قال والله لأحدثنهم) .

وها هو أبو جهل يحاجه
ويقول (يا معشر قريش أسرعوا
أسرعوا لتسمعوا النبأ العجيب ،
نبأ رحلته الليلة) وتراكم الناس
وأراد أن يظهر كذب الرسول
فسأله عن وصف بيت المقدس
ولم يكن محمد قد رآه قبل ليلة
الاسراء فجاء به جبريل الأمين
وأخذ رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - فى وصفه وصفا
دقيقا محددا ووافق على صدق
وصفه من شهد بيت المقدس من
الحاضرين فخاب قال أبى جهل
وبدا عليه الاضطراب .

يقول الكاتب :

ومن المؤكد أن محمدا استعار
الشيء الكثير من الطقوس
والشرائع الدينية من الدين
اليهودى ثم أخذ بعين الاعتبار
العادات والتقاليد التى تقادم
عليها العهد بين العرب فأقرها
ولكن أساس دينه الجديد
استمدته من اليهودية وكثير من
التفسيرات المستخدمة فى
الشريعة الاسلامية أخذت من
تعاليم الاحبار اليهود قبل هجرة

محمد الى المدينة ذلك أنه كانت
توجد مستعمرات يهودية متعددة
فى كافة أرجاء شبه جزيرة
العرب كما رأينا فى اليمن عام
١٩٤٨ حيث كان اليهود يعيشون
عيشة مسالمة مع العرب فى كل
مدينة وقرية عربية .

والرد على ذلك :

أن محمدا نبى ورسول نزلت
عليه الرسالة فبلغها من عند الله
خالصة لوجهه لم يأخذ الطقوس
من غير دين أبوه ابراهيم ودين
موسى الحق الذى نزل به موسى
فى تورا ليست موجودة الآن
ودين الحق الذى أنزل على عيسى

لم يستعر محمد شيئا من
الطقوس ولكن محمدا أتبع ماجاء
من عند الله وهو قوله تعالى :
(نؤمن بالله وما أنزل اليينا وما
أنزل الى ابراهيم واسماعيل
واسحاق ويعقوب والأنساب
وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى
النبيون من ربهم لا نفرق بين
أحد منهم ونحن له مسلمون) .

ولكنه كان ينكر أشد الانكار
كل ما يلقى شبهة على وحدة الله
ويذكر لهم أنهم حرفوا الكلم عن
مواضعه وأن ما جاء به موسى
وعيسى ومن سبقهم لا يختلف
فى شيء عما جاء به لأن ما جاء
به إنما هو الحقيقة الأزلية
الخالدة التى تتكشف فى جلاء
وضوحها لكل من نزه نفسه عن
الخضوع لغير الله فى عظمتها
ووحدها ونظر فى الكون على أنه
وحدة متصلة نظرة سامية فوق
أهواء الساعة ومطامع العاجلة
وشهوات المادة .

ويقول الكاتب :

أما دين ابراهيم الذى يشير
اليه محمد فى مواضع عديدة

فى القرآن فكان ديانة توحيدية محضة ومنذ البدايه كانت الوصية الأولى من الوصايا اليهودية العشر تمثل حجر الاسلام فى الأساس وهى الله الاله واحد الحق •

الرد على ذلك :

ان دين ابراهيم - عليه السلام - كان الاسلام ولقد جاء فى القرآن الكريم : (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما) ، فاذا كان القرآن يشير لدين ابراهيم فان ديننا هو دين ابراهيم وهو الاسلام •

يقول الكاتب :

وكان محمد يحسد اليهود على الدوام ولكنه كان يأمل ان ينال اعترافا منهم لأن اليهود اذا اعترفوا لواحد من انبيائهم كما كان يتخيل فقد فاز بأمنية نفسه وجاءت نقطة التحول فى العلاقات بين اليهود ومحمد لأول مرة بعد مفادرتة مكة للمدينة لينشئ مجتمعا اسلاميا كان محمد يطمح فى دعم اليهودية وحتى ذلك الوقت كانت العلاقة الأساسية الخاصة بين اليهود واتباع محمد كانت قائمة على اصرار النبی على أن یصلی أتباعه فى نفس الاتجاه الجغرافى الذى یصلی علیه اليهود أى فى اتجاه القدس ••

الرد على ذلك :

لقد ولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وجهته الى المسجد الأقصى حين كان فى مكة ولم يكن بها يهود ولم يفكر فى يوم من الأيام أن يكون نبيا من بنى اسرائيل لأنه يعرف أنه رسول الله الى الناس كافة وأن رسالته هى خاتمة الرسالات ••

ولقد أثبتت الأيام صدق رسالته وأثبت العلم صدق معجزاته •

ولقد ضاق اليهود ذرعا بمحمد ففكروا أن يمكروا به وأن يقتعوه بالجلاء عن المدينة فذكروا أن من سبقه من الرسل ذهبوا جميعا الى بيت المقدس فأوحى الله اليه أن يجعل قبلته الى المسجد الحرام فى مكة بيت ابراهيم واسماعيل ونزلت الآية الكريمة (قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) •

وأنكر اليهود عليه ما فعل وحاولوا فتنته مرة أخرى بقولهم انهم يتبعونه اذا رجع الى قبلتهم فنزل قوله تعالى : (سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ، وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله) •

ويقول الكاتب :

دولة مستقلة فلمما قوى مركز محمد السياسى فى المدينة واكتشف أن اليهود لا يضمرون له أى احترام ويعتبرونه دجالا انقلب عليهم ولكن بعد أن اكتشف وهو فى منفاه أن للعرب بالفعل قبلة مستقلة فى كعبة مكة •

الرد على ذلك :

لقد كان محمد يعلم وهو فى مكة أن الكعبة هى بيت الله وهى

التى بناها ابراهيم واسماعيل وما كان حاجة الى هذا الكشف وهو يعلم سلفا أنها قبلة العرب أجمعين •• وأما كلمة الكاتب ووصف النبی بالدجل فهو أولا كما أثبت بالكلمات السابقة أنه جاهل وأضاف الى جهله بذاعة لسانه •• وأما اليهود الذين تكلم عنهم الكاتب فقد أمنهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولقد طمعوا فى ضمه اليهم ولما رأوا أن امر محمد يستقر فى المدينة عملوا على الوقعة به ولجأوا الى كل وسيلة للفساد بين المسلمين ولإثارة البغضاء بين المهاجرين والأنصار ولا يقاطح الأحقاد الماضية بين الأوس والخزرج وذكر يوم البعث •• وبإعادة ما قيل فيه من الشرع • يقول الكاتب :

وقد جاء التباين الواضح بين الاسلام واليهودية فى هذا الوقت وقد أفاد ذلك فى تجميع اليهود الآن بعد أن وقفت اسرائيل على قدميها وقد أثبتت وجودها ولم يقو الشعور بين العرب بان القدس مكان مقدس فى الاسلام الا فى عهد الانتداب البريطانى كما اتسعت الهوة بين اليهود والمسلمين مع شعور العرب بزيادة قوة اليهود •

الرد على ذلك :

يقول ان اسرائيل أثبتت وجودها فى تجميع اليهود الحاليين الذين لا صلة بينهم وبين يهود التوراة ولا بالأرض المقدسة والذين يفخرون علينا بفوتهم المؤقتة •• فالحقيقة العلمية المؤكدة :

أنه لا يوجد اختلافات بين السلالات البشرية أكثر مما نجد بين الجماعات اليهودية فى

الرد على ذلك :

لقد ظهر من كل ما سبق أن اهتمامنا بالقدس هو اهتمامنا بإحدى مقدساتنا الدينية الثلاث ولقد كان وقوع القدس في يد الصليبيين هو سبب تجميع العرب والمسلمين .. أما القول عن الزواج بين الأماكن المقدسة لكافة الأديان فالمسلمون وحدهم هم الذين يعتقدون بقدسية الأماكن الثلاث : المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجد الرسول .. ويعتقدون بديانة إبراهيم الحقبة وبما أنزل على موسى من التوراة الحقبة وبما أنزل على عيسى من رسالة حقبة ، فإذا أردتم أن تعودوا إلى دينكم الحق فستجدون أن الإسلام هو دينكم الحق وأنه خاتم الأديان ..

قال تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) .

عند ذلك ستجدون الأماكن المقدسة ترحب بجميع المعتقدين فيها وهذا هو الزواج الذي نعرفه

ولقد اعترف الكاتب بأن اليهود يعيشون عيشة مسالة مع العرب في كل مدينة وكل قرية كما في اليمن حتى ١٩٤٨ وكان يجب أن يعلم ويذكر أن المسلمين هم الذين حموا اليهود في جميع عصور التاريخ وحموهم من الإبادة في الأندلس وأخذوهم معهم إلى بلاد المغرب وبلاد العرب جميعاً وكانت النتيجة أن تسمى العدد الكبير بأسماء إسلامية مثل جماعة الدنا التركية ليقتضوا على الخلافات الإسلامية ، ويقضوا على فلسطين العربية الإسلامية . والله من ورائهم محيط .

بعد المؤتمر الصهيوني الأول في بازل وكان لا يهتم بالألفاظ وقال اننا لا حاجة لنا أن نقلق بسبب الألفاظ فإن الشعب سيفهم لفظ الوطن اليهودي على أن المقصود به الدولة اليهودية ولن أسرد هنا الخطوات ولكن الوطن القومي قام بعد تصريح بلفور الانجليزى وعين السير هيربر صمويل اليهودي أول مندوب سامى انجليزى على فلسطين وقال ويزمان انه المسئول عن تعيينه .

واستمرت السياسة البريطانية والأمريكية في تأييد الصهيونية العلية في أغراضها حتى قامت إسرائيل في الأرض التي كانوا يعتبرونها ملجأ لليهود المضطهدين ثم وطنا قومياً تحت أسنة الرماح البريطانية لليهود اللاجئين ثم دولة إسرائيل تحت أسنة الرماح الأمريكية للآثمين المعتدين ولكن إلى حين .. لقد كان وقوع بيت المقدس في أيدي الصليبيين هو سبب تجميع العرب والمسلمين حتى أزاحهم صلاح الدين الأيوبي من بيت المقدس وسيعود بيت المقدس مرة أخرى إلينا إن شاء الله .

يقول الكاتب :

ولم تحتل القدس في يوم من الأيام مكاناً في التاريخ الإسلامي يمكن أن يماثل مكانتها في الديانة اليهودية أو حتى النصرانية ومع ذلك لا تزال القدس تحتفظ بمكانة هامة في الشعور الديني لدى المسلمين وهناك اعتقاد شعبي في الشرق الأوسط بأن تزواجا سيتم بين الأماكن المقدسة لكافة الأديان وأنه عندما يحدث ذلك سيتم السلام العالمى ..

مختلف القارات واليهود ينتمون إلى عدد كبير من السلالات وهم يشبهون الجماعات التي يعيشون في وسطها . ومن أصدق الأدلة على ذلك ما حدث للألمان اليهود في ظل الحكم النازي .. فلقد استطاع كثير منهم أن يثبتوا بواسطة وثائق أنقثوا صنعها أنهم آريون من أصل جرمانى فافتتحت السلطات الألمانية بأنهم آريون حقاً وسجلت أسمائهم بأنهم آريون لم تجر في عروقهم قطرة من أى دم آخر سوى الدم الأرى ولو كان في شكلهم أو مظهرهم شيء يدل على أنهم من عنصر دخيل لما صعب على أولى الأمر من النازيين أن يهتدوا إلى الحقيقة .

ويمكننا أن نعتبر أن السامية ليس بينها وبين اليهود الحاليين صلة وإنما الحقيقة هي أن السلالة السامية في البلاد العربية .. ويمكن أن يقال حقاً أن إسرائيل تعادى السامية الأصلية الآن .

أما كيف قامت إسرائيل .. فالعالم كله يعرف أن سكانها جماعة من مختلف الأجناس جمعتهم الصهيونية العالمية لخدمة الاستعمار البريطانى أولاً والأمبريالية الأمريكية ثانياً .. ولقد عاشت الصهيونية العالمية على أكتاف جميع الدول متمسكة بأقوى دولة في العالم وهى حركة منظمة تنظيمياً مركزياً عالمياً تستهدف استعمار أرض العرب وإجلاء أهلها من النبل للفرات واستبدال أهلهم بقوم من مختلف الأجناس في دولة إسرائيل تدن لها بالولاء وتمثل بأوامرها جماهير اليهود من رعايا الدول الأخرى .

ولقد قام هرتزل سنة ١٨٩٧

الحشاش

الاستاذ محمود كمال

٦

فأصبح اسمه « بيبرس البندقارى » . ويرى عنه رواية طريفة متقولة عن ابن واصل وأبى المحاسن فسادها أنه « يبدو أن بيبرس تنقل في صحبة تجار الرقيق حتى وصل - ومعه زميل له - الى حماة حيث عرضهما الساخر على صاحبا الملك النصور » و « أن الملك النصور ... كان صغير السن عندئذ ، وأنه اعتاد عندما يشتري رقيقا أن يستشير والدته ، وكان أن قام بعرض الفلامين على أمه ، فرائتهما من وراء ستار ، وعندئذ سمحت بشراء زميل بيبرس فقط ، أما بيبرس نفسه فقد أشارت اليه وقالت لا تشأ : هذا الاسمر لا يكون بينك وبينه معاملة ، فان في عينيه شرا لاتحيا .

وإذ بان على بيبرس مخايل الذكاء والطفلة أعقته السلطان الصالح أيوب ، ثم ضمه الى فرقة الممالك البحرية الصالحية ، وهى تلك الفرقة التى كونها من الممالك الأتراك ، ونسبها الى نفسه

وقد حدث أن حمل بيبرس عبء موقعة المنصورة على كسفه ، على ما فصلناه فى المقالات السابقة ، وكتب الله له النصر ، وتوالت ، بعد ، انتصارات المسلمين ، وقتل تورانشاه ، واعتلت شجرة الدر السلطنة ، وتزوجت عن الدين أيبك ، وتخلت له عن الحكم ، ثم قتلته ، بدافع من الفقرة ، ثم قتلته هى أيضا ، ثم تسلطن ابن عن الدين أيبك - من زوجة أخرى - ولم يلبث نأته « سيف الدين قطز » أن أبعدته عن منصب السلطنة ثم اغتاله هو نفسه .

وكان عن الدين أيبك قد رأى أن القول يهددون العراق ، بعد أن استحصل أمرهم ، وتمادوا فى غزواتهم ، وأنه لابد له من إزالة ما فى طريقه من عوائق أو موانع لكى يتفرغ لمقاومتهم ، فكان من

عقوبة فغزت به الى حيث أراد الله له أن يكون أو قد تكون نشأته مجهولة لدى المؤرخين فلم يستبينوا عنها شيئا مذكورا .

وبطلنا الذى نعرض لسيرته الآن ، فى إيجاز ما وسعنا ذلك ، من الإبطال (الذين لم يلم المؤرخون شئ يذكر عن أسرهم ، أو يثبتهم ، أو ظروفهم عند طفولتهم ، وكل ما لدينا عنه أنه من قبيلة القباق التركية ، التى كانت تقيم فى جنوب روسيا ، وقد « قضى فى تلك البلاد الدور الاول من طفولته حتى أغار عليها التتار حوالى سنة ١٢٤٢ للميلاد » .

ويقول أبو المحاسن فى « النجوم الزاهرة » : أن مولده « فى حدود العشرين وستماية » والمقصود هنا هى السنة الهجرية ، و « أن سبب انتقاله من وطنه الى التتار لما أزمعوا على قصد بلادهم سنة تسع وثلاثين وستماية ، وبلغهم ذلك ، كاتبوا « أسى خان » ملك أولاق - جنس معروف من التركمان - أن يعبروا بحر صوداق - فى ذيل جبل على شط بحر القرم - اليه ليحجزهم من التتار ، فأجابهم الى ذلك .. فلما أطمأن بهم القام غدر بهم ، وقتل منهم وسبى .. وكان الملك الظفر فيمن أسر وكان عمره اذ ذاك أربع عشرة سنة ، تقديرا ، فبيع فيمن بيع ، وحمل الى سيواس - فى إقليم الروم - ثم حمل الى القاهرة فبيع الى الأمير علاء الدين أيدى بن البندقارى ، وبقي فى يده الى أن انتقل عنه بالقبض عليه فى جملة ما استرجعه الملك الصالح نجم الدين أيوب منه ، وذلك فى شوال سنة أربع وأربعين وستماية .

وقد انتسب بيبرس الى الأمير علاء الدين المذكور لأنه كان أول من اشتراه

فى المقالات الخمس السابقة تكلمنا ، فى تطويل وإسهاب ، على الحملة الصليبية السابعة التى انتهت بهزيمة الصليبيين وأسر الملك لويس التاسع ، ملك فرنسا ، وألقائهم الأعلى لتلك الحملة .

وقلنا ان « ركن الدين بيبرس البندقدارى » كان قائد فرقة الممالك البحرية الصالحية ، وكان هو الذى كسب معركة المنصورة ، تلك المعركة التى كانت بداية هزيمة الصليبيين ، ونصر المسلمين .

وقلنا ان شجرة الدر ، زوجة السلطان الصالح أيوب ، أخفت خسر وفاته عن الناس كافة الا عددا قليلا محددا كان لابد أن يعلم لما كان له من شأن فى تسيير دفة الحكم فى البلاد ، ومهدت ، دون تراخ أو إبطاء ، للمناداة بابنائه « تورانشاه » سلطانا مكان أبيه ، وبعثت رسولا من قبيلها لاستدعاء تورانشاه من حصن « كيشا » فى اطراف العراق .

وإذ حضر « تورانشاه » بدت منه جفوة نحو أمراء فرقة الممالك البحرية أدت فى النهاية ، الى انقراضهم عليه ، وقتله .

ومن ذلك البيان يتضح أن الشخصيات الإسلامية التى لعبت الدور الأهم فى تلك الفترة منذ وفاة السلطان الصالح أيوب ، قبيل معركة المنصورة ، الى حين نهاية الحرب ، وخروج الملك لويس ومن معه من مصر ، تتمثل فى :

- ١ - ركن الدين بيبرس البندقارى
- ٢ - وشجرة الدر .
- ٣ - وتورانشاه .

ومن أجل هذا الاعتبار فقد أثروا أن نفرد كلمة عن كل من هؤلاء لكى يكون القارئ فكرة عنهم يستكمل بها الصورة التى رسمها فى ذهنه عن الحملة الصليبية الشار إليها ، وملابسائها ، وتطوراتها ، منذ البداية الى النهاية .

١ - ركن الدين بيبرس البندقارى لعله من الأفضل دائما عندما نعرض لسيرة بطل من أبطال التساريخ ، أو عبقري من العباقرة ، الذين برزوا على الميدان العالى ، فكان لهم اثر فى تطوير الحياة العامة فى شعب بذاته ، أو فى شعوب العالم بأسره ، أن تكشف عن نشأته منذ طفولته ، كلما كان ذلك فى حين الامكان . فقد يكون البطل قد نشأ فى بيئة أو أسرة عريقة أو غنية موسرة ساعدته على الظهور على المسرح ، والوقوف تحت الاسواء ، واكتساب الشهرة فى المعلنين ، أو فى بيئة أو أسرة متواضعة أو فقيرة عاجزة عن الأخذ بيده الى حيث أعد القدر مكانه ، ولكنه ، مع ذلك ، شق طريقه الى الشهرة ، بفضل ما وهبه الله من شجاعة ، وقوة ، واقتدار ، أو منحه من

حضر لهنتة فطر بمسا ناله من نصر تاريخي عظيم ، كما قابله الابناك الذي كان قد أعد مكان نزول فطر في تلك المدينة ، وتنادى الجميع باقامة بيبرس سلطانا ، وتوجهوا الى قلعة الجبل في القاهرة حيث تمت المراسيم الضرورية للسلطنة .

وهكذا بدأ في مصر عهد جديد .

ولسنا بصدد سرد تاريخ بيبرس كاملا ولكننا بصدد التنويه بشخصيته الفذة وسياسته التي اختطها لنفسه ، منذ البداية الى النهاية ، وتوضيح الاسس العامة الرئيسية التي قامت عليها تلك السياسة .

الشخصية بيبرس :

قد لا يقبض عن القارئ ، بعد الالام بتطورات حياة بيبرس على النحو الذي تكفلت ببيانه المقالات السابقة ، والحديث الذي يتضمن هذا المقال ، ان بيبرس رجل ذو صفات ومواهب معينة ، بارزة ، اهمها الشجاعة والجرأة والافقدام ، وانه رجل حرب ، ولكنها في الواقع حرب في سبيل الوطن والعروبة وفي سبيل الجهاد لله ، ونصرة دين الله ، والدفاع عن الاسلام والمسلمين ، فهو الذي قهر الصليبيين المتدنين على مصر ، واوردهم موارد التهلكة ، والذكرياتهم حتى لقد كانت الحملة السابعة هي آخر الحملات الصليبية على مصر ، وهو الذي كسر شوكة المغول في عين جالوت متعاوناً مع فطر ، ولكنه يحق لنا ان نقول انه صاحب فضل ملحوظ فيما ناله المسلمون من نصر مؤزر لانه بادى المغول قبل ان تأتيهم النجذات ففت في عضدهم ، ولانه دبر الكمين قرب « عين جالوت » - على النقيض نفسه الذي دبر به الكمين في مصر ضد جيوش لويس التاسع - وخرج مع الطليعة متقدما نحو الجيوش الرئيسية المغولية بحيث اغراهم بالهجوم عليه ، وعنده خرجت القوات المصرية الاساسية فاحاطت بهم ، وانزلت بهم ما انزلت من هزيمة تكراء ، وكانت اول فصل من فصول مدافعة هؤلاء التتار والقضاء على شوكتهم في الشرق الاوسط .

ولسوف تتجلى شجاعة بيبرس واقدامه على المخاطر في سبيل قضيته ، والحفاظ على الديار الاسلامية ، ونصرة الدين ، عندما نستوعب تاريخ حروب هذه الصليبيين في الشام ، وضد المغول في الشام ايضا وفي العراق .

على ان استيعاب هذا التاريخ ليس من اهداف هذا المقال ، ومع ذلك لا نرى بأسا من الاستطراد الى معاهدة التراء عن هذا التاريخ في سطور قليلة موجزة ولكن وافية بالفرض الى حد محدود .

ولا بد لي ، هنا ، من الإشارة إشارة عابرة الى ان بيبرس لم يهزم ولا في

بيبرس عاجله ، وقام بالهجوم عليه وهزموه ، وطارده نحو الشمال ، حتى نهر « العاصي » ، واذا وصلت الجيوش المصرية الاساسية بقيادة فطر انضمت الى طليعة بيبرس وانجسوا جميعا شرقا نحو دمشق ، وكان كتيبا قد اترته هزيمة بيدرا فسارع متجها نحو غزة ، فتقابل الجيشان في الطريق عند « عين جالوت » - بين بيسان وطرابلس - ، ونشبت المعركة بين الجانبين حامية ، ساخنة ، ولاح ان ميسرة المسلمين قد كسرت ، ولكن فطر فطر اليها ، والتي بنفسه في العمدة مستحشا جنوده على الجهاد ، وما لبث ان نظف بنصر عظيم ، واصيب مقدم العسكر التتاري « كتيبا نوب » ، وقتل شر قتلة ، وبهمم الاير ركن الدين بيبرس البندقداري في جماعة من الشجان الى اطراف البلاد . وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، حتى انه لم يسلم منهم الا القليل .

وكانت تلك الموقعة الشهيرة - موقعة عين جالوت - في يوم الجمعة خاس عشر من شهر رمضان - اوائل سبتمبر سنة ١٢٦٠ ميلادية .

وكانت قوات الجيش المصري قد رسمت خطة حربية ناجحة بموجبها اختفت هذه القوات بين الاشجار ، والاراش المحيطة « بالعين » الا طليعة منها بقيادة بيبرس ، وما ان رأى المغول هذه الطليعة حتى بادروها مهاجمين فبرزت القوات المختفية في السكمن ، واحاطت بهم .

وقد ابل بيبرس في جميع ادوار هذه المعركة بلا مشكورا ، وكان له فيها فضل عظيم .

وكان فطر قد وعد بيبرس بنياابة « حلب » ، فلما ان استنجزه ما وعد لم يعجه الى ما طلب ، واقطعها اميرا آخر ، فاصرها بيبرس في نفسه ، ثم دبر مؤامرة لقتله ، بالاتفاق مع بعض الامراء .

واخذت الجيوش المصرية في العودة الى ديارها ، واعد « لفظر » مكان في الصالحية ينزل فيه لدى وصوله الى هناك وحدث عند وصوله الى القصر قرب الصالحية ان خرج للصيد في جماعة من الامراء ، منهم بيبرس والامراء التامرون معه ، وتوغل فطر متتبعا صيده ، وانتهز بيبرس فرصة وجود فطر منفردا وحيدا ، في ذلك المكان البعيد ، فشفغ عنده لانسما ما ، فاجابه فطر الى ما طلب ، فاكب بيبرس على يده مقبلا ، ثم امسكها بقوة فلم يفلتها حتى يشل حركتها ، وفي العين نفسه انقض عليه الامراء التامرون فاقوه عن فرسه وقتلوه بسيفهم .

وسار بيبرس وصحباة الى الصالحية حيث قابله قاضي القضاة ، وكان قد

ذلك ان دبر لقتل رئيس المالبيك البحرية ، فارس الدين اقطاي ، فتجهز بعض امرائها وفرسانها ، عند القلعة ، فالتقى اليهم عز الدين ابيك برأس اقطاي فكان ذلك دليلا على عدم اكرامه بتجهزهم فهاخوا ان تدور الدائرة عليهم ، ففسر بعضهم الى الشام ، وكان من هؤلاء الفارين بيبرس ، وجماعة من زملائه وظل بيبرس - ومن معه - ينتقلون ما بين حلب في خدمة صاحبها « الناصر يوسف الابوي » والكرك في خدمة صاحبه « الفيت عمر » ، ثم اغراهما كلا بدوره ، بالهجوم على مصر لتملكها . ونجح في اغرائه اياهما ، ولكنهما هزما ، الاول منهما في الموقعة التي دارت بينه وبين جيش ابيك عند العساة بالشرقية سنة ١٢٥٦ ميلادية ، والثاني في الموقعة التي نشبت بينه وبين السلطان فطر ، قرب الصالحية من اعمال محافظة الشرقية ايضا ، وبطبيعة الحال فان بيبرس كان مشتركا في هاتين الموقعتين .

وحدث ان استولى المغول على بغداد سنة ١٢٥٨ ، وخربوها ، وقتلوا الخليفة المستعصم ، وجمعوه سر من المسلمين وعلمائهم ، يوقلهم والاحياء ، ثم اخذوا يهدون حلب ، واستولوا عليها وعلى دمشق وغيرها الى ان وصلوا الى غزة .

وهنا تجدر الإشارة الى شيئين :

الاول : ان تهديد حلب دفع صاحبها « الناصر يوسف الابوي » الى الاستنجاد « بالفيت عمر » صاحب الكرك ، وبالسلاطان « فطر » اي ان هؤلاء جميعا قد شعروا بضرورة الاتحاد ضد الخطر المغولي .

الثاني : ان بيبرس تناسى ما بينه وبين فطر من احقاد ، وبعت اليه يستحلفه على الامان فامنه ، فماد الى مصر حيث قول مقابلة مرضية . بل ان فطر اقطعه قلوب واعمالها .

وفي ذلك الوقت الذي استولى فيه المغول على حلب ودمشق ، ارسل قاتنهم ، هولاء ، الى السلطان « فطر » رسالة تهديد ، ومطالبة بالاستسلام والتسليم . فجمع فطر امراده واستشارهم في الامر ، فاجمعوا على الحرب . فقتل فطر رسل هولاء وعلق رقابهم على باب ذويلة ، ثم اخذ يجز جيوشه ، وقام بارسال طليعة منها الى غزة بقيادة بيبرس ، وكان قائد المغول يدخل في معركة مع بيبرس ، وانما ارسل الى « كتيبا نوب » - القائد الذي حل محل هولاء بصدد مونه - وكان حينذاك في بعلبك ، يطلب منه نجدة ضد جيوش المسلمين ، ولكن

موقعة واحدة سواء أمام الصليبيين أو أمام المغول ، وكان اسمه يلقى الرعب في قلوب أعدائه حتى لقد كانوا يأتون اليه - في أحيان كثيرة - مسلمين مستسلمين طالبين أماناً ، أو رافعين في صلح .

كما أنه لا بد لي من الإشارة الى أنه منهم بالقسوة ، وأنه وإن يكن لهذا الاتهام نصيب من الصحة ، غير أنه يجب أن نتذكر دائماً أن القسوة في الحروب خاصة ، وفيما يتصل بها من ظروف وملابسات عامة ، كانت أمراً شائعاً ، غير مستهجن ، ولا مستنكر . في ذلك الزمان ، في العصور الوسطى ، وأقرب الأمثلة على ذلك ما كان المغول يرتكبونه من وحشية غير متصورة ، ومجردة عن كل معنى الإحساس والشعور ، فهم كانوا يحرقون المدن ، ويقتلون نساءها ، ويذبحونها ، بالجيلة ، دون أن تأخذهم حواطة ولا رحمة ، ورسائلهم التهديدية التي كانوا يبعثون بها الى الملوك والحكام قبل هجومهم على ديارهم ناطقة بمسا كانوا يتبعونه من اساليب مجردة عن كل عاطفة بشرية ، او معنى من معنات الإنسانية ، وكذلك كان الصليبيون يفعلون في حملاتهم في الشرق الاوسط . وكذلك كان المسلمون يفعلون انتقاماً لما كان ينزل بهم من ضروب القسوة وسوء المعاملة .

وكان بيبرس يفضل كما يفعل أعداؤه كلما لاح له أن القسوة لها ما يبررها .

فالقسوة لم تكن من طبيعة بيبرس اذ كان في أحواله العادية ، أغنى في غير ظروف الحروب وملابسها ، انسانيات الشعوب ، فيه عطف ، وببر ورحمة ، ويبدو لي أن بيبرس كان أقرب رجال التاريخ الاسلامي ، منذ تلك العصور ، شبيهاً بصلاح الدين الايوبي ، سواء في اتجاهاته الوطنية والدينية والسياسية ، او في غرائزه الانسانية . وميوله النسائية .

حروب بيبرس :

عندما تولى بيبرس السلطنة في مصر كان الصليبيون قابعين في كثير من مدن الشام يشكون ظروفاً واضسحا على استقلال الوطن العربي ، ويمشولون قاعدة كبرى للاستعمار الغربي يمكن ان يستغلها في ارسال حملات صليبية جديدة الى بلاد الشام ، وكان المغول رغم انسحابهم الى العراق ، عقب هزيمة عين جالوت يهددون الشام بين العين والحين ، ومن أجل هذين الخطرين المتآكلين اتجهت جهود بيبرس الى القضاء عليهما ، وتخليص المسلمين ، والبلاد الاسلامية في مصر والشام منهما .

الصليبيون :

في سنة ١٢٦٢ قام بيبرس بجولات في أرجاء الشام ، يمكن ان يقال إنها كانت جولات استطلاعية لقوة الصليبيين وحصونهم ، وقلاعهم ، ومن ذلك ان هاجم عكا ، والناصرية ، ولم يشسسا أن يستولي عليهما ، ولكنه ارتد عنهما

من تلقاء نفسه . على أنه - مع ذلك - استولى في تلك السنة على الكرك وقام بتحسينات فيه .

وفي سنة ١٢٦٥ هاجم « قيسارية » واستولى عليها ، وعلى حصنها ثم هدمها وهاجمت جوشه بيسان وحيفا وعادت منها بفنائم وفيرة ، ثم حاصرت أرسوف وما زالت قائمة على حصارها حتى سلمت .

وفي سنة ١٢٦٦ اغار على « الخليل » وصور ، وصيدا ، وصيد ، واضطرت صدق على التسليم تحت وطأة هجماته عليها ، وطلب الصليبيون فيها الأمان ، فأمهم بشرط ألا يخرج أحد منهم بمال أو سلاح أو أي شيء من ذخائر القلعة ، ولكنهم خالفوا هذه الشروط اذ وجد مع بعض من رجالهم ، عند خروجهم ، أشياء مما هو مخطوود نقله من المدينة فتفصص هو من جانبه الأمان الذي كان قد أعطاه لهم ، وأمر بقتلهم . واتخذ - بعد ذلك - من هذه المدينة قاعدة له أعداء للهجوم على أعدائه ، ونقل اليها بعضا من المسلمين للإقامة فيها .

وفي سنة ١٢٦٧ هاجم عكا مرة أخرى . وفي سنة ١٢٦٨ استولى على يافا ، وأرسل الى مصر أخشاباً ، ورخاما من اخشاب ورخام قلعتها ، بغرض استعمالها في بناء « مقصورة الجامع القلصاري بالحسينية » وصنع محرابه .

ثم استولى على « الشيف أدفون » وكان من الحصون المتبعة لفرسسان الداوية ، ثم شن هجوماً على انطاكية ، وأحرق قلعتها ، واستولى عليها ، كما استولى على غنائم كبيرة منها . وكان الاستيلاء على انطاكية نصرا عظيماً للمسلمين أشاع الفرح بينهم ، كما كان فلدحة نزلت بأعدائهم ، لان انطاكية كانت أول اماره أسسوها في الشرق عندما حلت الحملة الصليبية الاولى ببلاد الشام سنة ١٠٩٨ ميلادية . وكان الاستيلاء عليها بمثابة انهيار « البناء الصليبي بالشام ، واعلانا لحركة الجهاد الكبرى التي شنها سلاطين المماليك ضد الصليبيين . وهي الحركة التي لم تنته الا سنة ١٢٩١ بطرد آخر البقايا الصليبية من الشام .

وعقب سقوط انطاكية فر فرسسان الداوية من حصن « بفراس » فاستولى عليه بيبرس ، وأسر صاحب « عكا » على طلب الصلح ، فقدت بين الطرفين هدنة مدتها عشر سنوات .

وفي سنة ١٢٧٠ عاد بيبرس الى عسقلان فهدم ما بقي منها .

في سنة ١٢٧١ استولى على بعض البلاد والحصون الحبيطة بطرابلس ، تمهيدا لمهاجمتها ، ثم هاجم حصن الكرك ، وكان تابعا لفرسان الاستبارية واضطره للتسليم ، وسارعت حصون أخرى الى التسليم ايضا ، واغار بيبرس على حصن عكار شمالي طرابلس ، وما

زال به حتى سلم ايضا . ولما لم يسق امامه من عائق يحول بينه وبين طرابلس رأى أن يرسل الى ملكها بوهيموند السادس منثرا اياه ، وطالبا منه تسليم المدينة ، ولكن الامر انتهى الى هدنة مدتها عشر سنوات .

وهكذا نرى أن بيبرس تابع الحرب ، لم يفتئ عنها ، وأن حروبه امتدت من سنة ١٢٦٢ الى سنة ١٢٧١ . على ان هذه الحروب لم تكن قاصرة على الصليبيين بل لقد شملت « طائفة الاسماعيلية الباطنية » كما شملت المغول .

وكانت طائفة الاسماعيلية من « الشيعة » ونسبون الى « اسماعيل بن جعفر الصادق » وكانوا يقاتلون « المذهب السنني » وسعتهم المقاومة « حتى لقد كانوا يلجأون الى اقتتال زعماء هذا المذهب ، ومن هؤلاء الذين اغتيلوا جناح الدولة أمير حصص حيث قتلوه سنة ١١٠٣ . وخلف بن ملاعب ومودود أتابك الموصل الذي قتل سنة ١١١٢ - وقد حاولوا اغتيال صلاح الدين الايوبي نفسه لولا أن انجاه الله من شرهم .

وزاد من بأسهم « في بلاد الشام على عصر الحروب الصليبية كثرة ما امتلكوه من حصون ، أشهرها مصياف ، والعلقية ، والقنوس ، والخابي » .

وقد اتت معاداة الاسماعيلية لاهل السنة الى توددهم الى الصليبيين ، وتودد الصليبيين لهم ، مما جعل الطرفين على علاقة ودية أحدهما بالآخر . وكان المالكي من أهل السنة ، وكانوا يعتبرون الاسماعيلية من الزنادقة ، وبداهة فان بيبرس لم يكن ليسمح ببقاء طائفة قائمة قوية ، وعلى حسن علاقة مع الصليبيين .

على أن شوكه الاسماعيلية قد اخذت تضعف في بلاد الشام مما جعلهم يؤدون ضريبة الى الاستبارية ، فلما ان عقد صلح بين بيبرس والاستبارية سنة ١٢٦٧ اشترط بيبرس عليهم الامتناع عن اخذ الجزية التي كان تدفعها الاسماعيلية ، فوفد الاسماعيلية على بيبرس وقدموا له المال الذي كانوا يدفعونه للاستبارية .

وفي سنة ١٢٦٩ رأت طائفة الاسماعيلية مطالبة السلطان بتخفيض الجزية التي تدفع له ، ولكن بيبرس كان قد صار هو المهيمن على تلك الطائفة ، ببلاد الشام فكان يدخل في شئونهم الى درجة اقامة الزعماء أو اقصائهم عن الزعامة . ومن ذلك انه عزل « نجم الدين الشرواني » وأقام « صادم الدين مبارك » مكانه في زعامة الطائفة ، ثم لم يلبث بيبرس أن اخذ يستولي على حصونهم واحدا بعد الآخر حتى انتهى . جودهم في بلاد الشام كلية .

والى اللقاء في مقال قادم ان شاء الله .

جمهورية غينيا

الدكترة عنيات الطماري

ماذا تعرف
عن العالم
الإسلامي
دوله وشعبه؟

أولا :

التعريف الجغرافي بغينيا

تبلغ مساحة غينيا ٢٨٠٩٠٠ كيلو متر مربع وتقع بين خطي عرض ٧ ، ١٢ر٣٠ شمالا وتطل على المحيط الاطلنطي بساحل يبلغ طوله ٣٠٠ كيلو متر . وتشترك في حدودها مع جمهورية مالي من ناحية الشمال الشرقي ومع جمهورية السنغال وغينيا البرتغالية من الشمال وفي جنوبها سيراليون . وتقع ليبيريا في جنوبها الشرقي وإلى شرقها ساحل العاج ، وتمتد أرضها شمالا حتى منابع نهر- النيجر الذي يدخل جزء كبير من حوضه الأعلى ضمن أراضي جمهورية غينيا

أما في الجنوب الغربي فلها جهة ساحلية طويلة تطل على المحيط الاطلنسي وتنتشر على طولها مستنقعات ساحلية كما تخترقها بعض المصببات الخليجية للانهار التي تنتهي الى المحيط كنهـر كوجون وفاتالا وكوناكري . كما

يمتد أمام الساحل نطاق من الجزر الرملية الوطنية التي تنتشر فوقها مساحات من البطائح والمستنقعات بحيث يبدو الساحل بأكمله على شكل دلتا هائلة متعددة الفروع وتنقسم غينيا الى الأقاليم الطبيعية الآتية .

١ - إقليم السهل الساحلي ، ويتراوح اتساعه بين ٥٠،٣٠ كيلو مترا وهو غزير الامطار وتغطنه جماعات السوسو التي تقوم بزراعة نخيل الزيت أو تعمل في مزارع الأناناس والموز التي تمتد على طول الخط الحديدي الرئيسي

٢ - إقليم الهضاب ومنحدراتها السفلى وتنتشر فوقها جماعات الرعاة ويعيشون في قرى كبيرة ذات اكواخ مستديرة تحيط بها حدائق للفاكهة المدارية

٣ - إقليم مرتفعات فوتاجالون ويزيد منسوبها على ثلاثة الاف قدم وتنحدر صوب الشمال وهي

تمثل أهم منطقة تقسيم مائي في غرب أفريقيا إذ تنحدر منها شعاب نهر السنغال متجهة نحو الشمال الغربي كما تنحدر منها مياه نهر جامبيا وشمالا مياه نهر النيجر ، وتخرج منها أيضا كل المجاري المائية التي تنتهي جنوبا الى المحيط وتعيش في هذا الإقليم جماعات تحترف الزراعة وخصوصا الذرة الرفيعة والفول السوداني والمسمم وتقع في هذا الإقليم كانكان ويبر بها الخط الحديدي الرئيسي كما تلتقي عندها كل الطرق البرية .

٤ - الأقليم الجنوبي الشرقي وتكسوه غابات استوائية كثيفة وهو من أكثر أقاليم غينيا وعورة وتأخرا وقد مدت فيه في السنوات الأخيرة بعض الطرق التي تتلاقى كلها في كانكان أو في مرويـفا عاصمة ليبيريا .

ومناخ غينيا شبه استوائي وخاصة في المنخفضات حيث تغزد الأمطار والسنة تنقسم الى فصلين

مناخين احدهما جاف والاخر ممطر .

ويسقط المطر صيفا بينما الشتاء جاف دفي ويغزر المطر على المرتفعات الجنوبية حيث يصل متوسطه الى ٢٥٠٠ ملليمتر ويقل المطر في شمال غينيا حيث يتراوح ما بين ٧٠٠ ، ٩٠٠ ملليمتر . اما مرتفعات فوجالون فيغزر عليها المطر . وتبعاً لتفاوت كمية المطر فان النباتات الطبيعية تتنوع ما بين السفانا والغابات الحارة وتغطي الغابات مساحة تقدر بحوالى ٤٪ من مساحة غينيا (٣ مليون فدان)

ثانيا - اقتصاديات غينيا

لما كانت غينيا تنقسم الى اقاليم طبيعية مختلفة فان اقتصادياتها ايضا تتنوع تبعاً لتنوع هذه الاقاليم .

وتعتبر الزراعة اهم مظاهر اقتصاد غينيا اذ يعمل بهما يربو عن ٨٠٪ من سكان غينيا

وأهم الغلات الزراعية الذرة والأرز والفول السوداني والبطاطا والكاينوكا (الكاسافا) والبنور الزيتية والسمسم والفول السوداني والبن . وكذلك الموز والاناناس والبرتقال . هذا فضلا عن غابات البلوط وغيرها من مناطق الغابات التي تعطي قشرا كبيرا من الأخشاب .

ومما يستحق الذكر ان المطاط كان حتى ١٩٢٥ من اهم

زراعات غينيا ولكن أزمة ما بعد الحرب الأولى جعلت الزراع والمستثمرين يقلعون عن زراعته في القسم الجنوبي ويتحولون الى زراعة الموز والاناناس التي احتلت المقام الاول بين المحاصيل النقدية

وتغطي الغابات حوالى ٤٪ من مساحة غينيا (اى مايعادل ٣ مليون فدان) وتحافظ الدولة على الابقاء على هذه الغابات لدورها الفعال فى حفظ التربة وعدم تعرضها لعوامل التعرية .

وفيما عدا الزراعة فان الرعى يمارس على نطاق واسع وخاصة عند قبائل الفولا وتقدر عدد الماشية بحوالى ٢ مليون رأس ونصف مليون من الاغنام والماعز .

كذلك يمارس السكان صيد الاسماك من الانهار ومن المحيط ولكن بطرق بدائية وهناك مشروع للنهوض بهذه الخدمة وذلك بإنشاء ميناء للصيد والصناعات السمكية ولا يقتصر الامر في اقتصاديات غينيا على اتروء الزراعيه والرعيه أو الغبيه بل يحتوى ارض غينيا على ثروة معدنيه محصره تتمثل فى رواسب الحديد النى بدىء فى استغلالها احيرا (١٩٤٦) وكذلك فى معدن البوكساييت (خام الالومنيوم) الذى يوجد فى مناطق كثيرة اهمها شبه جزيرة كالوم وجزيرة لوس . هذا فضلا عن الذهب والماس والرصاص وتعتبر مناجم الحديد والبوكساييت من اهم المناجم فى العالم .

وستعرض اهم معالم الثروة المعدنية عرضا مبسطا

١ - معدن الحديد :

تحتوى شبه جزيرة كالوم التي تقع كوناكرى على طرفها الأقصى على خام الحديد ويقدر ما يستخرج حاليا بحوالى (٨٠٠ الف طن) ويقدر الاحتياطى بحوالى (٢٠٠ مليون طن)

وتتمتد منطقة استخراج الحديد الحالية فى مساحة قدرها ٤٥ الف

فدان . وينقل الحديد الى ميناء كوناكرى حيث بنى رصيف خاص له .

ب - أما البوكسيت :

توجد فى غينيا كميات كبيرة منه فى جزر لوس وفى بوكيه ودابولا وكينيا ويعتبر من أهم معادن غينيا لوفته وسهولة تحويله ويقدر انتاجه حاليا بحوالى ١٤٠٠٠٠٠ طن سنويا بينما الاحتياطى يقدر بحوالى ٥ مليار طن وعليه فان غينيا من أهم مراكز البوكسيت فى العالم .

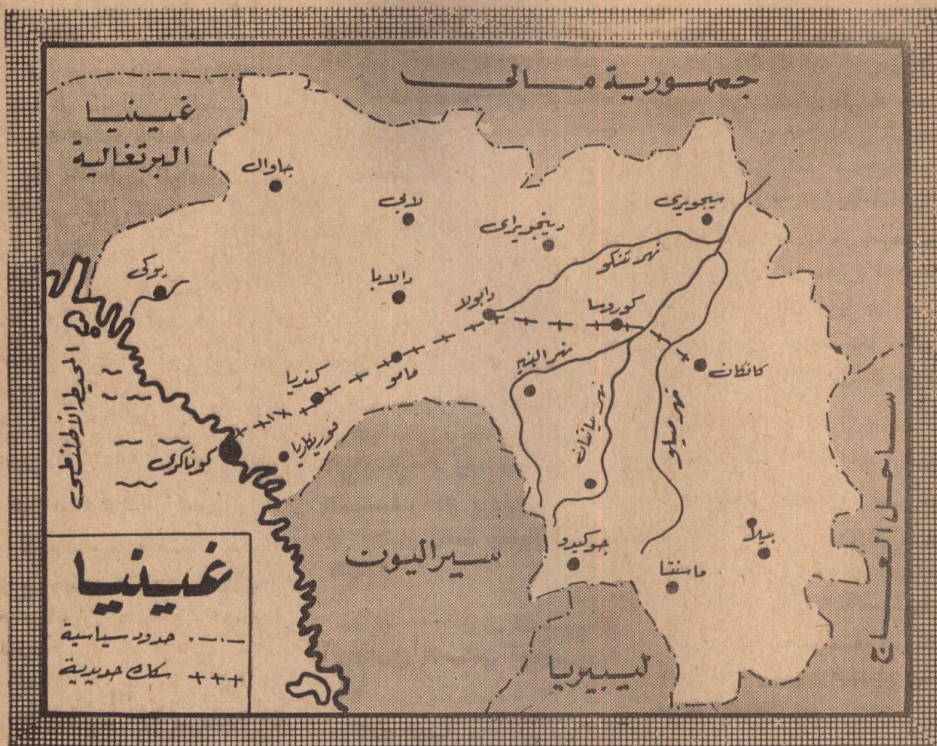
وتقع مناطق استخراج البوكسيت بالقرب من شلالات كاليئا على نهر كونكورية وعليه فهناك مشروع لتوليد الطاقة الكهربائية واستخدامها فى تصنيع البوكسيت محليا وتحويله الى اكسيد الالومنيوم .

ج - الذهب :

وتتميز غينيا بوجود ثروة معدنية لا بأس بها من الذهب . فالذهب قديم فى الدولة وما زالت له أهمية خاصة . ويقوم تعددين الذهب فى وادى النيجر الأعلى وروافده العليا ، ويقوم الافريقيون وحدهم باستخراج الذهب ويبلغ الانتاج نحو ٣٠٠٠٠ أوقية

د - الماس :

ويوجد فى روافد نهر ماكونا وقد بدأ العمل فى انتاجه سنة ١٩٣٥ وتقوم بتعدينه شركة تقوم



هذا ويرسم المشروع الجديد
بتصنيع البوكسيت عدداً من المدن
الصناعية الكاملة حول المناجم
والعمل جارٍ الآن في إنشاء هذه
المدن التي تنهئ فيها جميع وسائل
الحياة الاجتماعية .

توليد الطاقة وبها أضخم مشروع
سد نهر كونكورية الذي سوف
يخلم تصنيع البوكسيت وغيره من
المشروعات المستقبلية • خاصة وإن
غينيا لديها من الثروات المعدنية
ما يجعلها من الدول الصناعية الهامة
في إفريقيا •

أيضا باستخراج الماس في
سيراليون وغانا ويبلغ الانتاج
السنوي حوالي ٨٠.٠٠٠ قيراط .

والموز والصمغ والفول السوداني
والسمسم .

كما تصدر الماشية والأغنام
بكثرة الى سيراليون وليبيريا
ولتجارة الجلود مكانة هامة

ولما كانت طرق المواصلات دعامة
هامة من دعائم اقتصاديات الدولة
فان ما يوجد في غينيا منها هو
عبارة عن خط حديدي من العاصمة
كوناكري الى مدينة كانكان في
الداخل على أحد روافد النيجر
وكذلك توجد طرق رئيسية تبلغ
حوالي ٦٠٠٠ كيلو متر كما يوجد
بها أيضا بعض المطارات الجوية
وخاصة في العاصمة كوناكري
وفي مدينة كانكان .

ثالثا - سكان غينيا

يبلغ عدد السكان حوالي
٣٣٥٧,٠٠٠ نسمة . والسلالة
السائدة في غينيا هي سلالات
الماندنجو والزعيم سيكوتوري
نفسه أمه من المالنكي وأبوه من
السوسو وكلاهما من قبائل
الماندنجو . وعلى الرغم من أن هذا
الشعب يسود الاقليم فان هنالك
عناصر أخرى من الفولا

ويمتاز شعب المالنكي بطول
القامة النحيلة والتقاطيع القريبة
الشبه بالقوقازية وبالبشرة
الخفيفة السمرة وغزارة شعور
الحية . وأهم حرفة يقوم بها
حرفة الزراعة كما ان له نشاط
في بعض الصناعات .

اما جماعات الفولا فتعيش حياة
قرية من البداوة وهم يجمعون
بين الزراعة وتربية الماشية .
والفولا شعب قوقازي أصلا ولكنه
اختلط بالدماء الزنجية بدرجات
متفاوتة .

فيما عدا ذلك يوجد بعض
الفرنسيين وقد كان عددهم حوالي

ثلاثة الاف ولكن أخذ عددهم
يتناقص بعد نيل غينيا استقلالها .
أما بقية العناصر الاجنبية فتتمثل
في السوريين وعددهم حوالي الف
ثم اللينانيين واليونانيين
والايطاليين وجميعهم حوالي الفين
بنسب متقاربة .

وقد اتجه الرئيس سيكوتوري
في سياسته الوطنية الى ادماج
القبائل والعصبيات المختلفة في
وحدة واحدة وذلك عن طريق
انتشار نظام نقابات العمال وبذلك
تنتقل عصبية القبيلة الى الروابط
الوطنية التي تربط بين أبناء
الوطن الواحد وقد نجحت هذه
السياسة وحقق بواسطتها اماله
في تحقيق وحدة وطنية قوية
متينة .

رابعا . انتشار الاسلام والتاريخ السياسي لجمهورية غينيا

كانت غينيا جزءا من مملكة
(مالي) التاريخية التي كانت
تمتد من السودان الفرنسي حتى
ساحل الاطلنطي وتعتبر اهم الممالك
التي لعبت دورا بارزا في غرب
افريقية .

فقد دخلها الاسلام في أواخر
القرن الحادي عشر الميلادي ،

وكان الشعب في مملكة مالي
وخاصة في غينيا شعبا مسلما
يقدم الجهاد في سبيل الله .

وكان اتصال شعب مالي المسلم
بشعب مصر المسلم اتصال وثيق
ظهر في ترحيب ملوك مالي
بالتجار والعلماء المصريين الذين
كانوا يفدون الى مختلف بلادهم .
وقد جرت سنة تلك المملكة على

عدم السماح لغريب غير مسلم
بالدخول الى أراضيها . وعندما

بدأت مقاميرات الاوربيين
وهجماتهم على افريقيا لم
يستطيعوا دخول غينيا لحرص هذه
المملكة على تلك التقاليد . حتى
كانت سنة ١٨١٥ حين استطاع
مغامر فرنسي يدعى (رينيه كابل)
كان يتقن اللغة العربية وادعى انه
لاجئ مسلم هارب من اضطهاد
سلطان مصر . واستطاع تحت هذا
الستار أن يدخل غينيا ثم عاصمة
(تموكتو) وبذلك تمكن
الفرنسيون من التسلل الى غابات
غينيا

وفي سنة ١٨٦٠ مد الحاج
(عمر تال) أحد المرابطين من
قبيلة (الفولا) نفوذه الى هذه
البلاد وأخذ على عاتقه في الوقت
نفسه نشر الطريقة الصوفية
المعروفة بالتيجانية . ولكن
الجنرال الفرنسي (فيدروب)
عرقل مساعي .

ولما حكم ابنه (أحمد أمادو)
تصدى له كذلك القائدان
(ارشيتار) ، (مانجان) وصبغا
الحرب معه بالصبغة الصليبية
التي تكيد للاسلام في هذه البلاد

وفي سنة ١٨٨٧ بادرت فرنسا
في فترة السباق نحو الاستيلاء على
الاقليم الافريقية الى ارسال
جنود احتلالها الى غينيا واحتلت
مدينة كوناكري ولكن الروح
الافريقية لم تقبل هذا الاحتلال .

ومهما يكن من شيء فقد ظلت في
غينيا ثروة أخرى جبارة لم تستطع
فرنسا استنزافها أو النيل منها
لأنها كانت الشعب نفسه بصلابته
واصراره وعزمه على اقتلاع
الاستعمار .

وقام من صفوف الشعب الافريقى رجل يدعى (الماى سامورى) وتزعم حركة للمقاومة العنيفة للفرنسيين) استمرت احد عشر عاما متوالية كبدهم فيها أعظم الخسائر وعاش حياة اسطورية من البطولة والفداءحتى أسر سنة ١٨٩٨ ولكن ظلت الاسطورة تعيش وتروى عن سامورى انه تنبأ بان احداحفاده سوف يحمل رسالته من بعده ويظهر أرض غينيا من الاستعمار وقد تحققت نبوة ذلك الزعيم القديم فان (سيكوتورى) ينتسب بأصله الى البطل (سامورى)

وقد نبت سيكوتورى من أشد الطبقات احساسا بالحرية وتقديرا لها . طبقة البسطاءالذين يقع عليهم العبء دائما من الحاكم والمستعمر .

فقد ولدسيكوتورى سنة ١٩٢١ لأبوين فقيرين يعملان فى الفلاحة ودرس فى مدرسة تحفيظ القرآن والدراسة الاسلامية فى مدينة (كاتكان) وكان على اتصال دائم بالطبقات المثقفة ويقرأ كل ما

تصل اليه يده من كتب . والتحق بالعمل فى احدى الوظائف الكتابية الحكومية ولكن طموحه لم يقف به عند هذا الحد بل بدأ فى تنظيم اتحاد للعمال حتى اصبحت بعد قليل رئيسا لاتحاد العمل الفرنسى فى غينيا . ومن هنا أسهم سيكوتورى فى تكوين نقابات العمال التى تدافع عنهم وتجعل ساعات العمل متفقة مع قدراتهم . وادخل فى قلوبهم الفهم للوطنية الافريقية وان من حقهم ان يعيشوا فى حرية وان يتمتعوا ببلادهم وان يأخذوا ما يقابل انتاجهم اذ ان جهدهم يقابل وعرقهم ومستقبلهم يصدر فى

واقع الامر الى فرنسا ليحيا هنالك أناس غرباء عنهم وعن افريقية . وقد كان للحرب العالمية الثانية أثرها الواضح فى نشأة القومية الافريقية بوجه عام وفى الدول التى تخضع للاستعمار الفرنسى بوجه خاص .

وقد دعا سيكوتورى زعيم الحزب الاشتراكى الديمقراطى فى سنة ١٩٥٣ جميع الأحزاب السياسية الى التكتل فى جبهة واحدة متحدة لمواجهة المستعمر وقد استجابت جميع الاحزاب لندائه وقلدوه زعامة الحركة الوطنية فى غينيا الفرنسية وقتئذ . وأخذ سيكوتورى ينظم حزبه الجديد (الجبهة الديمقراطية الافريقية فى غينيا) على أسس جديدة من الاشتراكية التى يؤمن بها وأنشأ اتحادا قويا مستغلا عن أى توجيه خارجى وبلغ أعضاء الحزب المؤسس ٧٠٠ الف عضو واكتسب كل مقاومة حزبية فى الداخل واصبحت أقوى رجل سياسى فى غينيا

وعندما اعلنت فرنسا قانون (الاطار) سنة ١٩٥٧ انتخب سيكوتورى الرجل الثانى فى غينيا بعد الحاكم الفرنسى فوجه همه فى تلك المرحلة الى الإصلاح الداخلى ففضى على النظام القبلى الذى كان المستعمر يستخدمه مخلبا للفتك بالروح القومية

وعندما جاء الجنرال ديغول الى الحكم فى مايو سنة ١٩٥٨ قام بجولة فى افريقيا الفرنسية فحينما وصل الى كوناكرى عاصمة غينيا قوبل بشورة من الشعب الغنى تهتف (اننا نفضل الفقر فى ظل الحرية على الغنى فى ظل العبودية)

وبطبيعة الحال لم يرضى الاستعمار الفرنسى عن هذه الثورة القومية فعمد الى تدبير المؤامرات وافتعال الحوادث واستغلالها .

وفى الثانى من اكتوبر سنة ١٩٥٨ اعلن رسميا قيام دولة غينيا جمهورية ذات سيادة ورحبت الكتلة الافريقية الاسيوية بقيامها وسارعت بالاعتراف بها وكان فى مقدمتها الجمهورية العربية المتحدة . وانضمت غينيا الى الامم المتحدة وأصبحت عضوا فى المجموعة الاسيوية الافريقية .

واعلن سيكوتورى سياسة غينيا الجديدة التى تتلخص فى الحياد الايجابى وعدم الانحياز والمساهمة فى كل ما من شأنه دعم السلام العالمى وتحقيق حريات الشعوب وقال ان بلاده لاتدين بأى مذهب من المذاهب السياسية المعروفة وانما درست كل تلك النظم واستخلصت منها جميعا أسلوبا يتناسب مع مقتضيات الظروف التى تحيط بالمجتمع الافريقى فى غينيا

وقد تمكنت غينيا من التغلب على الفراغ الذى تركه انسحاب مئات من الغنيين الفرنسيين ونفذت مشروعاتها الاقتصادية والعمرانية فى دقة مذهلة فأنشأت شبكات المواصلات واعدت المشروعات الاقتصادية وانطلقت غينيا فى طريقها التحرر تترسى دعائم التقدم والحضارة الحديثة على أسس وطنية مخصصة .

سدد الله خطاها بالعمرة والرفاعية وحقق آمالها فى الوحدة الافريقية الكبرى .

حديث السيف

دراسة في ثلاثة الاسلام المسكينة

الاستاذ محمد رجب

وكان الاسلام - كما هي عادته - في كل المجالات : تعلم والرائد في هذا المجال ايضا . والتاريخ العسكري يؤكد هذه الحقيقة ، فالجبهة الداخلية في مصر كانت مصدر اتقوة خلال الحملة الفرنسية عليها وكانت شوكة في جانب الفرنسيين ازيعجتهم وافلققتهم ، وكانت الشورتان القاهريتان من اهم عوامل فشل الحملة الفرنسية على مصر . وكانت رشيد تمثل جبهة قوية ضد حملة فريزر حتى انه يرجع اليها أولا وأخرا ففصل دحر القوات البريطانية خلال هذه الحملة . ومن التاريخ المعاصر فان قوة الجبهة الداخلية في مصر خلال العدوان الثلاثي القاشم الذي تعرضت له في عامه كانت من أبرز وأهم عوامل المقاومة والصمود وجرمان العدو من تحقيق اهدافه او الوصول الى اغراضه . . ولعل صورة انهيار فرنسا في خلال الحرب العالمية الأخيرة أمام جيوش المانيا النازية تؤكد أهمية الجبهة الداخلية فان انهيار فرنسا كان يرجع أولا الى انهيار الجبهة الداخلية قبل أن تنهار القوات المحاربة في الميدان .

من أجل هذا اهتمت الدول كلها بتدعيم الجبهة الداخلية وتقويتها لتكون درعا وسندا وقوة تحمي وتصد وتصد القوات المسلحة التي تباشر عملية الصدام المسلح في الميدان وفي مواجهة العدو .

ولقد ادى هذا الاهتمام الى وجود سلاح جديد هو الطابور الخامس الذي عرف خلال الحرب العالمية الأخيرة ، وسلاح الاسلحة الذي كان له دور خطير ومباشر على معنويات الجبهة الداخلية .

ولقد كان الاسلام اسبق القيادات في هذا المضمار فوجه كل عنايته الى تدعيم الجبهة الداخلية والى تأكيد تضامنها وتضامنها وتماسكها .

وهذا السبق الذي بدأ عنيعما تمت هجرة الرسول الى المدينة يعتبر تطورا جديدا في العقلية العسكرية الاسلامية ظهرت فيه طهارة الرسول ومقدساته وحكمته فما ان وصل الرسول الى المدينة حتى تشاور وزيراؤه ابو بكر وعمر في تنظيم صفوف المسلمين وتوكيد وحدتهم وابتعاد رابطة قوية بينهم فان قريشا لن تسكت ولن تهدأ وان اعداء الاسلام وافقون له بالرصاص بنهزون اية فرصة لمعاداة الهجوم عليه والقضاء على رجاله ولحاولة قهر الدين الجديد الذي جمع اتباع محمد في المدينة حول رسولهم وزعيمهم وقائدهم .

ودعا الرسول الكريم أهل المدينة الى وحدة الصف وقد كانوا مهاجرين وانصارا وحتى الانصار فقد كانوا أوسا وخزرجا وكانت بينهما عداوات سابقة وحروب متعددة وشاء الرسول أن يقضى

على كل شبهة في أن تشور العداوة القديمة بينهم ، كما أراد ألا يحس المهاجرون وهم يعيشون في غير بلد لهم وديارهم أنهم غرباء عن المدينة وعن أهلها وخاصة أنهم تركوا وديارهم ما يمكنون من مال رمتاع وجاءوا الى المدينة والكثير منهم لا يجد قوته ولم يكن منهم على جانب من الثراء والنعمة غير عثمان ابن عفان .

ومن هنا دعا الرسول الكريم المسلمين جميعا ليتآخوا في الله اخوين اخوين وأعلن انه وعلى بن أبي طالب اخوان ، وبدأت المؤاخاة بين المسلمين فكان حصة وزيد اخوين وابو بكر وخارجة بن زيد اخوين وعمر وعتيان بن مالك الخزرجي اخوين . وتأخى كل واحد من المهاجرين مع واحد من الانصار اخاه اجل له الرسول حكم اخاء الدم والنسب والف الاسلام بين المهاجرين والانصار بائق رباط وجمع الرسول الكريم بين الاوس والخزرج فبنسوا ما كان بينهما في ماضي حياتهما وفتحوا معا صفحة جديدة واصبحوا جميعا اخوة في الله مجاهدين في سبيل الاسلام صفا واحدا متراصا يحمى دعوة الاسلام ويصونها .

وتكملت المدينة بأسرها في آخاء لم يحدث له مثيل بين أي جماعة من جماعات الناس وأمن للنبي بما صنع من الاخاء ان يزول الخلافات من مجتمعه الجديد وان يجعل منه منفذا وعمودا ورفقاء على الدرس والتفاني وان يقيم منه حسنا يحمى المدينة من أي عدوان وبميشاق الاخاء لم يكن لاحد ان يستطیع ولم يكن لقوة ان تفكر في أن تكون في هذه الجماعة المتراصة كالنبهان نفرة يدخل منها لا من خارج المدينة ولا من داخلها .

وعندما خرج اتباع محمد في اول غزوة لهم في بدر لم يستطع اليهود وهم قوة في المدينة ان يستغلوا الفرصة لانارة الفتن او العداوة وبقيت الجبهة الداخلية للمسلمين في المدينة قوية صامدة حتى جادتها اخبار النصر على لسان البشيرين عبد الله بن رواحة وزيد بن حارثة ، فقد بعث الرسول باولهما الى أهل المدينة من المدينة وبعث ثانيهما الى أهل الواطئة فيها .

وكما اهتم الاسلام بالجبهة الداخلية فان مبادئه ومعاليمه كانت ذات أثر خطير على الجبهات الداخلية للاعداء . فعندما تحركت جيوش المسلمين متجهة الى بلاد الشام حيث الدولة الرومانية والى بلاد العراق حيث الدولة الفارسية كانت مبادؤه قد سبقت الجيوش الى هناك وقبل ان تلتمع الجيوش في قتال كانت مبادئ الاسلام قد التحمت في معركة نفسية مع الالام الذين يمثلون الجبهة الداخلية ، واستطاعت مبادئ الاسلام أن تطرد الشك من قلوب هؤلاء والقلق

وضعت المدرسة العسكرية الاسلامية أسس أعداد الأفراد القائلين لغزوض غمار المعارك ماديا ومعنويا كما اوضحنا في مقالتنا السابقة وبعد أن أصبح المسلمون مؤهلين لمواجهة العدو ولللقاء المسلح اتجهت عناية المسؤولين في هذه المدرسة وولج مقدمتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الجبهة الداخلية . . فان هذه الجبهة يقع عليها عبء كبير وخطير خلال المعارك فعلى قدر تماسكها وصلابتها وعلى قدر مقاومتها ومساندتها للقوات المسلحة المحاربة تكون نتيجة المعركة ولعل المدرسة العسكرية الاسلامية كانت اول من اهتم بهذه الجبهة وبرز أهميتها واعطاها الاهتمام والتقدير وعالج شؤونها بحكمة وحسن توجيهه ولقد أحسبت الاجيال التي تلت الاسلام باهمية هذه الجبهة .

من نفوسهم وجعلتهم يخشون بأن الدين الجديد دين حق وصدق ومبادئه ، وأنه يدعو الى العدل والمساواة والحسرية والحياة الشريفة الكريمة فتقبلت نفوسهم وفلوبهم الدين الجديد عندما سمعوا به ونافشوا مبادئه وأفكاره وتعاليمه وأمنوا به عن صدق وإخلاص وإيمان فاهتزت مشاعرهم تجاه حكوماتهم الأصلية وثارت نفوسهم على الأوضاع التي يعيشون فيها وعاشوا ينتظرون انتصار المسلمين ليغيثوا اليهم حقوقهم ولينصروهم حياة كريمة شريفة نظيفة .. وكان مجرد الترقب والانتظار هو هدم جبهة القتالين الداخلية ، فلم تصمد جيوش كسرى أو جيوش هرقل تركن على جبهة داخلية ولهذا خسروا جيوش القتال كما خسروا جبهتهم الداخلية ، وتصعدت من خلفهم الصفوف وانهارت الأرض تحت أقدامهم وهزمت الجيوش وهرب هرقل من سوريا وهو يودعه :

« وداعا سوريا .. وداعا لا لقاء بعده » .

ووجد كسرى مقتولا بأيدي رجاله في طاحونة بعد أن فقدوا نفقتهم فيه . وكما اهتم الاسلام بالجبهة الداخلية فقد اهتم أيضا - وكان سابقا في ذلك أيضا - بالحرب الاقتصادية فقد ادرك مدى الارتباط بين الحرب والاقتصاد بصورة جديدة وأحس الاسلام بأهمية الاقتصاد وأثره في الحرب فان تجهيز الجيوش والقوات واعداها وامدادها باحتياجاتها يحتاج الى تدبير رءوس الأموال اللازمة لهذه المجهودات والاستعدادات الحربية .

لقد كانت قرش هي العدو الاول للاسلام .

وكان أول صدام مسلح يتوقعه المسلمون ضد قرش .

وقرش تعتمد أساسا في حياتها على التجارة .. فقد كانت لها رحلتان تجاريتان صيفا وشتاء الى الشام واليمن .. وعن طريق التجارة أتى أهلها وأصبحو أغنياء لديهم المال الذي يحققون به آمالهم وريغاتهم .. وهم في قتالهم لم يجدوا اتخذوا المال وسيلة لتأديب العدو والقتال .. فيه يشترون السلاح ويعزون الرجال ويجيزون القوات .

وكان لابد من أن تحرر قرش من المال حتى ينفذ استعدادها عند حد معين .. ومن أجل حرمانها فلأبد من أن تعطّل قوافل تجارتها فلا تنهب الى الشام وتعود محملة بالثغاسس والأموال ثم تستخدمها في الاعساد للمواجهة المسلحة .

ولاشك في أن سلامة التجارة وطريق القوافل هو أمر حياة أو موت من وجهة

نظر قرش فهي تعيش في مكة ومكة واد غير ذي زرع ولا تعيش الا على التجارة فاذا تعثرت التجارة بالت مكة مهددة بالانهيار والموت لان اقتصادها قد هدد وتعثر وبالتالي فان بقاها يصبح أمرا مشكوكا فيه .

ومن أجل محاربة قرش اقتصاديا ، وضع الرسول خطة تقوم على أساسين : - الأول : السيطرة على طرق التجارة والتحكم فيها .

- الثاني : الاستيلاء على كل تجارة تعالو قرش أن تمر بها الى الشام . ولقد كان موقع المدينة هو الأساس الاساسي المتحكم في هذه الخطة .

فالمدينة ذات موقع استراتيجي هام ، فهي قريبة من طرق القوافل سواء تلك التي تقترب من شاطئ البحر أو تلك التي تتجه الى بلاد الفرس .

ومن أجل تنفيذ هذه الخطة قرر الرسول اخراج ما يسمى في زمانه باسم الرايا وما تسمى في حروبنا الحديثة باسم « الدوريات المسلحة » وكان القرض الاساسي لهذه الرايا هو استكشاف الطرق ودراسة معالمها وللاستعداد للاستيلاء على أية قافلة تجارية قرشية تكون في طريقها الى مكة أو منها ، وبهذا الاسلوب تتعطل تجارة قرش وينكسر اقتصادهم ثم تضطرب أحوالهم الاجتماعية فتتخلى بالانار الخطيرة الترتبية على ذلك وتترك أن يد المسلمين تمسك برقبته وتسيطر على تخليص عليها علها تفكر جديا في تغيير خطتها في العداوة والعدا وتحاول أن توجد وسيلة للتفلسفهم السلمى مع المسلمين .

لقد بلغ عدد الرايا التي خرجت من المدينة من بدء الهجرة حتى غزوة بدر ثمان سرايا ، خرج بعضها في العام الاول وخرج الباقي في العام الثاني وقد كانت هذه الرايا مؤلفة من المهاجرين وقلة من الانصار عملا بمبايعة العقبة لانهم كانوا قد عاهدوا النبي على حمايته ضد العدوان ولم يعاهدوه على أن يكونوا معه في حرب هجومية .

وقاد الرسول - صلى الله عليه وسلم - اربعا من هذه الرايا .. الى ابوابه ثم الى بواط ثم الى المشيرة والاخيرة الى سفوان ..

وكانت هناك سرية لمبيدة بن الحارث الى تبنة المرة .. وسرية لسعد بن ابي وقاص الى الحجاز .. وسرية لعميرة ابن عبد المطلب الى سيف البحر .. وسرية اخيرة لمعد الله بن جحش التي وضعت بانها مفترق الطرق وانها نقطة تحول في سياسة الاسلام اذ شرع للمسلمين أن يغتالوا الذين فتنوهم عن دينهم .

كانت هذه الرايا كما سبق القول للتعرف على الطرقات والامان حول المدينة وخاصة للمهاجرين الذين كانت هذه الأرض غريبة عنهم ..

وكانت ايضا لمواودة القبائل الصاربة في هذه الاما والمشفرة على أفواهها ودروبها ومياهها .

بهذا حقق الرسول هدفين هامين .. فهو قد عرف الأرض ودرسها وهما هذه الأرض التي هي ستدور فوقها الحرب بين المسلمين وقرش .. وهو أيضا قد وادع القبائل الاخرى فضمن ولاءها وعدم مساعدتها لقرش مما يحكم السيطرة الاسلامية على طرق التجارة الى الشام وعندما تحقق هذان الغرضان كانت قافلة ابي سفيان في طريقها عائدة من الشام الى مكة ودعا الرسول قومه : « هذه غير قرش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله ينفلكموها » .

وخرج من كان « ظهره حاضرا » - اي فرسه أو بعيره - ثم كان اللقاء الاول بين المسلمين وبين قرش التي جئمت جموعها وقت ان علمت بخروج المسلمين لمواجهة القافلة حين وقف ضميمهم الفغاري - الذي استأجره أبو سفيان وبعث به الى مكة - في وجهه ، وقد قطع أذن بعيره وجذع انفه وحول رحله وشد قميصه من دبر ومن قبل - واخذ يصبح « اللطيمة .. اللطيمة .. أموالكم مع ابي سفيان قد عرض لها محمدا في أصحابه ولا أرى أن تدركوها . فالقوت .. القوت » .

وبذلك تكون المدرسة العسكرية الاسلامية قد سلطت الاضواء في اول عهدنا على أمرين هامين من أمور الحرب لهما شأن كبير في مقررات المعركة وأعنى بهما الجبهة الداخلية والحرب الاقتصادية وتكون المدرسة العسكرية بذلك ، قد أرست قواعد هذين الأمرين للمدارس الاخرى التي جاءت بعدها ، فاولتهما العناية تقديرا لشأنيهما لاهتمتهما في نتائج الحرب وهكذا ثبت أن الاسلام كان في مجالات الحرب مدرسة يحتذى بها ومثلا تعمل المدارس الاخرى في ظل أضوائه وتعاليمه .

للدراة بقية

أم الفقه الاسلامى ومنبعه على مر
الدهور .

ثم يتحدث عنه وعن اختياره لاستاذة :
كان قى ذواقه يختار من كل شيء
احسنه وما دام قد تغير الدرس فقد كان
عليه أن يختار المدرس . وليس اذن الا
الحلقة التى كانت أكبر الحلق وأستاذها
أكبر الاساتذة : أبو اسماعيل حماد بن
سليمان الصكلى الكوفى الأشعرى الذى
يفقد جلساته فى المسجد الجامع ...
وانخرط فى سلك التلاميذ يحفظ المسائل
ويبينها فى الفداة فيخطئ الحفاظ
وبيصب هو ويسكت التلاميذ ويسأل هو ،
ويلج فى الجدل حتى ليحمر وجه حماد
لكن حمادا يدرك مواهب تلميذه من عبق
أسئلته ومن صلته بالله ، قام يوما من
مجلسه فقال حماد لجاره (هذا على
ما ترى منه يقوم الليل كله ويحييه)

الذى وضع خلاصة فنه وعيقرته فى رسم
العالم والأبعاد لشخصية الإمام أبى حنيفة
بين دفتى كتابه فجاء بحثه مستفيضاً
وأرخ بحق وصدق لواحد من الذين عدوا
من الزعماء ، زعماء الفكر الإسلامى فقد
كان أبو حنيفة : ذلك الفقيه الذى أسس
دولة فقهية ، احتلت مكانة من الأمة
الإسلامية يكفى القول بأن ثلثي الأمة
اعتنقوا فكرتها ، وساروا على دربها
وخرجت مدرسة الإمام الأعظم من الأفاذا
ما تفخر الأمة الإسلامية بهم على مدى
الايام والدهور ، وسأتى الكلام من كل
منهم بالتفصيل فيما بعد .

ولندع السيد المؤلف يقدم نفسه لأبى
حنيفة فيقول عنه فى أول كتابه :
انه النعمان بن ثابت المكنى بأبى حنيفة
الذى يتبين عقله من منطقته ومشيته

من أهلك ومن أجل عرض أحدث الكتب
الإسلامية التى تصدرها لجان المجلس
الأعلى للشئون الإسلامية - وما أكثر
ما تصدر - أو الكتب التى تصدر من
جهات أخرى من أجل كل هذا تخصص
منبر الإسلام هذا الباب (من المكتبة
الإسلامية) لعرض الكتب الإسلامية ورغبة
فى نشر فكرة كتاب قيم قد لا يتوفر لإنسان
أن يحصل عليه فتعمد المجلة الى نشره
وتحليله وتقييمه وسرد مضمونه ، مع
الاحتفاظ مؤلفه بصفته التى صيغ بها
كتابه .

ودورنا أن نعيش مع الكتاب دقيقة
بدقيقة ، من أوله الى آخره حتى اذا
كانت النهاية : أحسست أنك قد قرأت
كتاباً نافعا وحصلت على ما لم تكن



أبو حنيفة

بطل الحرية والتسامح فى الإسلام

لم يلبث الا قليلا حتى أحس حماد انه
يزحم الحلقة كلها بوجوده فامر بان يجلس
بنازاه . وطفا يجلسان لنفسهما هذه
الجلسة عشر سنوات متتابعات والتلاميذ
عاكفون بالمسجد وأبو حنيفة أمثلهم طريقة
يعطى من الشيخ بكفل زاخر من الرعاية
فنضجت مداركه وعلا اسمه وتونقت
بينهما العرى حتى ان ابن حماد ليسان
أباه بعد غيبة طويلة عن الكوفة الى اى
الاشياء كان أشوق ؟ وكان للسائل طفل
وليد فتوقع أن يكون أقرب الناس الى
قلب الجد هو الحفيد . لكنه أجابه :

يعرف العامة أنه رجل عظيم يصنع
العظام ولا يصطنعه الخلفاء ولا الأمراء
وهو أخذ الرجال فى تاريخ الإسلام بما
مكن للشريعة الإسلامية السمحة من
أسباب التعميم والانتشار . فظلت كما
أنزلها الله عصرية فى كل عصر ومصر وغدا
الديستور الشرعى فى أحدث الأمم
الإسلامية حضارة يتحصل فى كلمة يسيرة
المبنى كبيرة المعنى هى « أرجح الأقوال
من مذهب أبى حنيفة » الرجل الذى
أعلن العصرية فى كل مكان وكل زمان
ويشئ مدرسة الراى فى الإسلام لتكون

تستطيع أن نحصل عليه ، فقد لا يتوفر
فى السوق لشرائه أو يكون قد نفذ فعلا
منه .

ونبدا بعرض وتقديم كتاب أصدرته
لجنة التعريف بالإسلام وهى إحدى لجان
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ذلكم
هو كتاب :

« أبو حنيفة » بطل الحرية والتسامح
فى الإسلام الذى يحتل الرقم ٢٧ من قائمة
الكتب التى أصدرتها اللجنة ومؤلفه هو
السيد الاستاذ المستشار عبدالحليم الجندى

وكثيرون من أجله الصحابة كانوا تجاراً ويعقب السيد الأستاذ الجسدي بأن احترام أبي حنيفة لهجنة التجارة أصبح يكسب الإنسان شرفاً رفيعاً دون كل شرف إذ أن الإنسان يستطيع كسب قوته اثر كفاح وعرق ولننظر معا في ص ٣٠ ، ٤٠ حيث يقول :

« بهذا حل أبو حنيفة العقيدة التي بازائها المفكرون جزئى مبلسين ، عقدة الفقر الذى عود الناس أن يلازم الفكر . والمفكر الذى يرتحل رحلة الحياة الدنيا جوعان تمسا تهوى المسغبة مزياه ، يقدح فكره المية ولودعية ولكنه لا يستهيج أن يحيل هذه القيم الهائلة الى ثمن بخس دراهم معدودة . ويتراءى له بريق النعماء ويعجز عن الذنو منه والدلف اليه ، فتتحالف عليه مركبات النص وتضيق به المسالك المتناحرة فينوء بالحياة مثلما نادت به الحياة ويخرج منها محروما مقترا عليه في الرزق وفي حالتنا كان فقيه الكوفة من اكبر تجارها ، فلم يكن ممن يجلسون على الأرض ويرفون اكاف الضراعة الى السماء فان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة » .

وازهوت تجارة أبي حنيفة أينا ازدهار . ولئن جاء في الحديث « أن التجار يبعثون يوم القيامة فجارا الا من اتقى الله وبر وصدق » أو كان من اصول فقه أبي حنيفة أن الشك لا يزيل اليقين: فان هذه الاصول للناس وليست له ولو كلفته جميع ماله .

ان أبا حنيفة قدوة للناس في علمه فليكن قدوة للناس في عمله ، وليأخذ نفسه بالشدائد حتى اذا نقلوا عن الاصل وخف الاثر في النقل وصل اليهم ما نقلوا وفيه كل افضل » .

طابع فلسفة أبي حنيفة

ونعود الى تعليل عنوان الكتاب وكيف ان أبا حنيفة كان بطلا من أبطال الحرية والتسامح في الاسلام ونعيش لحظات مع المؤلف لنخرج بأبعاد محددة عن طابع فلسفة الشيخ فيقول في ص ٧٠ عقب ذكر أحداث معينة ذاكرا كيف أن الإمام كان يتناولها بشيء من التعلل والروية دون جنوح الى طمس الحقائق مع الاحتفاظ لنفسه بضرورة احقاق الحق وابطال الباطل فيستام المؤلف :

الشيخ - الصغير - يستفتونه في أشياء لم يحفظها عن أستاذه وحانت الفرصة وأخذ يجيب ويجيب ، وأستن سسنة جديدة أرادها لنفسه وأراد الله أن تكون للنسب وللإسلام تلك أنه دون إجاباته ليعرضها على أستاذه اثر عودته . فلما راجعها أستاذه حماد أقر منها أربعين وأتكر عشرين . وبدأ الفتى يستحب التدوين . وبدأ فقه الجمهور الاسلامى يعرفه معه .

وأنس التلميذ من نفسه ضفطا اذ معه الحياء العلمى من أن يعتد بأنه أصاب ضعفى ما أخطأ ولكنه أخذ نفسه بالاستبحار في العلم والدين . واشتملت عليه عناية الله تتعده تعهد من قدرت عليهم أن يحملوا أمانة الفكر .

ودار الفلك دورات وانسلخت سنوات ثمان لم يكد يترك فيهن استاذاه يوما ولا بعض يوم بل ان كثيرا من الدروس كان يشغله بياض النهار وزلفا من الليل .

« كان يجلس مع حماد ولكنه كان يفكر مع نفسه . وبلغ به استقلاله ما بلغ بأستاذه جلاله أنه لم يكن يجسد في مخالفته له حرجا :

خرج معه مرة بشيع جنازة فسأل رجل حمادا : انى على دابة سيور وقد غابت الشمس ولست على الوضوء قال له : تيمم . لكن الرجل سأل أبا حنيفة فقال : سر وانتظر فينبوية الشفق . فاذا خشيت ذلك فتيمم وصل وسار الرجل اصدافه الماء فتوضأ .

وهكذا لم يجز للرجل أن يتيمم ما دام يقلب على الظن وجود الماء وفي الوقت سعة ، طلبا للكمال بالطهارة الأصلية وهذه كانت أول فتوى يخالف فيها أستاذه »

احتراف أبي حنيفة للتجارة ونجاحه فيها

وقد أفاض السيد المؤلف بأسلوب أخاذ في احترام أبي حنيفة لهجنة التجارة وكيف أن هذه المهنة كانت شرفا له وهو بذلك يريد أن أبا حنيفة كان خزايا يبيع الحرير الخالص أو المخلوط بالصوف وللتدليل على شرف المهنة قال أن نبي الله ادريس أول من خاط الثياب وأن التجارة في حد ذاتها مهنة شريفة وأبو بكر الصديق

الى أبي حنيفة ولو أمكننى أن لا أرفع الطرف عنه لفعلت .

ويستطرد فيتحدث عن استقلال أبي حنيفة عن أستاذه فيقول :

وفي الثلاثين من عمره حدث التلميذ نفسه أنه أوتي حظا من المعرفة وأنه يستطيع أن يؤتى الناس مما فتح الله عليه ، فخرج يوما بالعش تنازعه نفسه طلب الرئاسة . وبهم شطر المسجد وأوى الى ركن بعيد عن حلقة أستاذه يؤلف لنفسه حلقة أخرى فلم يكد يدخل حتى رأى أستاذه كواسطة العقيد في حلقة ، فهاجته الذكر ، ولم تطب نفسه أن يترك ذلك الأستاذ العظيم الذى قال عنه ابراهيم النخعى اذا سئل عن خلف بعده للناس انه خلف حمادا للناس فكيف يترك النعمان حمادا ؟



لأستاذ عبد الحليم الجندى

عرض وتقديم رياضة فلسفة



ولكن الفتى انصرف كاسف البال منكسرا ولكنه منتصرا ، اذ انشغل نفسه من غمرات الطموح ليعاود دراساته في دأب وتعمق وحماسة حتى اذا نعى الى حماد بعض أهله بالبصرة رحل اليها لمدة شهرين وانبأه أبا حنيفة في أن يجلس مكانه .

اقبال الناس عليه
وأول فتوى له

وفي صفحة ١٣ و ١٤ من الكتاب نرى السيد المؤلف يشرح كيف أتيت الفرصة لأبي حنيفة أن يحتل مكانته الفقهية كاستاذ فيقول : وأقبل الناس على

« وبعد فما هو طابع فلسفة أبي حنيفة ؟ ما عنوان تلك الحياة التي يتحصل فيها كتابها ؟ وما مفتاح هذه الشخصية التي تديره في بساطة فتمكن من كل ما وراءه ؟ »

ويجب المؤلف نفسه على السؤال بعد ذلك :

« طابع تلك الفلسفة وعنوان تلك الحياة ومفتاح هذه الشخصية هو التيسير والتسامح والحرية حرية وتسامح وتيسير بين نفسه وبين تلاميذه وبين نفسه وبين الناس وفي الأقوال والأفعال والأموال . والعبادات والآراء . وفي البيع والشراء وفي كل الأشياء

كان تلاميذه يخالفونه لمجرد أن يخرجوا ما عنده من كنوز . سئل أبو يوسف يوما لماذا قفى برأي أبي حنيفة وقد كان يخالفه فيه فقال : كنا نخالفه لنستخرج ما عنده

وكما كانوا يحاولون أن يستخرجوا ما عنده من الكنوز فقد كان يريدكم على أن يخرجوا ما عندهم لتقوى شخصياتهم وتندو مكائهم وتفيد الحلقة من نبوغهم .

تلاميذ أبي حنيفة
(١) أبو يوسف

نحن نعلم أن مدرسة الامام أبي حنيفة قد تخرج منها أفذاذ منهم أبو يوسف ومحمد بن الحسن وزفر وحجاج بن أبي حنيفة وابنه اسماعيل وخالد المسمي والأخوان مندل وحيان ويحيى بن زكريا والقاسم بن مهن وحفص بن غياث وعبدالله بن المبارك وأسد بن عمر الجبلي وعلي بن مسهر ودواود الطائي وغيرهم من التلاميذ ولكن المعظم يوسف ومحمد وزفر وسعديش مع السيد المؤلف حينما يسرد تاريخهم وأصنامهم بأنسابهم الامام فيقول في صفحات ٨٦ وما بعدها .

« آلت الى أبي حنيفة رئاسة الحلقة وهو في الأربعين بسد أن ظل عاكفا على أستاذه قرابة عشرين عاما سبقتها دراساته ورحلاته فاذا علم تلاميذه علمهم بالحكمة والموعظة الحسنة وان أول ما يعظم به هو ذاته ولقد أخذ نفسه

بالدرس العميق قبل أن يتعرض للافتاء فليأخذهم بما أخذ به نفسه من التحصيل الذهني والاستعداد الروحي » .

ونستخلص مما رواه المؤلف عن حياة أبي يوسف مع أستاذه وامامه أبي حنيفة أنه قد أحس بالقدرة على الاستقلال واتعمال الشخصية وأراد أن يعقد مجلسا دون مجلس أستاذه وهاجت الذكريات ابا حنيفة وتذكر أيام أن كان في مثل هذا الموقف مع أستاذه من قبل يوم غره الغرور فتخيل ثم خال وعزم على الفصل ولكنه - وقتها - أحس أنه لم يتمكن بناؤه بعد فعاد الى حلقة أستاذه *

ويستطرد السيد المؤلف تعقبا على ما رواه أبو يوسف من الاستقلال عن مجلس أستاذه أبي حنيفة فيقول بعد أن ألزمه أستاذه الحجة واستوقفه في مسألة وانضج عدم اكتمال أبي يوسف بعد وذكر أبو حنيفة بعدها لأبي يوسف : من ظن أنه يستغنى عن العلم فليترك على نفسه »

يقول في ص ٨٧ بعد هذا الموقف :

« وبكى أبو يوسف على نفسه مدبرا وعاد الى الحلقة بعد أن ذاق وبال أمره ولو لم يشه الشيطان لتذكر ما تذكره أبو حنيفة (اعلم أن العمل تبع للعلم ، كما أن القضاء تبع للبصر ، والمسلم مع العمل ليسير أنفع من الجهل مع العمل الكثير ومثل ذلك الزاد القليل الذي لايد منه في المفازة مع الهداية أنفع من الجاهالة مع الزاد الكثير) .

عاد الشيخ أبو يوسف الى الحلقة بعد أن تعلم في هذا الدرس جماع علومه فاضحى يقول (العلم شيء لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك . وأنت إذ تعطيه كذلك من اعطائه البعض على غرر ص ٨٩ .

وآدب الأستاذ الامام تلاميذه على التقوى وحسن الخلق ، وتواضع لله في أعين الناس وتلاميذه وبصروا منه بما يصير به المقربون ، وظفروا عنده بما لا يظفر به البعداء وأعزهم الله به وأعزهم بقرابه وصدق رسول الله إذ يقول (لا وحيدة أوحش من العجب) ص (٨٩) .

فيل لأبي حنيفة (اتق الله فانفض وظاظ رسه ثم قال) يا أخى جزاك الله

خيرا .. ما أحوج الناس في كل وقت الى من يدعهم الله تعالى وقت اعجابهم بما يظهر على ألسنتهم من العلم حتى يريدوا الله تعالى بأعمالهم ص (٩٠)

وقال أبو يوسف عن عطف أستاذه عليه وبره به وجوده عليه (وكان يعولني وعيالي عشرين سنة وإذا قلت له ما رأيت أجود منك يقول : كيف لو رأيت حمادا وما رأيت أجمع للخصال المحسودة منه ص (٩٢) .

هذه الوقائع ترسم أمامنا خطوط الظاهرة الأولى في حياة أبي حنيفة وهي قيام مدرسة كبيرة منظمة كان مولوها وصاحبها مثلما كان أستاذا يتحمل أعباء تلاميذها المالية مثلما يتحمل أعباء تعليمهم وتهذيبهم . ويسوى بينهم وبين ولده في الانفاق وفي التهذيب وفي اخلاص العلم كانه العباد (ص ٩٤)

أما الظاهرة الثانية فهي أن الرجل الكبير يعني - أول ما يعنى - بأن يبني الرجال الكبار . ومن الزعماء من يؤثرون أن يخلفوا الرجال على أن يؤلفوا الكتب . وفي تاريخ مصر الحديثة خلد جمال الدين الافغاني بغير مؤلفاته ويتلاميذ سسوا الى أرفع ذرا المجد في ميادين الكفاح مثل الكواكبي ومحمد عبده وسعد زغلول وغيرهم .. ولأن يبني الرجل الكبير رجلا كبيرا خير على الوجود البشري من كل آثاره فكيف إذا بنى رجلا كبيرا عظما ؟

ان من الرجال من كان أجسدى على الإنسانية من إحدى القارات الخمس ص ٩٥ ، ٩٦ .

استمرت المدرسة بعد وفاة المدرس فتولاها تلميذان كانا من النولة الإسلامية في أزهى عصورها حضارة أعظم رجالها جدارة فعنى بهما أبا يوسف ومحمد بن الحسن وتبعهما بقية الرهط وتلاميذهم فأضحوا في أعين الدولة وأعين الناس : اتجاها فكريا جديدا هو الاتجاه المفرد الجدير بالاسلام (٩٧) .

ونعود الى الحديث عن أبي يوسف صاحب أبي حنيفة ومكانته فيقول المؤلف :

الأعظم (هذا الامام من أئمة المسلمين في حربه وشرفه وعلمه)
وفي سنة ١٥٨ كان أسبق زملائه الى لقاء امامهم في الرفيق الأعلى .

لمحة عن عظيمة أبي حنيفة

بعد هذا التفصيل في الكلام عن مدرسة الامام الأعظم وتلاميذه والكلام عن أشهر أصحابه وعن دوره في توعية بنيان امامهم وكبير مذهبهم وتكوين جبهة فقهية احتلت أكثر من ثلاثة أرباع الرقعة الاسلامية بعد هذا نحب أن نسرّد شيئاً يسيراً لبنيان جوانب العظيمة في شخصية أبي حنيفة ونلتقي مع المؤلف في ص ١٧٥ وما بعدها فيحدثنا عن ذلك اذ يقول :

ستذكر الانسانية هذه اليد لأبي حنيفة عليها وعلى الاسلام فتسلكه في سلك المصلحين الناضلين المتألفين في ظلمات الاضطهاد كلما صب فوق رؤوسهم من عذاب الجحيم برزت كالسجد الحر مزايهم وتميزوا من الناس كما يتميز المساس من الفحم - وهما من أصل واحد - ... سيذكر المؤرخون ذلك الاضطهاد على انه مجد الامام الأعظم فلو لم ينفض اليه الحمقى رؤوسهم لدلوا على انه لا وزن لعلمه ولا لعمله ، فيقدر مايوزن للرجل في ميزان الرجال: يؤزن له من حقد الخصوم ومن هوى الاشباع ولعجب اذا كان الرجل صاحب الراي هو الرجل صاحب الخصوم (ص ١٧٦)
لكننا تضيق صدور سكان هذا الكوكب الواسع بأسماء النابقين وان كانت الدنيا لا تضيق بأجسادهم والا فقيم لا يطيق الناس قيام المجد الا بعد ان يزائل صاحبه دنياه فيصعب معنى من المعاني وذكرنا في الزمن (ص ١٨١)

يقول السيد المؤلف هذا الكلام بعد استعراض السوان من التهم وجئت الى الامام أبي حنيفة بأنه مرجء وبأنه اشيع جهم بن صفوان وبأنه كيت وكيت ولكن كل هذا لم يفت من عضد الشيخ وظل صامدا كالجبل العتيق تطاير السهام من حوله وهو ساقط لا يظاوه أي مجد . نهاية أبي حنيفة

وفي الفصل الأخير الذي عقده المؤلف لختم حبة أبي حنيفة يقول في صفحات ٢٠٨ وما بعدها :

« توفر محمد على التدوين فجعل فقهه أبي حنيفة وأبي يوسف وفقهه هو في كتب هي السجل التاريخي للمذهب (ص ١٠١) قرأ الشافعي كتب محمد بل حمل منها وقر بعير كما قال فتعلم منها فقهه أبي حنيفة وفقهه الأقدمين . فيها هو ذا محمد تلميذ أبي حنيفة ينهل منه مالك وينهل منه الشافعي الذي علم ابن حنبل فتتلاقى عنده المذاهب الفقهية الأربعة وبروى علومه فيرتوى منها الأئمة والمتفقهة والناس جميعا (ص ١٠٤)

وفي سنة ١٨٩ مات محمد بالري وهو في صحة الرشيد ومات معه صديقه الكسائي في نفس الرحلة ولما دفنسا قال الرشيد (دفنت اليوم اللغة والفقه) . هذان هما أبو يوسف ومحمد صاحب

أبي حنيفة بجرى اسمهما في التاريخ على انهما الصاحبان (ص ١٠٦)

(ج) زفر بن الهذيل

ومن تمام الكلام عن أبي حنيفة يعرض السيد المؤلف لواحد من أتباع الامام أبي حنيفة ممن كانوا أشد قوة وصلابة وحكمة في ابداء الآراء لكم هو زفر ويقول عنه :

اما صاحب الثالث فهو زفر بن الهذيل كان مقدما في مجلس الامام وبقى طيلة عمره مشتغلا بالمسلم ولما عرض القضاء عليه أبي فاكهه على القضاء واخفى وهدمت داره فخرج فاصلحها ثم أكره وهدمت داره ولم يقبل ولم يخض الفترات الى النيبا فلم يتعرض الى ما تعرض له الصاحبان (أبو يوسف ومحمد) كان أقيس الحنفية وكان أكبر التلاميذ سنا (ص ١٠٦) .

كان زفر يقربل الاحاديث غريبة ويأتى بالدليل من غير حشو فاذا ناظر أبا يوسف فكان يأخذ بحلقومه ، كان يناظره مرة وهو مستند الى اسطوانة المسجد منتصباً وكان أبو يوسف كثير الحركة اما هو فكان لا يتحرك بل يقول : هذه ابواب كثيرة أركض فيها ايها شئت وانتهى الامر بأبي يوسف الى أن جلس بين يديه .

ولما تزوج دعا أبا حنيفة الى عرسه والتبس منه أن يخطف فقال عنه الامام

اتبع لقله أبي حنيفة على يد أبي يوسف ما يتاح للمذاهب السياسية أو الاجتماعية أو العلمية من النجاح اذ يبيى لها القدر رجلا في دست الاحكام وهي ظاهرة تولاهما المؤلفون القريبون في السنوات الأخيرة بالعرض المستفيض .

وبهذا جعل أبو يوسف من فقه استاذة فقهيا رسميا بالقضاء والافتاء والتدوين وخاصة بتعيين أتباعه في كراسى القضاء حتى صار الناس في بغداد يسمون مذهب أبا حنيفة (بمذهب السلطان) فظهر المذهب فيها بعد وفاة أبي حنيفة على المذاهب كافة وعظمت تلك القوة - كما عبر أحد خصوم أبي حنيفة (لأن العلم والسلطنة حصلا معا) .

اتاح أبو يوسف للفقه الحنفي لقاها جديدا جدد شيابه واكسبه المناعة .. هو اللقاح العملي الذي يتجاوب مع أطوار الحياة ، بما علمه من اتصاله بالخلفاء الثلاثة وبفقهاء الامصار وبعد أن قطعت الدولة أكبر اشواطها في الحضارة ص ٩٧ ، ٩٨ .

وفي سنة ١٨٢ مات أبو يوسف وسمعه السامع يوم مات يقول اللهم انك تعلم انني لم اجر في حكم حكمت فيه بين اثنين من مبادك تمعدا ، وقد اجتهدت في الحكم بما وافق كتابك وسنة نبيك صلى الله عليه وسلم كلما أشكل على جملة أبا حنيفة بيني وبينك ، وكان عندي والله ممن يعرف امره ولا يخرج عن الحق وهو يعلمه وعرف الناس وصيته... ١٠٠٠ لاهل مكة و ١٠٠٠٠ لاهل المدينة ومثلها لاهل بغداد مثلها للكوفة ص ١٠١

(ب) محمد بن الحسن

وهو الصاحب الثاني لامام المذهب ويحسن أن نلم بشيء موجز عن حياته ونقرأ ما لصاحبنا يترجم له :

اما محمد بن الحسن فلم يكن من الخلفاء كابي يوسف ومع انه تلمذ على أبي يوسف بعد وفاة استاذها فقد كانت بينه وبينه وحشة في آخر أيام أبي يوسف حتى وفاته ولي قضاة الرقة للرشيد ثم عزل ثم عاد الرشيد فاستقصاه وادناه «

أن تحرم الأرض من ذلك الإمام إلا إذا
حبته هذا الإمام .

وبعد :

فمع هذا الاستعراض الموجز عن حياة
الإمام الأعظم أبي حنيفة كنا مع الأستاذ
الكبير عبد الحليم الجندی مع مؤلفه عن
حياة ذلك الإمام العظيم واستعرضنا كيف
بدأ أماننا حياته ثم كيف استقل
بشخصيته عن استاذة ثم حلقاته الفقهية
وتناولنا جانباً عن طابع فلسفة الإمام العظيم
والأسس المنهجية لمدرسته التي تخرج
منها الفطاحل والعلماء الأفاضل مع
الكلام عن فقهه وتقييمه من الناحية
الفنية وكيف أنه كان يجتهد كما اجتهد
الأوائل وأثره في حياة تلاميذه وخصوصاً
أشهرهم أبو يوسف ومحمد وزفر

وأرجو أن أكون آميناً في عرض الكتاب
وأن أصل إلى مانوبت الوصول إليه مع
المؤلف من بيان جوانب العظمة من حياة
الإمام وعرض سيرته للناس حتى تكون منه
سيرة أي سيرة وذكر أي ذكر فتتخلص
النفوس من شوائبها وتحنف كما كان
أبو حنيفة وأصحابه يتحنفون .

فان كنت قد استطعت خلال هذا
العرض من الوصول إلى الغرض الشريف
من عرض الكتاب فذلك ما كنت أقصد وان
قصرت فالبشر عادة دون التمام والكمال
لله وحده وأرجو من القارئ العفو عن
بعض الهفوات التي قد لا يتحرز عنها أي
بشر إذا أحس بتقصير مني في إتمام
عرض الكتاب كما يجب والله وحده هو
المستول أن يهدينا إلى سبيل الرشاد
وإلى كتاب أسلامي جديد .

كانما كان يسابق ملك الموت إلى لقاء الله
في الصلاة .

جاءته الدعوة إلى لقاء الله وهو بين
يدى ربه يصلي وبين يدي التاريخ وهو
سجين وبين يدي الفكر الإنساني وهو
يتلقى العذاب من جرائه .

وأخرج من مكانه فحمله خمسة أنفس
فاتوا به إلى مكان غسله فغسله الحسن بن
عمارة قاضي بغداد وكان من أصحاب
الحديث وزهادهم فلما فرغ من غسله قال
(رحمك الله لم تقطر منذ ثلاثين عاماً ولم
تنوّد يمينك بالليل منذ أربعين سنة .
كنت أفقها وأعبداً وأجمعنا لخصال
الخير) وما فرغوا من غسله إلا وقد
اجتمع من أهل بغداد خلق كثير
لا يحصيهم إلا الله تعالى حتى خرج من
باب خراسان كانما نودى لهم بموته
فاجتمعوا وحرّض من صلى عليه فقبل بلغوا
خمسين ألفاً وقيل أكثر وأعيدت الصلاة
عليه ست مرات وقيل إن المنصور جاء
وصلى على قبره ولم يمكن دفنه إلا بعد
العصر لكثرة الزحام .

وأتى بنا موته مكة فترته البلدة المباركة
على لسان فقيها ابن جريج فاسترحم
وتوجع ثم قال : أي علم ذهب .

ولما وقف تلميذه عبدالله بن المبارك
على قبره قال (رحمك الله . مات
إبراهيم النخعي وحماة بن أبي سليمان
وخلفا خلفاً ومات أنت ولم تترك على وجه
الأرض خلفاً) وبكى بكاء شديداً
ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

وفي سنة ١٥٠ مات أبو حنيفة وفي نفس
العام ولد الشافعي كان السماء لم تشأ

لم تكن حياة أبي حنيفة وإن طالّت إلا
معركة واحدة سلخ فيها الفكر الإنساني
سبعين عاماً بين التحضير والتسديد
والمحمة ولم تكن لبطلها غاية ولا وسيلة
إلا الحرية والتسامح في كل أطوارها .

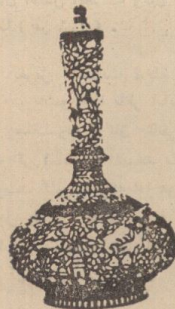
والعالم الذي يقوم على التسامح هو
وحده العالم الجدير بالحياة والوجود
المنبعث من نفوس حرة : هو وحده
السبيل إلى عمارة الدنيا بالنشاط
الفكري والرخاء المادي .

وبعد أن ذاعت نظريات أبي حنيفة في
الإيمان وفي الحرية وفي الاجتهاد
بالإيمان : استقل بإمامة ثلثي الأمة عن
سائر المذاهب والأفراق ورقى سلم المجد
إلى أسمى ذرواته لينزل في التاريخ
منزلة الإمام الأعظم لأهل الإسلام .

ولما ختم حياته في سبيل الحرية كان
كالذي كشف الغيب فوضع نفسه حيث
وضعت الأجيال وكان كالمؤلف يضع
على مؤلفه بعد الفراغ منه عنوانه

ولقد عاش حياته في ذروة الفضل بين
الناس وبين أقطاب الشرائع فلم يبق أمامه
إما أن يموت ميتة تليق بهذه الحياة كان
قد عمر سبعين عاماً ليست طويلة في
أقيسة الزمان ولكنها عريضة الذكر عميقة
الأثر رفيعة المثل والحياة لا تقاس بالطول
بقدر ما تقاس بالعرض والعمق وارتفاع
المقام (ص ٢١٧) .

أحس أبو حنيفة بالموت فسجد فصعدت
روحه وهو ساجد في رجب سنة ١٥٠





فكر وفن
أدب • شعر • الفقه
الشرعية • الفن الإسلامي



دور القسم الخلقىة

الدكتور هكمت ابو زيد

ومنذ أكثر من خمسة شهور مضت وضح لنا مدى تعمق هذه الاصول الحضارية فى نفوس هذه الامة ، فلقد تمكن الشعب بقوة معتوياته أن يتقلب على فترة من أخرج الفترات التى مرت به إبان العصر الحديث ، لقد ظهر مدى صلابة هذه الامة ، كما تبين مدى إيمانها بخالقها وبمعركة المصير ويقائدها الذى تولى زمام قيادتها منذ ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢

وحين نتذكر هذا الخيط الرفيع أو تلك الشعرة التى أشار إليها معاوية بن أبى سفيان ، فإنه يتضح لنا مدى أهمية الصلة العنوية العميقة التى تربط بين القائد وبين الشعب ، والتى تزداد قوة وصلابة على مر الأيام

فعلى مسرح هذه الامة العربية منذ قديم الازل ظهرت قيادات مؤمنة صادقة ، امتازت بقدرتها على تغيير معالم تاريخ هذه الامة بسبب ذلك الخيط المرن الذى ربط بين القيادة الرشيدة وبين الجماهير العريقة المؤمنة ..

ويحدثنا التاريخ العربى عن تلك المواقع التاريخية ، وتلك الاحداث الجسام التى مرت بالامة العربية وكانت للقوى المعنوية دورها فى هزيمة امبراطوريات متيدة كامبراطورية الفرس والروم وفى تقدم الجيوش العربية الطافرة الى قلب اوربا شرقا وغربا . كذلك يحدثنا عن دور الايمان فى نشر الدعوة الاسلامية رغم كل العقبات التى واجهت الدعوة المخلصين *

وان العودة الى الجذور الحضارية رالى التراث الاجتماعى لعلى أكبر جانب من الاهمية ولا سيما حين نمر بنا ازمات من ازمات التاريخ القاسية حتى يمكن أن نجتاز العقبات ونعبر بحرا مليئا بالامواج العاتية .

هذه الجذر الحضارية تعبر عن روح الشعب وتتمثل فى هذا الجانب المعنوى من حياته وتتضمن المبادئ والافكار والمعتقدات والقيم الدينية والخلقىة والمثل العليا

اثار الرئيس جمال عبد الناصر ضمن حديثه الى مجلس الامة يوم ٢٣ نوفمبر الماضى عدة نقاط على جانب كبير من الاهمية اذ تناولت ضمن ما تناولته دور القيم الاخلاقية والمعنوية فى تحقيق الاهداف القومية ، وفى الانتصار على العدو الذى أراد أن يمزق أوصال الامة العربية فززع « اسرائيل » فى قلبها النابض .

وليس من شك أن للقيم الاخلاقية والمثل العليا أهميتها الكبرى فى صنع هذه القومية العربية وسط هذا المحيط الذى تميز بالتفوق فى العلوم التطبيقية وفى المدنية التكنولوجية وفى القدرة المادية - كذلك فللقيم الاخلاقية دورها الهام فى توجيه هذه الامة العربية توجيهها صادقا نحو المعركة المصيرية حتى يمكن التغلب على ذلك العدو الذى دنس الأرض المقدسة فبات عبثا يبرز فوق صدرها ويكاد يكتم انفاسنا ويكون قذى لايمننا .

في خطاب الرئيس جمال عبد الناصر

ان المواجهة تعنى الشجاعة في
مقابلة الحقائق المرة وعدم التهرب
من هذه المواجهة .

فالمعرفة بجوانب الظاهرة
كانت ولا زالت من اهم الاسس
على طريق خطوات العمل البناء .
وبدون المعرفة لن تتوفر امام
الجمهير حرية العمل، كذلك فان
حرية الارادة لازمة لكل فرد في
هذه المرحلة . وبدون الايمان لن
يتوفر لنا الحافز الصادق على
مواصلة النضال والكفاح . .
وبدون تماسك النفس لن تتمكن
من التغلب على حالة التمزق التي
أصابتنا ولا سيما الشباب منا .

كل هذه القوى المعنوية لازمة
واساسية حتى نتمكن من التغلب
على حالة الشك ، ورد الحملات
التفسيمة التي شنّها العدو الى
نحرها .

ان الدور الذي نمر به يتطلب
منا ان نجتاز سريعا دور الانفعال
الى دور الفعل ، من دور ترديد
الشعارات الى دور الانشاء
والبناء .

ان الرائد لا يكذب أهله حقا

انه معهم على طول الطريق
الصعب الوعر الشاق ، معهم منذ
بداية الرحلة . رحلة الجهاد
والكفاح . ولقد كانت اروع صفة
وصف بها النبي صلى الله عليه
وسلم قبل أن يوحى اليه هي صفة
الصدق في القول والامانة في العمل

واذا كان جمال عبد الناصر قد
أشاد بقوة الجبهة الداخلية وتوفر
الارادة الشعبية التي تمركزت في
جبهة الصمود التي سمحت
لخطوات العمل الوطنى ان تتقدم
وأن تتحرك وأن تحدث التغيرات
المادية اللازمة والضرورية فلقد
أشار أيضا الى أهمية خطوات
التغيير المعنوية التي لا بد لها من
ان تصاحب التغيرات المادية .

١ - مواجهة حقيقة النكسة
ثم القدرة على استيعاب هذه
الحقيقة .

٢ - القدرة على تماسك
النفس .

٣ - القدرة على استبقاء الايمان
حتى يمكن اجتياز هذه النكسة .

ويأتى على رأس قائمة هذه
القيادات العربية جماعة الزعماء
الذين اشتهروا بالصدق في القول
والايمان بالله وبالوطن وبوضوح
الرؤيا وبالمثابرة والصبر وطول
المعاناة على طريق الكفاح والنضال
سلسلة طويلة من هؤلاء الرجال
الذين جاهدوا في سبيل المبادئ
وفي سبيل معركة التحرير الكبرى
ومن أجل تحقيق الاهداف
الاجتماعية فكتب الله لهم النصر
تلو النصر .

ان من شأن الايمان بالله أن
يعصم الانسان الذي وضع في
مركز القيادة من الكذب فيصدق
الذين وضعوا نقيضهم في قوله وفعله
ويحس احساسا عميقا بأن الصدق
هو طريق راحة النفس والضمير
وسبيل ارضاء الله ، وبذلك
يحرص القائد على أن يبتعد عن
طريق الخداع والتضليل والمزاولق
التي ينحدر اليها ذوو النفوس
الضعيفة .

الدول المتصارعة على السلطان في العالم ، تخفف من حدته وتنادى بحقوق الامم التي تريد أن تنهض وتحيا حياة كريمة .

كان لا بد من كلمة للعرب تعلن بها رأيها للعالم في هذا القرار ، وكانت الكلمة منتظرة ممن تحملوا أكبر عبء من النكسة ، وهي الجمهورية العربية المتحدة ، فكان لا بد من اللقاء واللقاء السريع بالشعب المترقب المنتظر ، وشاءت الاقدار أن يكون اللقاء بمناسبة افتتاح الدورة العادية لمجلس الامة في ٢٣ نوفمبر ، وكان خطاب عبد الناصر الذي شد انتباه الملايين من العرب والمسلمين في العالم كله ، وكانت فقرات الخطاب تتوالى وتتوالى مبهدة للإعلان الصريح عن رأى الامة في قرار مجلس الامن ، عرض الموضوع من مبدئه الى نهايته بوضوح وصراحة لا بد منها في هذه المواقف التي تمس الشعب العربي كله . وامتلا الخطاب بحقائق مثيرة نزلت بردا وسلاما على القلوب القلقة والنفوس الحائرة ، أعادت إليها استقرارها ، وأضاءت جوانبها بنور الامل ، وغرست في أعماقها جذور الثقة والطمأنينة الى غد مشرق زاهر ، كله انتصار وازدهار ان شاء الله .

ان جيشنا أقدر على المقاومة مما كان قبل النكسة :

ان التدريبات العنيفة المستمرة المثمرة فاقت حد التصور ، ان التسليح القوى خيب ظن المعتدين ومن يساندون المعتدين . هذا كله جميل وجميل ، ولكن أجمل منه ما قرره الخطاب من أن انتصار العدو ليس في حقيقته الاستيلاء على قطعة من الارض أو جزء من العتاد ، فقد حدث

صدي خطاب الرئيس جمال عبيد الناصر

يوم ٢٣ نوفمبر ١٩٦٧

في العالم الإسلامي والامة العربية

مرت على العالم العربي والإسلامي بعد نكسة ٥ يونيو ١٩٦٧ أيام عصيبة لعلها من أشد الايام التي شهدتها تاريخهم القديم والحديث ، وذهبت ببعضهم الظنون مذاهب شتى : ماذا يكون مصير العرب أمام هذه الحفنة الباغية من الامة الماعونة في القرآن ، وماذا يكون موقف المسلمين عامة أمام تحديات المعتدين ، وانتهاكهم لحرمات المساجد ، وفرض سلطانهم على أولى القبلتين وثالث الحرمين ، وزادت أعصابهم توترا تقلبات القضية في أروقة الامم المتحدة بين مجلس الامن والجمعية العمومية ، ما بين شد وشد وأخذود . وما كانت تقوم به أمريكا من ضغوط على أعضاء الهيئة لتقر العدوان وتبرر الظلم وتشغى عن القوة الناهضة التي رفع رايتها عبد الناصر التف حولها العرب ، وشخصت إليها أبصار المستضعفين من الامم التي تريد أن تتحرر وتنهض .

نصيلة الشيخ عطية صقر

واختبارا لمدى ما تكنه قلوبها نحو قضيتها السياسية ، فقد جاءت فيه فقرات هي في حقيقتها سم ممزوج بالعسل ، لم يكن فيه عطف على قضية العرب بقدر ما فيه من تبرير للظلم ، وتمكين لهذه الدولة الدخيلة أن تثبت وجودها وتضمن حدودها ، وأن تكون لها الحرية الكاملة في المرور في مياهاها الإقليمية . الى غير ذلك من الفقرات التي وجدت فيها العرب خيبة لآمالها ، وتحيزا سافرا يراود به السوء لهذه القوة الجبارة ، التي تريد أن تعيد ماضيها المجيد ، وتثبت وجودها بين

في هذا الجو المشحون بشتى الاحاسيس والذي يزيد مرون الايام الطويلة تعقيدا للموقف وظلاما للمستقبل ، برز لنا بصيص من النور يبدد بعض السحب المتكاثفة يوم أن التقى عبد الناصر بالامة في ٢٣ يوليو ، غير أن الأعصاب ما زالت مشدودة نحو المجادلات العنيفة التي تدور بين الساسة الذين فرضوا أنفسهم قواما على مصائر العالم يحكمون فيه ويتحكمون . وتنفست هذه المجادلات أخيرا عن قرار لمجلس الامن ، كان هذا القرار بمثابة جس نبض لشعور الامة العربية ،

والمؤمن بحمد الله لا يذل ولا يهون
ولا يرضى الدنية بحال .

ان قرار مجلس الامن واثره في
جس نبض العرب يذكرني بحادث
اسلامى كان بتدبير اليهود ايضا
في السنة الخامسة من الهجرة ،
حين أغرى يهود المدينة قريشا
بغزو المسلمين في عقر دارهم
فجمعت قريش جموعها وأحلافها ،
ومهد اليهود لهم الطريق ، وبثوا
الفتنة في صفوف المسلمين ،
وجاءت الاحزاب وحاصروا المدينة
وطار حصارهم ، والامر يشتد
ويشتد من وطأة الحصار ، فاراد
النبي صلى الله عليه وسلم ان
يختبر مدى قوة المسلمين في
ايمانهم بالله ورسوله وفي
تمسكهم بحياة الحرية والعزة ،
فعرض عليهم مشروعا اساسه ان
يدفع المسلمون للفزاة المرابطين
حول المدينة والمهددين لامنهم ثلث
نهرها ليرجعوا عنها دون قتال
حقنا للدماء ، واخراجا للمسلمين
من ضائقة الحصار ، ولما تقدم
الرسول بهذا الاقتراح رد عليه
زعمائهم في عزة المسلمين وحماية
العرب : ماذا تقول يا رسول الله
هل اقترحك هذا امر من الله
فيجب علينا قبوله كما نقبل كل
أوامره ، أو هو شيء تحبه نفسك
فنجاريك فيما تحبه ، أو هو رأى
عرضته لمصلحتنا ؟ فقال بل هو
لمصلحتكم ، أحقن به دماءكم وأرد
به عدوكم ، فقالوا له في حرية رأى
كاملة ، وفي صراحة واضحة تبين
مدى تمتعهم بالديمقراطية
الواسعة ، ومدى احساسهم بان
الرأى في المسائل الكبرى الحيوية
لا بد ان تشترك فيه كل الامة في
شخص الممثلين لها - قالوا له :
قد كنا واياهم في الجاهلية نعبد
الاصنام ولا نطعم واحد منهم في

في العصر الحديث ، والحديد لا
يفل الا بالحديد ، وكما يقول
الحكماء :

العبد يقرع بالعصا
والحر تكفيه المقالة

واسرائيل كالعبيد بل شر منها
فالعبد قد يعترف بأنه عبد
ويشعر بمكانته الاجتماعية
بالنسبة الى الاحرار ، لكن
اسرائيل لا تشعر بعبوديتها ، بل
لا تقر بانها الامة الملعونة التي
ضربت عليها الذلة ، بل تعتقد
جازمة بانها شعب الله المختار ،
والمتمجج المغرور لا يكسر غروره
الا القوة التي تفقه عند خده ،
ولقد رأيناها تخرج على اجماع
هيئة الامم المتحدة مرات ومرات ،
واخرها احتلال القدس وفرض
سلطانها عليها ، فهي تتحدى وما
تزال تتحدى ، ومثل هذا الشر
لا يكسر حدته الا القوة ، والقوة
العنيفة ، والله سبحانه يقرر
ذلك في القرآن الكريم حين يصف
هؤلاء الافاكين في علاقاتهم
الاجتماعية ، وحين يضع لهم
الدواء الذي يناسب مرضهم
الفتاك فيقول :

« ان شر الدواب عند الله
الذين كفروا فهم لا يؤمنون .
الذين عاهدت منهم ثم ينقضون
عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون .
فاما تتقنهم في الحرب فشرد
بهم من خلفهم لعلهم يذكرون . »
والمؤمن الصادق الواعى هو
الذى يستفيد من غير الماضى ،
وقد ورد في الحديث :

« لا يلدغ المؤمن من جحر
مرتين »

وقد أحسننا ضراوة هذا اللدغ ،
فلا ينبغي ان نستسلم له فان
الاستسلام امارة تبلى الشعور ،

ذلك لأمم خاضت غمار الحروب ،
ولكن النتيجة انتهت الى غير ما
كان يقدره الساسة والمسكريون ،
ان الانتصار في معناه الحقيقي هو
فرض الإرادة على المغلوب ، وهذا
هو ما لم يتحقق لاسرائيل ولا لمن
سبقها من طغاة النازيين
والفاشيين بعد اكتساحهم لاراضى
دول كثيرة ، وتقدمهم السريع الى
عواصمها التي كادت تسقط في
أيديهم .

ان ايمان العرب بقضيتهم
ورفضهم الاستسلام لمكاسب
العدو الظاهرية ، وتمسكهم
بحقوقهم المشروعة التي لا ينازع
فيها عاقل هو الجزء الاهم في
المعركة ، ولقد أعلن الرئيس ذلك
واضحاً حين باشر الحديث عن
قرار مجلس الامن ، وصرح ،
وهو المسئول عن كل ما يصرح به ،
اننا لن نعترف باسرائيل ، واننا
لا نمكنها من المرور في قناتنا ،
فان المشكلة الاساسية هي مشكلة
فلسطين ، واطرافها كلها متضامنة
أخذ بعضها بحجز بعض اذا نقض
حجر من بنائنا انهار البناء كله
أو شوه جماله ، ولقد كان هذا

التصريح بمثابة قبلة انفجرت
فدوت في أرجاء العالم العربى
والاسلامى كله ، انتزعت تصفيق
الجماهير لمدة طويلة لانها أصابت
المحز وأثلجت الصدور ، وملأت
النفس بالثقة والامل ، وزاد ذلك
قوة ما قرره الخطاب من أن ما
أخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة
وهذه ثقة مابعدا ثقة أن الجواد
الاصيل اذا كبا لم يلبث ان
ينهض ويتابع السبق
وكل جواد معرض للكوة ،
وأصالته تظهر في النهوض منها
واستعادة قوته ونشاطه .
ومنطق القوة هو المنطق السائد

ثمرة من ثمرنا الا بطريق البيع أو الضيافة . أفعد ان اكرمنا الله بالاسلام وأعزنا بك نعطهم ثمرنا ؟؟ والله لا يكون بيننا وبينهم الا السيف .

نعم .. اتقبل عزة الاسلام ذل الكفر ، وترضى انفة العرب تحكم اليهود ومن في ركاب اليهود ؟؟ لا يكون ذلك أبدا .

وكان جزاء هذا الايمان القوى بالله والرسول وحقهم في الحياة الكريمة نصرا من الله عزير ، تولى هو بقدرته سبحانه هزيمة العدو بجنده الذى لا يغلب ،

وسجل ذلك نعمة كبرى امتن بها على عباده وطلب منهم شكرها ب مداومة الاتصال به عن طريق الايمان والطاعة فقال :

« يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءكم جنود فارسنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا » .

ويصف رب العزة قوة هذا العدو في عدده وعدته ، ويصور سبحانه حالة الذعر التى انتابت المسلمين من هول المفاجأة ، ويبين مختلف الاحاسيس التى تصيب بعض الناس حين تمر بهم هذه الازمات ، ومن أشدها تلك الاحلام والأمانى التى كانوا يبنونها على الايمان بالدين الجديد ، وأنه هو الذى سيجلب لهم النصر على عدوهم ويقبهم شر الطفافة والفسدين ، فأين النصر الذى وعد به ربهم ؟ وأين الوعود التى طالما وعدهم بها محمد ؟ ليست هذه مقامرة ساقنا اليها محمد حين أهدف نحورنا الناس ؟؟ هذه أحاسيس تتكرر فى صور

متعددة عند حدوث مثل هذه الازمات ، سجلها القرآن الكريم فى غزوة الاحزاب فيقول :

« اذ جاءوكم من فوقكم ومن اسفل منكم ، واذا زافت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا .

واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا .. » الى آخر الآيات التى تبين بوضوح اثار هذه الغزوة فى نفوس الناس ، والمصير الذى صارت اليه الحرب وهو النصر المبين ، لان البقية الاصلية المهمة وهى الايمان ما زالت مستقرة فى القلوب .

ان النكسات فى الحروب تعرض لها كل الشعوب فى القديم والحديث ، ولكن النصر دائما مع القوة التى لا تغلب وهى قوة الايمان وصلابة الإرادة ، والايمان لا يؤتى ثمرته الا مع الوسائل التى تحميه وتدفعه الى الامام ، وأهمها عمل صالح يتناسب وجو المعركة ، وهو يتمثل اكبر ما يتمثل فى وحدة الصف ، الذى أشار اليه خطاب السيد الرئيس ، بأن مليونين من اليهود كيف استطاعوا ان يوقفوا مائة مليون من العرب هذا الموقف ، ذلك لاننا نفتقر الى التكتل والتنظيم ، وكان النداء الطبعي هو دعوة العرب لمؤتمر قمة توحيد فيه جهودهم وتنظم صفوفهم ، وتوضع خطة عمل

مشترك تستخلص به حقنا المصوب . فكل قطعة ارض اخذت من اية دولة عربية هي قطعة من كبد الامة العربية كلها ، والسرطان اذا دب فى عضو ثم أعمل امتد حتما الى بقية الاعضاء واسرائيل لا تقنع الا اذا حققت حلمها المزعوم فى اقامة دولة تمتد من الفرات الى النيل ، والطامع لا يقف عند حد :

« واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » .

ان العرب يعلقون آمالهم على مصر فى جيشها وقيادتها وقوتها ، وان المسلمين ينظرون الى مصر نظرة الاحبار والاجلال ، ونظرة الامل المرتقب فى اعادة الامجاد الاولى التى تعز بها كلمة العرب وترتفع بها راية المسلمين . وبحمد الله ستكون مصر عند حسن الظن بها دائما . وكان خطاب قائدها دليلا قويا على ما نحمله فى قلوبنا من ايمان قوى وارادة جبارة وعزم وتصميم على مواصلة الكفاح حتى النصر : « يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » . « وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم » . ولنا وطيد الامل فى الله سبحانه - جزاء على قوة ايماننا به ، وشدة حاجتنا الى معونته - ان يتولى عنا هزيمة المعتدين ، وان يجعل بأسهم بينهم وأن يرد كيدهم فى نحورهم ، وأن يمدنا بجند من عنده ، فهو نعم المولى ونعم النصير ..

وحدة الصف والهدف دعاة التحرر

لكن الأمانى الجماعية التى تريدها أمة ، أو يسعى إليها وطن ، أو تسوق إليها مجموعة من البشر ، والتى تحتاج الى جهود متضافرة ، وطرق متعددة ، وإمكانات متنوعة ، لا تتوفر فى شخص واحد أو مجموعة صغيرة معينة ، لابد بلوغ هذه الأمانى من شيئين أساسيين ، أولهما وحدة الهدف ، والثانى وحدة الجهد ، بمعنى أن يكون الهدف الذى يبذل من أجله الجهد واحدا لا أن يكون كل جهد موجه نحو هدف يختلف عن الهدف الآخر ، فإن القوى اذا توزعت على أهداف ضعف أثرها وعجزت عن أن تصل الى ما تريد ، وكذلك اذا كان الهدف واحدا لكن القوى مبعثرة ، بمعنى أن تعمل قوة وتقدم أخرى ، أو تعمل القوى كل فى طريق أو بأسلوب مختلف . قل أن تلتقى هذه الجهود عند النقطة المحددة ، لأن السبل تفرقت بها ، ومن النادر أن تلتقى اذا تشعبت ، خصوصا اذا مسها غرض شخصى أو طاف بها طائف من هوى أو تأثير خاص .

ومن أجل هذا كانت دعوات الإصلاح فى العالم سواء أكانت عن طريق الرسائل السماوية أو الصيحات البشرية محتاجة فى انجاز مهمتها الى وحدة الغرض والهدف والى وحدة الصف والجهد المبذول .

م . ولعل دعوة الاسلام خير دليل على صدق هذه الحقيقة ، نرى ذلك واضحا فى مهمة الرسالة التى اضطلع بها محمد صلى الله عليه وسلم ، لم يكن غرضها نفعا ماديا أو مجدا شخصيا يكمل به نقصا أو يدرك به سلطانا ، بل الغرض الأول هو تطهير المجتمع من عقائده الزائفة وعاداته الباطلة ، والتمكين لكلمة التوحيد وسلطان الحق فى الأرض . وكم جاءت الوفود تعرض عليه العروض المختلفة فى بدء الدعوة ليرجع عن دعوته : أن كنت تريد مالا جمعنا لك مالا حتى تكون أغنانا ، وأن كنت تريد سلطانا ملكناك علينا ، وأن كان بك مرض التمسنا لك الشفاء ، لكنه يعرض عن كل هذا ويتلو عليهم قرآنا يستهدف به أن مهمته هى مهمة إنسانية عامة تقوم على غرس العقيدة الصحيحة وتطهير المجتمع من الفساد الذى ارتكس فيه . وعلى هذا المنوال أخذ البيعة من أصحابه الذين اختاروا الدخول معه فى دعوته ، وقرر لهم عند الزحف لنشر كلمة الحق أن الجهاد يجب أن يكون خالصا لهدف واحد ، وأن الشرف الأسمى للشهداء لا يتم الا فى ظل هذا الهدف وحده ، فلمست المفارقة

التحرر الكامل من القيود التى يفرضها البشر على البشر ، والانطلاق الى الكمال المادى والأدبى على المستوى الفردى والجماعى أمنية عزيزة ، بل ضرورة من ضروريات الحياة البشرية ليستطيع الانسان أداء دوره المقدر له كسيد على الأرض ، ولتستطيع الجماعات أن تحيا كما يريد الله جماعات مستقرة آمنة وادعة تملأ الكون بالخير ، وتقوم الحياة بالسعادة . وقد يستطيع الفرد الى حد كبير أن يصل الى هذه الأمنية اذا كانت مبسطة غير معقدة ، ميسرة غير صعبة ، أمنية شخصية ليست جماعية ، يصل خيرها الى فرد معين لا يمس صالح المجتمع صغيرا أو كبيرا كالأسرة أو الأمة .

فضيلة الشيخ عبد الله المشد

ولقد نبه القرآن الكريم على ان المهام الكبرى لا تتم الا بانس من اولها وحدة الصف وعدم الخلاف ، فقد ذكر في معرض الحديث عن الحروب ولقاء الأعداء بعد الأمر بالثبات في الميدان أن من العوامل التي تكسب النصر توحيد القيادة بالطاعة فقط لله ورسوله ، وتوحيد الصف بعدم التنازع لأي غرض من الأغراض .

« وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله من الصابرين » وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعهد هذا المعنى في أمته في كثير من الأحيان ، فكان يوصيهم بالتكتل والتجمع وتقوية الوحدة وضم الجهود ، وينعى كل النعي على الفرقة والخصام وعلى العوامل التي تؤدي الى التنازع والاختلاف « لا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ، وكونوا عباد الله اخوانا » . « يد الله مع الجماعة » « انما ياكل الذئب من الغنم القاصية » « من اراد ان يفرق أمر هذه الأمة وهي جمع فاضربوه بالسيف كائنا من كان » « الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لأحد على أحد الا بالتقوى » « الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه » وكل ذلك في ظل الوحي الذي كان يتتابع بالتأكيد على المبادئ التي تكفل النصر للمسلمين في معاركهم الإنسانية لنشر الدعوة العالمية الجامعة ، « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » « ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم

بنيان مروض » .

وبعد فان الأمة العربية مرت بها سنون عجاف وفترات مظلمة تحكم فيها العدو فاستذل أهلها واستنزف خيراتها ، وفرق جمعها ، وغرس العداوة بين أبنائها ، وفتنهم بالدنيا والمفريات ، ومكن لمبادئه في مجتمعهم وحاول جهده ان يذيب الشخصية الإسلامية في الشخصية الغربية ، فشاء الله سبحانه ان تستيقظ الأمة من سباتها وتذكر خطورة وضعها فهبت صيحات التحرر في جوانبها وكانت أقوى هذه الصيحات صحيحة مصر في ٢٣

بالحروب لتحقيق مقصده ، أو مجد شخصي بل للحق الخالص وحده وهو هدف الرسالة الأوحد ، سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة وعن الرجل يقاتل حمية ، وعن الرجل يقاتل رياء ، أي ذلك في سبيل الله ؟ فقال « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » قال تعالى « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » .

ان نشر كلمة الحق مهمة ضخمة ، ورفع الأعباء الثقيلة عن كاهل المجتمع عملية واسعة ، فالمجتمع قد توارث عقائد وعادات فتت في عضده وأوهت من قوته ، ورجعت به الى الوراء ، وادنته الى عالم الحيوانات .

وعملية الهدم والتغيير عملية لا يقوم بها جهد فرد أو جماعة قليلة ، وكذلك غرس العقائد الجديدة الصحيحة والمبادئ الإنسانية العادلة الرشيدة ، وأخذ الأمة بها على الطريق السوي ، عملية بناء ضخمة لا يقيمها ساعد واحد ، أو فكر واحد ، أو جهد واحد ، بل لابد من تضافر كل القوى وتوحيد كل الجهود لاثمام الرسالة وتطوير المجتمع ، وهذا هو ما أخذ الرسول به أمته بناء على التعليمات التي تلقاها من الوحي ، فاشعر الله سبحانه جميع المسلمين الذين يدنون بعقيدة واحدة بأنهم أمة واحدة جمعت بينها العقيدة وربط بينها الهدف « ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » ، وذكرهم بأن تفرقهم واختلافهم كان السبب في ضعف شأنهم في الجاهلية فقال « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها » .

وهذه حقيقة شهد بها أهل الجاهلية أنفسهم ، فقد ذكر أحد الوفود التي وفدت على النبي سنة تسع من الهجرة أن السبب في عدم تورطهم فيما تورط فيه بقية القبائل من الاضطهاد والظلم والتناحر ومن الذل والعبودية للغير هو أنهم كانوا متحدين غير متفرقين ، وبهذا حفظت الناس لهم حريتهم واحترمت وجودهم واحتلهم المحل اللائق بهم ، سأل النبي صلى الله عليه وسلم وقد بنى الحارث بن كعب فقال لهم : يم كنتم تنتصرون في الجاهلية ؟ فقالوا : كنا نجتمع ولا نتفرق ، ولا نبدا احدا بظلم . فقال صلى الله عليه وسلم : صدقتم .

يولية ١٩٥٢ فزال كابوس الاستعمار عن جزء كبير من اراضي الأمة العربية ، وانفسح المجال لاصلاح المجتمع بالقضاء على المخلفات الموروثة من العادات والاضاع الفاسدة ، وما زال الركب يمشى ويسير بخطا واسعة ليدرك هدفه في اعادة مجد الأمة العربية وتقوية اركانها والصمود امام تحديات العدو الذي يريد ان يعيد فرض سلطانه والرجوع الى اساليبه القديمة . وكانت تعترض الركب في طريقه عقبات وعقبات واصطدامات والتحامات ، سواء من الداخل أو الخارج ، ولكن الركب ماض ماض في سبيله لتحقيق هدفه الانساني الاسمى ، غير أن الطريق طويل والعقبات ما زالت تعترضه ، وهنا كان لا بد لاتمام الرسالة من جهود موحدة وقوى متضافرة ، تنضم فيها الافكار وتتعاون الوسائل ، وتشارك الاموال وكل الطرق المؤدية الى كسب المعركة .

وقد اعلن الرئيس عبد الناصر في خطابه الأخير أن من أسباب النكسة في يونيو ١٩٦٧ تفرق كلمة العرب وعدم التكتل لمواجهة العنف الذي شنته دول الاستعمار ، وكان من الضروري اجتماع مؤتمر القمة لتنسيق الجهود العربية لاستخلاص الحق المقصوب .

ان العرب يتمتعون بعوامل اصيلة كلها تنادى بالوحدة وتدعو الى التجمع المتكامل ، فعندهم وحدة الجنس العربي ، ووحدة اللغة والثقافة والتراث الحضارى ، ووحدة الآمال والآلام ، ووحدة الدين السماوى الذى جاء به محمد وعيسى وانبعثت صيحاته من مكة وبيت لحم ، والوحدة الاقليمية رغم الحدود المصطنعة ، وهم أحوج ما يكونون الى الوحدة امام الفزرو الاستعمارى والتحدى الاميرالى ، هدف لا بد ان نحققه لمصلحة الأمة العربية كلها لا ينبغي ان تطفئ عليه أهداف خاصة ، ومطلب كريم يعز به العرب والاسلام لا بد فيه من تكتل وتجميع وصمود ، ولينذكر العرب ان مجدهم الاول كان مناطه وحدة القوى ، وان ذلهم كان أساسه

التفرق والاختلاف ، ولنا في عبرة الاندلس خير مثل نحتذيه ، فلو أنهم داموا على وحدتهم ولم تفرق بينهم القليلة أو الثمرات الشخصية لفتحوا كل اوربا ولاشرقت شمس الاسلام وحضارة العرب على العالم كله ، يقول المستشرق (باسيل) ان من حسن حظ العالم أن العرب لم تتفق كلمتهم والا يحكموه . وهذه وجهة نظر له في حظ العالم ، أما المتصفون فقالوا لو لم يكن العرب في الاندلس لتأخرت الحضارة الأوروبية عدة قرون .

واذا كنا ندعو الى الوحدة والتجمع ، فاننا نريدها وحدة بالقلوب والضمائر لا بالأجساد والأشباح ، والأخوة العربية أساسها الحب المتبادل والتعاون الثمر ، وبدون ذلك تكون غربة لا قرابة ، وعداوة لا صداقة ، ورحم الله القائل :

يقولون لى دار الاحبة قد دنت
وأنت كتيب ، ان ذا لعجيب
فقلت وما تفنى ديار قريية
إذا لم يكن بين القلوب قريب
فكم من بعيد الدار نال مراده
وأخر جار الجنب وهو كتيب

وأذكر العرب بأبيات لشاعر مصر محمد الأسمر منذ ثلاثة وعشرين عاما يقول فيها بتصرف :

ما الذى صير العروبة أجزا
ء وكانت من قبل ذلك كلا
فأعيدوا - وان ذلك سهل -
بعض ما كان للعروبة قبلا
وأعدوا لحربهم ما استطعتم
لا تخوضوا تلك المعارك عزلا
فتواصوا بالحق والصبر فيها
وانزلوها نصلا يؤيد نصلا
كل صعب من الأمور اذا ما
صادف العزم صار بالعزم سهلا

عنه ، وبالمهدف الذى تتطلع اليه ،
ثم تحين الوقت المناسب لمهاجمة
الخصم فى مواطن ضعفه ، أو
مظاهر غروره ، حتى نغريه أمام
المجتمع الدولى من كل الزبوف
التي اصطنعها لتفطية مطامعه .

وللجهاد فى الميدان السياسى
حدود مرسومة ، ومعالٍم بارزة
لاتخفى على المهرة من السياسيين
حتى لا يتقلب ضعفاً واستخذاء ،
أو تهافتاً واستجداء ، والا أطمع
الفاصب واللب الخصوم ، وأفسد
السعى ، وجلب الخيبة والفشل ،
فالسير فيه الى أبعد الشوط
يجب أن يكون مرسوماً بالحفاظ
على الحق ، والاعتداد بالنفس ،
والتصون عن الابتذال ، والصمود
أمام العدو فى عزة وكبرياء .
والسير فيه الى أبعد الشوط
يجب ألا يصرفنا عن النظرة
الفاحصة الشاملة لقوة الخصم ،
والاستعداد لها اذا تشعبت
بالساسة الطرق ، والتوى عليهم
الرأى ، وتعدز الاتفاق .

تلك بدهيات تعيها الأمم
المدركة لرسالتها ومكانتها فى
المجتمع الدولى : التمرس بكل
سلاح ، ومعالجة المشكلات
بالرأى والحكمة ، والأناسة
والريث بادية ذى بدء ، حتى
اذا استعصى الحل ، وتقطعت
الأسباب ، وتحكم الضرور
والصلف ، وضمت السيف
موضع الرأى ، وجاهدت من
دونه جهاداً لا يدع قولاً لقاتل ،
ولا حجة لصاحب رأى ، حتى

الأستاذ محمود الجبرى

السياسة

بذل العرب فى مقاومة العدوان الفاشم ومحو آثاره كل
الجهود السياسية ، سواء أكان ذلك فى مجلس الأمن ، أم فى
الجمعية العامة للأمم المتحدة ، أم فى سراديب السياسة المتنوية
خلف القاعات والردهات ، وقد استخدموا فى ذلك كل الأساليب
التي يستخدمها الساسة فى مثل هذه المعارك السياسية ،
وأوضحوا وجهة نظرهم لكل الوفود والهيئات فى هذه
المنظمات الدولية ، أو ما يدور فى فلكها ، حتى لا يتركوا فرصة
لخصومهم يتجهمون بها عليهم ، أو يتهمونهم بالتعطش لاراقة
الدماء ، واشعال الحرب فى هذه المنطقة .

ولكن فات هؤلاء جميعاً أن
الميدان السياسى فى هذا المعترك
الدولى لا يقل خطراً عن الصراع
الحربى ، وأسلحته أكثر مضاء
فى بعض المواطن ، أنها أسلحة
دقيقة رقيقة ناعمة ، ولكنها
نفاذة ماضية ، وهذه الأسلحة
هى المهارة والحذق ، واتقان
المناوراة والمداورة ، مع الإيمان
الوثيق بالحق ، الذى ندافع

وقد لامهم الكثيرون على
تورطهم فى هذا المنزلق الوعر
من مسالك السياسة ، حيث
يضيع الحق ، وتعلو كلمة
الباطل ، ويكون الرأى الأعلى
لقوى الطفيلان والشر ، وظن
البعض أننا سنضرب على غير
هدى فى متاهات السياسة ،
ثم نخرج منها وليس فى يدا
لا قبض الريح !

يفصل في الأمر بالحديد والنار

أناة فان لم تقن عقب بعدها
وعيدافان لم يقن أغنت جحافلها

ولقد طاولنا خصومنا في
الميدان السياسي الى ابعد حد ،
وأفسحنا صدورنا لمختلف الآراء
ولم ندع بابا يصل بنا الى حقنا
الا ولجئناه ، ولا برهاننا يفضح
نوايا خصومنا الا قلبناه على
مختلف وجوهه ، حتى اذا
انفض الجمع الى غير رأى ،
وتفرق المؤتمرون على غير اتفاق ،
عدنا الى الطريق الطبيعي ، الذي
تدرك به الحقوق ، وتنال به
الغايات ، ويفهمه الخصوم ، وهو
طريق الكلمة المدوية تحت أزيز
الرصاص ، وفوق مثار النقع ،
نصرخ بها في وجه خصومنا .

ولن يلومنا بعد ذلك لائم ،
فيهذه الأرض الطاهرة التي
دنستها أقدام الغزاة في وثبة
غادرة مأكرة ، يأبى العدو أن
ينسحب منها دون أن يفرض
علينا ارادته ، ويجلي شروطه ،
ومع كل المحاولات التي بذلت
لحقن الدماء ، وما قام به
الوسطاء من تقرب مسافة
الخلف ، أبى العدو الا أن يلج
في عناده ، وأن يخضع القرار
لاهوائه ، فطوينا صفحة السياسة
والحكمة والاناة ، لنفتح صفحة
جديدة من صفحات الجهاد .

ونحن بهذا المسلك لا نبعد
عما كان يصطنعه أسلافنا مع
خصومهم في معالجة مشاكلهم ،

والحرب

فجللها وأشعرها ، وقلدها القلائد
وفعل أصحابها بما ساقوا من
الهدى مثل ما فعل ، واتجه مع
أصحابه نحو مكة محرمين ،
تتردد في آفاق الصحراء أصداء
تكبيرهم وتلبيتهم ، ولم يكن يدور
بخلدهم ، وقد أغمدوا أسلحتهم
وقصدوا البيت معتمرين أن
تعرض قريش طريقهم ، أو أن
تصددهم عن المسجد الحرام
الذي تتوافد اليه العرب من
كل مكان فلا يحال بينهم وبينه ،
ولكن قريشا ركبها حمية
الجاهلية حين بلغها نبأ هذه
المسيرة ، وصممت على الأيدخل
عليها محمد مكة مهما كان الأمر
وتنادت بالحرب وأخذت تعد
لها عدتها ، واستنفرت ما حولها
من القبائل الموالية لها ومن
الأحباش ، وخرجت بقضها

فقد كانت الكلمة الأخيرة للسيف
حين لاينهض الرأى علجا ، ولا
تنفع الكلمة في حسم الخلاف
وفي سيرة الرسول عليه
الصلاة والسلام أمثلة من هذا ،
ففي العام السادس للهجرة -
وهو العام الذي فرض فيه
الحج والعمرة - رأى رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن يخرج
الى البيت الحرام معتمرا ، وقد
ظن أن قريشا قد لانت عريكته
من طول صراعها مع المسلمين ،
وأن هيبة الاسلام قد فعلت فعلها
في نفوسهم ونفوس الأعراب في
البادية ، وانها ابقاء على الرحم
لا بد مفسحة له الطريق الى البيت
الحرام ، فخرج مع كبار أصحابه
من المهاجرين والأنصار ، وساق
معه الهدى سبعين بدنة ، ولما
أحرم من ذى الحليفة دعا بالبدن

وقضيضها ، وتسائها وصبيانها حتى نزلت ببلدح ، وأرسلت عيونها يرقبون حركات المسلمين فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا ويح قريش ! . قد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر الناس فان أصابوني كان الذي أرادوا وان أظهرني الله دخلوا في الاسلام وافدين ؟ والله لا أزال أجاهدهم على الذي بعثنى الله به حتى يظهره الله ، أو تنفرد هذه السلفة .

ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم غير راغب في القتال والحرب الا اذا اكراهه عليه ، رأى ان يستخدم كل الوسائل التي تحقق الدماء ، فعدل بأصحابه الى طريق آخر واعر المسالك ، ثم قال لأصحابه حين نزل ببعض الطريق : والذي نفس محمد بيده لا تدعونى قريش اليوم الى خطة يسألوننى فيها صلة الرحم ، وتعظيم حرمان الله الا أعطيتهم اياها ، ثم أمر الناس أن ينزلوا حيث كانوا .

وبدأت المفاوضات السياسية بين قريش والرسول ، فجاءته رسالهم تترى تحمل اليه ما اعزمته قريش من الجلولة بينه وبين دخول مكة ، وأنها ستدافع عن بلدها بحد السلاح ، وأخذ الرسول يشرح للرسول مقصده من الزيارة ويقول : اننا لم نأت لقتاله أحد ، ولكننا جئنا معتمرين

فان شاءت قريش ماددناهم مدة ، ويخلو بيني وبين الناس ، وان أبوا فوالذى نفس محمد بيده لأقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى

ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يذهب في مفاوضته لقريش الى أبعد المدى ، فلم يكتف بسفارة رسالهم بينهم وبينه ، بل اختار من صحابته من رأى أنه أكثر اقناعا لقريش ليكون رسوله اليهم ، ليؤكد لهم انه انما جاء الى البيت زائرا لا غازيا ، ومسالم لا محاربا ، فأرسل اليهم من قبله خراش ابن أمية الخزاعي ، ولكنهم لم يقبلوا منه شيئا ، وعقروا به ناقته ، وهموا به ليقتلوه ، لولا أن أجاره الحليس سيد الاحابيش ، فاحتملها منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرها لهم - وان كانت اهانة الرسل جريمة لا تغتفر - ثم بعث اليهم بعد ذلك برسول آخر هو أوثق بهم رحما ، وأكثر قربى ، وهو عثمان بن عفان ، فلم يستطع عثمان أن يدخل عليهم مكة حتى أجاره ابن عمه إبان بن سعيد بن العاص ، فبلغهم ما اعترمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من زيارة البيت ، وأنه لا يقصد من دخول مكة الا أداء الفريضة ، ولكن قريشا لم تستمع الى ما قاله عثمان ، وطال بينه وبينهم الأخذ والرد ، حتى حبس بينهم ثلاثة

أيام ، شاع بين المسلمين فيها أنه قتل ، وبلغت هذه الشائنة رسول الله وكانها أمر واقع .

عند ذلك أصبح أسلوب السياسة غير ذى موضوع ، وتكشف لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن لامل فى الوصول الى اتفاق .. وأصبحت الكلمة للسيف وحده يحسم هذا الأمر ، ويحكم فيه بما يشاء ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لن نبرح مكاننا هذا حتى نناجز القوم ، ودعا المسلمين الى مبايعته على القتال ، فاسرعوا يبايعونه ، « حتى تداكوا ، ووطئوا متاعهم » وليسوا السلاح ، وتهيئوا للحرب ، وبلغ من حماس المسلمين أن قامت أم عمارة الى عمود كانت تستظل به فأخذته بيدها ، وشدت سكينها فى وسطها ، وباع رسول الله عن عثمان لوجوده بمكة .

وفى هذه البيعة نزل قول الله تعالى : « لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فانزل السكينة عليهم ، وأثابهم فتحا قريبا »

والآن .. ماذا بعد ؟ لقد حاولنا أن نحل مع الأعداء مشاكلنا عن طريق السياسة ، وقد تكشف لنا هذا الطريق عن دروب متشابكة لا أول لها ولا آخر ، وتخطا فى متاهات لا يحدها أفق .. اذن الى السيف وفيه الشفاء .. والى الجهاد فهو السبيل .

عبد الناصر صانع السلام

الأستاذ كامل عبد المجيد

« ان النصر يحققه ذلك الذى
يستطيع فرض ارادته على عدوه
وليس ذلك الذى يستطيع فى
مرحلة من مراحل المعركة ان يحطم
كمية اكبر من سلاح عدوه أو أن
يحتل رقعة اكبر من ارضه ..
العبرة بالارادة »

من خطاب جمال عبد الناصر
فى افتتاح الدورة الخامسة
لمجلس الأمة ..

الموقف فى حد ذاته نقطة التحول
فى الازمة . ذلك أننا أفراد هذا
الشعب المكافح الذى خبر الحياة
حلوها ومرها واستوعب تاريخ
الشعوب المناضلة نعرف تمام
المعرفة ان ما حدث لم يكن « قدر
نستفرد به وحدنا وانما هو قدر
جاز قبلنا على أهم اكبر منا
وأقوى » وأن « ما حدث لكثير
منها لم يحدث والحمد لله منا »
ولكن ما معنى هذا ؟ وما هى
دلالاته ؟

يجيب على ذلك صانع السلام
فيقول « ان شعبنا بهذا قد أثبت
أن رقعة من أرضه قد تسقط
تحت احتلال العدو ولكن أى رقعة
من ارادته ليست قابلة للمقوط
تحت أى احتلال »

نعم ، فالعزيمة والارادة
سلاحان أمضى من أى أسلحة
أخرى ، ونحن نملك من سلاح
العزيمة وعدة الارادة ، سلاحا
قويا جبارا لا يمكن أن تمسه كارثة
أو تؤثر فيه نكسة ، أو أن ينال

وواجهتنا فى هذه المرحلة أقسى ما
يواجه الشعوب، وهو الشعور المر
بالهزيمة والخديعة والانكسار ..
ولكن هذا الشعور، مر بهذا الشعب
العظيم للحظة واحدة - فهو لا بد
أن يحس وينفعل بطبيعة الأمور
- ولكن هذه اللحظة لم تستغرق
منه وقتا طويلا، ولم يمتد الشعور
بالآلم وخيبة الأمل سوى لحظات
قصار ، أفاقت بعدها جماهير
الشعب وانتفضت انتفاضتها
الكبرى يوم ٩ ويوم ١٠ يونيو ..
وكانت هذه الانتفاضة .. وهذا
الموقف هو الحد الفاصل بين النصر
والهزيمة « الحد الفاصل بين
الظلام الذى اطبق علينا وبين
الضياء الذى أمسكنا بخيوطه
ورحنا ننسج منه نهارا جديدا
أكثر إشراقا وأكثر مدعاة الى
الأمل »

نعم ، فلم يستغرقنا الظلام الا
لحظات قصار ، أمسكنا من خلاله
بخيوط عزيمتنا المضيئة وقوة
ارادتنا وصلابتنا التى لم نقفدها
على الإطلاق فى أحلك الأوقات ولا
فى أصعب المحن . وكان هذا

تحدث صانع السلام - فى لقاء
صريح وواضح - مع أعضاء مجلس
الأمة فى حفل افتتاح الدورة
الخامسة للمجلس حديثا خالصا
وواضحا ومفتوحا ينبع « من
القلب والى القلب » ، فرسم لمثلى
الشعب - بعد شهور خمسة من
النكسة - صورة انسانية حية
ونابضة لتجربة الشعب المصرى
فى استيعاب النكسة وتجاوزها ،
كما صور لهم معالم التحول الهائل
الذى تم فى هذه الشهور الخمسة
والذى نتقدم بمقتضاه كل يوم
ونزداد به قوة وقدرة

وفى هذا الحديث الصريح الحى
واجه الزعيم القائد كل ما يدور
بأذهان الناس مواجهة صريحة
وشجاعة ، وأجاب على كل
التساؤلات التى تدور فى السر
والعلن ، كما وضع النقاط على
الحروف ، وحدد معالم الطريق
الجديدة ، الطريق الشاقة الصعبة
فى بساطة ويسر - ودون ادنى
مواربة أو انفعال

فلقد عبرنا - كما صور القائد
البطل - مرحلة قاسية وعنيفة
من مراحل حياتنا وكفاحتنا ،

منه عدو مهما كانت قوته ، وأيا كانت نتيجة المعركة العسكرية بيننا وبينه

ولهذا السبب خابت آمال العدو ، ولم يستطع أن يلحق الهزيمة بروح الشعب المعنوية ولا بإيمانه بنفسه أو ثقته في الله أو في قدرته على التغلب على عواطفه . . ولذلك لم يفقد هذا الشعب قدرته على الصمود وصلابته حتى « بعد ما هزمت قواته هزيمة عسكرية سريعة » . وذلك أيضا لأن أفراد هذا الشعب لم يستسلموا لدموع الألم ، ولم ينساقوا للعاطفة ، بل كانوا أقوى من الموقف وأصلب من الكارثة التي كانت على وشك أن تحل بالوطن الغالي « فلسنا أول دولة في العالم تواجهها هذه الظروف » أو تواجه هذا الموقف الصعب . . فكان للمنطق العاقل والارادة القوية الصلبة التي لم يتمكن العدو على الإطلاق من هزها أو المساس بها هي الدعامة التي أمسك بها هذا الشعب ، ليخرج بالوطن من العاصفة التي أحاطت به ومن الأنواء التي كانت تهدد بالفرق . وكانت النتيجة التي لم يكن يتوقعها العدو أبدا « فقد خرج الشعب ليؤكد قوة ارادته وأن هذه الارادة لا تقهر وأنه لا يكفي لقمعها أى خسارة في المعدات او في الأفراد » .

وقد حدث هذا التحول المفاجئ الصلب القوى « في الوقت الذي كان أعداؤنا فيه مقتنعين ان احنا سنهناك تحت وطأة الصدمة » . . وفي واقع الامر ، الصدمة الحقيقية تلقاها العدو . . ذلك أن خروج الشعب يومى ٩ و١٠ يونية . وسط الفارات الجوية - كان

تعبيرا عن « تأكيد قوة ارادته وتأكيد أن هذه الارادة لا تقهر وأن هذه الارادة لا يكفي لقمعها خسارة معركة عسكرية أو خسارة نسبة من المعدات أو خسارة جزء من الأرض » . وكانت نتيجة هذا التأكيد

الشعبى ، وهذا الصمود ، وهذه الارادة القوية التي أكدت صلابة الشعب وتماسكه . . كانت نتيجة هذا ان تغير الموقف تماما

نعم « تغير الموقف كلية بدون ان يطرا عليه أى تغيير مادي . . بتأكيد الارادة الشعبية أصبح الموقف البالغ السوء - وليس في ذلك أدنى مبالغة - أصبح قابلا للتحسن »

وفعلا تحسن الموقف . . وتغير . . بفضل الارادة القوية ، والصلابة ، والمعزم . . وهذه النتيجة الجديدة التي وصلنا اليها فرضتها الارادة الشعبية . . ذلك أننا اليوم ، وبعد خمسة أشهر من النكسة ، نستطيع أن نقول باطمئنان « أن قواتنا المسلحة قد استعادت جزءا لا يستهان به من قوتها الحربية ، كما انها الآن تقف على جبهة قوية تقدر فيها على العمل المؤثر والفعال » .

ودرس النكسة الذى استوعبه شعبنا الواعى يفرض علينا وأجبا جديدا هو المشاركة في المسؤولية فكلنا مسئولون عن ظروف معينة ادت اليها لانه من غير المعقول أن يتحمل النكسة شخص واحد أو مجموعة من الأفراد ، وقد أعلنها صانع السلام بصراحة فقال ان الاتجاه العام للنقد الذى اعقب النكسة ظاهرة صحيحة ولكن قبل

أن نقصد الآخرين ونحملهم وحدهم المسؤولية لابد أن نقصد أنفسنا « فكل واحد منا قبل ما ينقد غيره ينقد نفسه . كل واحد منا مسئول . كل واحد يجب ان يساعد على كسب معركة الارادة بانه يدى الثقة في النفس للناس كلها »

ومعنى هذا أن استيعاب الصدمة « لايعنى ان الصلة بعدما انقطعت بكل ما كان قبلها أو خلاها » . فلا بد أن ندرك ان هناك روايب لهذه النكسة وانرا يجب ان تعالج بحسم ودون تردد حتى تنتهى الفترة التي تتمكن

فيها من ازالة اثار العدوان تماما وقد حدثت تغييرات جذرية عقب النكسة فاعيد بناء القوات المسلحة من جديد وتغيرت كل قياداتها بما يحقق نتيجة التجربة العملية وهى أن «المهم هو الرجال اكثر من السلاح ، فليست المسألة تخزين سلاح ولكن مقدرة على استعمال السلاح »

ولم تقتصر هذه المراجعة على القوات المسلحة فقط بل شملت اوضاعنا الداخلية بشكل عام « فحدثت تغييرات كبيرة في كل ناحية مما كان الشعب يطالب بها » وعلى سبيل المثال تقرر وضع حد للامتيازات فالتفت بعضها وهناك دراسات تجرى الان لتخفيض البعض الاخر منها حتى يكون هناك تكافؤ في التضحيات ومشاركة فعلية حقيقية ومتساوية في تحمل المسؤولية

للنصر « فنحن لا نتردد في محاولة العمل السياسي .. والحرب ليست هدفا في حد ذاتها » . ولكن مع ذلك ليس هناك بديل للنصر لان « معنى الا يكون هناك نصر ان لا تكون هناك حياة » ونحن لا نقبل غير الحيلة .. ونرفض الموت .. بل ونذيقه لمن يريد له لنا او يحاول ان يفرضه علينا .

ومجمل القول انه ليس امامنا بديل لاستعادة الحقوق الضائعة وتحرير الارض المحتلة وفي نفس الوقت « نريد أن يعرف العالم كله أننا لسنا دعاة حرب .. » ولكن - أيضا - « نحن جنود حرب اذا كانت الحرب ضرورة ونحن نستعد لها وكل احتمالاتها .. واذا استطاع العمل السياسي في الفترة التي يكتمل فيها استعدادنا العسكري ان يصون مبادئنا وان يحرر ارضنا وأن يستعيد حقوقنا الضائعة ، فذلك شيء لا نرفضه » .

ولكننا في نهاية هذه العجالة السريعة التي استعرضنا فيها بعض الاجزاء في خطاب صانع السلام الى ممثلي الشعب ، لابد لنا ان نذكر معه ان الضمان الاول والاخير امامنا في هذه المرحلة هو استعدادنا الكامل لحمل السلاح في أي وقت دفاعا عن المبدأ والارض والحق ، وعلى هذا لابد ان يكون الضوء الهادي لنا هو ما قاله لنا من « ان ما يؤخذ بالقوة لا يد أن يسترد بالقوة » مسترشدين بقوله تعالى « وأعدو لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » صدق الله العظيم .

من مائة مليون عربي سوف يغتربونها .. وكشف الحقيقة التي تحاول اسرائيل اخفاءها ، وهي اطماعها التوسعية تحت ستار الدفاع عن نفسها ضد العرب المعتدين .. وعلى هذا الأساس كان موقفنا في الأمم المتحدة .. لم نحاول مقاطعة المنظمة الدولية رغم وثوقنا من أننا لن نصل عن طريقها الى حل عادل وحاسم للموقف المخزى الذي خلقته اسرائيل في الشرق الاوسط بمساندة الولايات المتحدة الامريكية .. بل وقفنا في وجه عدونا ووجه مؤيديه في الأمم المتحدة وكشفنا الاستار عن المؤامرة التي تجري في الخفاء على حساب ابناء فلسطين المشردين والدول العربية كلها ..

ونحن في نفس الوقت نمد ايدينا لجميع الدول التي تنصر الحق وتؤيد الحق العربي وقضية المصير العربي .. وما هو الانفاق
قد تم على عودة العلاقات الدبلوماسية والسياسية مع بريطانيا .. وهكذا « نتحركنا ولا بد لنا أن نتحرك لأن المعركة هي معركة شاملة وهي باتساع العالم كله .. لا نستطيع ان نترك الامور تفريق حولنا وتعاصرنا ويجب ان نعكس التيار نأخذ في صالحنا ونتحرك الى عزل عدونا ولا نعزل عنه » .

ونحن في مجال الحركة السياسية والعمل السياسي لا نقبل بديلا للحق، كما أننا في مجال العمل العسكري لا نقبل بديلا

ولعل أوضح النقاط التي ركز عليها صانع السلام في خطابه والتي اعتبرها مسارا صحيحا في الاتجاه الحقيقي نحو اعادة البناء هي « النقاء الثوري والطهارة الثورية والمزيد من الديمقراطية .. » ووصولا الى هذه الديمقراطية تمت فعلا خطوات ايجابية بالنسبة لرفع العزل السياسي عن بعض الذين كانوا قد عزلوا سياسيا ، كما تم الافراج عن عدد كبير من المعتقلين الذين عادوا الى وظائفهم ليمارس الجميع حياتهم الطبيعية ويشاركوا في تحمل المسؤولية . كما ان اطلاق الديمقراطية في هذه الفترة أصبح أمرا ضروريا وحيويا لان الديمقراطية أصبحت تعني في حد ذاتها عاصما عن الانحراف وسيقا مسيطرا على رقاب المنحرفين ، ونحن بذلك نكون قد حققنا هدفين في خطوة واحدة وخصوصا بعد سقوط دولة المخابرات ..

كما أن التركيز على الانتاج ومضاعفته في هذه المرحلة يجب أن يكون هو الأساس الأول لمخطط حياتنا المقبلة . ذلك ان العبء الاكبر في المعركة القادمة يقع على كاهل الانتاج ، فبقدر ما تنتج ونعمل ، بقدر ما تؤكد النصر وتقدم الضمانات القوية الاكيدة لتحقيق هذا النصر في معركتنا المقبلة مع العدو .

اما موقفنا بالنسبة للعالم الخارجي ، فنحن نسير على مخطط مدروس يستهدف احباط مؤامرات اسرائيل التي تحاول اقناع العالم بانها دولة مسالمة تعيش مهددة داخل سياج يتكون

من فضل القرآن على الأدب

فضيلة الشيخ محمد طاهر الفقي

جوانب منه ليست هي كل وجوه البحث ولا عامة منازع القول ، والذي هو اقرب لأن يصدق ، وإنائي عن الضلالة والوهم ، أن تقول أن مجموع ما انتجته قرائع الباحثين ، وغاية ما اهتدى اليه جهدهم ، أقرب مجتمعا الى أن يكون وفاء بحق هذا الذي نتصدى له مقربين بالعجز والاعياء عن بلوغ غاياته .

لقد كان نزول القرآن على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، مرادا به أن يكون المعجزة الخالدة التي تفهر أساطين البلاغة ، وتبهز من عرفوا بصناعة الكلام والاحسان فيه ، والانتهاى في بلاغته الى ما لا يجحده الناس والزمان ، وكان هؤلاء قد عاندوا الرسول وأصروا واستكبروا استكبارا ، واصموا أذانهم ، وأعموا أبصارهم ، عن الدين الذي جاء به هدى ونورا ، فانهم عز عليهم أن يكون محمد هو المخصوص بشرف الرسالة وفيهم اعزة وعلية « وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » .

وآذاهم أن يصفه محمد صلى الله عليه وسلم أحلامهم ، ويهتك عنهم أوهامهم وضلالاتهم ، ويدعوهم الى نبذ الأوثان وعبادتها ، وقد وجدوا آباءهم عليها عاكفين ، ودعاهم الى أن يؤمنوا بالله الذي خلق الأرض والسموات وما بينهما ، والذي ينفع ويضر ، ويحاسب الناس بعد البعث فهو لم يخلقهم سدى .

لقد تتابعت هذه الآيات من محمد ، وأيد الله رسوله بالمعجزات الباهرات ، ولكنهم لم يؤمنوا أو لم يؤمن أكثرهم بها ، وظلوا يخرجون الرسول في كل ما يأتي به ، ويرتصدون له بالكيد والقهر والأذى ، وكانت صناعة الكلام عندهم أظهر ما أحوه وأشهر ما أجادوه ، كالسحر في عهد موسى ، والاطب على عصر عيسى ، فكان حتما أن يختار الله معجزة أخرى هي أعنى وأقوى ، وأعظم وأجل ، لتكون أكثر قدرة على إبطال باطلهم ، وأتم قهرا لما أصروا عليه من سفة وتكذيب ، وقد طالت المكابرة ، وامتد حبل التكذيب ، فقالوا لمحمد أن القرآن من عنده ، وأن هو الا أساطير الأولين اكتبها ، وأن هو الا قول شاعر ، فلما تحداهم الله به أن يأتوا بعشر سور منه عجزوا ، حتى تحداهم أن يقدروا على سورة منه أن كانوا صادقين فبهتوا .

الحديث عن فضل كتاب الله على الأدب ، أو عن وجوه الاعجاز فيه ، لا يكون القصد اليه ، والرغبة فيه ، من أي كاتب أو عالم أو أديب ، عن زعم القدرة عليه ، أو ظن الاحاطة به ، والكمال فيه .

ولكن التصدى لهذا البحث ، على جلالة شأنه ، وترامى شواطئه - كالتصدى لبیان فضل الاسلام ، أو المقارنة بينه وبين سائر الأديان ، أو السبل التي تؤدي الى السعادة به في الحياتين ، أو الكشف عن عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم من سيرته وشتى مناحي حياته ، كل ذلك لا يتوخى الكاتب عنه ، الا سعادة نفسه بمحاولته ، وأن يجد الروح والريحان من كل ما يشيره من جواهره ودرره ، والكاتب من قبل ذلك ومن بعده يلبي رغبة نفسه في التعلق بهذا الشرف العظيم لكنه لا يظلم نفسه بأن يفكر في قليل أو كثير في أنه سيؤتى ولو حظا من الكمال والشمول ، فذلك لو جاز لدل أكثر ما يدل على الراى القاصر ، والجهل الفاسر ، وما اظننى مبالغا اذا جزمتم بأن كل مفكر أو عالم جليل نهض بالبحث فيما انهض به اليوم انما شك الموضوع من بعض أطرافه ، وأحسن أو ابدع في

« يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا
لا بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم ،
يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من
ذيوبيكم ويحرمكم من عذاب اليم »

وقد يتساءل متسائل ، ذلك شأن الكتاب في
بلاغته ، فاين فضله على الادب وجدواه عليه ،
وما منزلته من هذه الآداب جميعا ؟

وبدهى أن هذا التساؤل يعزل البلاغة عن الادب
وينأى بفصاحة الاسلوب عن روعة الاديب ، فكان
البلاغة في واد والادب في واد آخر ، وقد استقام
في عرف كل باحث في فن البيان أن لكل كلمة مع
صاحبها مقاما ، وأن وضع الایجاز في موضع
الاطناب أو وضع الاطناب في موضع الایجاز مثلا
اخلافا لها ، ولا يستقيم في عقل البليغ اذن أن يسمى
ذلك التجاني ادبا ، فكل التزام لجادة البيان انما
هو ادب يختلف كما وكيف باختلاف الاحسان فيه ،
أو التوفر عليه ، والایجاز ان يكون الكاتب أو الشاعر
أو الاديب حرا في أن يكسر حدود البلاغة العربية ،
ويخرج من اطارها ، وبزعم انه ادب كتب أو نظم .

ولا أخفى على القارئ أنى حينما تهيأت لشرف
المحاولة في هذا البحث كان يؤرقني فتون كثير من
ادباء العربية أو المتأدبين بالأساليب الغربية ،
والمنازع المترجمة ، وتهافتهم عليها تهافتا دل على
فراغهم من أصالة البلاغة القرآنية ، أو على جهلهم
بكنوزه الأدبية ، وروائعه الحلاية التي تتبدى في
تشبيهه معجز ، أو تمثيل فائن ، أو مجاز باهر ، أو
قصص آسر ، ودل كذلك على تبيع المعنى العربي ،
والفكر الاسلامي ، في قلوب هؤلاء ، وفي أقلامهم ،
حتى اشاع هؤلاء في النشء فتنة التقليد الأعمى ،
وطار من أفئدتهم هواء الى هذه المنايع الضحلة ،
واستهوتهم تلك المعاني التي نقلت بترجمة عليقة ،
ليشتهر أهلها ، أو ليتجر أصحابها .

والذين يرجعون الى صحف التاريخ ، ويستقرنون
فيما سلف منه كتب الدين والدنيا فيه ، سيقرون
مؤمنين بأنهم لم يجدوا كتابا دينيا أو دنيويا تنأى
الى ما تنأى اليه القرآن من عظمة ورفعة شأن ،
والقرآن قد مضى على سعادة الحياة به ثلاثة عشر
قرنا ، ولا يزال كما نزل مسجلا بلغة كريمة أصبحت
مصدرا لأدب عالمي تنحني له الهامات في مشارق
الأرض ومغاربها .

والذي نهذف اليه من هذا الحديث الذي طوى
طيا ان نقول ان الجاهليين وهم اساتذة الكلام
وأعنة القول ، فتناو به ، وعنت وجوههم له ،
وسلموا به ، حتى هام بعضهم على وجهه من طرف
مما استمع اليه ، فاذا كان هؤلاء قد عجزوا وسلموا
وآمنوا ، فان ذلك عجز وتسليم وإيمان من كل من
جاء بعدهم ، أو عاش متأخرا عنهم ، بقدر ما بين
السابق واللاحق من فرق عظيم في الملكات ، وبون
بعيد في البيان ومراتبه .

وكل لحظة تمر بالناس وهم يفتنون أشد الفتون
بكتاب الله انما هي اقرار بباهر بلاغته ، وسجود
لساحر بيانه ، ولم يجيء على مدى ثلاثة عشر قرنا
اديب عملاق ، أو كاتب مغرور ، جرؤ - ولو في
حمق وسفه - أن يدعى أن له طرفا من روعة
القرآن ، ولم يثبت على دعواه ان له بأسلوب
الكتاب المقدس شبها أي شبه .

ولعل من الطريف هنا أن يستطرد القول الى
الجن ، وموقفهم من القرآن وبلاغته ، وفي ذلك أن
من هؤلاء - على تهمدهم - من أذهله القرآن
وحسن بيانه ، ذلك الذي يشرحه الكتاب نفسه ،
وهو لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه ،
تنزيل من حكيم حميد ، يقول الله تعالى « قل
أوحى الى انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا
قرآنا عجا يهدى الى الرشd فأما به ولن نشرك
بربنا احدا ، وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة
ولا ولدا ، وأنه كان يقول سفيهننا على الله شططا ،
وانا ظننا ان لن نقول الانس والجن على الله كذبا
الى آخر ما في هذه السورة مما هو بهر وفتون من
الجن بالكتاب المبين » .

وحين اشتد غلت المشركين بنبي الله ، وراح
يلتمس في الطائف إيمان أهله وتأييدهم لدينه ،
فكانوا ضغفا على ابالة ، رجع رسول الله وفي نفسه
ما فيها من الاشفاق على هؤلاء المستمرئين كفرهم
وغلوئهم ، فمثل بين يدي الله ، وشرح يدعوه
ويتبتل اليه ، ووقف يصلى للذي يراه في حجب
الليل ، وكانت هدية الله في محنته ، أو سلواه لنبيه
في بلواه ، أن يصرف الله اليه نفرا من الجن
يستمعون القرآن « فلما حضروه قالوا انصتوا فلما
قضى ولوا الى قومهم منذرين » ثم قالوا لقومهم :

وقد قيل انه لم يوجد كتاب كتب بلغة سائرت
الزمان ما يدانى هذه المدة أو نصفها ، وما هو
الا قليل حتى يدب اليها التغيير والتبديل ، حاشا
القرآن فانه كتب بهذه اللغة التي مستظل روائع
مهما طال الزمان .

صحيح ان هذه اللغة أهملت اليها فيما أهدته
قبل الرسالة فيضا من الشعر الرصين ، وأسفارا
دونها الرواة من أطايه ومحاسنه ، لانزال نعتز بها
فيما نعتز من أمجادنا العربية لكنها كانت مختزنة
في أذهان الرواة غير مكتوبة ، وكثيرا ما يختلف
الناس فيما لم يكن مكتوبا ، وحين أشرق نور
الاسلام ، وأنزل الله كتابه الكريم على نبيه العظيم ،
كان هذا الكتاب حفاظا للتراث الجاهلي الذي
ورثناه ، وسجلا دقيقا لما وعيناه ، فانه وحد لفسة
العرب ، ونسق بين لهجاتها وهي عدة في هذه اللغة
المكتوبة التي هي لغة الادب العربي الى آخر الزمان
على أن القرآن - كما قيل - أضاف الى ذلك
الذي كان موجودا من الشعر أساسا قويا متينا
للجمع والنثر ، بل ان القرآن سلك في عقده المحكم
حياة المسلمين العامة والخاصة ، وصور ذلك بأبلغ
تصوير في أدب كريم ، وحكم رصينة ، ونثر لا يزال
يأخذ بمجامع القلوب ، ويكون له مع غيره من
الاساليب مهما علت وارتقت تميز ظاهر ، وأعجاز
قاهر .

ان القرآن حقيقة المثل العليا التي شرعها الله
لعباده المؤمنين ليقرواها ويعوها ويحاكوها ، وهو
الدستور الذي ضم في دفتيه أروع دين ، وأعظم
تشريع ، وكلن تمام النعمة ، ونهاية المنة ، وقمة
الحياة ، فهل كان لهذه المثل ، ولذلك الدستور
ما كان له لو أن الله لم يكفل لهما مثل هذا الكتاب
على هذا الحظ من الإعجاز وذلك القدر الرفيع
الذي جملته دعامة الادب ؟

لقد سبق القرآن كتب سماوية خالدة لم يتحد
الله ببلاغتها ، ولم يسبقها مساق الإعجاز بفصاحتها ،
انما كانت بلاغا وتشريعا ومبادئ ، ومن ثم فلها
غير القرآن شأن ، وليس لها ما للقرآن الخالد من
مقام .

وكم يزيد في قوة الحجة ، وعظمة الحجة أن نجد
بلحنى العرب ، ومن لم يخالط الاسلام قلوبهم ، قد

أذعنوا للكتاب الحميد ، فأقروا بسامي مكانته في
الادب والبلاغة . فتجد (استنجاه هيو) يقول :
« ويمكننا أن نقول بكل قوة ان القرآن أعظم ما كتب
في تاريخ البشر .. فهو يتكلم عن وحدة الله بكل
جلال ووفا ، فيسمو بخيال العرب الموهوبين
بفطرتهم على الشعر فيخرون للأذقان سجدا ،
خشوعا لعظمة الله ، ورغبة في رحمته ، ورهبة من
عقابه ، وانه لمس المشاعر بلغة سهلة جزلة لا تكلف
فيها ولا تعقيد ، عندما يسلى الرسول ويشجعه
على أداء رسالته . وعندما يقص عليه من أنباء
الرسول ما فيه عبرة ومزجر ، وكذلك عندما
يتغفل في صميم الحياة الخاصة والعامة ، ليجعلها
تتمشى مع المبادئ الأساسية التي أمر بها الدين
الجديد ، وهنا لا يصح لنا أن نقيس القرآن بأى
كتاب آخر من كتب الادب ، من حيث عدوية اللفظ
وطلاوتها ، وانما نقيسه بالثورة التي أحدثها في
نفوس المعاصرين لحمد ، فقد نفذ القرآن الى قلوب
سامعيه بكل قوة وإقناع ، واجتث من ثنائياها ما هو
متأصل فيها من وحشية ، وانتزع كل همجية ،
فاوجد ببلاغته وبساطته أمة متمدينة من أمة
متوحشة متبربرة .. »

ويقول (هيرشفلد) : « وليس للقرآن مثيل في
قوة إقناعه وبلاغته وتركيبه .. واليه يرجع الفضل
في ازدهار العلوم بكافة نواحيها في العالم الاسلامي »

ويقول (سيل) : « ان أسلوب القرآن على وجه
العموم جميل وقياس .. وفي كثير من نواحيه نجد
الأسلوب عذبا وفخما ، وبخاصة عندما يتكلم عن
عظمة الله وجلاله .. ومن العجيب أن القرآن بأسر
بأسلوبه هذا أذهان المستمعين الى تلاوته ، سواء
منهم المؤمنون به ، والمعارضون له ، ويفسر
المعارضون ذلك بقولهم انهم قد سحرخوا بالقرآن
وأسلوبه فانصتوا اليه وأعجبوا به » .

أما (جوتييه - هيو) فانه يقول « فلا تكاد نبذ
متكلفين في تصفح هذا الكتاب حتى يجتذبا اليه ،
ونعجب بما جاء فيه ، ثم نطأطئ الرأس احتراما
لقوته وعظمته ، فأسلوبه يتمشى مع مواضعه
وأفراضه . ويختلف بين الشدة واللين ، وبين
الترغيب والترهيب ، بحسب ما به من وعد ووعد
وهو في كل ذلك عذب وجليل .. وسوف يبقى هذا
الكتاب ذا أثر فعال في قلوب الناس أجمعين » .

ان في ذلك لعبرة لأولى الألباب .

أمام الأحداث

فصل في تنمية الضمير

٢

الأستاذ عبد العظيم المصري

هل اقتربت الساعة ..؟

كان أحداث العالم الآن توحى بقرب النهاية ..
أخذت الأرض زخرفها ، وظن أهلها أنهم
قادرون عليها ..

فانطلقوا الى غزو الكواكب ..

قبل أن يستطيعوا غزو أنفسهم .. فما تزال
النفوس البشرية لاصقة بالطين ، غارقة في جحيم
المادة .. أحرص ما تكون على الحياة .. ولو كانت
حياة جسد بلا روح !

وهكذا أوشكت بناييع الرحمة أن تجف بسبب
الدماء التي يسفحها على الأرض أحفاد قابيل ..
بفضل مايفعله اليهود من تمكين المادية من السيطرة
على بنى آدم !

ماذا يريد اليهود بالبشرية ..؟

سؤال أتجه به الى ضمير كل انسان ..

أنت يا أخى - فى كل شبر من الأرض - تنشئ
السلام ، واليهود يوقدون نار الحرب ..

أنت يا أخى تنشئ الرخاء ، وهم يريدون لك
الجوع والحاجة ، حتى تركع أمام معبودهم
الذهب !..

فهل ترضى يا أخى أن تعيش فى بحار من الدم
بين الخرائب والجماجم ، كما يريد اليهود فى
مخططهم للسيادة على العالم ..؟

قال صاحبى : وبماذا يجب ضميرك أنت على
هذا السؤال ؟

قلت - سلام العالم فى اسلامه ..

قال - ومن يسمعك فى العالم ؟.. بل من
يسمع صوت المسلمين جميعا ؟

قلت - ان صوت المسلمين مسموع وان لم
يكونوا جميعا ..

قال - وماذا يمنع الامة الواحدة من أن تكون
جميعا ؟..

قلت - هذه مسئولية الدعاة الى الحق والخير
والعدل والسلام .

قال - ان العالم يوشك أن ينفجر ، وأنت تحدثني عن الدعوة الى الحق والخير والعدل والسلام بين المسلمين ..

قلت - بل بين الناس أجمعين ..

قال - ان هذه الدعوة الرحمانية فى صراع دائم مع معسكر الشيطان ..

قلت - يجب أن تزيد هذه الدعوة صراحة واندفاعا حتى تهزم قوى الخير قوى الشر .. وينتصر الانسان على الشيطان ..

قال - ولكن الشيطان يجرى فى عروق كل انسان مجرى الدم ..

قلت - ومع ذلك يهدى الله لنور من يشاء ..
قال - وماذا تعنى بصراحة الدعوة واندفاعها ؟

قلت : أن يحمل الأزهر الشريف فى العالم كله شعار « أسلموا تسلموا » +

قال - ولماذا تقتصر الدعوة على الأزهر ، وهى تكليف لكل مسلم ..؟

قلت - انما يخشى الله من عباده العلماء .. وهم ورثة الأنبياء .. ويوزن يوم القيامة مدادهم بدماء الشهداء .. والدعوة بالنسبة اليهم مسئولية ضمير ومصير للبشرية كافة .

قال - أترك تدعو العلماء الى تنمية ضمائرهم ؟
قلت - بل هو الاعتراف بقدرتهم على دعوة الخلق الى الخالق ، حتى لا يعبد فى هذه الأرض سواه ، وحتى يتحرر بنو آدم من تراثيتهم التى توشك أن توردهم موارد الهلاك .. العلماء بالله هم أقدر البشر على تنمية ضمائر البشر .

قال - وماذا تفعل أنت لتنمية ضميرك ؟
قلت - أحاول جاهدا أن أكون مع ضميرى ضد نفسى .

قال - الا تشقى بهذه الصعبة ؟

قلت - بل أسعد بها كل السعادة .. لأننى أريد لضميرى النقاء ، وأسهر على تنميته كما يسهر الزارع على قمحه ، حتى تصبغ الحبة سبع سنابل ، فى كل سنبلة مائة حبة ..

قال - وما هى مؤهلات هذه الخدمة ؟

قلت - الكلمة الطيبة ، كمثل شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء .

قال - وهل تستطيع دائما أن تقول الكلمة الطيبة ..؟

قلت - بقدر ما أحتمل وأطبق ..

قال - وقد لا تستطيع معها صبرا ..

قلت - أسأل الله القدرة ..

قال - وهل يكفى السؤال ..؟

قلت - انه المفتاح الى الاجابة بإذن الله ..

قال - وهل تكفى الكلمة الطيبة ؟

قلت - باب العمل الصالح ..

قال - وهل تستطيع أن تقول الكلمة الطيبة وتعمل العمل الصالح دائما ؟

قلت - ان طاعة الله تجعلنى أستطيع ، ولا يكلف الله نفسا الا وسعها ..

قال - اعترف بالعجز ..!

قلت - أمام الله سبحانه وحده لا شريك له ، منه ألتمس العون على معرفته ، والعون على حمده والعون على أن يتسع له قلبى ..

قال - وهل تطبيق الالتزام دائما بطاعة الله ؟

قلت - بقدر ما وفقنى الله ، ولكنى لا أجزؤ على الادعاء بأننى أكملت الالتزام ..

قال - وكيف سيبلك الى الالتزام الكامل ؟

قلت - انه تنمية ضميرى .. بمراقبة الله ، والاستغفار ، والحضور أمام الحق تبارك وتعالى ، ما وسعنى ذلك العمل ..

قال - ان هذا البحر عميق ..

قلت - نجدد السفينة ..

قال - والسفر طويل ..

قلت - نكثر من الزاد ..

قال - أى زاد ..؟

قلت - ليس غيرالتقوى ماء يرتوى به الضمير فينمو ، وينمو ، ويحفظ الله فيجده تجاهه يأخذ بيده الى الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم فانقسوه ودخلوا فى زمرة عباده الصالحين ..

قال - وما السبيل الى التقوى ؟ (١٠١)

قلت - أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

قال - وعندما ينصرف الناس عن عبادة الله ؟

قلت - يعربد بحياتهم الشيطان ، وتوشك السماء أن تنقض على الأرض ، لولا رحمة الله التي تستجيب لدعاء قلب مؤمن .

قال - تعنى دعاء ضميرى حى (١٠٢)

قلت - بل ضميرى تدرج فى مراتب النمو (١٠٣)

وعرف أن الله عندما يأذن لعبده بالدعاء ، فقد أذن له بالإجابة (١٠٤)

قال - وأين قللك من هذا كله ؟

قلت - انه يحاول ارضاء ضميرى وتدريبه على التنمية ، حتى يستحق الحياة فى طاعة الله (١٠٥)
قال - وكيف تجد هذه المحاولة ؟

قلت - انها شاقة (١٠٦) ولكنى أستعين عليهما بالصبر والصلاة (١٠٧)

قال - اذن فانت تجد هذه المحاولة شاقة بالنسبة الى قللك ؟

قلت - وأسأل ربى فى كل لحظة مددا من عنده أقوى به على دعوة الناس اليه ، وهو القادر على أن يقيمنى على ذكره ، ويقعدنى على حمده ، ويأخذ

بيدى الى طريقه (١٠٨) هو الله الأكبر ، الجبار المهيم (١٠٩) هو الرزاق ذو القوة المتين (١١٠) هو الحصن اذا تداعت الحصون (١١١) هو الرحمن اذا قست القلوب كالحجارة (١١٢) هو المعادل ان عز العدل (١١٣) هو الرحيم اذا انقطعت الرحمة (١١٤) هو العزيز القائل سبحانه :

« أنا العزيز ، فمن اراد عز الدارين فليطع العزيز » .

قال - ولماذا لا تنشر هذا على الناس (١١٥) ؟

قلت - وهل سمعتنى أنت ؟

قال - بقدر ما استجاب ضميرى (١١٦)

قلت - وهل يرى ضميرك ما أرى فى دنيا الناس ؟

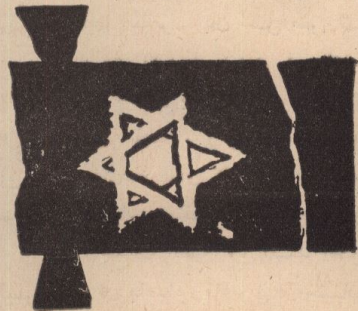
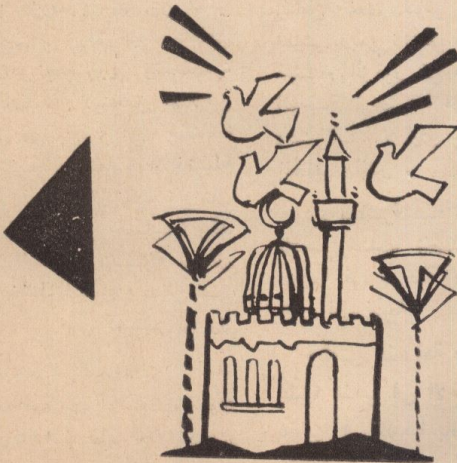
قال - بل أضعاف ما نرى (١١٧) فقد سبقتك الى تنمية ضميرى (١١٨) ولكنك تسبقنى الى القدرة على الدعوة .

قلت - ولا خير فى دعوة بلا قدرة ؟

قال - وما سبيلنا الى القدرة ؟ (١١٩)

قلت - أليس لكم فى رسول الله أسوة حسنة ؟

قال - من هنا يبدأ الحديث فى تنمية الضمير (١٢٠) على طريق امام الأنبياء وسيد البشر وخاتم المرسلين .



من قصص المثنوى

لجمال الدين الرومي

فضيلة الشيخ
الصادق محمد

قصة الصراع بين العزلة والاجتماع

قال الصياد : يا هذا أين غابت عنك رجاحة العقل ، ان هذا الذي ذكرت ليس على إطلاقه فليكن عقلك قبل لسانك ، وليكن فهمك هو الوجه لما تقول .

ان العزلة خير من جليس السوء ومعاشرته الصالح السيء الخلق تفسده وتجعله فى سوء خلقه نظيره . فالصحبة مؤثرة والطبع سراق ، تعيب على وحدتى أيها الطائر - بأن ليس معى ثمة سوى الاحجار ، وكم فى الدنيا من أحجار بشرية لا نفع منها ولا خير فيها . وكم من صور على مثال الانسان كل همها طعام وشراب وتقصر مطالبها دون الاهداف العليا .. انشد الحق وكل ماعده رفاة وبلى ان حساب الله وشيك لا ريب ، وكل شئ هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون .

عليهم مواهبك ، والسحاب ان ارتفع بعيدا فى الفضاء عن الارض جفت الارض وأجذبت فما تلقى بها نباتا ولا شجرا ، تعود الصبر على عشرة من ساءت أخلاقهم وقم مقام الطبيب فى علاجهم فان اعتزالك عنهم يحرمك الثواب ، بقدر ما يحرمهم من معونتك وبرك او ليس خير الناس أنفعهم للناس ! .. مع من تعيش وبمن تاتنس هنا أيها الشيخ الوقور فى مثل هذه الوحدة الموحشة ، من أصدقائك وعشرائك ، لا أرى حولك سوى الحجر والمدر .

دع معاشرته هذه الصخور ولا تلمس عندها الصداقة وأنشد الحياة فى صحبة الأمة والجماعة التى قال نبيها :

« أمتى هذه أمة مرحومة ليس عليها عذاب فى الآخرة انما عذابها فى الدنيا بالفتن والزلازل والقتل »

الخلوة أم الجلوة ، المقسرة والصحراء أم المدينة والقرية ، البعد عن المجتمع والانطواء على النفس أم المباشرة والاندماج والامتزاج فى حياة قوامها التعاون والتنمية والبناء .

كانت هذه القضية ميدانا تصاولت فيه الأقالم ، وطال حولها الجدل وقصة اليوم من المثنوى تصور لنا حوارا بين طائر وصيد فى أسلوب جدلى فيه قوة الحجة ورقة الشعر والى القارىء تلخيص القصة :

(اتخذ الصياد الماهر مكانه عبر الطريق والقى الحب فى الشراك وبدأ فى هيئة زاهد قد اعتزل الناس ورضى بالوحدة أنيسا ، وبينما هو على تلك الحال مر طائر وحياه ثم قال : فيم انطواؤك على نفسك أيها السيد الوقور ، وماذا يحملك على التفرد والاعتزال ولم يكونا من سنة الاسلام فى شئ ، لقد جاء الاسلام بالجمعة والجماعة التى تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة . وقد بنى الاسلام مجتمعا أرسى دعائمه على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولا يكون ذلك الا حيث يتلاقى الناس فى معاشرتهم وتعاملهم ، ومع الانقطاع لا يتحقق شئ من ذلك ، وفى الصبر على ماينالك فى النصع لمن تعاشرهم فضيلة تحصل فيها على الثواب ، وتنال من الله الأجر بغير حساب ، وقد أرشدت تعاليم النبوة الى أن الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير ممن يعتزلهم ولا يخالطهم

والمخالطة نفع وانتفاع ولا فضيلة فى التباعد والانقطاع ، فخالط الناس وعاشهم لتفيض

أطرح الأوهام يا هذا ، وانشد الحقيقة ولا تخدعنك المظاهر يبريقها الخادع ان الظل يعكس من الشجرة صورتها ولا شيء غير ذلك ، انك لن تجنى من الظل ثمرا ولن ترى فيه غصنا ولا شجرا ففي الخلوة سلوى ، وفي الوحدة عزاء الاحجار لاتؤذي الغائب بغيبه ولا الحاضر بربيه ولا تقطع الطريق على العابر ولم يكن الحجريوما سببا في افساد أحد من الناس ، واضلاله . . . وكم من اشواق بشرية قطعت الطريق على السالكين وزادت على الجلود في تعويق السائرين .

عندئذ ضرب الطير بجناحه واستعلن بصياحه وقال للضياد : أى هذا الذى اختار العزلة وأثرها على الحياة مع الناس معاشرتهم . . . لست أرى فى قولك هذا الا أنه تخلف عن الواجب وحين عن الجهاد . . . فالجهاد فريضة كالصلاة والشجاع من جاهد قطاع الطريق ليؤمن السالكين ، واذ ذاك يظهر فضل المجاهدين على القاعدين .

« يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين » . واذ لم يكن بد من قتال فنحن أمة لانهب السيوف بل تتقدم الصفوف . « ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص »

وانت أيها الرجل من أمة هذا النبي ، فعليك بالاتباع وتجنب حيل الابتداع ، وكن عند الواجب غازيا مثلما تقف وسط الجماعة مصليا وعند نداء الواجب تكون حياة المسلمين فى ميادين القتال

وليست فى الأغوار وكهوف الجبال ، ان الحرب حربان ، قتال مع الأعداء من الناس وسلاحه السيف وقتال مع النفس والشيطان والهوى وسلاحه الايمان والتعاون على البر والتقوى وبذل النصيحة وقبولها وليست العزلة فى شيء من هذا

قال الصياد نعم ، عندما تكون القوة والاعوان يلقي المرء بنفسه فى المعركة فى مواجهة العدو ، وانى لا أعرف معنى للفرار الا فيما عجزت عنه . . . قال الطير أيها الزاهد ان صدق الايمان يتجلى حيث العمل وحين يجتمع العمل والايمان يوجد الأصدقاء والأعوان ، ان للعمل نورا يضيء وان للكفاح صدى يستجيب له المؤمنون واذ تركت الناس تركوك ، واذ خرجت اليهم من عزلتك رأيت الأعوان منهم بلا عدد فالقوة فى الاجتماع وليست فى العزلة .

الشيطان ذئب وانت يوسف فلا تدع من يدك ذيل يعقوب وعاشر الصلحاء حتى تنجو من النفس والشيطان وهما أشد من الذئاب قسوة وضراوة ، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان ومثل لذلك بذئب يصطاد من الفم القاصية ، « اياكم والشعاب عليكم بالجماعة والامة والمسجد » .

والعزلة لون من متابعة الهوى وتصرف المؤمن ينبغي أن يكون

فى ميزانية هذا ، لا فى ميزانية هواه والانتقطاع عن المجتمع مخالفة للدين وهلاك فى مسبة الشياطين .

ان نهج الشريعة هو الطريق الآمن من خطر الانزلاق فالسنة طريق والجماعة رفيق فاسلك نهجها حتى لاتقع فى مضيقاتها الآمن على الصراط المسوى ، والجهاد فى حلبات السباق ينشط بعضها بعضا ومرة أخرى أقول أن المصلح يدرك فى صلاة الجماعة من الصفاء ما لاتسمع لوصفه الكلمات .

ياطالب الحق ، ملازمة الرفيق لا معدى عنها للسالكين ، ولو كان من التفرد فى السير خير فان مع الرفقة ألف خير ، والمنفرد يشعر بمرارة النصب ، وهو يطوى مراحل الحياة لا يجد من يواسيه ، وصديق الحق هو المنقذ فى الشدة والائيس فى الوحدة ، اتخذمنه عوناً على طاعة الله واعتبر بصيحات أهل جهنم وهم يقولون « فمالنا من شاعين ولا صديق حميم »

ان آثار الاقدام تدل على من سلك الطريق فانظر الى آثار أقدام الأنبياء فى نهج الحياة .

ان الأنبياء وهم فى حراسة خالقهم الذى أرسلهم كان لهم من أنصارهم الرفقاء والأعوان كان الصديق لنبينا الكريم كهارون لموسى الكليم « كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى الى الله »

الصيد : أمانة يتيم ليس له
وصى وأنا مؤتمن عليه

الطائر : ائى أعانى المسغبة
وأريد منه ما يسد الرمق

الصيد : « ولا تقربوا مال
اليتيم »

الطائر : « الا ما اضطررت
اليه » فبأذن منك أتناول من
هذا البر بحكم الضرورة ما يسد
الرمق .

الصيد : لقد عرفت طريق
الفتوى ولا رخصة لك فى تناوله
الا عند الضرورة الملجئة
الطائر الضرورية قائمة ...

وفكر الطائر وفكر وكان
للحرص حكمه الأخير فما كاد
يأكل حتى أمسك به الفخ بين
نابيه وراح يدعو ويستهل
ويقرا .

هكذا يقع الحريص على دنياه
فى شبكة لا يفلت منها ولا يفيد
الندم بعد فوات الأوان

فالتضرع وطلب الخلاص
والنجاة من الله تعالى انما يكون
قبل الوقوع فى الشرك والتوبة
قبل الأخذ مقبولة .

وقطاع الطريق لا تلقى فى
وجوههم أبواب المفرة اذا تابوا
قبل المقدرة عليهم « الا الذين
تابوا من قبل أن تقدروا عليهم
فاعلموا أن الله غفور رحيم » .

وختم المؤلف قصته بهذين
البيتين من نظمه :

ابك لى قبل موتى واغتفر
لانتح لى بعد موتى واصطبر

ابك لى قبل عذابى فى النوى
بعد طوفان النوى خل البكا

ولو انفرد الجدار عن الجدار
ما قام سقف على دار ، ومع هنا
تناديك الحكمة من بين شفتى
النوبة « المؤمن للمؤمن كالبنيان
يشد بعضه بعضا » فالرفيق قبل
الطريق والدليل ثم السبيل .

ولو لم ينسج الحصار بخيوطه
لتبددت فى الهواء عيدانه
ونسج الحبة يجمع القلوب
« ومن كل شيء خلقنا زوجين
لعلكم تذكرون »

ولكن المنحرف لا يصلح رفيقا
لاسيما اذا دل مخبره على غير
مظهره « ولا تطع من أغفلنا قلبه
عن ذكرنا واتبع هواه »

والصديق المنحرف هو
خصمك الأول يميل بك عن
الجادة ويضيع عمرك ويفسد
عليك أمرك ، وقد لا يصيبك
بالضرر متعمدا ولكنه ربما عوقك
بضعفه عن السير نحو غايتك
وقد يتخلف عنك ويمثل لك
أشباح المخاوف كالابل لتسرع
بالعودة من طريقها اذا توهمت
أمامها شيئا مخيفا مثل هذا
الصديق وقاطع الطريق سواء .
فاصطحب فى مسيرك من
يقاسمك الآلام والآمال ووحد
السبيل الى الله

وأحسن صاحب المثنوى بأنه
قد أطلق فراح يوجه الخطاب فى
نفسه قال :

أقصر فقد طال الحديث وزاد
الحوار عن الخلوة والجلوة
فحبسك هذا يامولانا حتى لا
يمل أحد ثم عاد الى القصص يتبناها
فى ايجاز - قال :

نظر الطير فاذا حبات من
القمح على الأرض فجرى بينه
وبين الصيد هذا الحوار .
الطائر : لمن هذا البر



(يا أيها النبي انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله
بأذنه ، وسراجا منيرا ، وبشر
المؤمنين بان لهم من الله فضلا
كبيراً)

بتلك الكلمات المباركات حدد
رب العزة فى كتابه الكريم دور
رسوله محمد عليه السلام فى
الحضارة الانسانية .. فهو شاهد
ومبشر ونذير وبشير وداعية الى
دينه القيم . وهو السراج المنير ،
من الله به على المؤمنين ، ليتلوه
عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة .. ولقد كانوا قبل ذلك
فى ضلال ، فعلمهم مالا يعلمون .
ولأن محمداً بشر مثلنا يوحى اليه
ان الهنا اله واحد ، أمره ربه ان
يدعو الى سبيله بالحكمة والموعظة
الحسنة ، والا يكون فظاً غليظ
القلب لئلا ينفضوا من حوله وان
يجادلهم بالتي هي احسن .

وكما من الله على عباده بمحمد
يهديهم الى الحق ، من على رسوله
بالحكمة ، علمه اياها ، فكانت فضلا
كبيراً من عنده آتاه نبيه ، لأن الله
فصل له الرسالة على نحو دقيق
وقصر دوره فيها على التبليغ ونشر
الدعوة الذى تركه لمهارة المصطفى
وفطنته وجعله والمؤمنين شهداء
على الناس ، وأوصاه أن يعلم
الناس بالحكمة ، وجعل الخير
والبركة نصيباً لمن يؤتاها

وحكمة محمد صلى الله عليه
وسلم - وحدها - هي
التي أدت الى الحضارات التي

حكمة

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

وأشرفا فى الحضارة الإنسانية

الأستاذ

محمد صبرى السامى

على الطريقة العلمية التي تبدأ
بالملاحظة ، وتنتقل الى الفرض،
وتنتهى بالتثبت من صحة الفرض
.. والتي تقتضى من الباحث أن
يتجرد من معتقداته السابقة حول
الموضوع محل البحث .

وانه لما يسر لنا الأمر ان
البحث ليس تحقيقاً لسيرة محمد
صلى الله عليه وسلم
ولا هو بيان كامل لآثر النبى فى
حضارة العالم ، وانما هي عجالة
عن جانب معين من عظمة الرسول
أسميته الحكمة .

ومن الطريف حقا ان طريقة
البحث العلمى التي قلنا عنها ،
عرفها العالم عن الفيلسوف
التجريبى (فرنسيس بيكون) ،
الذى أراد بمنهجه أن يكشف عن
صور الظواهر الطبيعية المختلفة
ليعرف علاقاتها ببعضها البعض ،
وليوقف على خواص الأشياء الذاتية

تلتها جميعاً حتى يومنا هذا .
ولسنا نجاوز الحقيقة لو قلنا
أنه لولاها لما كانت المدنية على
ماهى عليه الآن ، ولظل الانسان
متخلفاً جهولاً كفوراً .

وأبقى تجاوزنا الحقيقة ،
لمعرفتنا أن الانسان مطبوع على
التحيز ، متطرف فى أحكامه وان
القلة من الناس هم الذين يرون
بعيونهم ويحسون ويلمسون
ويجربون ، بينما الكثرة الغالبة
تسمع بأذانها، وتحكم على الأشخاص
والأفكار والمعانى والأشياء كما
يقال عنها دون تكليف النفس
مشقة الاختبار والتجربة ، للتأكد
من صحة أو زيف هذه التقارير

ومن أجل تحيز الانسان
وتطرفه ، وتحرياً للحقيقة ، يصبح
لزاماً علينا أن نجرى فى بحثنا

توطئة للسيطرة عليها . ونقول بالطرافة ، لأن الفيلسوف الأوروبى قد عرف منهجه عن العرب بعد أن درس اللغة والعلوم العربية عندما كانت هى الطريق الوحيد للمعرفة الحققة . • وبذا يكون العرب قد أخذوا عن محمد صلى الله عليه وسلم وأعطوا لبيكون لنعود نحن اليوم فنأخذ عن بكون شيئا نرى به بعضا من محمد صلى الله عليه وسلم

ولقد تلقى - صلوات الله عليه - الحكمة عن ربه ، ثم لقنها لأصحابه والتابعين ، فكانوا خير أمة أخرجت للناس ، يأمررون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويؤمنون بالله .

وليس مع شك فى أن الحضارة وليدة الحكمة ، حيث تعنى - فى اعتبارنا - توافق أجهزة الإدراك فى الإنسان عند ذروة نشاطها بما يؤدى إلى صواب التقرير وسلامة القول والفعال .

لذا كانت حكمة محمد صلى الله عليه وسلم مقدمة لحضارة هائلة عاشت بضع قرون ، ويعتبرها الكثيرون حلقة الوصل بين الحضارات القديمة ومدنيتهما الحاضرة ، وأضحت متاراهتدى به الدعاة إلى الخير والسلام من بعده ، وأصبحت طريقا يسلكه الراشدون أولو الألباب ، ويفرقون بها بين الخبيث والطيب . وكانت - أيضا - تجميعا لكل قيم الإنسان الرفيعة فى بوتقة الدين الحنيف ، وأساسا عريضا لكل

العلاقات الانسانية يقوم على الفهم العميق للنفس البشرية .

وينبغى أن تبدأ دراستنا بتفصيل معنى الحكمة ليتضح للأفهام مقصدنا من البحث ونتنقل بعد ذلك إلى الحضارة ليتبين لنا كيف نشأتها وعوامل نموها وازدهارها ، ونعود فنربط ما بين الحكمة والحضارة ، ثم نرى نصيب المصطفى صلوات الله عليه من الحكمة - ولسوف نتمثل بعضا مما روته كتب السيرة - ثم نتفكر أثره عليه السلام فى بناء الحضارة الإسلامية وأثر هذه الأخيرة فى أوروبا ، ونختم الدراسة بشئ ما عن حضارتنا الحديثة .

وليعذرنا القارئ ، فلن نفصل بحثنا على طريقة علماء التاريخ أو الدين أو الاجتماع أو الحضارة . • • • إنما هى فكرة أردنا بالبحث توضيحها .

المبحث الأول فى معنى الحكمة

برد الأشياء إلى أصولها ترجع أجسام المادة وصورها إلى حوالى المائة عنصر، منها الحديد والرماس والكربون . • • • وغيرها . وتنتهى هذه العناصر إلى ذرات ، تتماثل نوعية تركيبها فى جميع المواد، وتختلف فى طريقة تركيبها وكمية مكوناتها .

والنوعية المتشابهة هى التى تجزم بأصل الوجود - ، والاختلاف وحده هو الذى يميز العناصر بخواصها ويفرق بينها ،

فكان النحاس والأكسجين والصوديوم ، ومن تركيباتها كانت الحياة .

وأخيرا تنتهى الذرة إلى جسيمات تسبح فى فلك تنتظم دوراته على السنة التى تجرى عليها المجموعة الشمسية التى تنتسب أرضنا إليها . وتعود هذه الجسيمات إلى الأشعاع فهى ضوء ونور ، والكون بذلك نور ، وإنما تكوينه على نحو ماسبق من تحريك النور ليكون اشعاعا فجسيمات قدرات فجزئيات فناصر ، فكون ضخمة وهائل يجرى بسنن ونواميس . إذن فالكون نور لأن الله نور السموات والأرض ، والحركة روح من الله يشد بها أحزمة الضوء لتصبح شعاعا ، وتجمع الشعاع لتصنع البروتونات والنيوترونات والالكترونات وتؤلف بين هذه الأجزاء لتكون الذرة . • • • وهكذا .

والإنسان بعض من المادة، أى بعض من النور . • • • تحركه الروح، وهى بعض من قدرة الله . والقدرة شئ أقرب إلى المعنى منها إلى المحسوس ، فهى أمر الله إلى النور أن يتجمع ، وكلمته للذرات أن تتحد . والنور من بعد - فى صورته العديدة - يقابل القدرة بالحب والعبادة ، حالما يتأتى له المعرفة .

فكيف تتم المعرفة . • • •

يدرك الإنسان ذاته وما حوله من الأشياء التى يعج بها الكون

باجهزة ثلاثة ، يوافق الواحد منها المجال الذى يعمل فى دائرته .
فالحواس تدرك الماديات ، والعقل يفهم العلاقات التى تربط ما بين المواد ، والفؤاد يعرف فيما وراء المادة وما بعد العلاقات بينها .
والانسانية أيضا كوحدة فيها من الأفراد ما يقابل الاجهزة المذكورة فالانبياء والحكماء هم الفؤاد المرشد والعلماء هم العقل الواعى ، وباقي الناس انما هم حواس الانسانية فى المعرفة والادراك .

وليس من شك فى وضوح علاقة تلك الاجهزة ببعضها البعض ، فالحواس اضيقتها نطاقا ، والفؤاد اوسعها مجالا . وبمعنى آخر تعتبر الحواس اشدها ايضاحا واتصاحا بينما الفؤاد اكثرها ابهاما وغموضا وذلك فى الأعم الأغلب من الناس .
وأخيرا تقوم العلاقة بين الحس والعقل والفؤاد ، فى امكان هذا الاخير ادراك المجالين الآخرين اللذين يدنوه . وبينما لا يرقى الحس لمعرفة مجال العقل يستطيع العقل أن يفهم مجاله الخاص به ومجال الحس فى دائرة الماديات .

ولسنا ندرى السبب فى اختصاص الحواس بادراك المواد ، ولا يعني أن نبحت ذلك وكذا الأمر فيما يتعلق بالعقل والفؤاد انما الذى يعني ان الحاسة الواحدة تزود فى الانسان الواحد لى تجسم له الشيء المادى المنوطة بادراكه . العيان تجسمان حدود الشيء والوانه وبعده عن الرأى ، والانف تدل على رائحته وقوتها

وتبين طيبها من خبيثها ، والاذنان تحدان صوته - قوة وبعدا واتجاها - واللمس يفرق بين صلابته ورقته ويوضح خشونته أو نعومته . ومن جملة هذه التجسيمات تنطبع فى الحواس صورة ذات حجم ولون ونكهة للشيء محل الادراك .

وكما لاتصلح العين الواحدة لتجسيم الشيء ، كذلك لاتصلح الحاسة الواحدة بمفردها ان تعطيك معنى كاملا عن هذا الشيء ، ولابد أن تتضافر على ذلك الحواس جميعا وتظل هذه الصورة برغم ذلك ناقصة المعنى ، وتظل فى حاجة الى تجسيم جديد من عمل الحواس كلها بالاشتراك مع العقل .

والعقل ذاته - من قبل ذلك - جسم بمفرده علاقة هذا الشيء أو الموقف بالاشياء أو الظروف الأخرى وبينها، ووضوحها . وليس بالضرورة أن يكون هناك عقلان حتى يجسما العلاقات بعد تصورها وتصويرها لان تجويف الوعى فى الانسان قادر على الاحاطة والمعرفة بغير ازدواج مثلما يحدث فى حالة الحواس .

وهذا فرق آخر بين اجهزة الادراك ، أو هى علاقة بينها ، فبينما يتحتم تجزئة الجهاز الادنى وازدواج أجزائه ووضوح عملها على وجه اليقين ، نجد الجهاز المتوسط يتوحد ويميل الى الغموض فلا يكاد الانسان يلمس من كيفية

تشغيله الا وضوح النتائج . . .
فى حين يختفى الجهاز الأعلى تماما ، ويقصر ادراكنا عن الاحاطة به ، ويحسب الكثيرون انه منحة من الرب يختص بها الصفة القليلة من الانبياء والقديسين .

ويأتى التجسيم الأخير من الحواس مع العقل مع الفؤاد بعد تجسيمه الخاص به ، فيتضح عن الشيء المراد معرفته - أو الموقف - كل ما يمكن المرء من صواب الرؤية ودقة التصرف . وليس من سبب لذلك الا لتوافق عمل اجهزة الادراك توافقا يجعل صورة الشيء أو الموقف أوضح ما تكون عند بوابة الارادة . ويصح لنا أن نقول عن الانسان الذى تتوافق أجهزته ادراكه على النحو الذى يجعله مصيبا فى قراراته وموفقا فى أعماله انه حكيم وبذا تكون الحكمة عبارة عن توافق أجهزة الادراك عند ذروة نشاطها بما يؤدى الى صواب التقرير وسلامة القول والفعال .

ونعنى بذروة النشاط ، أن تجانس مجالات الحس والعقل والفؤاد وانتظامها فى مجال وحيد أسميناه الحكمة ، انما يتم بالتركيز الشديد أثناء تشغيل الأجهزة ، وهذا التركيز بدوره يتطلب نشاطا عاليا فى كل مجال على حدة ، وان كان العبء الأكبر من النشاط يتحمله الفؤاد ، ولبه العقل ، وتأتى الحواس فى ذيل القائمة فى هذا المضمار .

للبحث بقية

محفوظ في حياته وموته

في كتاب « وفاة الوفاء باخبار دار المصطفى » : ان العلامة جمال الدين الاسنوى ذكر : ان الملك العادل الشهيد كان من عادته ان يتعهد بالليل ويقصر ابرادا يحفظها .

فحدث ذات ليلة انه نام عقب تهجده ، فرأى النبي - صلى الله عليه وسلم - في منامه ، وهو يشير الى رجلين أشقرين ، ويقول : « أنجلني : أنجلني من هذين ! » فاستيقظ نور الدين فرعا ! ثم نوضا وصلى ونام ، فرأى المنام بعينه . فاستيقظ وصلى ونام فرأى المنام مرة ثالثة ! فاستيقظ وقال : لم يبق نوم !

وكان لنور الدين وزير من الصالحين ، يقال له : جمال الدين الموصلی ، فأمر باحضاره ليلا ، وحكى له جميع ما رآه .

فقال له الوزير : وما تعودك ؟ أخرج الآن الى المدينة النبوية ، واكنم ما رأيتم ! فتجهز نور الدين في بقية ليلته ، وخرج على وراحل خفيفة في عشرين نفرا ، وصحبه الوزير المذكور مع مال كثير .

فقدم المدينة في ستة عشر يوما . فاغتسل خارجها ، ودخل فصلى بالروضة الشريفة ، وزار الحجرة المغلقة ! ثم جلس لا يدرى ماذا يصنع ؟

وكان أهل المدينة قد اجتمعوا في المسجد النبوي ، فمسأل لهم الوزير : ان السلطان قصد زيارة النبي - صلى الله عليه وسلم - وأحضر معه أموالا للصدقة ، فاكتموا من عندهم .

فكتبوا أهل المدينة كلهم ، وأمر السلطان باحضارهم ، وأخذ يتأملهم

واحدا واحدا ، فلم ير فيهم الرجلين الأشقرين !

فقال : هل بقي أحد لم يأخذ شيئا من الصدقة ؟ فقالوا : لا ! الا رجلين من المغاربة لا يتناولان من أحد شيئا ! وهما صالحان غنيان ، يكثران من الصدقة على المحايوج ! وصائمان الدهر ، وملازمان للصلاة في الروضة النبوية .

فأشرح صدر نور الدين ، وقال : على بهما !

فجاء بالرجلين ، فاذا هما الأشقران اللذان أشار اليهما الرسول - عليه الصلاة والسلام - في المنام !

فسألها نور الدين عن بلادهما ، وأين ينزلان في المدينة ؟ فقالا : من بلاد المغرب ، وأنهما ينزلان في رباط قرب الحجرة الشريفة !

فزارهما في منزلهما ، فرأى مالا كثيرا ، وختمين وكتبا ، ولم ير غير ذلك ، وسمع من أهل المدينة أنهما يزوران قبر الرسول الكريم والبقيع صبيحة كل يوم ، ويوزران قباء كل صبت ، فتعجب السلطان وبقي متحيرا !

ثم أخذ يطوف في البيت بنفسه ، فرفع حصيرا في بعض النواحي ، فرأى سردابا محفورا ينتهي الى صوب الحجرة المكرمة ! فارتاع الحضور لذلك ! وقال السلطان للرجلين : أصدقائي حالكما .

فاعترفا بأنهما غير مسلمين ، وأن الفرنج قد بعثوهما في زى الحجاج المغاربة ، وأعطوهما أموالا عظيمة ، وأمروهما بأن يحتالا في سرقة الجسد الشريف ! فنزلا قرب الحجرة النبوية ، وصارا يحفران ليلا ، ويجمعان التراب في محفظتين من الجلد ، ثم يخرجان



الأستاذ علي الجندى

لزياره البقيع ، فيلقيناه بين
القبور !

وأقاما على ذلك مدة حتى قربا
من الحجرة المعظمة ، فأرعدت
السماء وأبرقت ! وحصل رجيف
هائل خيل معه أن الجبال قلعت
من مكانها ، وكان قدوم السلطان
صبيحة تلك الليلة المفزعة !

فلما انكشف حالهما ، ورأى
السلطان الصالح أن الله أهله
لهذه المكرمة دون غيره ، بكى بكاء
شديدا ! وصلى لله شكرا !

وبعد أن أمر بضرب رقبتي هذين
الشیطانيين وأحرقهما بالنار !
أمر بإحضار رصاص كثير ، وحفر
خندق عظيم إلى الماء حول الحجرة
النبوية كلها ، وعلاه بذوب
الرصاص ! ليكون سورا متينا
يدور بها !

ثم عاد السلطان إلى ملكه فرحا
مغتبطا !

ومما يجب ذكره : أن ابن
الأثير يقول : طالعت تواريخ الملوك
المقدمين قبل الإسلام وبعده إلى
يومنا هذا ، فلم أر بعد الخلفاء
الراشدين وعمر بن عبد العزيز
ملكا أحسن سيرة من نور الدين !

ويقول الامام البيهقي : إن بعض
العارفين من الشيوخ ذكر أن نور
الدين كان في الأولياء معدودا من
الأربعين !

•••••

عيون العناية !

خرج ذو النون المصري يوما
يريد غسل ثيابه على شاطئ

النيل ! فاذا هو بعقرب قد أقبل
عليه كاعظم ما يكون من الأشياء !
ففرع منها فزعاً شديدا !
واستعاذ بالله ، فكفى شرها !

قال : فاقبلت العقرب حتى
وافت النيل ، وإذا بضفدع قد خرج
من الماء ، فاحتملها على ظهره ،
وعبر بها إلى الجانب الآخر !

قال ذو النون : فأتزرت بمنزري
ونزلت في الماء ، ولم أزل أرقب
العقرب ، حتى أتت الجانب الآخر ،
وأنا أتبعها إلى أن أتت شجرة
كثيرة الأغصان ، سابغة الظل ،
وإذا بعلام نائم تحتها - وهو مخمور
- فقلت : لا حول ولا قسوة إلا
بالله ! قد أتت العقرب من ذلك
الجانب للدغ هذا الفتى !

وبينما نحن كذلك ، إذا بتنين
قد أقبل يريد قتل الفتى ! فهجمت
عليه العقرب ، ولزمت دماغه حتى
قتلته ! ورجعت إلى الماء ، وعبرت
إلى الجانب الآخر على ظهر
الضفدع !

فأنشد ذو النون :

ياراقدا والاله يحفظه
من كل سوء يكون في الظلم

كيف تنام العيون عن ملك
تأتيك منه سوابغ النعم

قال : فأنشبه الفتى على كلامي ،
فأخبرته الخبر ، فتاب ونزع لباس
اللهو ، ولبس ثياب السياحة ،
ومات على تلك الحال !

•••••

العرب

سئل بعض البلغاء : أيما
أشرف : العرب أم العجم ؟

فقال : العرب أحلى ، وأحلم ،
وأعلى وأعلم ، وأقوى وأقوم ، وأنكى
وأنكر ، وأذكى وأذكر ، وأعطي
وأعطف ، وأحصى وأحصف ، وأبلى
وأبلغ ، وأسمى وأسمع ، وأشرى
للنخار وأشرف ، وأنقى للمساو
وأنف !

وسأل كسرى الحرث بن كلداء
طبيب العرب - حين وفد عليه -
ما الذي يحمي من أخلاق العرب ؟
ويحفظ من مذاهبهم ؟

فقال الحرث : لهم أنفس
سخية ، وقلوب جرية ، وعقول
صحيحة ، وأنساب صريحة ، يمرق
الكلام من أفواههم مروق السهم من
الرمية ، أعذب من الماء ، وأرق من
الهواء ، يطعمون الطعام ويضربون
الهسام ، عزهم لا يرام ، وجارهم
لا يضام ، ولا يروع إذا نام !

•••••

الشكوى من الناس قديمة

كانت السيدة عائشة - رضي
الله عنها - تحفظ كل شيء
ليبد ! فذكرت يوما قوله :

ذهب الدين بعاش في أكتافهم
وبقيت في خلف كجلد الأجرب
فقالت : لله أبوه ! ما كان
أشعره ! لقد صدق !

ف قيل لها : كيف يأثم المؤمنين ؟
قالت : كان أحدهم إذا علم من
أخيه خلة سدها من حيث لا يعلم !
أى دون أن يعلم أخوه بذلك •

ثم ذهب أولئك ، وجاء قوم
كان أحدهم إذا علم من أخيه خلة
سدها من حيث يعلم •

الحياة الاجتماعية في التفكير الإسلامي

الدكتور أحمد شلبي



تستامر ولا اليكر حتى تستاذن . وقال :
التيب احق بنفسها من ولها . واليكبر
تستاذن في نفسها ، واذنها صمتها . ومما
جاء في التيب ما ورد في الصحيحين ان
خسء بنت جزوان زوجها ابوها وهي
كارعة ، فأتت رسول الله صل الله عليه
وسلم فرد نكاحها . وروى ابن ماجة ان
رجلا يدعى خزاما اتكح ابنة له ، فكرهت
نكاح ابنتها فأتت رسول الله صل الله
عليه وسلم فذكرت له ذلك فرد عليها نكاح
ابنتها . فنكحت ابنة ابنة ابن عمه
المنذر . وروى يحيى بن سعيد انها كانت
تيبا .

وعن البكر يروى ابن عباس ان بكرا
(جاءت الى الرسول صلوات الله عليه
فقلات يا رسول الله ان ابى زوجنى ابن
اخيه ليرفع بى خبيسته) ثم تذكر انها
كارعة لهذا الزواج (فجعل الرسول الامر
اليها . اى ان شادت اقرب الزواج وان
شادت ابطلته ، فقلات : قد اجزت ما فعل
ابى ولكنى اردت ان يعلم النساء ان ليس
للزنا من هذا الامر شيء ، ويوضح ابن
القيم حق المرأة بقوله : ان البكر البالغة
العاقلة الرشيدة لا يتصرف ابوها في اقل
شيء من ملكها الا برضاها ، ولا يجبرها على
اخراج البشير الا باذنها ، فكيف يجوز
له ان يتصرف فيها هي بدون رضاها ؟
ومعلوم ان اخراج مالها كله بغير رضاها
اسهل عليها من تزويجها بمن لا تريد .

واذا استبدت الفتاة واختارت لنفسها
دون رضا الاب فان الاسلام يقر لها ذلك

يقضى الاسلام بان الاختيار في الزواج
حق يشترك فيه الفتى والفتاة واهل الفتاة
ورضاء هؤلاء الثلاثة ضرورى لتتمام الزواج
واذا كانت التقاليد تقضى بان يتقدم الفتى
لاهل الفتاة يطلب ابنتهم ، فان ذلك هو
ظاهر الامر ، ولكن الامر يكون حقيقة قد
دبر بين الاطراف الثلاثة قبل ذلك .

وربما كان العيا - وهو اغز شيء لدى
الفتاة - يمنحها من ان تعلن اختيارها
ولكن ذلك لا ينطبق في الاسلام على اهل
الفتاة ، فالتاريخ الاسلامي يرينا ان والده
الفتاة كان يخطب لابنته ، فيروى ان عمر
ابن الخطاب ذهب الى عثمان بن عفان يعرض
عليه ابنته حفصة ، ولكن عثمان سكت
ولم يرحب بالعرض ، فذهب عمر الى
الرسول يشكو له الامر ، وفي هذا اللقاء
حصل عرض جديد على عثمان فقد قال
الرسول لعمر : يتزوج ابنتك من هو
خير من عثمان ؟ ويتزوج عثمان من هي
خير له من ابنتك . وبهذا خطب الرسول
حفصة لنفسه وخطب عثمان لابنته ومما
شاع في الامثال العربية (اخطب لابنتك
ولا تخطب لانيك) فاختار اهل الفتاة زوجا
لها شيء مهم حفاظا على حياتها ، وحرصا
على خيرها ، ومن الواضح ان الام تكون
صدى لراى ابنتها ، فالبيت لا تهمل ابدا
وربما يكون داتها معروفا عن طريق
امها .

ذلك هو التفكير الاسلامي في الاختيار ،
واذا استبد اي جانب من هذه الجوانب
الثلاثة اوقفه الاسلام لباخذ كل حقه ، قال
صل الله عليه وسلم : لاتزوج الايم حتى

١ ثم جاء من بعدهم قوم اذا علم
احدهم من اخيه خلة ، احب ان
يسأله ، فاذا سأله اعطاه .

ثم جاء من بعدهم قوم اذا علم
احدهم من اخيه خلة ، احب ان
يسأله ، فاذا سأله منعه ! ثم بعد
ذلك يقضحه ، فيقول : رجاء فلان
يسألني فلم اعطه !

وأقول : فكيف للسيدة عائشة
لو عاشت في هذا الزمن ؟

« الخلف - بفتح فسكون : من
لا خير فيه والقرن بعد القرن ،
والخلة - كخصلة - : الحاجة
والفقر والخاصة » .

•••••

لا تعير اخاك !

اجتمع الكسائي واليزيدي عند
الرشيد . فحضرت صلاة المغرب .
فتقدم الكسائي فصلى ، فارتج عليه
في سورة « قل يا ايها الكافرون »
فلما سلم قال له اليزيدي :
قارئ الكوفة - يرتج عليه في
سورة « قل يا ايها الكافرون » ؟ !

ثم حضرت صلاة العشاء ، فتقدم
اليزيدي ، فارتج عليه في سورة
« الفاتحة »

فلما سلم قال له الكسائي :
احفظ لسانك ان تقول قتبلى

ان البلاء موكل بالنطق
واحسن من ذلك الحديث
الشريف :

« لا تظهر الشماتة باخيك ،
فيعافيه الله ويبتليك » .

الحق ما دامت أحسنت الاختيار ، ولم تخدعها مظاهر كاذبة ، أما إذا انحرفت في الاختيار وتزوجت غير كفه ، فإن الالب حق الاعتراض ، لأن الزواج له اتصال بالأسرة وبمستقبل البيت ، بما قد يخفى عليها من طين شبابه ، فلاولياء في ذلك الأمر بعض الشان فإن شادوا اعتراضوا وحالوا دون هذا الزواج أو أبطلوه أن كان قسه تم و إذا ثبت أن الفتاة أسأت استعمال عقلها ، وفي حياتنا المعاصرة ذكرت الإنباء أن فتاة من أسرة كبيرة استهواها فتى رياضي ولم تكن عنده ميزة أخرى غير ميزة السرعة في الرياضة ، فأرادت أن تتزوج به واستعمل أبوها حقه في منعها وإيابه المكونون المسلمون لأن مثل هذا الزواج لو تم يكون قصير العمر و مستقبل الفتاة بعد قليل لتجد أن بيت الزوجية لا يضمن لها شيئا من الراحة والاستقرار ولا مطالب الحياة .

وما الأسس التي ترمى في اختيار الزوج أو اختيار الزوجة ؟

في الإجابة عن هذا السؤال نورد مجموعة من الأحاديث الشرعية التي تلقى ضوءا واضحا على هذا الموضوع ، وتوجه المسلم إلى الطريق القويم ، قال صلى الله عليه وسلم :

« أياكم وخفراء المدن و قالوا وما خفراء المدن يا رسول الله ؟ قال : المرأة الصنعة في الثمن السوء . »

○ تتزوج المرأة لأربع : لمالها وحسبها وجهها ودينها ، فافكر بذات الدين تربت يداك .

○ لا تزوجوا النساء لحسنهن ، فعسى حسنهن أن يبردين و لا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن ، ولكن تزوجوهن على الدين ، ولامة سوداء ذات دين أفضل .

○ من تزوج امرأة لحسبها لم يزد الله إلا دناءة .

○ إنما الدنيا متاع وليس من متاع الدنيا شيء أفضل من امرأة الصالحة .

○ تزوجوا الودود الولود و فاني مكان بكم الأيام يوم القيامة

○ ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا من زوجة صالحة ، أن أمرها أطاعته وأن نظر إليها أسرته ، وأن أقدم عليها برته ، وأن غاب عنها حفظته في نفسها وماله .

ومن هذه الأحاديث يظهر أن الرسول يختار لنا الخير ، فهو يأخذ بيد المسلم ليضعها على الدين والخلق ، وهما كل اثراء في المرأة و فإن وجد معها مال

أو حسب أو جهال فلا خوف ، لأن المرأة المتدينة ذات الخلق الطيب لن يعطيها المال ولا الاتجاه ولا الجمال ، وستجعل هذه الأشياء وسائل لاسعاد الحياة الزوجية و وإذا لم توجد هذه الأشياء مع الدين والخلق فلا فخير لأن هذه الأعراض من طبيعتها الزوال ، ومن الخطأ أن يسعى الإنسان لزائل ، بل عليه أن يخطب أغل ما يطلبه الزوج وهو دين المرأة وخلقها و حكم من أناس أعماهم المال أو الاتجاه ، فخطبوا المرأة للمال أو للجاه ، ولكن لم ينلهم هذا المال ولا ذلك الجاه و سرعان ما تراههم يفترجون عيونهم على الدل الذي وقفوا فيه ويحاولون الفرار منه .

وعلى هذا فالإسلام ليس عدوا للمال ولا الجاه ولا الجمال ، ولكن يحذر أن تكون هذه العوارض هي الدافع الرئيس ، بل ينبغي أن يتذكر الفتى أن الزواج - كما قلنا من قبل - سكن ومودة وتراحم وإفلال فيلزم أن يخطب المرأة التي بها هذه الصفات وبعد ذلك لا مانع من صفات الجمال أو الجاه .. فانها هنا وسائل للقربي ، ولكنها أن انفسدت وحدها كانت وسائل للقطعية .

ومثل هذا يقال في اختيار الزوج ، فدينه وخلقته اصل لا محيص عنه ، ولا خير أن يفضل بعد ذلك ذو المال الذي يستطيع أن يرعى الأسرة ويضمن تربية الأولاد و قال صلى الله عليه وسلم : إذا جاءكم من تزفون دينه وخلقته ، فزوجه ، الا تغفلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير . وجاءته فاطمة بنت قيس تستشيريه وقد خطبها ثلاثة أدهم اسمه معاوية والثاني أبو الجهم بن صخير والثالث اسامة بن زيد ، فقال الرسول لها : أما معاوية فرجل تربى على فقر و أما أبو الجهم فرجل ضرب للنساء ، ولكن اسامة وهكذا كان للمال وزن عندنا تساوى في الصفات الأخرى .

وهناك شيء مشترك ينبغي أن يلاحظ في اختيار الزوج واختيار الزوجة هو التقارب الفكري والتقارب الثقافي ولسنا نقصد المستوى العلمي لذلك استعملنا كلمة الثقافة دون كلمة العلم ، كما أننا لا نقصد أن يكون الزوجان في مستوى واحد ولكن استعملنا كلمة التقارب ، والزواج الذي يبعد فيه المستوى الفكري والثقافي بين الزوجين زواج لن يعقل السكن والتواد وتنظيم شئون الأولاد على النحو الذي اثرتنا إليه و وإن يضمن استقرا عائلتي فسكون مشاكل الزوج بعيدة عن مستوى الزوجة والكار الزوج نائية عن أفكار الزوجة ، فلا تضمهما مشاورة ولا

نواد ، ويعيش كل منهما في عالمه وأن ضمهما جدار واحد وواذكر أن شايأ ريفيا انتخب بكنية الهندسة ورفض اهله في تزويجه وهو في سنه الأولى في على الكلية وخطبوا له فتاة قروية فيها مسحة من جمال أذكر أنني اعترضت على أن يتم هذا الزواج للمبعد الثقافي الذي أن لم يكن شاسعا عنه الخطبة فانه سيقطر مع الأيام وتم الزواج على أي حال وأثر بعض الأطفال ومن الزمن وأصبح الزوج مهندسا له مكانة في وسطه الاجتماعي ولم تستطع القروية المسكنة أن تلحق به وعاشت ردا من الزمن في شبه أنزال عنه فقد كان يزود ويؤاد ويرحل ويعود دون أن تشترك في ذلك وجاءت النتيجة التي كنت أتوقعها إذ تزوج الزوج من أخرى تستطيع أن تعلا فراغ حيااته وفشلت الزيجة الأولى وربما كان الزواج مع تباعد الثقافة محتلا في الأيام الماضية يوم كانت الزوجة فريدة البيت ، والزوجة انطلاقة خارج البيت أو بعبارة أخرى يوم كانت مهمة الزوجة مقصورة على مشكلات المنزل ، وهي مشكلات يراها الإسلام أقل من السكن ومن التواد ومن التراحم ووالجميع الإسلامي الذي يتكون من الأسرة المتحابية يرى أنه ينبغي أن تكون بلور الصلاحية واضحة في هذه الأسرة ، لتكون نواة طيبة للجمع الكبير ، وتذكر لنا سيرة الرسول أنه بعد صلح الحديبية أمر الرسول أصحابه أن يلكوا أحرارهم ويعلقوا شعورهم ، فلم يستجب الكثيرون لهذاه رغبتهم في دخول مكة آنذاك ، وعدم التساهل لعلم قادم ودخل الرسول إلى زوجته المرافقة له في هذه الرحلة وشكا لها عدم طاعة أتباعه له في ولكن الزوجة الرشيدة ذات الفكر الاجتماعي الطيب هدات من دوع الرسول و اعتدلت عن المسلمين ، وأشارت على زوجها أن يخرج فيمبسل لا أن يخرج فيأمر ، استجاب الرسول لمشورتها وخرج أمام رفاقه ، ففعل أحراره وقص شعرات من رأسه ، ولم يجد هؤلاء بدا من أن يتبعوه .. وهكذا كان فكر الزوجة في مستوى الأحداث ، فاشتركت الزوجة في الأحداث بنجاح .

ومن واجب الزوج بلاشك أن يأخذ بيد زوجته و إن يحاول أن يقرب فكرها من فكره إن كانت أقل منه ، ذلك حق لا مرأ فيه ، ولكن استجابة الزوجة في كثير من الحالات تكون عسيرة لو كان الفارق الثقافي شاسعا و فالهندس الذي اثرتنا إليه أتفا كان يمكن أن يأخذ بيد زوجته لو كانت لها ثقافة متوسطة أوثقافة قريبة منه . ولكنه ماكان ليستطيع أن ينقلها من الأمية



الأستاذ منصور نسيم

- ١ -

يحتدم الصراع اليوم بين الرأسمالية والاشتراكية بأنواعها .. والشعوب جميعا ترقب أن يزول الظلام وينشق فجر النور والسلام .. والعالم من خلال كل ذلك يتلمس الهداية لحل هذه المشكلات ، التي تنفص على الناس حياتهم ، وتهدد كيانهم ، وتحول بينهم وبين هدوئهم واستقرارهم .. والأمة العربية تنظر الى ما كانت فيه من عز ومجد ومنعة ، والى ما صارت اليه من حال لاتقبط عليها ، فقد كان للشعوب الاسلامية دولة وصولة .. ولسان عربي مبين يربط بين اطرافها برباط وثيق ، ومشاعر جياشة عامرة بالصفاء ، تترنم بها عواطفها ، قد لوى الاستعمار السننتها ، وحال بينها وبين الحياة العريضة الحافلة بالنماء والخير ، على أن الأمل في طلوع الفجر الصادق لم ينقطع ، وذلك بما لا يزال تنبض به قلوبها ، وتمتلئ صدورها من نور الايمان بالله والثقة به ومن التمسك بشعائر الاسلام .

ذلك الدين الذي يقوم أساسه على الفطرة السليمة .. الفطرة التي فطر الله الناس عليها ،

والتخلف الاجتماعي الى حياة تناسية ، وقليل من الأزواج من له صبر المعلم ، ولذلك يحسن أن يعرض الفتى والفتاة على نوع من التقارب العقلي والنفسى حرصهما على التقارب الاجتماعي والتخلق الطيب .

وهناك شيء آخر مهم ينبغي أن يلاحظ عند اختيار الزوجة ، ذلك هو ألا تكون شديدة القرباة للزوج ، أو بعبارة أدق ألا تكون الفتاة والفتى متحدين من اصول يقل فيها الدم الأجنبي ، وقد عبر الحكيم الأعظم صلى الله عليه وسلم عن ذلك بقوله : (اغتربوا لا تقصوا) بمعنى أنه من الخير للفتى أن يخطب فتاة بها دم يختلف عن دمه وبذلك يضمن سلامة الأولاد ، وقد أثبت الطب الحديث صحة هذا الاتجاه ، ففي حالة القرابة القريبة قل أن ينجو الأطفال من الأمراض الموجودة بالأسرة أو العيوب الموروثة ولكن إذا كان الفتى من أسرة والفتاة من أسرة أخرى فإنه يكثر أن ينال الأطفال خير ما في الأسرتين ، وإن الفتاة من عيوب أهل الأبواهل الأم ولزبد من إفصاح هذه المسألة وتطبيقها على الواقع نذكر أن هناك في بعض الجزر النائية بالمحيط الهادئ توجد قبائل عاشت مختلطة بسواها من القبائل الأخرى عدة مئات من السنين ، وكان الزواج يتم داخل أفراد القبيلة ، فماذا كانت النتيجة ؟ كانت النتيجة أن القبيلة مالت الى الانقراض والضعف وأصبح أكثر رجالها اقتراما ضعاف العقول .

وليس ذلك فقط خاصا بالجزر النائية أو في القبائل المنعزلة فهنا في حياتنا قبائل وأسر عزلت نفسها باسم التقاليد والترفع عن سواها من القبائل والأسر ، وظل الزوج محتما داخل أفراد القبيلة لا يتعداها ويعمر الزمان برزت عيوب صعبة للغاية ضعف في البصر ، قصور في التفكير ، وأحيانا تغير واضح في لون البشرة ، وكذلك في لون رموش العين والحواجب يجعل نتيجة أمراض الأسرة التي انتشرت من جيل الى جيل ، وقد رأيت مثل هذه الحالات في السودان وقال لي ذووها أن الألباء أعادوا هذا تسلسل الزواج في دائرة ضيقة عدة أجيال .

وليس معنى هذا أن هناك ما يمنع أن يتزوج الفتى ابنة عمه أو ابنة خالته مادامت في الحالة الأولى زوجة عمه من أسرة غريبة وفي الحالة الثانية زوج خالته من أسرة نائية وكل ما نعت عليه هو البعد عن تسلسل الزواج في دائرة ضيقة دون دم جديد .

والى اللقاء في المقال القادم .

دعامة إصلاح المجتمع

والانسان بطبيعة تكوينه يضم عنصرين أحدهما روحى والآخر مادى .. وقد عنى الاسلام عناية كبرى بتربية هذين العنصرين تربية تقوم على حمايتهما مما يفسدهما ، او ينحدر بهما الى طريق الشر والفوضى ، اذ باكتمالهما وتجانسهما وانسجامهما ينهض الانسان الى قمة الفضيلة ، فيستطيع أن يؤدي رسالته التى حمله الله اياها على خير الوجوه ، وبالتالي يسعد فى الدارين ويحظى بالراحة والاطمئنان ..

والعنصر الروحى هو الطريق الى الصلة بالله ، وهو التبراس الذى يوجه الانسان الى طاعة ربه وامثال امره ، وهو الذى يدفع الى الخير ، ويرشد الى الطريق السوى ، ويبصر المرء بما يقية الشر والضلال ، ويحول دون التردى فى مهاوى الرذيلة والانحراف .. وهو عنصر يحتاج دائما الى العناية به ، وتعده بالتزكية والتطهير حتى يحقق ما نيط بصاحبه من خير مرشد الى صراط الله العزيز الحميد ..

تلك الفطرة التى تتجه الى الخير ، وتعتمد أول ما تعتمد على الفكر السليم ، وعلى المبادئ السمحة الواضحة ، وهذا هو سر قوة الاسلام وعظمته ، وسر خلوده وأصالته .. فان الفطرة اذا صفت فقد صفت النفس ، وحومت الروح فى أوج من الرقى والتسامى ، وعليه تصلح أعمالها وتتجه الى أسنى المقاصد ، وأنبىل الغايات ، وبذلك يعم الوئام ، وتسير الأمم والشعوب الى خير ما تصبو اليه من تطلع وفلاح ..

والاسلام الحنيف قد أوضح تكوين الانسان ورسالته فى هذه الحياة ، يوضح القرآن الكريم تكوين الانسان فى قوله تعالى :

« وبدأ خلق الانسان من طين » وقوله : « خلق الانسان من صلصال كالفخار » .. ثم يوضح جل وعلا تنمية تكوين الانسان فيقول جل شأنه : « فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين » ..

والعدل والاحسان .. والبر والتعاون والاحسان الشامل، وبذلك نضع الأساس القوى لبناء المجتمع الرشيد ، والوصول الى الاهداف المنشودة للحياة المثالية ..

اما العنصر المادى الذى خلقه الله من مواد الأرض ومنها ينمو الانسان ، وقد ركبت فيه الميول التى تتطلبها نموه ونمو ذريته ، وللجسم مطالبته الشهوانية المتعددة ، وهى مطية الشر اذا أسرف فيها الانسان ، وخرج عن حدود الاعتدال ، وقد سخر الله له ما فى الأرض جميعا وأباح له التمتع بالطيبات من الرزق .. على أن يسعى ويعمل عقله ، وأن ينفع نفسه .. ويساذل ببنى جنسه النفع العام بلا اثر ولا استئثار .. وقد وضع الاسلام للجسم نظاما يكفل صحته .. واسدى النصح الى الانسان فى طعامه وشرابه .. فيكون من الحلال الطيب ، وليتجنب ما عصى أن يعود عليه بالضرر حيث يقول سبحانه وتعالى : « وكلا واشربوا ولا تسرفوا » ويقول عز من قائل « وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا » ويقول « لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون » ويقول « ياايها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا . »

هذا هو التكوين الانسانى من ناحيته الروحية والمادية ، وفى هذا التكوين قد أودع الله القوى التى تتطلبها سعادة الانسان ، وانا لشرى قيسه بجلاء عناصر التراحم والتعاطف والتضامن والتعاون على خير المقاصد ، ونرى أيضا ارشاد الانسان الى جميع منابع الخير اللازمة لحياته .. فاذا اتجهت هذه العناصر الى الله بارثها سسعد الانسان .. واذا انحرفت ضل وغوى ..

اما رسالة الانسان فى الحياة فقد حدد الله - سبحانه وتعالى - غايتها فى قوله عز شأنه : « انى جاعل فى الأرض خليفة » وقوله : « وهو الذى جعلكم خلائف فى الأرض ورفع بعضهم فوق بعض درجات ليلوكم فيما أتاكم » .

ورعى الانسان الى هذه الدرجة يدفع الى مثالية الروحانية من حب للحق والخير والعواطف النبيلة الشريفة ، تلك المثالية التى تحقق للانسان سعاده فى حياته ، وبالتالي سعادة المجتمع ، وبذلك يسود الحب والوفاء .. قال تعالى : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق » ويقول « انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله » ويقول - جل شأنه - : « وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا » .. ويقول سبحانه « وما تتفقوا من خير يوف اليكم » وقال « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير » ..

والحق ينطوى على اشاعة العدل والانصاف والمساواة ، والخير يستهدف المحبة والسوئام والعلاقات الطيبة بين الناس ، وللعواطف دور هام فى نشر الاخوة والتعاون والتراحم والمودة ..

ولو أن الأفراد والجماعات والشعوب حققت هذه المبادئ فى صلق واخلصى وعزم قوى .. لصفت الحياة ، ومجيت بين الناس أسباب الحقد والظلم والاعتسداء ، واقتلعت من القلوب نوازع الشر والدمار ، ولظفرنا بالنظام المثالى الذى تشده كافة الشعوب المحبة للسلام .. والاسلام يعنى عناية كبيرة بان يسمو بهذه الاهداف الثلاثة فيهتم بتربية الفكر ، وتنمية الارادة ، وغرس نبيل العواطف ، وهذه هى الدعامة للكيان الروحى للانسان ، وهى فوق ذلك دباط وثيق بين افراد المجتمع ، توحد أهدافه ، وتحقق التجانس بين عناصر الأمة ، وتكون عاملا قويا فى رقيها ونهوضها وهى فى مستواها الرفيع وسيلة للصلة بين الانسان وربه ، وخير وقاية من شعور الطامع المادية ومطالب النفس الامارة بالسوء .. وعلى قدر رقى هذه الناحية الروحية يكون رقى الانسان .. وتكون سيطرته على نفسه ، وعلى ما سخره الله له من موارد هذا الكون .. لهذا كان من الواجب تفضية هذا العنصر ببواث الخير والرحمة والحق

الشعر الديني

من الشعر
المنسوب إلى
الوصي على
كرم الله وجهه

الاستاذ عبد العزيز سيد الأهل

والسجود • وكلمة التسبيح يراد بها الدعاء أو الصلاة أو هما معا •

والامام - رضى الله عنه - بهذا القول لا يكلف المشتغل في الجِدِّ والعامل في المصالح أن يتنفل ولا يكلف القائل في الحق أن ينصرف عنه لخالص الذكر والصلاة إذ من العبادة والتسبيح كل عمل في الكسب الحلال ونفع الناس وكل قبول في الصدق والحق والعدل ، فهذه كلها ذكر وصلاة •

برق المعالي

وعن الكشكول من المنسوب له قوله :

اعاذتني على اتصاب نفسي

ورعيت في السرى روض السهاد

إذا شام الفتى برق المعالي

فاهسون فانت طيب الرقاد

وعلى عادة العرب في خطاب الشاعر صاحبه دون أن تكون له صاحبة يلوم على رضى الله عنه من يلومه على اتصاب نفسه وسعيها في سبيل المعالي ، وحتى نفسه لو كانت هي الالئمة له فانه يلومها لأن لومها يشبط الهمة ويحبط العزيمة •

من الحاء والدال

الصلاة والتسبيح

عن الكشكول للبهائي من الديوان المنسوب الى أمير المؤمنين - رضى الله عنه - :

اغتنم ركعتين زلفى الى الله

ه اذا كنت فارغا مستريحا

واذا ماهممت بالقول فى البا

طل فاجعل مكانه تسبيحا

يوصى على - كرم الله وجهه - كل مسلم بأن يذهب الى النوافل ليشتغل بها متى وجد نفسه فارغا من الأعمال مستريحا من انشغال البال • وليس من زمن افضل ولا عمل اكمل من أن يملأ المسلم فراغه بالصلاة والنوافل لعلها تشفع له تقصيره فى القرائن ان كان مقصرا وتكملها عليه ان كان متقنا •

وجدير بالمسلم كذلك أن يلجأ الى ذكر الله بلسانه ويلهج به دائما ولا سيما اذا هم الى قول من الباطل يوبقه ويحسب فى سيناته ، فأولى له حين ذلك أن يبدله بتسبيح لله وتمجيد أو فزع الى الركوع

وهو يعلى لرفض العتاب بأن طبيعة النفس الناعضة ذات الأخلاق الفاضلة - وهى المعبر عنها بالفتى - من عاداتها أن ترفض النوم ولا تستطيب حلو الرقاد اذا مارأت الآمال تلوح لها والسعادة تناديهما *

والבלغة العلوية تنضج من الصور البيانية التى ألفها القائل البليغ من جملة الليل زمناً للرعى والسهاد روضاً للاجتناوب وتحبيب ذلك الى النفوس وتقريبه للقلوب مع أن الليل ليس الا زمناً للاحتجاب والسهاد ليس الا حقلاً للشوك والقتاد *

وكذلك شبه المعالى بالبرق ، وهو من روائع التشبيه والتنسيب لأن المعالى لا يدوم طلوعها ولا يستمر لمعانها بل هى كالبرق تخطف وتغيب ، فمن لم ينتهز فرصة اضاءة البرق حتى يسير فيه كان كمن ضيع تحصيل المعالى حين لاحت له فلم يخطفها عند الفرصة ولم يملكها عند النهضة *

وما أشبه ذلك أن يكون مشقوقاً من قوله تعالى (مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم) *

والصوفية صاروا أكثر الناس اهتماماً بهذا المعنى ، وهم يشيرون الى البرق بأحوال التجلى التى تظهر وتغيب فيصيب منها المرء أو يخيب *

قوائد الاسفار

وعن مجانى الأدب : قال على بن أبى طالب :

تغرب عن الأوطان فى طلب العلا
وسافر فى الاسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة
وعلم وآداب وصحبة ماجسد
فان قيل فى الاسفار ذل ومحنة
وقطع فياف وارتكاب شدائد
فموت الفتى خير له من مقامه
بدار هوان بين واش وحاسد

وهذا كلام معروف كثر حفظه وترداده وقد نسب الى على والى غيره ، ولا ضرورة للعودة الى شرحه مع وضوحه ، ولكننا ننبه القارىء الكريم على بعض الطرائف التى فيه :

فأول هذه الطرائف أن الغربة المطلوبة هى الغربة الطويلة التى تليق بطلب المعالى وبذل الجهد لاكتساب هذه الفوائد الخمس ، وكل منها يحتاج الى زمن طويل *

وثانيها أن الغربة الموصى بها هى الغربة البعيدة النائية لا القريبة الذاتية من الدار والجار اذ القربة لا تقطع فيها الفيافى ولا تركب الشدائد *

وثالثها أنه لا يدخل فى هذه الغربة غربة الرحلة للتسلية والسياحة وراء اللهو اذ تزول عن هذه وهذه علة طلب المعالى *

ورابعها تنبيه النفوس الى أن الوشاية والحسد تكون من الأقرباء لا من الأبعداء * وقد كان ابن المقفع صادق التصوير لمكان الحسد اذ قال : ان من لؤم الحسد أنه موكل بالأقرب فالأقرب *

وكلام ابن المقفع سحب على ذيل على فى البلاغة وانتهاج من دربه فى الصياغة *

غاية البعد

وعن مجانى الأدب قول على بن أبى طالب فى وصف ما بين الحى والميت من البعد السحيق فى الدار وان كانت دانية الجوار :

ذهب الذين عليهمو وجسدى
وبقيت بعد فراقهم وحسدى
من كان بينك فى التراب وبينه
شبران فهو بغاية البعد
لو بعثت للخلق أطباق الثرى
لم يعرف المولى من العبد
من كان لا يطاء التراب برجله
يطأ التراب بناعم الخسد

مهما كان المرء مسروراً بمن حوله اذا هم جاوروه وخالطوه وحزنه عليهم اذا هم فارقوه وتركوه فان

ولكن الخد في قول علي أصون وأبرأ من الخد في
قول أبي العلاء .

اعمار المساجد

وعن السيرة لابن هشام قول علي - كرم الله
وجهه يرتجز في بناء مسجد النبي بالمدينة وكان
أحد العاملين في البناء :

لا يستوى من يعمر المساجد

يدأب فيها قائما وقاعدا

ومن يرى عن الغبار حائدا

وفى الكلام مفاضلة بين من يعمل بيده في بناء
المساجد فيتغير ويتكدر وبين من تأنف نفسه
الكثرة وتخاف الغبار فلا يضع يده مع البائين ولا
يرفع قامته مع الرافعين .

ومع أنه من الجائز أن يكون القعود والقيام الذي
تحدث عنه علي - رضى الله عنه - صورة للعامل
وهو يعمل في حمل الأحجار والرمال فيقعده ليلتقطها
ثم يهمل ليرفعها ويمضى بها فإن فيها أيضا ذكرا لفضل
من يعمر المساجد بالصلاة والقيام بعد بنائها وإعلاء
جدرانها ويدأب على الصلاة مع الجماعة فيها .

ومن بديه الرأي أن يلمح أن الباني للمساجد يكون
أولى الناس بالدأب على الصلاة فيها ، فله بذلك أجران
أجر الاشتراك في البناء وأجر الاستمرار في العبادة .
أما الزور المتجانف فهو بضد ذلك إذ لم يصبه
غبار الشيد والبناء ولا غبار السجود والانحناء .

ويقول ابن هشام في السيرة :

سألت غير واحد من أهل العلم بالشعر عن هذا
الرجز فقالوا :

بلغنا أن علي بن أبي طالب ارتجز به

فلا يدري أهو قائله أم غيره .

الفراق واقع لامحالة واستبدال الحزن بالسروء ثوب
لا بد من ارتدائه .

وإذا انفرط عقد الجماعة بقي من بقي منهم في
الدنيا فريدا وحيدا لا يؤنسه ما كان من حبه لهم
ولا يسليه ما جد من حزنه عليهم .

والبيت الثاني في هذه المقطعة يحمل معنى أدبيا
رائعا ، وقد تداوله الشعراء منذ قيل حتى كان
شوقي أمير شعرائنا فاحتال له احتيالا فريدا في
رثائه لعاطف بركات فقال :

أخا (سيشيل) لا تذكر بحارا

بعدن على الزاد ولا بقاعا

وحقق ما وراء نواك بعد

وأنت بظاهر الفسقاط قاعا

وقد أحسن شوقي إلا أن بيت علي أقرب وأوضح
وأقل الفاظا وأسهل .

وأما البيت الثالث من المقطعة فقد أوضح ما يصير
إليه الموتى من البلى وما تصير إليه العظام من
الانحطام والاختلاط بحيث لا يبقى ما يميز الأبيض من
الأسود ولا العبد من المسود .

ويتصل البيت الرابع بهذا البيت لأنه يعظ بعدم
الكبر والترفع على العباد . وكان من الحق أن يصير
إلى هذه المعاني معنى ديني هو أمر المعاد الذي تقول
فيه الآية الكريمة (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم
وعندنا كتاب حفيظ) .

والبيت الأخير أخذ منه أبو العلاء في رثائياته
قبسا إذ قال في أحداها :

كم صائن عن قبلة خده

سلطت الأرض على خده

وحامل ثقل الثرى جيده

وكان يشكو الضعف من عقده

أوربا

من القرن الخامس إلى العاشر
الميلاد

الأستاذ إسماعيل كشمير

الحضارة
الإسلامية
وأثرها
ف
أوربا

الحال على هذا المنوال إلى أن سادت القوضى وراح كل إنسان يتهم الآخر بأشنع الاتهامات .. وراحت أوربا الدينية تسبح في أمواج من التنافس المتبادل ..

ومما لاشك فيه أن المسيحية طاردت حالة الجهل التي كانت سائدة وقتذاك ، ولكن هذه الحالة تركت بعض آثارها عند المسيحيين ، « والكنيسة في تلك القرون وإن كانت قد انتصرت في معاركها المتعددة إلا أنها كانت تزخر بالفساد .. وكانت حرية الفرد ، بل وأملكه ، خاضعة لدى التدين الذي تنظر به إليه الكنيسة » .

وفي هذا الوقت الذي كانت تطف في أوربا في بحار الجهالة والوحشية والفوضى .. ظهر الإسلام بشريعته السمحاء العظيمة وراح ينشر قوانينه

يملاها الصدا وتسودها الخيبة ، أما طعامهم فكان قليلا وردئيا لا يتكون إلا من بعض الحبوب والخضروات والأعشاب ، وكانوا يسكنون الأكواخ ويلبسون ملابس مصنوعة من جلود غير مدبوغة . وقد بلغت الحالة حدا أنهم البابا نفسه عنده بارتكاب بعض الرذائل الشخصية وأعمال الهرطقة .. وكان البابا (بونيفاس) يقول ان خلاص الإنسان يتوقف على اعتقاده بوجوب خضوعه الخضوع التام لبابا روما .. « وكان الناس ينظرون إلى هذا البابا نظرة غير مستحبة ويتهمونه بأشنع الاتهامات .. ويقولون عنه انه ليس (بابا) حقيقيا ، وانه من الهرطقة ، وانه يبيع ويشترى صكوك الفجران ، وانه رجل مثقل بالذنوب .. وقد استمرت

يقول روبرت س . بريفولت : « كانت أوربا من القرن الخامس حتى القرن العاشر تطف في ظلام مع الوحشية يتزايد كثافة يوما بعد يوم .. وقد كانت وحشية تلك الأيام أكثر فظاعة مما كان يسود العالم أيام الوحشية الأولى وذلك لأنها كانت تنخر في كيان جسم كان يحيا من قبل في مدينة عظيمة .. وقد انمحت كل معالم هذه المدينة ومظاهرها ولم يبق في البلاد التي ازدهرت فيها . وهي إيطاليا وبلاد الغال - سوى الخراب .. والبؤس .. والاباحية » .

وقد كان عسيرا على أهل أوربا أن يتخلصوا من حالة الهرمجية هذه لأن أحوالهم وظروف معيشتهم كانت كلها في حالة لا تشجع على ذلك ، فالأقدار تغلو وتملا أجسامهم ، وعقولهم

هذا كل ما قام به المسلمون هناك ، بل انه بعض من كل . ويقول (ديفنبورت) ان كل علوم الطبيعة والفلك والفلسفة والرياضيات التي ازدهرت فى اوربا ابتداء من القرن العاشر اخذت كلها من المدارس العربية الاسلامية .

وقد كان من نتيجة تفضل الاسلام فى اوربا من طريق قواعد الاخلاق التي جاء بها . والعلوم والثقافة التي ادخلها . والتسامح والقانون الذي اشاعه هناك . ان حدثت باوروبا هزات متعددة وبدأت الحروب الصليبية التي شنتها اوربا الغربية من ١٠٩٦ الى ١٢٩١ لاستعادة الاراضى المقدسة من المسلمين . وكانت نتائج هذه الحروب واتصال المسيحيين بالمسلمين ، ولو بالحرب ، عظيمة وظهر اثرها الملحوظ فى شتى ربوع اوربا ، ففي فرنسا انشئت الملكية ، ونمت واتسعت كل بلاد القارة وأصبح لها بعض النظام الرتيب ، وزادت التجارة الدولية وكثر عدد الجامعات وخسر الاقطاعيون بعض امتيازاتهم وبدأ أهل البلاد يفكرون فى غزو آسيا . وازدهرت الآداب وأدخلت الى الجامعات والمعاهد العلوم الاجتماعية والفنون . وكل هذا كان نتيجة لاتصال المسيحيين بالمسلمين .

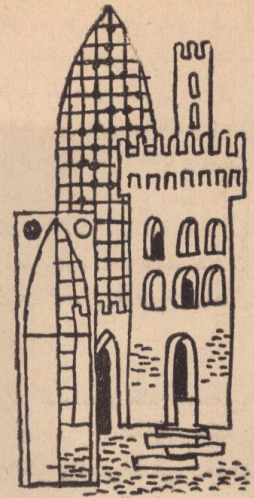
وهذا الكلام الذى نقول ليس من عندنا ، بل اننا تعمدنا

الى بداية حكم عبد الرحمن الثالث (٩١٢ - ٩٦١ م) آثار الحياة الاسلامية ومدنية الاسلام كما طور حياة الفكر ، ليس فى اسبانيا فحسب ، بل فى غرب اوربا ووسطها أيضا .

« وقد قضى الاسلام على العبادات الدينية التي كانت تسود هذه الأرجاء ولم نسمع أن كل من يموت دون أن يترك شيئا من ممتلكاته للكنيسة يموت وكأنه لم يعترف بذنوبه ، ولا يستحق أن يدفن حسب الطقوس الدينية . كما اننا لم نعد نسمع بصب الماء المفلأ أو بإلقاء الشخص فى النار لإظهار براءته من اذنته بارتكاب أى ذنب . والواقع أن كل هذه الخرافات اندثرت وراحت ثقافة المسلمين تظهر أثرها الجميل فى الحياة الجديدة » .

وكان أن اتبعت أوربا فى هذه العصور الوسطى المبادئ الاسلامية العامة ومع أن حروبا مريرة كانت تتشب فى اسبانيا من وقت لآخر الا أن الوفا من المثقفين المسيحيين كانوا يختلفون الى جامعات قرطبة وغرناطة واشبيلية وغيرها . وقد قدم المسلمون هناك أحسن الأمثلة فى كيفية النهوض بأحوال البلاد خاصة فى ميدان الزراعة .

والى المسلمين يعود الفضل فى ادخال زراعة الأرز والسكر والقطن وصنع البارود والبوصلة البحرية الى تلك الأنحاء . وليس



العادلة الصالحة لكل زمان وكل مكان فى ربوع الأرض التي أمكنه أن يصل اليها . . . وقد عملت الثقافة الاسلامية وطريقة الحياة لدى المسلمين على تقديم البلاد الاسلامية بأسرها نتيجة للسياسات الادارية التي اتبعها الحكام المسلمون سواء فى داخل البلاد أو خارجها . . . وقد نقل القرب معظم هذه القوانين وأدخلها على قوانينه الأولى .

اسبانيا الاسلامية والحروب الصليبية :

وفى حين كانت الفوضى تسود أوربا كان الفزو العربى لاسبانيا عام ٧١١ ميلادية وانتصارات الاسلام المتلاحقة فيما بعد ذلك فاتحة لعهد جديد هناك . . . فقد توطن هذه البلاد العرب المسلمون من بنى أمية وترك حكامهم ابتداء من عبد الرحمن الأول (٧٥٨ - ٧٩٠ م)

اقتباسه مما نشره الفريسيون أنفسهم .. وعلى كل ، فهذه حقائق سجلها التاريخ في أضيائه ، وليس في مكتبة أى انسان أن ينكرها أو أن يدحضها ففى كل هذه العلوم - حتى الآن - آثار من العلوم والثقافة الاسلامية ، بل ان العرب والاسلام أثروا على كثير من لغات أوروبا ، وحتى اليوم نجد فى اللغات الأوربية جميعها ألفاظا عربية ، وان كانت قد حرفت بعض الشيء .

وقد كان لهذه الحروب الصليبية آثار أخرى فى أوروبا، فقد زاد اهتمام المسيحيين بأحوال العرب وأحوال المسلمين نتيجة للحكايات والقصص التى كان يقصها المحاربون الصليبيون على أهلهم ومعارفهم، الأمور الذى أدى الى تدوين التاريخ .

ولما اتصلت جنوبا ويزا وفرنسيا بالبلاد العربية والاسلامية الواقعة شرقى البحر الأبيض المتوسط تبادل التجار السلع، بل ان التجار المسيحيين حصلوا من اخوانهم المسلمين على كثير من الامتيازات كان من نتيجتها أن دخل الى الغرب الحرير والافايه واللاى ويقول

(معجم كوليرز) فى الجزء السابع ان الصليبيين عادوا الى أوروبا وهم يلبسون ملابس المسلمين ويأكلون طعامهم .. وكانوا يقلدون المسلمين فى كل حركاتهم وسكناتهم ، واضطر أهل المحاربين الى أن يقلدوهم فى كل شيء .

وكان أن دخلت أوروبا أفكار جديدة وعرفت طريقة للحياة مختلفة عن طريقها . وقد نقل الصليبيون فيما نقلوا من الشرق : السكر والاذرة وثمار الليمون وبذر البطيخ والقطن والموسلين والدمشق (وهى أسماء لا تزال موجودة فى اللغات الغربية) .. كما أحضروا معهم المرايا التى لم تكن معروفة فى أوروبا حتى ذاك الوقت .. وقد اعترفت (الانسكلوبيديا البريطانية) فى الجزء السادس بكل هذا وزادت عليه قولها ان المسيحيين الغربيين تعلموا أصول الملاحة والتجارة من المسلمين .

وهكذا تغفلت الاسلام فى المسيحية، وكان طبيعيا أن يفعل الاسلام ذلك لانه دين مفتوح للجميع .. وظهر أثر الاسلام جليا فى فرنسا وألمانيا حتى فى إنجلترا وإيطاليا وصقلية .

وكان طبيعيا أن يتغفلت الاسلام فى أوروبا وذلك لأنه يعترف بجمال الحياة وجمال الطبيعة التى خلقها الله جل وعلا ولانه الدين الذى يفسر بين الخطأ والصواب ، والفضيلة والرذيلة ، ويعترف بعزة الانسان وذاته .

ولما أدركت أوروبا بعد كل هذا التقدم الذى أحرزته أن عليها أن تعدل من قوانينها اتجهت الى الفلسفات الأخرى - خاصة الى الفلسفة الاسلامية - تستمد منها ما هى بحاجة اليه، وتدل الآثار الاسلامية - برغم ضياع أكثرها وتدمير البعض

الأخر - على الدين الذى طوق به الاسلام عنق أوروبا ، ويثبت التاريخ بلا أدنى غموض أن أوروبا ادخلت على تاريخها العام وعلى نصوص قوانينها الأفكار والمبادئ الاسلامية وما تفرع عنها .. وهكذا أقامت الحضارة الاسلامية القواعد لثورات الاصلاح والنهضة العظيمة التى شاهدها أوروبا .

ولما تغفلت الثقافة الاسلامية فى أوروبا راح المثقفون يبحثون عن العلم والمعرفة فى المكتبات والجامعات فى بلاد المسلمين . وقد أمضى (جيرارد كرىمونا) ١١١٤ - ١١٨٧ ، أغلب سنى

حياته فى ترجمة اثنين وتسعين كتابا علميا من العربية كان منها قوانين ابن سينا التى ظلت الى عدد كبير من السنين المرجع الهام فى أوروبا الوسطى .. وكان البابا سلفستر الثانى (٩٣٠ - ١٠٠٣) أدخل الأرقام

العربية واستخدم الصفر والنظام العشرى الى أوروبا قد تلقى تعليمه فى جامعة (القرويين) وكذلك استخدمت نظرية الفزائى فى المعرفة لتكون أساسا فلسفيا للتوفيق بين الدين والفلسفة .

وكان توماس اكويناس (١٢٢٦- ١٢٧٤) متعمقا فى دراسة ابن سينا والفزائى وابن رشد ، كما ان مارتن لوتر (١٤٨٣-١٥٤٦) درس الاسلام وتعلم اللغة العربية الأمر الذى أدى به الى القيام بثورته الدينية الاصلاحية المعروفة التى أدت بدورها الى تحرير أوروبا .



علبة باسم المغييرة بن عبد الرحمن الناصر



عن التراث
الفنى
الإسلامى



علب
المجوهرات
الأندلسية

الدكتور محمد حسن الباشا



كما حظيت هذه الصناديق فى العصور الوسطى
باعجاب الأمراء والأثرياء الأوربيين الذين اتخذوها
هم أيضا لحفظ الحلى والنفائس ، وكانوا يقدمونها
كهدايا فى الأعراس .

وهذه العلب الأندلسية اما على هيئة صناديق
مربعة أو مستطيلة ذات غطاء مسطح أو على شكل
هرم ناقص ، وأما على هيئة علب اسطوانية ذات
غطاء مقبب الشكل .

وصلنا من بلاد الأندلس مجموعة من العلب
الصغيرة المصنوعة من العاج كانت تستعمل لحفظ
الحلى والمجوهرات وهى من نوع شاع استخدامه فى
العالم الإسلامى .

وقد انتقلت بعض هذه العلب الأندلسية بعد
زوال الدول العربية من اسبانيا الى بعض الكنائس
والأديرة ، والبعض الآخر الى المتاحف الفنية
المختلفة .

الله الحكم المستنصر بالله أمير المؤمنين مما أمر بعمله للسيدة أم عبد الرحمن على يد درى الصغير سنة ثلاث وخمسين وثلاث مائة)

والامام الذى أمر بعمل هذه العلبة والمشار اليه فى هذه الكتابة هو الخليفة الحكم الثانى المستنصر بالله (٣٥٠ هـ - ٣٦٦ هـ) وقد ازدهرت فى عهده الحضارة الأندلسية ازدهارا كبيرا وذلك بفضل الأعمال الجليلة التى حققها أبوه عبد الرحمن الثالث من قبل فى شتى المجالات والميادين .

ويتضح من الكتابة على العلبة أيضا أنها صنعت على يد - أى بإشراف - درى الصغير وكان أحد أفراد الحاشية الصقلية فى قصر الخليفة . ومن المعروف ان درى الصغير هذا قد أعدم فى بداية عهد الخليفة هشام الثانى بن الحكم الثانى وذلك بسبب اشتراكه فى ثورة قام بها الصقلية ضد الخليفة الجديد فى ذلك الوقت .

وفى متحف مدريد أيضا علبة أخرى نقلت اليه من دير فيتيرو ، وهى مستطيلة الشكل وعليها كتابة أثرية تذكارية نصها : (بسم الله بركة من الله ويمن وسعادة وسرور ونعمة لأحب ولادة مما عمل بمدينة الزهراء سنة خمس وخمسين وثلاث مائة عمل خلف) .

وتتضمن هذه الكتابة بعض المعلومات المهمة : مثل ولادة اسم صاحبة العلبة ، ومدينة الزهراء المكان الذى صنعت فيه ، وتاريخ صنعائها وهو عام ٣٥٥ هـ (٩٦٦ م) ، واسم صانعها وهو خلف . أما ولادة صاحبة العلبة فكانت من نساء الخليفة الحكم الثانى وأم هشام الثانى ابنه وخليفته من بعده وربما كان فى صيغة الدعاء لولادة ووصفها بأحب ولادة ماينم عن بعض الضعف فى أخلاق الخليفة الحكم الثانى : ذلك الضعف الذى انتهى به الى أن يطلق يد بعض وزرائه فى تصرف شئون الدولة مما كان ايدانا ببداية ضعف الخلافة الأموية ، ثم القضاء عليها بعد ذلك .

ومن علب المجوهرات الأندلسية الجميلة علبة من العاج بمتحف اللوفر ، وهى ذات هيئة اسطوانية وغطاء مقبب . ويبلغ قطرها ٨ سم وارتفاعها ١٥ سم . وتتألف رسومها الرئيسية من أربعة مناظر داخل مناطق مفصصة تمثل موضوعات مستمدة من الحياة ، ولكنها مرسومة بطريقة زخرفية أما المساحات الموجودة بين هذه المناطق فتشتمل على رسوم آدمية وحيوانية على أرضية ذات زخارف نباتية . ومن المناظر رسم محفور يمثل فارسين

ويرجع أهم هذه العلب الى أواخر العصر الأموى فى الأندلس وعصر ملوك الطوائف أى الى النصف الثانى من القرن الرابع بعد الهجرة وإلى القرن الخامس (القرن ١٠ و ١١ م) .

ويشهد ماتمتاز به هذه العلب من دقة الصنعة وجمال الزخرف بما حققه الصانع العربى فى الأندلس من تقدم فى فن صناعة العاج ، وبما بلغه من رقى فى الذوق الفنى بصفة عامة وذلك على الرغم مما انتاب الخلافة الأموية أولا من ضعف ، ثم ما انتاب البلاد كلها من انقسام وتطاحن بعد ذلك .

وتشتمل هذه العلب على مناظر محفورة فى العاج تمثل أعمال الصيد ومجالس الطرب ، وكانت هذه المناظر فى معظم الأحيان تحصر داخل مناطق مفصصة فى حين كان باقى أجزاء سطح العلبة يزين بالزخارف النباتية الأنيقة التى يتخللها أحيانا رسوم طيور وحيوانات وأدميين .

وتحمل بعض هذه العلب كتابات أثرية تذكارية تلى عادة حول أسفل الغطاء . وتبدأ هذه الكتابات دائما بأدعية ثم تذكر اسم صاحب العلبة وأحيانا أيضا اسم السيدة التى صنعت لأجلها ، وكذلك المشرف على صنعائها ، ومكان الصناعة وتاريخها واسم الصانع .

ومما يسترعى الانتباه أن الأدعية التى تفتتح بها هذه الكتابات ذات طابع معين ، وتمتاز أحيانا بطولها ، وتقسيمها الى فقرات . كما يلاحظ أن الأسماء كانت ترد مصحوبة بالوظائف والألقاب الفخرية .

ومما هو جدير بالذكر أيضا أن كثيرا من هذه العلب تشتمل على أسماء صانعيها مما يدل على اعتزاز الصانع العربى بفنه واعتداده بشخصيته .

والحق أن الكتابات المحفورة على العلب العاجية الأندلسية تهمنا بكثير من المعلومات والحقائق عن الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى بلاد الأندلس فى تلك الفترة المهمة من تاريخها .

ومن أقدم العلب العاجية التى وصلتنا علبة نقلت من كاتدرائية سمورة باسبانيا الى متحف الآثار بـمدريد . وهى اسطوانية الشكل ذات غطاء مقبب . وتتألف زخارفها من أفرع نباتية منسقة بأسلوب زخرفى يخرج منها أوراق شجر ومراوح نخيلية ويتخللها طيور وحيوانات تمتاز بمزجها فى وحدة زخرفية جميلة .

ويلف حول أسفل غطاء هذه العلبة كتابة محفورة بالخط الكوفى نصها : (بركة من الله للامام عبد

مقابلين على جانبي نخلة تدلت عراجينها ، ورسم
 ثان يمثل مجلس طرب وموسيقى .
 ويلف حول غطاء هذه العلبة شريط من كتابة
 كوفية نصها : (بركة من الله ونعمة وسرور وغبطة
 للمغيرة ابن امير المؤمنين رحمه الله مما عمل سنة
 سبع وخمسين وثلاث مائة) .
 ومن الملاحظ أن الكتابة تشير الى أن هذه
 العلبة قد عملت لرجل هو الامير المغيرة ابن الخليفة
 عبد الرحمن الناصر وأخو الخليفة الحكم الثاني
 ومن المعروف أن هذا الأمير قد قتل اثر محاولة
 قام بها بمساعدة الصقالبة بقصد أن يلي الخلافة بعد
 وفاة أخيه الحكم بدلا من ابن أخيه هشام .
 ومن العلب الأندلسية ذات المغزى التاريخي
 علبة من العاج في كاتدرائية بنبلونه في اسبانيا ،
 وهي مستطيلة الشكل وذات غطاء على هيئة هرم
 ناقص ويمتد على جوانب أسفله شريط من الكتابة
 الكوفية المورقة يقرأ كما يلي : (بركة من الله
 وغبطة وسرور وبلوغ أمل في صالح عمل وانفساح
 أجل للحاجب سيف الدولة عبد الملك بن المنصور
 وفقه الله مما أمر بعمله على يد الفتى تمير بن محمد
 العامري مملوكه سنة خمس وتسعين وثلاث مائة عمل
 عبيدة عمل خير) .
 وتعيد هذه الكتابة الى مخيلتنا ذكرى مرحلة
 أخرى من مراحل تدهور الخلافة الأموية في الأندلس

ذلك أن صاحب هذه العلبة هو الحاجب سيف الدولة
 عبد الملك الذي انتقل اليه أمر تدبير الدولة الأتوية
 في الأندلس بعد أبيه المنصور أحمد بن أبي عامر
 وكان قد صار الحاكم الفعلي أثناء خلافة الطفل هشام
 الثاني .
 ومن الملاحظ أن عبد الملك قد تلقب في هذه
 الكتابة بلقب الحاجب الذي صارت له في هذا
 العصر دلالة وظيفية معينة : ذلك أن الحاجب في
 الدولة الأموية في الأندلس كانت مهمته في أول
 الأمر هي الوساطة بين الخليفة ووزرائه ثم أخذت
 سلطته بعد ذلك في الازدياد حتى صار أرفع الوزراء
 شأنا ، وأصبح يسمى بنى الرئاستين ، ويتولى
 الاشراف على الشؤون المدنية والعسكرية ، ثم ازداد
 نفوذه حتى استبد بالسلطة كلها ، وسيطر على
 الخليفة ، وبذلك صارت اليه أمور الدولة في أواخر
 الخلافة الأموية ، وبخاصة حين شغل هذه الوظيفة
 المنصور محمد بن أبي عامر في سنة ٣٩٢ هـ إذ
 حير على الخليفة الطفل المؤيد هشام الثاني ،
 وبني لنفسه عاصمة جديدة سماها الزاهرة .
 وقد أورث المنصور أبناءه وظيفة الحجابة ، وظل
 هؤلاء محتفظين بلقب الحاجب الى نهاية دولة
 بني عامر .
 وقد ولي عبد الملك بن محمد بن أبي عامر وظيفة
 الحجابة في سنة ٣٩٢ هـ وكان ذا نشاط ملحوظ



علبة باسم الحاجب عبد الملك بن المنصور

فى مجال الفن والتعمير ، وقد وصلتنا تحف أخرى كثيرة باسمه .

وتتألف زخارف العلبة التى نحن بصدددها من مناظر مستمدة من الحياة محفورة داخل مناطق مفصصة على أرضية مزخرفة بزخارف نباتية منسقة بأسلوب هندسى مثلها مثل سائر سطح العلبة .

هذا وقد ظلت صناعة علب المجوهرات العاجية مزدهرة فى دويلات ملوك الطوائف كما يشهد بذلك بعض النماذج التى وصلتنا من هذا العصر ومن ذلك

صندوق صغير محفور فى متحف الآثار بهمدريد نقل اليه من كاتدرائية بلنسية . ويمتد أسفل جوانب غطاء هذا الصندوق شريط من كتابة كوفية نصها : (بسم الله الرحمن الرحيم بركة دائمة ونعمة شاملة وعافية باقية وغبطة طائلة وآلاء متتابعة وعز وإقبال وانعام واتصال وبلوغ آمال لصاحبه أطال الله بقاءه مما عمل بمدينة قونكة بأمر الحاجب حسام الدولة أبو محمد اسماعيل بن المأمون ذى المجدين ابن الظافر ذى الرئاستين ابن محمد بن



علبة مجوهرات من العاج باسم الحكم
الثانى المستنصر بالله

ذى النون أعزه الله فى سنة احدى وأربعين واربع
مائة عمل عبد الرحمن بن زيان)
وتدل الكتابة على أن هذه العلبة قد عملت لأحد
أمراء أسرة ذى النون من ملوك الطوائف الذين حكموا
طليطلة ، وأنها صنعت فى مدينة قونكة التى كانت
من مراكز هذه الصناعة فى بلاد الأندلس فى تلك
الفترة .

أما اسماعيل صاحب هذه العلبة فهو ابن يحيى
المأمون أمير طليطلة من بنى ذى النون الذين حكموا
طليطلة وقونكة .

ويبدو من الكتابات الأثرية التى وصلتنا أن
اسماعيل هذا كان حاجبا بمدينة قونكة ، وربما
كان ذلك أثناء حكم أبيه المأمون لطليطلة ، كما
يبدو أنه حكم أيضا بمدينة طليطلة نفسها نيابة عن
أبيه أو بالاشتراك مع أبيه : إذ أنه وصلتنا سكة
من طليطلة مؤرخة سنة ٤٤٨ هـ جاء عليها اسم
كل من ذى المجدين والحاجب حسام الدولة .

هذا ومن الملاحظ أن ملوك الطوائف بالأندلس قد
احتفظوا بلقب الحاجب رغم اتخاذهم القاب الملك
والخلافة ، بل أنه يبدو أنهم اعتبروا اتخاذ
هذا اللقب شرفا لهم ، والحق أن بعضهم فضله
على لقب (ملك) . وقد صار لقب الحاجب يعنى
فى عصر ملوك الطوائف صاحب السلطان الأول فى
الدولة .

ومما يسترعى الانتباه فى صيغة هذه الكتابة
كثرة الأدعية وتكلفتها ، وربما جاء ذلك بمشابة
تعويض عن الضعف السياسى الذى انتساب حكام
دويلات الطوائف .

وتتألف رسوم هذه العلبة من مناظر مستمدة من
حياة الصيد بالإضافة الى رسوم حيوانات طبيعية
وخرافية ، وكلها ممتزجة بزخارف نباتية مرتبة
ومحصورة داخل مناطق هندسية ذات أشكال
مختلفة ينقسم اليها جميع سطح العلبة .

وتعتبر هذه العلبة - شأنها شأن العلب العاجية
التي ترجع الى عصر ملوك الطوائف - أقل قيمة من
حيث الصناعة والزخرفة من العلب الأموية . كما
تظهر رسومها النباتية أقل غنى ، وأكثر تحويرا عن
الطبيعية ، كما أن زخارفها قليلة البروز نسبيا .

وعلى الرغم من التدهور التدريجى الذى انتساب
صناعة علب المجوهرات العاجية فى الأندلس فإن
هذا النوع من العلب ظل يصنع فى تلك البلاد طوال
القرون التالية التى عاشتها الحضارة الاسلامية فى
بلاد الأندلس .



فخ عيط الإدراك

فأنا رما حلاقة قلوبهم في سمعهم لئلا يفلتوا
فأنا رما رسالتنا على رؤس قلوبهم لئلا يسمعون
فأنا رما رسالتنا على رؤس قلوبهم لئلا يسمعون

فوق هذا الثرى : نسيتُ وجودي
فأنا رما رسالتنا على رؤس قلوبهم لئلا يسمعون

وتلاشت مشاعري في شرودي

أبها العمر : كيف تمضي هباءً من دون وعي

أين ذاتي ؟! وأين رجع نشيدي ؟!

هذه الأرض كلها صَبَوَاتُ

وظلالٌ تكاثفتُ في صعيدي

وحفيفُ الأوهام يُزعجُ حتى

صاحبَ الجرس في السكون المديد

وعزيرٌ على أحسبُ حيًّا

وأنا الميتُ في حنايا لحودي

إليه يا أَرْضُ : إِنِّي أَزَلُّ

أَلْبَسْتَنِي الأقدارُ ثوبَ جَدِيدٍ

فخذني طينتي إذا شئتَ عني

واقذفني في إلى الفضاء البعيد

حيث أحيا وحيث تشرق ذاتي

في محارِبِ صُحُوفٍ وخلودي

فوقَ هذا الزمان : أنشدُ ألحاني

وأفنى صلابتي وجمودي

إلني قيسُ الضياءِ بهات

للدخان الصلصال طيفٌ وليد





وَتَصَفَّدْتُ بِالْجُمُودِ وَبِالضَّمِيقِ ...
 وَيَا لِي مِنْ كَوْنِي الْمَحْدُودِ
 يَا إِلَهَ الْوُجُودِ : نَاءَ وَجُودِي
 فَوْقَ أَرْضِي ... وَبَيْنَ تِلْكَ السُّدُودِ
 عَالِي كَادَ أَنْ يَضْمَعَ بَوَادِ
 بَعَثَتْهُ رِيَّاحُ حَقِّ عُنِيدِ
 جَمَعِي يَا سَمَاءَ أَشْلَاءَ حَتَّى
 مِنْ رَهَاوِي الظُّنُونِ وَالتَّشْرِيدِ
 أَرْجِعِيهَا إِلَيْكَ قَبْسَةً نُورِ
 فِي رَحَابِ مُبَارَكٍ مَنشُودِ
 أَطْلُقِيهَا فِي حَيْثُ لَاطِلَمَاتِ
 فِي حِمَى الْغَيْبِ فِي الْفَضَاءِ السَّعِيدِ

يَا إِلَهِي : إِلَامَ عَقْلِي يَحْبُو
 فِي مُحِيطِ الْإِدْرَاكِ وَالتَّوْحِيدِ ؟!
 كَلِمَا قُلْتُ : قَدْ غَوَتْ ... أَرَانِي
 ذَلِكَ الْطِفْلِ ... لَمْ أَزَلْ فِي مَهْودِي
 فَمَتَى يَنْجِلِي الظَّلَامُ بِأُفْقِ
 لِأَبْرِ الْحَقِّ فِي سَمَاءِ شَهْودِي
 وَأَرَى كَوَكَبَ الْيَقِينِ تَجَلَّى
 فَوْقَ ذَاتِي بِنُورِ فَجْرِ جَدِيدِ ؟!

سَنَاتُ الْقَدَسِ وَعِيداً مَحْتَمِئاً

الشاعر محمود جبر



خَلِيلِي .. هَذَا الْفَجْرُ مَعْبُدٌ عَاشِقٍ
تَبَتَّلَ حَتَّى أَشْفَ رُوحاً وَأَعْظَمَا
نَسَائِمُهُ الْأَلْحَانُ تَسْرَى فَلَا تَرَى
مِنْ الْكَوْنِ إِلَّا فَرْحَةً أَوْ تَبَسُّمًا
خَلِيلِي .. هَلْ يَدْعُو إِلَى السَّلَامِ ظَالِمٌ
إِذَا لَمْ يَكُنْ يَرْجُو مِنَ السَّلَامِ مَغْنَمًا!
إِذَا مَلَكَ الْبَاغِي فَلَا الْعَدْلُ قَائِمٌ

وَلَا أَنْتِ تَرْجُو فِي حِمَاهُ التَّقَدُّمًا
وَلَنْ تَصْلَحَ الدُّنْيَا إِذَا بَاتَ أَمْرُهَا
عَلَى عَاتِقِ الصَّهْيُونِ نَبِيًّا مُقْسَمًا
تَأْتِي يَهُودُ الْأَرْضِ وَالْغَرْبُ ضِدْنَا
وَنَارًا عَلَيْنَا ... فَانْتَصَرْنَا عَلَيْهِمَا
سَلَوَا «بُورْسَعِيدًا» عَنْ ضَحَايَا كِلَيْهِمَا
سَلَوَا الْجَوَّ إِنْ شَتَمَ سَلَوَا الْبَحْرَ عَنْهُمَا

هَبُوا إِنَّهُمْ قَدْ أَخْرَزُوا الْأَمْسَ جَوْلَةً
أَلَسْنَا أَقَمْنَا الْيَوْمَ مَا قَدْ تَهَلَّمَا
وَمَنْ قَالَ جَهْلًا نَكْسَةُ الْأَمْسِ مِخْنَةً
أَلَيْسَ يَرَانَا الْيَوْمَ صَفًّا مُدْعَمًا
لَقَدْ أَصْبَحَتْ أَرْضُ الْعُرْيَةِ وَحْدَةً
تُزَلُّلُ صَهْيُونًا وَمَنْ خَلْفَهَا .. وَمَا
أَرَانِي إِذَا مَا قُلْتُ صَهْيُونُ إِنَّمَا
عَنِيتُ الَّذِي لَمَّا يَعُدُّ بَعْدُ مُبْهَمًا
عَنِيتُ «أَمِيرَكَا» وَالْمَرَايِينَ كُلَّهُم
عَنِيتُ الْأُولَى زَجَّوْا بِهَا كَيْ تَحْطُمَا

(عبادًا لنا كيما يسوءوا وجوهكم)
فَذُوقُوا مِنَ الْيَحْمُومِ مُهَلًّا وَعَلَقْمًا

(فلسطين) إنا اليوم نُعطيك عهدنا
بِأَنَّكَ لَنْ تَلْقَى مِنَ الْعَرَبِ مُحْجِمًا
وَأَنَا سَأَلْنَا اللَّهَ تَطْهِيرَ قُدْسِهِ
وَأَنَا سَنَفْدِي الْقُدْسَ بِالرُّوحِ وَالِدِّمَا
لِسَوْفَ يَرَى الصَّهْيُونُ تَبْدِيدَ حُلِيِّهِمْ
وَأَنَّ الَّذِي خَالُوهُ مُلْكًا ... تَصَرَّمَا!



لَقَدْ زَرْتُ أَرْضَ «الْقُدْسِ» قَبْلَ تَرْبِهَا
وَحَيَّيْتُ (طه والمسيح ومرميا)

وعزيت موسى في ضراوات أمة
أَرْتَهُ و«هارون» الْعِدَاءَ كُلِيهِمَا
أَرَى الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى وَقَدْ بَاتَ حَوْلَهُ
مِنَ الْهَوْلِ هَوْلٌ .. يُنْطِقُ الْيَوْمَ أَبْجَمًا

أَتَبَاعَ خَيْرِ الْخُلُقِ مَاذَا أَصَابَنَا
لِنَتْرِكَ أَرْضَ الْقُدْسِ لِلْبَغْيِ مَغْنَمًا
أَتَبَاعَ (طه والمسيح بن مريم)
أَنْتَرِكَ لِلصَّهْيُونِ (قُدْسًا) مُحَرَّمًا

و(سُبْحَانَ مَنْ أَسْرَى) .. نَسِيْتُمْ نَزْوَلَهَا
نَسِيْتُمْ «حَبِيبًا» مِنْهُ صَلَّى وَسَلَّمَا؟!
نَسِيْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ وَالرُّسُلَ خَلْفَهُ
يُحْيُونَ مَنْ أَضْحَى الْأَمَامَ الْمَكْرَمَا

بَنَى الْعَرَبِ .. دِينَ الْعَرَبِ بَذْلًا وَعِزَّةً
وَكُلُّ ذَايِلٍ لَا أَسْمِيَهُ مُسْلِمًا
لَقَدْ سَلَّمَ اللَّهُ الرَّئِيسَ وَثَوْرَةً

سَنِيْنِي بِهَا لِلدِّينِ مَجْدًا مُعْظَمًا
كَذَلِكَ نَبِيٍّ مَجْدَنَا رَغْمَ أَنْفِهِمْ
أَلَسْنَا بِنَاةَ الْمَجْدِ عَهْدًا تَقْدَمَا

نُؤَجِّجُ مَا قَدْ أَوْقَدُوا مِنْ سَعِيرِهَا
سُتَدْخِلُهُمْ قَبْلَ الْأَوَانِ جَهَنَّمَا
تُرَاكِمُ نَسِيْتُمْ مَا قَضَى اللَّهُ فِيهِمُو

تُرَاكِمُ نَسِيْتُمْ ... آيَةَ اللَّهِ (كَلَمًا)
أَلَا إِنَّهُمْ قَدْ حَانَ مِيعَادُ جَيْزِهِمْ

(بعثنا عليكم) واسألوا الذِّكْرَ مُحْكَمًا!

فِيانْقَمَةُ اللَّهِ الْعَزِيزِ تَنْزَلِي

لَتُفْنِيَهُمُوا الطَّيْرُ الْأَبَابِيلُ حَوْمًا
فَمَا شَأْنُهُمْ إِلَّا .. « كَابِرُهُ » عدا

على البيت ... عَزَّ الْبَيْتُ وَالْقُدْسُ وَالْحِمَا
أَبَا الثَّوْرَةِ الْكُبْرَى .. أَبَا « خَالِد » أَرَى
بَيَانًا قَرَأْنَا الْأَمْسَ دَرْسًا مُعَلِّمًا

وَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْسَى مَرَارَةَ أَمْسِهِ
سَنَذْكُرُهُ وَاللَّهُ أَنَّى وَحَيْثَا ...

لَقَدْ أَهْمَمْتُ فِي الْحَرْبِ غَدْرًا وَخِيَسَةً
جُيُوشٍ وَتَدْبِيرٍ أَعْلَوْهُ قَبْلَمَا
مِحَالُهُمُو مَهْمَا أَعْلَوْهُ زَائِلٌ

وَكَانَ مِحَالُ اللَّهِ أَقْوَى وَأَحْكَمًا
سَلُّونَا نُجِيبْكُمْ .. إِنْ تَعُودُوا نَعُدُّ لَكُمْ
وَذَلِكَ وَعْدٌ كَانَ مِنْ قَبْلُ مُبَرَّمًا
إِجَابَتُنَا يَا شَعْبَ « إِيْلَات » هَكَذَا

نُبِيدُ مِنْ اسْتَعْدَى عَلَيْنَا وَأَقْدَمَا
إِجَابَتُنَا يَا أُمَّةَ الْعِجْلِ هَكَذَا
نُبِيدُ الَّذِي لِلنَّارِ أَذْكَى وَأَضْرَمَا
سَلُّوا أَسَدًا أَوْ غَمْرًا ... مَاذَا أَجَبْتُمَا

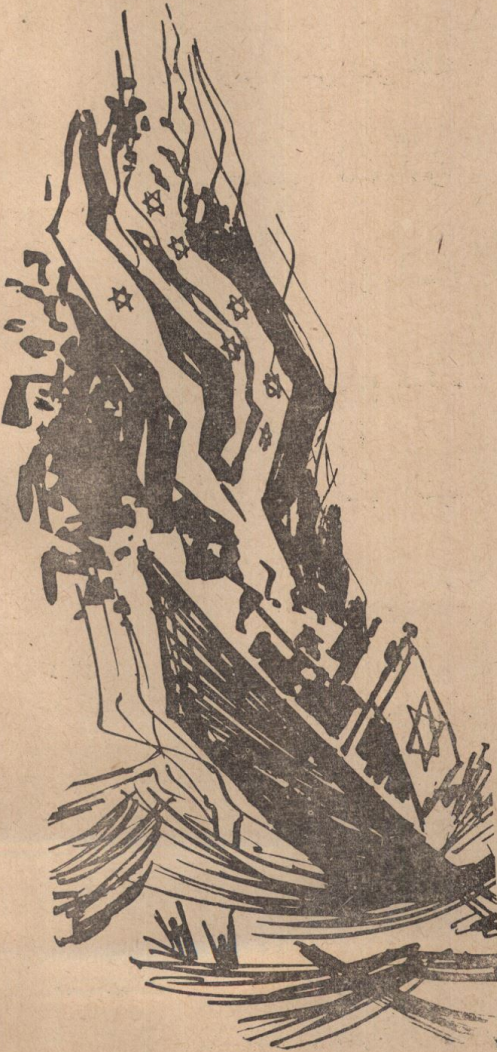
وَقَدْ زَحَفَتْ « إِيْلَات » تَبْغِي التَّقَحُّمًا
سَتَسْمَعُ شَيْئًا أَتْلُجَ الصَّادِرَ وَقَعُهُ

لَقَدْ أَصْبَحَتْ « إِيْلَات » لِلْبَحْرِ مَطْعَمًا

حَلَفْتُ ... سَنَأْتِي الْقُدْسَ نَحْمُوظِلَامَهُ

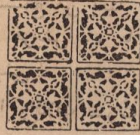
وَنَطْرُدُ إِجْرَامًا وَجُرْمًا وَمُجْرَمًا
سَنَرْجِعُ شَعْبَ الْيَتِيمِ لِلْيَتِيمِ ثَانِيًا

وَنَمْحَقُ إِفْسَادًا عَلَى الطُّهْرِ أَفْحَمًا
حَلَفْتُ بِوَعْدِ اللَّهِ فِي آيِ ذِكْرِهِ
بَيَانًا سَنَأْتِي الْقُدْسَ وَعَدَا مُحْتَمًا



المنظر الأول

« نفر من قريش يجلسون بدار الندوة
يتسامرون ويتحدثون ! »



مالك : (متسائلاً) لم تأتكم أنباء يا عامر
الحضرمي عما أصاب تجارتنا في
الشام ؟ .

عامر : (في ذعر) ماذا أصابها يا مالك بن
جشم ؟ .

مالك : لا أدري .. إلا أنه مضى عليها عام
كامل .. لا تعرف من أمر تجارتنا
شيئاً .. وإن قلبي يخدثني أنه قد
مسخها ضر .

عامر : مسخها ضر .. واللات والعزى إن هذا
لهو البلاء الذي ليس بعده بلاء .

مالك : لقد ساهمت قريش حتى النساء
والأطفال بكل ما يملكون في هذه
التجارة أملاً في الربح .. فكيف بنا
لو ذهب المال ؟ .

عامر : (متأثلاً) تجوع قريش .. ويصبح
سأدها وعبيدها سواء بسواء ..
ولكن ..

مالك : (متلهفاً) ولكن ماذا يا عامر ؟ .

عامر : لا تنسى أن على رأس تجارتنا أباسفيان
.. وإنك لتعلم من أمره ما تعلم ..
فهو حريص كل الحرص .. شجاع لا
يهاب اللصوص وقطاع الطرق ..

مالك : حقا إنه أكثرنا ذهاء وشجاعة .. وفي
ذلك ليقا .. مكنته أن يحيل التراب ذهباً .. وما
خرج لنا في تجارة إلا واعد بربح وافر
.. إلا أنه لم يكن ليطأ علينا في
العودة .. كما أبطأ هذه المرة .

عامر : عل له عذرا .. وعما قريب سنتبينه .

مالك : ألا تسمع يا عامر ؟

من وحي القرآن

بداية النهاية

مسرحية إسلامية في ثلاثة منظرين

الأستاذ عبد الحميد غريب



عامر : لا اسمع شيئا .

مالك : صوت هناك يستفيث .

(يسمع من بعيد صوت يصرخ .. يا آل قريش .. يا آل مكة .. يا آل قريش) .

هذا واللات صوت ضمضم الفقارى .

عامر : (مندهشا) ضمضم الفقارى .. انه واحد ممن كانوا مع أبى سفيان فى تجارتنا .

(يقترب صوت ضمضم رويدا .. رويدا وهو يردد اللطيمة .. اللطيمة .. الفوث .. الفوث) .

عامر : يا للهول .. أى نبأ يحمله هذا الرجل ؟
.. لقد ركب بعيره من خلاف .. وقطع أذنيه .. وجدع أنفه .. وشقق قميصه من قبل ومن دبر .

مالك : انه يتجه ناحيتنا .. وحوله جمع من قريش ..

عامر : ما بك يا ضمضم ؟ .

ضمضم : (صائحا) أموالكم أيها القرشيون ؟ .

مالك : ماذا أصابها ؟ .

ضمضم : سلبها محمد وأصحابه .

عامر :

مالك :

(يرددان معا فى انزعاج) سلبها محمد وأصحابه .

ضمضم (بصوت خطابى) عدنا من الشام وقد ربحنا تجارتنا ربنا لم نعهده من قبل .. وبينما نحن فى الطريق الى مكة .. اذ بمحمد وأصحابه يقطعون علينا الطريق .. ويهاجمون القافلة .. فأمرنى أبو سفيان أن استصرخكم .. فجيئتم مسرعا لتنقذوا أموالكم أن اردتموها .. أو دعوها لمحمد أن خفتم الموت .. وآثرتم الحياة .

أبو جهل : (متهكما) ها .. ها .. ومتى كانت قريش تخاف الموت وتؤثر الحياة ؟ .. لن نسكت على محمد .. ولنحطمنه

وحق الالهة .. ولنجعلله اضحوة
العرب اجمعين .. فما كانت قريش
تسكت على الضيم .. ولو كان فى
هذا فناؤها وهلاكها .

قريش : (صائحة) ما الذى تشير به يا ابا
الحكم ؟

ابو جهل : السيف .. ولا شئ غير السيف ..
انه خير ما تؤدب به محمدا .. ونرد
لقريش شرفها وأموالها .. ونحفظ لها
عزتها وكرامتها .

امية : اتريدها حربا يا ابا جهل ؟

ابو جهل : وماذا تريدها يا امية بن خلف ؟ ..
اتريد منا مسالة محمد بعد ان استهان
بنا .. واستمرأ أموالنا .. وصبا عن
ديننا .. وفرق بيننا وبين نساءنا ..
وجعل من العيد أندادا لنا .. ومشى
بالوقعة بيننا .

امية : تمهل يا ابا جهل .. ولا تجعل
الفضب يدفعك الى خوض غمار حرب
قد يكون فيها فناء قريش .

ابو جهل : (منفلا) خير لنا واللات والعزى ان
تقنى قريش عن بكرة ابينا من أن تحيا
حياة الذل والعبودية (يسترد هدوءه
وفى تهكم) هل اتبعت محمدا يا امية ؟
.. وصبا عن ديننا .. واصبحت
عينا لمحمد علينا .. فأخذت تنفث
سموم الهزيمة فى صفوفنا .. وتقت
فى عضدنا .. وتصرفنا عن طلب الثار
لأموالنا .. وأرواحنا وديننا .

امية : (منفلا) كلا واللات ما اتبعت محمدا
.. وانما أردت أن أبصر قومي بما يحق
بهم فيما لو قاتلوا محمدا .

ابو جهل : (مستكرا) قاتلوا محمدا .. وهل
بلغ محمد وصحابته من القوة ما يجعلنا
نحجم عن قتالهم .. ونخشى من مقارعة
السيف بالسيف أملا فى حياة مليئة
بالذلة والعبودية والعار .

امية : ما الى هذا قصدت يا ابا جهل ..
انما .

ابو جهل : (مقاطعا فى غضب) انما ماذا ؟ .



أمية : بيننا وبين كثانة ثارا توارثناه على مر
السنين .. لا تكاد تنتهى بيننا حرب
حتى تبدأ حرب أخرى .. فما بالكم
عندما تخرجون لقتال محمد ..
وتتركون نساءكم وأطفالكم وأموالكم ..
عندئذ يخلو الجو لكثانة .. فتثار
لنفسها .. وتسلب أموالكم وتنتهك
حراماتكم .. وتجلبكم عن مكة الى
الصحارى والجبال .

قريش : صدقت يا أمية .. صدقت يا أمية .
أمية : أرى قبل أن نخرج لقتال محمد ..
نؤمن ظهورنا .. ها هو مالك بن جشعم
بيننا .. عاهدوه على أن يرعى الذمار
.. ولا يطعننا وقومنا من الخلف .

مالك : عاهدكم واللوات والعزى ألا آتيكم بشيء
تكرهونه .. وأن أكون من نساكنكم
وأموالكم الحارس الأمين .. بل ساكون
وقومى عوناً لكم فى قتال محمد .. فان
لى فى تجارتكم أموالاً وعيراً .

قريش : (مهللة) بوركت يا مالك .. بوركت
يا مالك .

أبو جهل : أهدأت بالآيا ابن خلف ؟

أمية : نعم .. الا انى سأخلفكم هنا فى مكة
.. فأننى كما ترون شيخ بدين ..
وتقدم بى العمر .. والقيظ شديد
.. لا أحتمله .. ويعوقنى عن القتال .

أبو جهل : (ساخراً) ها .. ها .. لقد ظهر لنا
الآن ما كنت تخفى يا ابن خلف ..
وانك كنت تتلاعب بنا لأنك تخاف الحرب
ثم لما اجمعت قريش امرها على حرب
محمد .. جنبت .. وتمنعت عن
القتال .. وتركت عيرك وأموالك ينهاها
محمد .. فأى عار سيلطخ رأسك
الأشيب بين العرب ايها العجوز .

عقبية : واللوات ان أمية أصبح والنساء سواء
بسواء .. من حقه علينا أن نساويهن ..
هاك يا أمية المبخرة .. فاستجمر بها
كما تستجمر الفوانى .

قريش : (تضحك فى سخريه) ها .. ها ..
أبو جهل : لاتنس يا عقبية بن مريض أن تاتيه
بالمكحلة والمروى ليكتحل .. ويتزين زينة
النساء .. عله يروق فى نظرى فاتخذة
زوجة لى .

قريش : ها .. ها ..

أمية : (غاضباً) كف عن سخرياتك يا عقبية
.. وانت يا أبا جهل كفك سباً .. ما
كان أمية جباناً أو رعديداً .. انى واللوات
حرب على محمد وأصحابه .

أبو جهل : (يصيح) يا آل قريش .. الان وقد
تمت لكم الكلمة على قتال محمد ومن
اتبعه .. فلا يتخلفن منكم متخلف ..
ولا يقعدن بكم حب الحياة على القتال
.. لئن نصرتمكم الآلهة على هذا الرجل
.. ثأرتم لدينكم ولانفسكم ولأموالكم
.. ومحوتهم هذا الدين الذى جاءنا به
محمد .

قريش : (صاحبة) الويل لمحمد .. الويل
لمحمد ..

أبو جهل : هيا اعدوا عدتكم .. وتجهزوا بكل
ما تملكون من سلاح ومن عتاد ..
فالمعركة معركة حياة أو موت .. ولن
نعود من قتال محمد حتى نتصر أو
نهلك جميعاً .

قريش : (تنصرف لتتهياً للقتال) .

المنظر الثانى

خيام متناثرة فى الصحراء .. وجمع من
المسلمين يجلسون أمام الخيام يتحدثون .. بلال
يخرج من خيمة رسول الله ويتجه ناحيتهم فيفسحون
له مكاناً بينهم .



زيد : علام استقر رأى رسول الله يا بلال بعدما
علم أن أبا سفيان اتخذ طريقاً الى مكة
غير هذا الطريق الذى تربصنا له فيه ؟

بلال : كاد يؤذن فينا بالعودة الى يثرب ..
الا انه علم أن قريشاً عندما عرفت ان
تجارتها فى خطر .. خرجت عن بكرة
أبيها لتحمى عيرها .. وهى الآن فى
الطريق اليها .

زيد: انها والله للحرب بيننا وبين قريش .

المسلمون: (يصيحون) ونحن لها والله .

بلال: كم كان رائعا المقداد بن عمر عندما وقف بين يدي النبي وقال يا رسول الله امض لما اراك الله ونحن معك .. والله لا نقول كما قال بنو اسرائيل لموسى : اذهب انت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون .. ولكن اذهب انت وربك فقاتلا .. انا معكما مقاتلون .

زيد: وما كان جواب النبي ؟

بلال: التفت الى الانصار وقال لهم اشيروا ايها الناس .. فوقف سعد بن معاذ وقال كانك والله تريد رائينا يا رسول الله فكان جواب النبي بلى .. فقال ابن معاذ لقد آمنا بك وصدقناك .. وشهدنا ان ما جئت به هو الحق .. واعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة .. والذي بعثك بالحق .. لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك .. وما تخلف منا رجل واحد .. وما نكره ان تلقى بنا عدونا غدا .. انا لصبر في الحروب .. صدق في اللقاء .. لعل الله يريك منا ما تقر به عينك .. فسر بنا على بركة الله .

المسلمون: (يهللون) يا للانصار .. يا للانصار .

بلال: وكان وجه النبي وهو يستمع الى سعد بن معاذ يبدو عليه اشراقة المسرة .. ثم اطرق برأسه قليلا .. ثم رفعها وتلا علينا « اذ يعدكم الله احدي الطائفتين انها لكم .. وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم .. ويريد الله ان يحق الحق بكلماته .. ويقطع دابر الكافرين » .

المسلمون: (يصيحون) اللهم نصرك .. اللهم نصرك .

زيد: وهل عرفتم عدد المشركين ؟

بلال: لقد بعث رسول الله بعلى بن ابي طالب الى بدر ليرصدهم ويعرف عددهم وعدتهم .. وقد عاد ومعه غلامين .. فسألهما النبي عن عدد المشركين ولما لم يستطيعا الجواب .. سألهما كم ينحرون في اليوم قالا يوما ينحرون

تسعا من الابل ويوما عشرا .. فعرف رسول الله ان عددهم بين التسعمائة والالف فارس لان البعير كما تعلمون يكفى مائة نفر في اليوم .

زيد: (كالمخاطب نفسه) يا لله .. المشركون في الف فارس .. ونحن لا نعدو الثلاثمائة .. (يخاطب بلال) ترى هل عرفتم كم عدد خيلهم وعيرهم ؟

بلال: مائة فرس اما عيرهم فلا تعد ولا تحصى .

زيد: لنا الله يا بلال .. فكل ما نملكه فرسين وسبعين بعيرا .

بلال: لا يهم يا زيد كم يبلغ عدد المشركين ؟ .. وكم يملكون من أسلحة وعتاد ؟ .. ما دامت قلوبنا عامرة بالايمان .. فالايمان لا يعدله سلاح .. ولا يفليه غالب .. والحق دائما ينتصر .. مهما تكالبت عليه قوى البغي والشر والعدوان .. ولقد دعا لنا رسول الله فقال « اللهم انهم حفاة فاحملهم .. اللهم انهم عراة فاكسهم .. اللهم انهم جياع فاشبعهم .. سيروا وابشروا فان الله وعدني احدي الطائفتين .. والله لكانى الان انظر الى مصارع القوم » .

صوت: (ينادى) ايها الانصار .. ايها المهاجرون .. الرسول يأمركم بالتجهز للرحيل الى بدر للملاقاة عدو الله .. وعدوكم .

المنظر الثالث

((ابار بدر .. وحولها خيام متناثرة .. وخلفها كتبان متناثرة !!)) .



بلال: اراك حزينا على غير عادتك يا ابا لبابة؟
ابو لبابة: احزننى انى ركبت .. وسار النبي على قدميه .

بلال: كيف سولت لك نفسك هذا الذى صنعت ؟ ..



ابو لبابة : والله ما كان أحب الى من ان احمل
النبي على ظهري .. لكنه هو الذى
أمرنى بالركوب لأن العير التى معنا كما
تعلم لا تكفى كثرتنا .. فاخص كل ثلاثة
منا ببعير نركبه .

بلال : النبي وانت .. ومن ثالثكما ؟
ابو لبابة : على بن أبى طالب .. ولقد حاولت
وعلى أن تخلنى عن البعير لرسول الله
ولكنه قال « ما أنتما بأقوى منى على
المشى .. وما أنا أغنى عن الأجر منكما »
.. فرضخنا لمشيئته على كره منا .

بلال : حقا لقد قال عنه رب العالمين وانك
لعلى خلق عظيم .

ابو لبابة : وما الذى دعا النبي لأن نتقل من
مكاننا الذى نزلنا به أولا الى هذا
المكان ؟

بلال : جاءه الحباب بن المنذر وقال له يا
رسول الله .. أرايت هذا المنزل ..
أمنزلا أنزلك الله .. فليس لنا أن نتقدمه
ولا نتأخر عنه .. أم هو الراى والحرب
والمكيدة ؟ فقال النبي بل هو الراى
والحرب والمكيدة .. فما كان من
الحباب الا ان قال .. يا رسول الله
.. انهض بالناس حتى تأتى ادى ماء
من القوم .. فننزل .. ثم نبني عليه
حوضاً .. فنملؤه ماء .. ثم نقاتل
القوم .. فنشرب ولا يشربون .

ابو لبابة : وما كان جواب النبي ؟

بلال : قال لقد اشرت بالراى يا حباب بن
المنذر .. ما أنا الا بشر مثلكم .. وان
الراى والشورى بيننا .. وانى لا أقطع
برأى دونكم .

ابو لبابة : يا له من نبي كريم جعل الأمر شورى
بيننا .

بلال : كما أشار عليه سعد بن معاذ بأن نبني
له عريشا يشرف منه على القتال ..
فاذا نصرنا الله على المشركين كان خيرا
لنا .. واذا هزمنا عاد النبي الى من
تركناهم فى المدينة ليتم رسالته .

ابو لبابة : (يضحك) ها هم أولاء أشرف قريش
يصعدون الكتيب .. وفرسانهم ينثرون
فى الوادى .

بلال : (صائحا) ايها المسلمون .. جاءكم عدو الله يخيله ورجله .. فاستعدوا لملاقاته .. وان ينصرمكم الله فلا غالب لكم ..
(يخرج المسلمون من خيامهم وقد امتشقوا السلاح والتبال تهيأ للقتال)

ابو جهل : (ينظر الى جيش المسلمين ويخاطب من حوله) لا ارى المسلمين يزيد عددهم عن الثلاثماية ونحن ثلاثة امثالهم او يزيد .. ولا اظن ان المعركة ستطول بيننا .. سنغنيهم وحق اللات عن آخرهم .

عتبة : لا ارى ما تراه يا ابا جهل .. محمد واتباعه ان كانوا قلة .. الا انهم قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ الا سيوفهم .. فلا يموت منهم رجل قبل ان يقتل منا رجلا مثله .. وأخشى وقد خرجت قريش كلها تقاتل محمدا .. ان يقتل المسلمون الصفوة من قريش .. فلا تبقى بعد ذلك مكة مكانتها وعزتها وسطوتها .. ثم ان ابا سفيان استطاع ان ينجو بالعير ويعود بها سالمة الى مكة .

ابو جهل : ما الذي ترمى اليه من هذا القول يا عتبة ؟ .

عتبة : خرجنا لندفع المسلمين عن غيرنا واموالنا .. وها هي قد نجت .. وارى ان نرجع فلا حاجة بنا للقتال محمد .

ابو جهل : (فى غضب) ما هذا الذى تقوله ايها الشيخ ؟ واللات والعزى لن نرجع حتى نقض على محمد واصحابه .. وننحر الابل .. ونطعم الجياع .. ونسبل الخمر .. ونضرب الدفوف .. وتعزف القيان .. وتعرف العرب جميعها بانتصارنا .. فنظل فى هيبة ومنعة مدى الحياة .

ابوسفيان : (يصيح فى قريش) هيا احملوا على محمد يا فرسان قريش .

بلال : (صائحا) ايها المسلمون اجمعوا شعاركم احد .. احد ..

المسلمون : (يرددون) احد .. احد ..
يلتحم الجيشان .. وتتصاعد الاهات .. وتتساقط القتلى والجرحى) .

ابو لبابة : (يصيح) يا قوم ان رسول الله يستقبل القبلة .. ويبتهل الى الله ويقول « اللهم هذه قريش قد اتت بخيلائها تحاول ان تكذب رسولك .. اللهم فنصرك الذى وعدتني .. اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد » .

المسلمون : (يستميتون) فى القتال وهم يتصايحون احد .. احد) .

بلال : (يصيح) شدوا على الكفار ايها المسلمون فان محمدا يقول « والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقيلا غير مدير الا ادخله الله الجنة » .

المسلمون : (يهللون) الله اكبر .. الله اكبر ..
ابو لبابة : ايها الأنصار .. ايها المهاجرون .. لقد نزل الوحي على رسول الله حيث تلا عليه كلمات رب العزة والجلال « يا ايها النبى حرض المؤمنين على القتال .. ان يكن منهم عشرون صابرون يلقبوا مائتين .. وان يكن منكم مائة يلقبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون » .

بلال : (يضيّق الخناق على أمية بن خلف) وقعت فى يدى يا عدو الله .. خذ هذه الطعنة .

أمية : (فى ألم) آه يا عبد السوء لقد أصبنتى فى ذراعى وساقى (يسقط على الأرض) .

بلال : (يقف على رأسه) نسيت يا عدو الله وأنت تعذبني فى شعاب مكة .. والله لأطهرن الأرض من شرورك وكفرِكَ وطغيانك .

أمية : (فى توسل) دعنى يا بلال .. وخذ من مالى ما شئت .

بلال : لو أعطيتنى ما فى الأرض جميعا .. لما نجوت من يدى .. خذ الطعنة القاتلة ..

امية : يسقط قتيلاً ١٥

بسالل : (مهلاً) الحمد لله . لقد مات أسير
الكفر والضلال . أحد . . أحد .
معاذ بن عمرو : (يلتقي بأبي جهل وجهها لوجه)
ها قد وقعت فى يدى يا عدو الله .
أبو جهل : (ساخراً) من أرى معاذ بن عمرو
الطفل الذى صبأ عن ديننا . . وعادى
قومه . . وخرج على أجمعهم .
معاذ : لقد أسلمت وجهى لله ولرسوله أبها
الكافر اللعين .

أبو جهل : انتطاول على سيدك يا ابن اللثام .
معاذ : والله لأريحن العالم من كفرك وجبروتك
.. خذ أيها اللعين .

أبو جهل : آه قتلتنى (يسقط الى الأرض) .
معاذ : أرايت أيها الكافر بما أخذك الله ؟ .
أبو جهل : (بصوت محشرج) لا أرى شيئاً إلا
أنك قتلتنى . . وليس من العار أن
أقتل فى حرب .

معاذ : لكنها حرب بين الأيمان والكفر . .
وبين الحق والظلم . . وبين القدر
والظلام .

أبو جهل : لن يذهب دمي هدرًا . . ستثار لى
قريش .

معاذ : (فى سخرية) تثار لك قريش . . ها
.. ها . . لقد أبدنا الله بنصره رغم
قتلتنا وكثرتكم . . وها هى رؤوس أشراف
مكة تتطاير فى الهواء . . انظر ها هى
رؤوس أمية بن خلف وحنظلة بن أبى
ربيعه وعبيدة بن الصاص ونوفل بن
خويلد وعتبة بن ربيعة وأخوه شيبه
وابنه الوليد وغيرهم . . أما من بقى
من قريش حيا فقد فر منهم من فر
.. وأسر منهم من أسر .

أبو جهل : انها الحرب يومك ويوم عليك .

معاذ : كأنى بك لم تمت عدو الله . . خذ
الطعنة القاتلة .

أبو جهل : (فى حشجة الموت) آه . . آه . .
لقد انتصرت يا محمد .

ختم



قيل

خديجة

أول المسلمات

الساعة رومية القليش

رسولَ الله أسلمتُ اقتناعا

وكانت قبلُ دنيانا ضياعا

نبي العالمين إليك روحي

وما مُلكتُ في الدنيا متاعا

فما أَحَبَّبتُ غيرَكَ روحِ صدقي

فأنتَ أَحَبُّ مَنْ أَهْوَى طباعا

وقال الناسُ عنكَ وكم أَطالوا

أَمِينٌ إِذْ شَرَى يوماً وباعا

ورحمتَ الشامَ تسعى لي بصدق

فعدتَ بخيرٍ ما للعينِ راعا

وقد عَلِمْتَ نَفْسِيَّةً ما بقلبي

عن السرِّ الذي أَطوى التباعا

فراحتَ تنقُلُ الأَخْبَارَ شدوا

فرنَّ صداهُ في قومي وشاعا

فلما جئتنِي زوجا وفيا

شهدتُ النورَ يجتازُ البقاعا

وطرْتُ إلى السماءِ بلا جناح

وكدتُ من الرضا أَرَقِي اليفاعا

أبا كلثوم إنك هَدَيْتَ روحي

فمُرَّ تَجَدَّ القلوبُ هوىَ مطاعا

وهل أنسى رجوعَكَ من حراء

تجدد ثني حديث المسك ضاعا

وقلتَ بلهفةٍ لي دثريني

وأرسلتَ الخطي نحوى سراعا

فضمتكَ الجوانحُ في التبايع

فقد أَحسستُ ليلتها الصراعا

ونفسي حدثتني وحي صدق

بأنكَ للسها طرْتَ ارتفاعا

وروحي هدهدتك على يقين

ومدَّتْ بالحنانِ لك الذراع

وتهتُ على نساءِ الأرضِ جمعا

أنا للحقِ أَوَّلُ مَنْ أَطاعا

فكم حُمِلتَ في الحقِ المنايا

لو ان الصخرَ حُمِلَ ما استطاعا

فلم تيبَّاسَ بليلٍ أو نهارٍ

وعشتَ لمبدأ الحقِ انقطاعا

وكم أَغْرَوَكَ بالدنيا جميعا

وكان حديثهم أبدا حذاعا

فلم تقبلُ كنوزَ الأرضِ نبلا

وقدمتَ الحياةَ لهم دفاعا

وعشنا بعدَ أوثانٍ ضعاف

بقوَّةِ ديننا قلبا شجاعا

توحدتِ القلوبُ على إله

وكانت قبلُ قد طارت شعاعا



وبه ابتداء فريضة الحج التي
طوباك يا من نلتها طوباك
يوم الجوائز للألى صاموا ومن
تلك الجوائز غفره أخطاكا
فازدر به أهلا وأحبابا ومن
تسطيع من يشتهي مرآكا
وتهللن وحى ربّ تحية
يأتّم أو بنظير ما حياكا
أوإذا التقى من أسلما وتصافحا
أولاهما غفرانه مولاكا
وإذا استطعت به زيارة ذى القلى
فافعل يبدل بالگرام قلاكا
كم زورة جلبت هوى وتحية
جعلت فؤاد أنخى القلى بواكا
واكتب لمن ينالون عنك مهنشا
واعجل بتهنئة الذى هناكا
واحذر به مالا يلبق وأحسن
ما استطعت فيه وصافحن أعداكا
لا تكسرنّ خواطر البؤساء من
بذخ به واعطف على بؤساكا
سرّ الحزين به ، وسامح من أسا
وأغن ذوى حاج ، وأبد صفاكا
واطعم به واشرب على حذر فكم
قد ألهمت من بطنه أحشاكا
وتمتعن بالطيبات بحكمة
واشكر مبيحك ما بئس حماكا

وإذا انتهى فأقم عشية عيده
شكرا لمن فى صومه قواكا
والله يحيى قلب محيها ومن
يغفل فقل يارب ما أعفاكا
وحذار تنكث بعده فتجى ما
قد كنت تأنى قبله إياكا
بل فاستمر على الذى عودته
واجهد لتهدى سبل من سواكا
وإذا حرمت به الصفات حميدة
أو لم تدمها كنت ما أغباكا
لادر درك لم تفدها أو تفد
دون الثبات فجاهدن فعساكا
لادر درك لم تفد غفرانه
أوضاع ما ربحت به كفاكا
تالله ما يوم أحق بأن يرى
عيدا كيوم الفطر بعد طواكا
يوم تلا ربع الحنيفة كله
أفليس أهلا أن يكون كذاكا ؟

عاشق الأرض

الشاعر فاروق عبد الرحمن



يا جبيننا فاخر الدرّ بحبات العرق
تحت لفح الشمس وضاء الرضا زاهي الألق
ومحيا شاع فيه الجد والعزم صدق
سمرة توحى بما يوحي به ضوء الفلق
كلما شمت ممت منه أكبرت الخلق
عشق الأرض فأعطته صباها منذ عشق
وجزته الخير عن جهد وللمجهود حق
كادح والكدح لا يشقى ولكن قد يشق
كم رعاها وطوى التربة في حرث وشق
وصفاها الماء حبا من رضا القلب اندفق
يومه من مطلع الفجر إلى وقت الغسق
كلما أورد عاد يونس في حياض اللورق
وإذا خضر أمانيه عراض كالأفق
أمنيات حققتها ثورة النور انبثق
عاشق الأرض ملكة الأرض خيرات فذق

لم تعد فيها أسيرا
تزرع التبر حريرا
وجنى الحقل حرام
سامك الأقطاع قسرا
ربقة الظلم والاستغلا
باطل كان فلما
وظلام أشرق النو
سرق القوت فرد
وقضى توزيعه بالعدل
عادت الأرض وعدت
وتغنى الزرع والأزها
وحدا المنجل في كفه
أيها الفلاح يا أسما
لك في عيدك حب

وأجيرا
وذلك الثوب الخلق
غير ما سد الرق
ربقة حول العنق
ل شحقا للربق
جاءه الحق زهق
ر عليه فمحق
الله منه ما سرق
فيمن يستحق
السيد الأولى الآحق
ر ضاعت بالعبق
لك هيا ننطلق
من فم الخلد نطق
وتحيات ترق

١ - في مقال سابق رأينا كيف تأمر اليهود على السيد المسيح - عليه السلام - وكيف أن الأناجيل تشهد بأن أيديهم ملطخة بدمه الطاهر وبدم غيره من الأنبياء والمرسلين ، وان عليهم الاتم واللعة وعلى أولادهم ، بهذا يؤمن المسيحيون وبهذا تقول أناجيلهم .

٢ - وفي مقال قال تعرضنا لمؤامرة اليهود على محمد - رسول الله صلى الله عليه وسلم - المرة بعد الأخرى ، حين ذهب اليهم في ديار بنى النضير يستعينهم في دية قتيلين قتلوا خطأ للحلف الذي بينه وبينهم ، فأظهروا الود والاستعداد ، وأبطنوا الغدر والخيانة ، ووطنوا فرصة سانحة أن جاءهم محمد الى ديارهم ، ووطنوا أن الفرصة قد أمكنتهم منه ، وأجمعوا أمرهم ، ومكروا مكرم ، وهموا بما لم ينالوا ، ولا يحيق المكر السيء الا بأهله ، (وان ربك بالمرصاد) ، (والله من ورائهم محيط) (لا تأخذهم سنة ولا نوم) ٠٠ (ووطنوا انهم ما نعتهم حصونهم من الله فأنهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ، فأعتبروا يا أولي الأبصار . ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار) سورة الحشر ٥٩ : ٢ - ٣ .

وحين أعدت اليه صلى الله عليه وسلم امرأة يهودية ذراع شاة فأكثرت فيها من السم ، وكان من

سنته وأخلاقه الكريمة أن يلبو الدعوة وأن يقبل الهدية تطبيقاً للنفوس وجعماً للقلوب ومودة للجميع ، وكان معه أحد أصحابه بشر بن البراء بن معرور فأكل من الذراع ، وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها ثم قال (ان هذا العظم ليخبرني انه مسموم) ومات بشر ، واعترفت المرأة بما فعلت ، ومع ذلك فقد عفا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٣ - والذي يتتبع ما ورد في العهد القديم والعهد الجديد يجد تاريخ اليهود مليئاً بالمؤامرات الدينية على حملة الرسائل السماوية وأصحاب الدعوات الانسانية الاصلاحية واستجمعوا وصف الله لهم واستحقوا لعنته عليهم (ان الذين يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيين بغير حق ، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعباب آليم) سورة آل عمران ٣ : ٢١ - وفي هذا المقال كشف عن مؤامرة يهودية أخرى من سلسلة مؤامراتهم ضد أصحاب الرسائل والدعوات . وهي المؤامرة اليهودية الكبرى على الدولة الاسلامية ، التي بدأت أولى حلقاتها باغتيال رئيسها العادل العظيم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - ولقد ساعد الجو السياسى وطبيعة المجتمع الاسلامى المتسامح على نجاح هذه المؤامرة الخطيرة ٠٠ فالجوى السياسى يعكس أثر الفتوحات الاسلامية التى تتابعت ، والعروش

الخطير

الصهيوني

على الحضارة

الإنسانية

مؤامرة اغتيال أمير المؤمنين

عمر بن الخطاب

وراءها اليهود

الاستاذة

عائشة بنت

الكبرى التي تهاوت ، وفى بداية القرن السابع الميلادى تسقط البولتان العظيمتان اللتان تتنازعان السيادة على العالم ، دولتا الفرس والروم ، فتسقط واحدة بعد أخرى . وأما عن طبيعة المجتمع الإسلامى وأخلاقه فهو مجتمع يؤمن بالبر والعدل والرحمة « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيمسا واسيرا » ، ويؤتى بأسرى الحرب إلى المدينة فيعيشون فى ظل هذا المجتمع التسامح المتراحم ، لكن ليس كل الناس يقابل الاحسان بالعرفان ، فمنهم من يمالأ الحقد قلبه ويعمى بصره ويصم أذنه فلا يعرف الا طريق الغدر والخسة ، وأمثال هؤلاء يبقوا بعضهم إلى بعض ، وقد ذكر الطبرى عن ابن الهرمزان فى قصة قتل أبيه (وسنعود إلى الحديث عن الهرمزان بعد قليل) قال (كانت العجم بالمدينة يستروح بعضها إلى بعض) قسم رابطة تجمعهم ، وما يجمعهم الا حقدهم على الاسلام الذى شل عروشهم ، وما يريد الاسلام بهم الا خيرا ، يريد الله بهم اليسر ولا يريد بهم العسر :

أريد حياته ويريد قتلـ

عذيرك من خليك من مراد

٤ - شهد العالم فى أواخر

القرن السادس وبداية القرن السابع الميلادى صراعا عنيفا وحروبا مدمرة بين دولتى الفرس والروم . يقول عنه المؤرخ هـ.ج. ويلز (لقد اشتبكت بيزنطة وفارس

فى حربهما الأخيرة ولكن قل من الناس من كان يحلم آنذاك بتلك العاصفة التى كانت تتجمع فى نفس الحين فوق أراضى الصحراء لتنفذ إلى الأبد على ذلك الكفاح المزمع الذى لا هدف له) « موجز تاريخ العالم » ص ١٩٥ ، والذى يريد ويلز بقوله ، ان ظهور الدعوة والدولة الاسلامية هو الذى وضع حدا لتلك الحروب الممرة التى لا غاية لها الا السيطرة على العالم ، فأتت بينيان الدولتين الكبيرتين بيزنطة وفارس من القواعد . وكان من بين بلاد فارس التى سقطت فى أيدي المسلمين (الأهواز) وكان الهرمزان ملكا عليها وهو من سادات فارس وعظماؤها ، وكان يغير على ما يبد المسلمين ، فلما اندحر أمام الجيش الإسلامى كاتب المسلمين فى الصلح فضالحوه على الأهواز كلها ، لكنه نقض هذا الصلح واستعان بالأكراد على حرب المسلمين ، ولحقته الهزيمة أيضا فى المرة الثانية وراسل المسلمين فى الصلح لما أحاطت به الهزيمة من كل مكان فأجابوه إلى الصلح على ما لم يفتحوه عنوة . ومع هذا النكت للعهد والانتقاص من جانب الهرمزان تحينا لكل فرصة للصد عن سبيل الله ، نجد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يتخوف أن يكون هذا النقص من الهرمزان لمظلمة لحقت أهل الذمة . فطلب من عتبة بن غزوان أمير البصرة وقتل ، أن يرسل إليه وفدا فيه عشرة من

وجهاء الكوفة ، فأرسل عتبة إلى عمر عشرة فيهم الأحنف بن قيس فلما قدم على عمر قال له (انك عندي لمصدق ، وقد رأيتك رجلا ، فأخبرني أن ظلمت الذمة المظلمة نفروا أم لغير ذلك ؟) فقال الأحنف (لا) بل لغير مظلمة ، والناس على ما تحب) قال عمر (فنعم اذا انصرفوا إلى رجالكم) ، فانصرفوا وكتب عمر إلى عتبة (أعزب الناس عن الظلم واتقوا واحذروا أن يبدل عليكم لغدر يكون منكم أو بغي ، فانكم ان أدركتم بالله ما أدركتم على عهد عاهدكم عليه ، وقد تقدم اليكم فيما أخذ عليكم ، فأوفوا بعهد الله ، وقوموا على أمره يكن لكم عوننا وناصرا) « محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية للمرحوم الأستاذ الشيخ محمد الغزوى » ج ١ ص ٢١٩ .

٥ - ولكن الهرمزان نقض الصلح مرة أخرى ، ولما أحبط به هذه المرة استسلم وقال للمسلمين (أضع يدي فى أيديكم على حكم عمر يصنع بى كيف يشاء) قالوا : (فلك ذلك) واستأسر لهم ، وأرسل فى وفد إلى عمر ، فلما وصلوا إلى المدينة دخلوا على عمر وهو فى المسجد نائم ، ودرته معلقة فى يده فقال الهرمزان أين عمر ؟ فقالوا هو ذا . فقال أين حرسه وحجابه ؟ قالوا ليس له حارس ولا حاجب . قال فينبغى أن يكون ثيبا ؟ قالوا : بل يعمل عمل الأنبياء . فلما استيقظ عمر ، قالوا له هذا ملك

الأعواز • قال له عمر كيف رأيت وبال الغدر وعاقبة أمر الله ؟ فقال : يا عمر : أنا وإياكم فى الجاهلية كان الله قد خلق بيننا وبينكم فقلبتناكم اذ لم يكن معنا ولا معكم فلما كان معكم غلبتمونا • فقال عمر : انما غلبتمونا فى الجاهلية باجتماعكم وتفرقنا • ثم قال عمر : ما عندك ، وما حجتك فى انتفاضك مرة بعد أخرى ؟ فقال الهرمزان : أخاف أن تقتلنى قبل أن أخبرك • قال عمر (لا تخف ذلك) واستسقى الهرمزان ماء فأتى به فى قدح غليظ • فقال : لو مت عطشا لم أستطع أن أشرب فى مثل هذا • فأتى به فى إناء يرضاه فجعلت يده ترتجف وقال انى أخاف أن أقتل وأنا أشرب الماء • فقال عمر (لا بأس عليك حتى تشربه) فأكفاه الهرمزان • فقال عمر (لا أعيدها عليه ولا تجمعوا عليه القتل والعطش) • فقال الهرمزان : لا حاجة لى فى الماء ، انما أردت ان استامن به • فقال له عمر (انى قاتلك) • قال : (قد أمنتنى) • فقال عمر : (كذبت) • فقال أنس : (صدق ياأمير المؤمنين أمنتته ، قلت له لا بأس عليك حتى تخبرنى ، وقلت : لا بأس عليك حتى تشربه) • وقال له من حوله مثل ذلك • فأقبل عمر على الهرمزان وقال : (خذتنى • والله لا انخدع الا لمسلم) فلم يجد الهرمزان بأسا فى اعلان اسلامه ففرض له عمر فى العطاء على ألفين

وانزله المدينة • (المرجع السابق ج ١ ص ٢٢٢) •

٦ - ووضح من قصة الهرمزان انه لم يك مخلصا وعلى نية الوفاء فى كل مرة طلب فيها الصلح من المسلمين ، وكيف احتال على عمر ليحصل على الأمان ، وكيف اضطر الى اعلان اسلامه فأسلم ولكنه اسلام يمكن أن يقال فيه أن بشاشته لم تخالط قلب الهرمزان أو أنه صدر عن يقين وإيمان •

٧ - نعود الى رواية الطبرى عن ابن الهرمزان قال : (كانت العجم بالمدينة يستروح بعضها الى بعض فمر فيروز - قاتل عمر - بأبى ومعه خنجر له رأسان ، فتناولوه منه وقال ما تصنع بهذا فى هذه البلاد ؟ فقال أبس به ، قرآه رجل ، فلما أصيب عمر قال رأيت هذا مع الهرمزان ، دفعه الى فيروز ، فأقبل عبيد الله بن عمر فقتله) • والشاهد من هذه الرواية أمران : الأول : تلك الاجتماعات المشبوهة التى كانت تضم الأعاجم فى المدينة • والثانى : ان الهرمزان هو الذى أعطى فيروز ذلك الخنجر الغريب فى بلاد العرب ليقتل به عمر •

٨ - يشهد على ذلك عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما فانه قال غداة مقتل عمر : (رأيت عشيبة أمس ، الهرمزان وأبا لؤلؤة وجفينة وهم يتناجون ، فلما ثاروا سقط منهم الخنجر الذى ضرب به عمر) •

وفى رواية أن عبد الرحمن رآهم يدخلون فى مكان يتشاورون ، وبينهم خنجر له رأسان ، مقبضة فى وسطه ، فقتل عمر فى صبيحة تلك الليلة ، فلما بلغ عثمان قول عبد الرحمن استدعاه فسأله ، فقال عبد الرحمن : انظروا الى السكين فان كانت ذات طرفين فلا أرى القسوم الا قد اجتمعوا على قتله ، فنظروا اليها فوجدوها كما وصف عبد الرحمن •

٩ - نعود الى فيروز وهو المعروف بأبى لؤلؤة ، وقد كان أحد الأسرى الذين يعيشون فى المدينة فى ظل هذا المجتمع الاسلامى العادل المتراحم التسامح ، وكان فيروز غلاما للمغيرة بن شعبة ، وكان فيروز وغيره من الأعاجم يختلفون الى الهرمزان ملك فارس الذى أسلفنا شيئا عن قصة ملكه المفقود وقلبه الحقود ، وقد أقامه عمر بالمدينة كواحد من الناس لا فضل له على أحد • فبينما عمر يطوف يوما فى السوق لقيه ذلك الغلام واشتكى لعمر كبر الخراج الذى فرضه المغيرة على غلامه (فيروز) فقال : يا أمير المؤمنين أعنى على المغيرة بن شعبة فان على خراجا كثيرا ، قال عمر : وكم خراجك ؟ قال : درهمان فى كل يوم • قال عمر : وما صناعتك ؟ قال : نجار نقاش حداد • قال عمر : فما أرى خراجك بكثير على ما تصنع

من الأعمال . قد بلغنى أنك تقول
لو أردت أن أعمل رحا تطحن بالريح
فعلت . قال نعم . قال عمر :
فاعمل رحا . قال فيروز : أن
عشت لأعلن لك رحا يتحدث بها
من في المشرق والمغرب ؟ ثم انصرف
عنه . فقال عمر : لقد توعدني
العبد آنفا ، ثم انصرف عمر الى
منزله .

وتضح نية الغدر من خلال كلام
فيروز ، وقد أدرك عمر بفطنته
تورية هذا الحاقد ، لكن عمر لم
يعبأ بهذا الوعيد .

١٠ - والراجح من قرائن
الأحوال وشهادات الشهود أن تلك
المؤامرة الخطيرة يمكن أن تتحدد
أبعادها وأطرافها على النحو التالي :
رأس المؤامرة وعقلها المفكر المدير
لها : هم اليهود لأنهم يخططون
العداوة للإسلام ويتحينون كل
فرصة للقضاء على الدعوة والدولة
الإسلامية ، أن يحرضوا كل عدو
للإسلام والمسلمين على حربهم ، كما
كان يفعل حبي بن أخطب في
تحريض الأحزاب ضد المسلمين ،
وقد وصفهم الله بهذه الصفة
الملازمة لهم (كلما أوقدوا نارا
للحرب أطفأها الله ، ويسعون في
الأرض فسادا) ، فوجدوا في
الهرمزان قلبا أسود قد امتلأ
بالحق ، ووجدوا في بعض
الوثنيين المشركين الذين أسلموا

وما زالوا حديثي عهد بإسلام ، ما
أطمعهم في استدراجه وضمه
الى المتأمرين مثل عيينة بن حصن
الفزاري وقد كان من المؤلفة
قلوبهم الذين اشتد عليهم عمر بعد
أن عز الإسلام وانتشر . أى أنه
يمكن أن يقال أن المتأمرين على
الإسلام ودولته في شخص عمر أعظم
وأعدل من عرفه تاريخ الحضارة
الإنسانية على الإطلاق ، أن المتأمرين
والمعادين للدعوة والدولة الإسلامية
أما ملك مهزوم أو أصحاب
وثن مهذوم ، أى لا يخرجون
عن كونهم من اليهود
الحاقدين ، أو ملوك الفرس
المغلوبين ، أو المشركين المنهزمين ،
وهكذا ضمت المؤامرة الخطيرة :
اليهود والهرمزان صاحب
العرش المفقود ، وفيروز
الذى وجد فيه الهرمزان أداة
لتنفيذ المؤامرة بما للهرمزان على
فيروز من أثر وتأثير بحكم كون
الهرمزان ملكا له في نفس فيروز
الفارسي بقية من طاعة وتقديس ،
وجفينة ، وعيينة بن حصن الفزاري
وهو كما سلف من المؤلفة قلوبهم .
واكبر الظن أن عيينة قد استدرجه
المتأمرون وكشفوا له عن نيتهم
ومؤامرتهم ، لكن بصيص الإيمان
الذى دخل قلبه ، أيقظ فيه ضمير
العربى ، وقوى فيه إيمان المسلم
الذى يأبى الغدر والخيانة ، فذهب
الى عمر وقال له : احترس أو أخرج

العجم من المدينة فانى لا آمن أن
يطعنك رجل منهم فى هذا الموضع ،
ووضع يده فى الموضع الذى طعنه
فيه العين أبو لؤلؤة . . . لكن عمر
ابن الخطاب رضى الله عنه كما سبق
ذكره ، كان مشغولا بأمر الرعية عن
أمر نفسه وخاصة شأنه ، وكان
يؤمن بأن أجل الله لات ، وأن الناس
(اذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة
ولا يستقدمون) فلم يعبأ بتهديد
فيروز له ولا بقول عيينة بن
حصن الفزاري ، فوفقت الواقعة ،
ولا حول ولا قوة الا بالله ولا اراد
لقضائه . . ولما كان صبح ثالثة
هذا النبأ خرج عمر الى صلاة الصبح
وقلبه مطمئن بالإيمان ، لا تشغله
الا الصلاة والعدل بين الرعية
والتسوية بينهم ، ودخل أبو لؤلؤة
فى الناس ، فى يده خنجر له
راسان ، مقبضه فى وسطه ،
فضرب عمر ست ضربات احدها
تحت سرتة ، وهى التى قتلتة ،
وقتل معه كليب بن أبى البكير
الليثى وكان خلفه ، وأول ما شغل
عمر هو أن استخلف عبد الرحمن
ابن عوف ليتم الصلاة بالمسلمين ،
وعمر طريح ، ثم احتمل فأدخل
داره ، فنادى عبد الله بن عمر
وقال : اخرج فانظر من قتلتى ؟ . .
قال يا أمير المؤمنين قتلك أبو لؤلؤة
غلام الغيرة بن شعبة ، فحمد الله
أن لم يقتله رجل سجد لله سجدة .

قال رضى الله عنه فى تفسير الفاتحة (قوله تعالى : الحمد لله رب العالمين) أتى سبحانه برب العالمين ، أى رب جميع العوالم ، وأنه سبحانه لما علم تقصير العبد وعجزه عن الحمد ، حمد نفسه بنفسه بلسان عبده ، فما أعظم النعمة لهذا العبد الذى يحمد الله نفسه بلسانه ، وبذلك يؤجره ويجازيه بقربه فى الدارين ، وبالنعم الدائم ، فله الحمد على الحمد ، وذلك لأن الانسان حال قراءة القرآن نائب عن الله تعالى الذى يقول « وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله » ، فأضاف الكلام الى الله تعالى مع أن الناطق به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، (وقوله تعالى : الرحمن الرحيم) انه لما ذكر اسمه جل وعلا ،

ترقب السامع بأى صفة يصف الله نفسه ، ثم استشعر الإنسان صفة تخوف كالجبار والقهار ، فقال سبحانه لاخوف عليك لأنه (الرحمن الرحيم) وهما اسمان . فى اعظم مراتب الرجاء ، قال تعالى (مالك يوم الدين) لما ادعى العباد أن لهم ملكا فى الدنيا ، عاملهم بقدرهم ومقتضى جهلهم ، والا فهو المالك فى الابتداء والانهاء ، ولم يذكر ملك الدنيا لأنها لاتعدل عنده جناح بعوضة ، فذلك استهانة بها واطهار لحقارتها ، وفيه تخوف للكافرين وتأمين للمؤمنين ، أى أن الله سبحانه ملك يوم الدين الذى يحاسب على مثاقيل الذر « لايفادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ، ولا يظلم ربك أحدا » فالؤمنون يستبشرون بذلك ويعلمون أن الله سبحانه وتعالى يعلم بخفيات اعمالهم الحسنة وظواهرها ، وصلاتهم تلك التى هم فيها ، يعلمون أنها ستعرض فى ذلك اليوم فيزيدونها تحسينا ، (اياك نعبد و اياك نستعين) أى لا نعبد الا اياك ولا نستعين الا بك (اهدنا الصراط المستقيم) الصراط المستقيم هو صراط الله ، أى الموصل الى الله بسرعة لأنه لا اعوجاج فيه (وان هذا صراطى مستقيما)

والصراط المستقيم هو الطريق القويم فى الامور جميعها ، وهى لاتحصى ، فمن ذلك أن تؤمن بالقدر خيره وشره ولا تحتج به ، من ذلك أن تعتقد أن الله سبحانه وتعالى قلب عبده المؤمن وسمعه وبصره فى حال كونه فى السماوات وفى الأرض فى حال كونه « مايكون من نجوى ثلاثة الا هورابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم » من حيوان وانسان ونام وجماد ،



وجامد ومائع ، ومعيته مع كل شىء من ذلك غير المية التى مع الآخر ، وهو ناظر الى كل فرد من أفراد الكون نظرة غير نظرة الآخر ، وناظر فى كل شعرة غير الشعرة الأخرى ومصاحب لها من غير أن يشتمل عليه تعالى زمان ولا مكان ، فهو كما كان وكما يكون دائما أبديا سرمديا ، باطنيا فى حال ظهوره ، ومن جملة ادعية الصوفية « كيف أعرفك وأنت الباطن ، وكيف لا أعرفك وأنت الظاهر فى كل شىء » وهو تبارك وتعالى أول فى حال كونه آخر ، سبحانه وتعالى ، ومن ذلك أن تباشر الأسباب ولا تقف معها ، كان تتمثل قوله سبحانه وتعالى : (فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه) وقوله تعالى (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله) ولكن لا تقف معها - أى لاتقف مع الأسباب ظانا أنها هى الفاعلة ، فمن اشتغل بها عن الله تعالى فقد خسر ، كما انه تعالى أمر بالتزويج ليكون بسببه النسل ، وبالتكسب ثم قال سبحانه (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم

ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون) وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم « اعقلها وتوكل » (١٤)

ومن ذلك أيضا أنه تعالى أمر بالاسباب التي توصل الى الجنة والتي تقرب عبده منه ، ثم أمر أن لا تنقب معها ، فقال تعالى (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) فإذا ركنت الى عملك ، فقد اتخذت من دون الله أولياء ، قال الله تعالى (فاعبده وتوكل عليه) أى تقرب بالعبادة التي هي السبب ، ولا تركن اليها ، بل توكل عليه سبحانه وتعالى ، فإنه اذا أراد بعبده خيرا سلك به الصراط المستقيم ، فلا يميل عنه ولا يحيف ، بل كلما عثر أو كاد ، قادته يد التوفيق - اللهم ثبت أقدامنا على الصراط المستقيم يوم تزل الأقدام يا أرحم الراحمين .

وهو (صراط الذين أنعمت عليهم) وهم الذين أحبهم الله وهداهم الى الاسلام ، فقد أنعم عليهم بأعظم نعمة (غير المفضوب عليهم ولا الضالين) المفضوب عليهم فسرهم النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم اليهود ، فهم مفضوب عليهم ، لأنهم لا يعبدون الله الا فيما يطابق أهواءهم ، فليست عبادتهم خالصة لله (ولا الضالين) فسرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالنصارى ، لأنهم قصدوا الله سبحانه وتعالى لا من الصراط المستقيم ، بل جعلوه عيسى ، وجعلوه متحيزا - أى له حيز ومكان - فهذا هو الضلال ، كذلك ، المسلم اذا صلى لا يتقى بصلاته وجه الله ، بل يرائي بها ، فهو في غير صراط الله ، بل هو في صراط المفضوب عليهم ، واذا عبد الله بغير ما جاء به كتاب الله وسنة رسول الله ، فقد سلك صراط الضالين ، ثم اذا قلت (آمين) فمعناها اللهم كما هديتنا وأنعمت علينا بالوقوف بين يديك على هذا الوجه الذي شرعه لنا رسولك صلى الله عليه وسلم ، فانت مبتدئ بهذا الاحسان العظيم ، والكريم لا يرجع قيما وهب ، فامتنا على هذه النعمة ، حاشاه يختم بالاساءة وهو بالاحسان بادى

وقال رضى الله عنه فى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الدينار ، تعس عبد اللقينة » - ان ذلك ليس موقوفا ولا مقصورا على هذه المذكورات ، فالرسول عليه الصلاة والسلام لم يذكر هذه الأشياء على

سبيل الحصر ، وإنما على سبيل المثال ، وما دام الأمر كذلك ، فقد تعس عبد الكتائب اذا هو لها بكتابته عن عبادة الله ، يخدم الخادم ويرفض المخدوم فربما بقى فى تدقيق السائل حتى تفوته صلاة الجماعة أو الوقت نفسه ، واذا شغله شيء عن الله فقد شاركه فى العبادة

فانك ان أدخلت ذكر الشيء على فكرك ، فقد تدخله كما تدخل ذكر الله سبحانه أو اقل من ذلك أو اكثر ، فان أنت أدخلت ذكر شيء على فكرك وسويته بذكر الله ، فان الله تعالى يقول : (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله) ، ويقول سبحانه أيضا (وهم برهم يعدلون) أى يعدلون به غيره ، وان كان أكثر ، فهو معنى قوله (قل ان كان آبؤكم وأبنؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم ، وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله ، فترضوا حتى يأتى الله بأمره)

وان كان ذكره تعالى أعدل وأكثر ، فهو أول درجات الإيمان ، وهو معنى قوله تعالى : (والذين آمنوا أشد حبا لله) ، وذلك أنه بقدر ذكرك للشيء يكون حبك له ، واذا لم يكن فى قلبك الا الله ولا تحب سواه ، فانك لا تذكر غيره ولا تستغل الا به ، وهذه اعلا درجات الإيمان ، فلا تستغل بغير ذكره وعبادته ليكون قلبك فارغا عما سوى الله سبحانه بجميع أفعالك وحركاتك وسكناتك وأقوالك

وأما من أنفق وقته فى طلب الأحكام ظانا أن ذلك هو العلم ، فقد أخطأ ، لو علم معنى قوله تعالى (وقل رب زدنى علما) أن المراد علمه بالله سبحانه وتعالى ، لما خاض فى الأحكام وما يتفرع عنها ، والعلم بالله تعالى مستفاد من تقواه ، وقال تعالى (واتقوا الله ويعلمكم الله) وقال سبحانه (والذين جاهدوا فىنا لنهدينهم سبلنا ، وان الله لمع المحسنين) .

وقال رضى الله عنه ، قال الله سبحانه وتعالى : (وأقرضوا الله قرضا حسنا) سبحانه وبجمده ، ما ألطف هذا الأمر من ملك الدنيا والآخرة ، أنزل نفسه سبحانه وتعالى منزلة المستقرض لما ادعينا

الرسول صلوات الله عليه ما تركت لأهلك ؟ قال تركت لهم الله ورسوله . فقبله منه النبي ، أما الرجل فقال عند سؤال النبي له ، ما تركت لهم (لأهلك) شيئا ، ولذلك لم يقبل النبي صلوات الله عليه وسلامه منه صدقته (٥)

وقال رضى الله عنه : عامل العبد لأجل سيده ، فان عاملت العبد لأجل سيدهم ، عاملك بما عاملتهم به ، قال تعالى (سيجزى بهم وصفهم ، انه حكيم عليم) فان كنت رحيمًا بهم ، كان رحيمًا بك ، وان كنت عفوا عنهم ، كان عفوا عنك ، وما اتصفت بصفة من صفاته سبحانه وتعالى الا اتصف لك بها عند الفاقة والاحتياج والافتقار .

وان أخوف شيء على الانسان ، التهاون بحقوق الخلق - وان قل - لانه الذنب الذى لا يتركه الله تعالى ، وان كان مثقال ذرة ، فقد روى عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - منا ما ، بعد أن مات بشهر ، ف قيل له كيف كان قدومك على الله عز وجل ؟ فقال الآن فرغت من الحساب ، حتى انى حوسبت على بقرة رايت امرأة تطليها وهى رابطة لضرعها ليجمع اللبن ، ف قيل لى رايت بقرة تعذب ولم تنقذها .

وقيل ان ابراهيم بن ادهم - رحمه الله تعالى - اشترى يوما تمرا بمكة ، فسقطت ثمرة الى الأرض فآخذها ، ظانًا انها من الذى اشتراه ، ثم رحل الى بيت المقدس ، فلما وصل وبات فيه ، سمع ملكا يقول لآخر : من ههنا ؟ فقال ابراهيم بن ادهم الذى حجبت دعوته شهرا من أجل ثمرة أخذها من حق غيره ، فعاد من حينه الى مكة ، فسأل عن الرجل ، فوجدته قد مات ، فدلوه على ولده ، فاستحل منه ، فآحله وقال له - وله ورثة غيرى ، فقال امض بى اليهم ، فمضى اليهم فآحلوهم جميعهم ثم رحل الى بيت المقدس فبات به ، فسمع أيضا ملكا يكلم آخر : من ههنا ؟ فقال ابراهيم بن ادهم ، قال الذى غفر الله له ذنب الثمرة التى سماحه فيها ورثة الرجل الذى أخذها منه ، واستجيبت دعوته .

فانظر ما هذا الخطر العظيم فى حقوق الخلق اللهم ان لنا ذنوبا فيما بيننا وبينك ، وذنوبا فيما بيننا وبين خلقك ، اللهم ما كان لك منها فاعفوه وما كان لخلقك فاقضه عنا واغننا بفضلك ، انك واسع المغفرة وذو فضل عظيم .

ان لنا مالا وانا نملكه ، فطلب منا شيئا منه على وجه القرض نعطيه فقراءنا ، وهو يتولى قضاءه ، فجعل نفسه وليا فى الأخذ للقرض وفى القضاء ، فان الصدقة لا تقع فى يد الفقير الا وقد وقعت فى يد الله ليبريها ويضاعفها لنا ، ثم يعطيها ايانا عند الفاقة والحاجة اليها ، وقال تعالى : (يا ايها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم وما أخرجنا لكم من الأرض ، ولا تيمموا الخبيث منه ، تنفقون ولستم بأخذه الا ان تمضوا فيه واعلموا ان الله غنى حميد) أى أنفقوا من أطيب ما تجدون ، كما فسرته قوله تعالى (ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون) ، وكما تحبون أن يعطيكم الله سبحانه وتعالى ، فأجبهوا لغيركم منكم

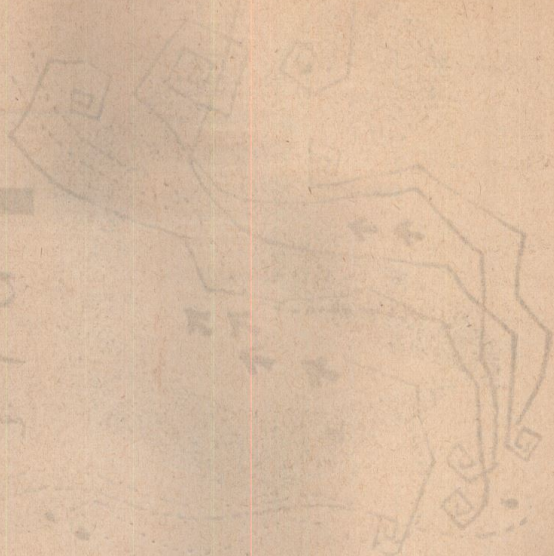
ولو نظر الفنى الى النعم التى أنعم الله عليه بايجاد الفقير ، وهو سبحانه قادر على أن يفنى الجميع . لكان الفقير أعز عنده من كل شيء ، لكونه سببا لهذا الشرف وهذه المزية التى لا يعادلها شيء ، وهى أخذ الحق منه سبحانه وتعالى .

وقد روى انه لما رغب النبي صلى الله عليه وآله وسلم الصحابة فى الصدقة ، قال عمر رضى الله عنه « عندى مال » ثم قال فى نفسه : ان كنت سابقا ، سبقت أبا بكر اليوم بصدقة عند تجهيز الجيش الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فحمل نصف ماله ثم أتى ، واذا أبو بكر ، رضى الله عنه قد أتى بجميع ماله ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعمر : ما تركت لأهلك ؟ ، قال تركت لهم نصف مالى ، وقال لآبى بكر : ما تركت لأهلك ؟ قال تركت لهم الله ورسوله ، قال صلى الله عليه وآله وسلم : « بينكما ما بين كلمتيكما »

ثم جاء رجل آخر بشيء من ذهب ، وذلك جميع ماله ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « لك غيره ؟ » قال لا - ولم يعتب ، فأرجعها النبي له ، فأعطاهانبا ، فأرجعها النبي ، فأعطاهانبا ، فرمى بها النبي حتى كاد أن يشجه ، والفرق بين هذا الرجل وأبى بكر - وكلاهما أحضر كل ما له صدقة فى سبيل الله ان أبا بكر عندما سأله

وليس في الدنيا
مهلكات
ولا قلوب

فقدت الدنيا



باب العلم





وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون . صدق الله العظيم

الدكتور محمد جمال الدين الفيزي

ولقد كانت معظم معلوماتنا عن الغلاف الجوي حتى عهد قريب انما تجمع عن طريق دراسة الطبقة السفلى المعروفة باسم التروبوسفير (أو كرة التغير) بالبالونات أو الطائرات التي تصل الى علو يربو على عشرين ميلا . ثم طبقة الاوزونوسفير التي تكون الجزء السفلى من منطقة الستراتوسفير (أو الكرة ذات الطبقات) باستخدام جهاز ديسون اوزون سيكتروجراف . وتتركز نحو ٩٨ في المائة من كتلة الغلاف الجوي كله في طبقتي التروبوسفير والستراتوسفير ، لما الباقي وقدره ٢ في المائة تتركز في الطبقة العليا المتأينة المعروفة باسم الايونوسفير . وكانت معالم هذه الطبقة تجمع باستخدام جهاز مسجل التامبيج الذي يحدد درجات تركيز الكهارب في الطبقات المعروفة باسم طبقات

يصرنا الخالق في كتابه المعجز الخالد بما يجب أن نهتم به من دراسات ، ويعطينا قضايا علمية عامة يترك تفاصيلها لاجتهاد الناس ، ولكل مجتهد نصيب .

ومن ضمن الموضوعات العلمية التي يوجه القرآن الكريم انظارنا اليها ، لندرسها ونعرف أسرارها بتصريف الرياح ، كما أنه يربط بين هذا التصريف وبين اثاره السحب كقضية علمية عامة .

وفي حقيقة الامر نجد أن القرآن الكريم هو أول كتاب يقرر حقيقة أن الرياح هي التي تثير السحب وتكونها .. والرياح هي الهواء المتحرك .. انظر وتأمل قوله تعالى :

١ - في سورة البقرة (١٤٨) :

« ... وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون » ، وفيها توجيه علمي واثارة قضية علمية عامة ٢ - في سورة الروم (٤٨) :

« الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا .. » وهي حقيقة علمية يسبق بها القرآن ركب العلم .

٣ - في سورة الجاثية (٥) :

« وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون » ..

والمدخل الى دراسة الرياح ودوراتها هو دراسة الغلاف الجوي أولا ومعرفة أسرارها وطبقاته وصفاتها .

هفيسيد التى تمكس امواج
اللاسلكى . هذا بالاضافة الى
تحليل طيف الاورورا او الفجر
القطبى ، وهو ظاهرة ضوئية
تحدث فى اعالي الجو المتد من
١٠٠ الى ١٠٠٠ كيلو متر ، ولا
يشاهد الا بالقرب من القطبين

ولقد اثبت تحليل طيف
الاورورا على ان جو الارض العلوى
انما يتكون ايضا من غازى الازوت
والاكسجين ، ولا اثر للغازات
الخفيفة هناك التى على غرار غاز
الايدروجين او غاز الهيليوم .

ويبلغ ارتفاع التريوسفير
نحو عشرة اميال عند خط
الاستواء ، وخمسة اميال فقط
عند القطبين ، ويحد هذه
الطبقة من اعلى سطح وهمى هو
التريوبوز .

والتريوبوز سفير هي موطن
التقلبات الجوية واثارة السحب
ونزول المطر . ومن مزاياها ان
درجة الحرارة فيها تنخفض
بازدياد الارتفاع بمعدل متوسطه
٦ او ٦.٥ درجة مئوية لكل الف
متر . والسفر فى ذلك ان مصدر
الحرارة فيها هو سطح الارض
بما يكسبه من اشعاعات شمسية
وطبيعة الحال تختلف مقادير
الحرارة المدخلة عند السطح
باختلاف خطوط العرض ، وذلك
نظرا لاختلاف ما يكتسب من
الاشعاع الشمسى ما بين خط
الاستواء والقطبين .

اما فى طبقة الاوزوتوسفير فان
درجة الحرارة انما ترتفع نظرا لما
يمتصه غاز الاوزون من الاشعة
فوق البنفسجية التى ترسلها
الشمس . والمعروف ان الاوزون
يمتص بشدة وغزارة فى حزمة
امتصاص تعرف علميا باسم حزمة
هارتلى ، وتحدها الموجتان ٢ر.

ميكرون وتحو ٣٢ و. ميكرون ١٥
ويبلغ امتصاص الاوزون اقصاه
عند الموجة ٢٥ و. ميكرون .
وامتصاص الاوزون فى حزمة
هارتلى هذه علاقة وثيقة باختفاء
طيف الشمس قرب الموجة ٢٩ و.
ميكرون ، اذ انها تمتص فى منطقة
الاوزوتوسفير .

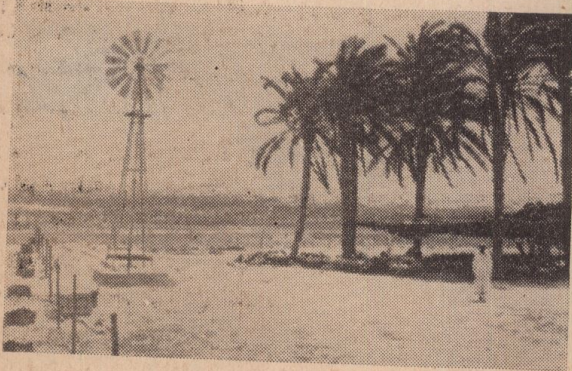
وفوق طبقة الاوزوتوسفير
تنخفض درجة الحرارة من جديد
حتى نهاية الستراتوسفير من
اعلى ، الا انها تعود الى الارتفاع
فى طبقة الايوتوسفير نظرا لما
يمتصه الاكسجين الذرى من
الاشعة فوق البنفسجية التى
ترسلها الشمس .

والمعروف ان الاكسجين
الذرى يمتص من الطاقة فوق
البنفسجية قدرا وفيرا فى حزمة
امتصاص تمتد من ١٧ و. ميكرون
الى ٢ و. ميكرون ، وتعرف باسم
حزمة شومان وتتحول الطاقة
فوق البنفسجية بعد امتصاصها
الى طاقة حرارية تسبب ارتفاع
درجة الحرارة فى تلك الارحاء .

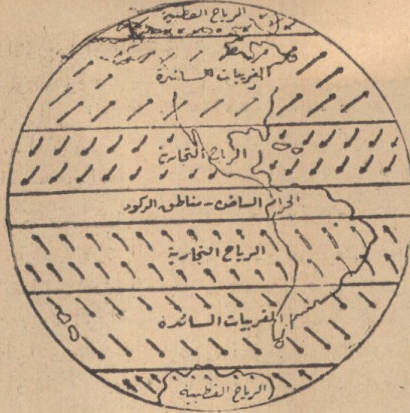
وفى اواخر الحرب العالمية
الثانية تم اكتشاف التيارات

العايا النفاثة ، وقوامها تياران
دافعان من الهواء ، يكونان اطارين
حول الارض ، ويتحركان من
الغرب الى الشرق بسرعة تتراوح
بين ١٠٠ و ١٥٠ ميلا فى الساعة
على علو يقرب من الارتفاع
التريوبوز ، احدهما فى المنطقة
المعتدلة الشمالية ، والثانى فى
الجنوبية . وحديثا جددتم
التعرف كذلك على التيار النفاث
الاستوائى الذى يتدفق من
الشرق الى الغرب ، ويلعب دورا
هاما فى الامطار الموسمية ، ومنها
امطار الحيشة التى تسبب
فيضان النيل ، وتساهم كليا
العلوم بجامعة القاهرة بقسط
وافر فى هذه البحوث .

وحديثا اطلق على الجزء
السفلى من الايوتوسفير اسم
الميزوسفير (او الكرة الوسطى)
وفيه لا تكفى كثافة الاكسجين
لتكوين الاوزون . ويسمى السطح
الذى تصل اليه درجة الحرارة
اقل ما يمكن فى اعالي الميزوسفير
باسم (الميزوبوز) . وتحتوى
الميزوسفير تقريبا على اغلب كتلة
الهواء العلوى الموجود فى الايونو
سفير .



استغلال طاقة الرياح
طواحين الهواء فى برج العرب - الصحراء الغربية



الدورة العامة للرياح على الأرض

إهمال طاقتها الكلية أو كمية الحرارة الكلية المدخلة فيها . وبطبيعة الحال نجد أن لدرجات الحرارة الكبرى في جو الأرض الخارجى تأثيراتها على الجسيمات التى تكون ذلك الجو، إذ تنقسم جزيئات الأوكسجين والأزوت تحت وطأة تأثير درجات الحرارة العالية هذه وتتحلل إلى ذرات منفصلة ، ولقد تساءل العلماء عما إذا كانت الطائرات النفاثة لا تستطيع الاستفادة من هذه الذرات الطليقة من أجل الملاحه الجوية في طبقة الأوكسجين سفير ، فإذا ما أمكن جمع القدر الكاف منها وضغطها معا فإن الطاقة الناجمة من اتحادها لتكون جزيئات مادية تكون أعلى بكثير من الطاقة المنطلقة من استخدام الوقود العادى الذى يستعمل فيه الأوكسجين أو الأوزون أو الفلور . وأكثر من ذلك فإن امدادات الطاقة سوف لا تنفذ، نظرا لأن الزرات بمجرد اتحادها سوف تنطلق إلى الخارج من المؤخرة حيث تعمل الطاقة الشمسية في الحال على انقسامها إلى ذرات من جديد .

كيف تستطيع الصواريخ المرور عبر التيرموسفير والاكوسفير إذا كانت درجات حرارتها تبلغ الآلاف دون أن تحترق ؟ والجواب على ذلك هو أن العبرة في هذه الحالة بكمية الحرارة وليست بدرجة الحرارة . فالجسيمات الموجودة هناك لها طاقات عظمية حرارية كجسيمات منفردة ، أى أن درجات حرارتها مرتفعة ، ولكن لا يوجد من هذه الجسيمات إلا العدد القليل ، بحيث يمكن

أما مشارف الهواء العلوى فهى على أية حال لا تهتمنا كثيرا ، وهى تقسم إلى منطقتين هما التيرموسفير أو كرة الحرارة بسبب الارتفاع في درجة الحرارة هناك ، وتحد من أعلى بالتيرموبوز وفوق التيرموبوز منطقة من الغلاف الجوى تنخفض فيها الكثافة إلى الحد الذى يحول دون توهج الشهب ، ولكنها رغم ذلك نستطيع أن تحمل الفجر القطبى . هذه المنطقة هى الأكوسفير أو الكرة الخارجية .

وليس هناك حدود عليا معينة للأكوسفير ، إلا أننا نستطيع أن نقول بأنها تنتهى حيث تتعادل الكثافة مع كثافة الفراغ الكونى، وهى نحو ١٠٠٠ جسيم لكل سنتيمتر مكعب .

وتنشر مع مجال الأرض المغناطيسى في الفضاء الكونى طبقة الماجنيتوسفير ، وهى تتكون أساسا من الجزامين المعروفين باسم حزامى فان ألين للأشعة الكونية .

وقد يتساءل المرء متعجبا :



الاصمار المسمى أو (التورنادو) قمع من السحاب ويمثل أيضا نافورة الماء الاقنمون (التين الطائر)



سفن
الأسطول
العربي

وأنواعها
ومعدات
في العصور
الإسلامية

الأستاذ محمد عبد الجواد الأممي



نبذة تاريخية عن سفن الأسطول العربي الإسلامي قبل الإسلام وبعده

أعلى طبقات المملكة ، وهو الذي
كان يلقب بأمير البحر ، أو أمير
الماء ، وهذا اللقب هو أصل كلمة
الأفريقية Admiral

البحرية الإسلامية والشرق الاقصى

ولما اتسع نطاق ملك المسلمين
في الشرق واختلطوا بالهنود
باقتناحهم الهند (وتجد في
الصفحة المقابلة خريطة بلاد

الان ، أنظر تاج العروس شرح
القاموس للزبيدي) يدبر أمر جريه
بالريح أو المقاذيف ومعرفة مسالك
البحر وطرقه بواسطة الرهنامج
(كتاب الطريق ، وهو الكتاب
الذي يسلك به الريانية البحر
ويهندون به في معرفة المراسي
وغيرها) . فاذا اجتمعت
الاساطيل لغزو أو لغرض اخر
عسكرت بمرفئها المعلوم وجعلوا
النظر فيها كلها لأمير واحد من

(٧)

رئاسة الاساطيل

ولما تعددت دور الصناعات على
شواطئ بحر الروم (البحر
الابيض المتوسط) الذي جعلوه
مقرا لاساطيلهم كانت كل دار تبني
أسطولا عليه قائد ورئيس
قائدا يدبر أمر سلاحه وحريه
ومقاتلته . والرئيس (يصح أن
يقال فيه ريس كما عند العامة

السند التي افتتحها المسلمون قتلا
عن كتاب مسالك الممالك تأليف
أبي القاسم إبراهيم بن محمد
الفارسي الاصلخرى المعروف
بالكرخي من علماء أوائل القرن
الرابع الهجري وهو أول مصور
جغرافي في الاسلام ، مخطوط بقلم
نسخ محفوظ بمعرض دار الكتب
والوثائق القومية تحت رقم ١٩٩
جغرافيا) وما جاورها من
الأقاليم الهندية اخذوا عنهم
صناعة البوارج ، وهى السفن
الهندية العظيمة التي ذكرنا
وصفها في الأعداد السالفة ،
وصاروا يستعملونها في المحيط
الهندي وبحر فارس لمحاربة
الهنود وقرصانهم ، وقد أتقن
العرب صناعتها ورقوها بما
ادخلوه عليها من التحسينات حتى
تمكنوا بها من الانتصار على
الهنود وصد غاراتهم في مواقع
مديدة

ومنذ ذلك العهد كان المسلمون
قد فتحوا أكثر البلدان الشرقية
ومهدوا بحارها ، ولا سيما بين
الهند وبغداد ، واتسع نطاق
تجارتهم فيما وراء البحار بالشرق
الاقصى ، فكثرت مخالطتهم
للصينيين الذين اقتصدوا بهم في
بعض أعمالهم الحربية والبحرية

بعلا ما شاهدوا سقنهم الحربية
والتجارية التي وصفوها في
رحلاتهم ١١

وأقوى برهان على استمرار
تنقلاتهم في تلك الانحاء حتى
جزائر اليابان كثرة عدد الذين
اعتنقوا الاسلام من أهالي الصين
وعلى الاخص سكان جنوبها ،
وأهالي جزائر الفيليبين وجزائر
الهند الصينى وغيرها

وأحسن من وصف هذه
الرحلات وأبدع في ضبطها الرحالة
المعروف « ابن بطوطة » فقد
وصف ما رآه منها وصفا رائعا
مدققا في الجزء الثاني من رحلته
ص ١١٢ ، وتجد بالمقارنة أن
بينها وبين سقن الأسطول العربى
الاسلامى مشابة في صناعتها
وأصنافها وكثرة قلوها ، ووصفه
« للمصارى » يشبه وصف عبيد
اللطيف البغدادي « للعشارى »
السالف الذكر . ويجمل بنا نقل
مثال منه في هذا المقال ، لأن
الذين دونوا أخبار السفن الصينية
الحربية وغيرها في عهد التمدن
الاسلامى قليلون وقد كان شاهد
عين قال :

« ومراكب الصين ثلاثة أصناف
الكبار منها تسمى « الجنوك »

واحدها جنك ، والمتوسط تسمى
« الزو » والصفار يسمى أحدها
« الككم » ويكون للمركب الكبير
منها اثنا عشر قلعا فما دونها الى
ثلاثة . وقلعها من قضبان
الخيزران منسوجة كالحص لا
تحط أبدا ويدبرونها بحسب
دوران الريح . واذا أرسوا تركوها
واقفة في مهب الريح ، ويخدم في
المركب منها ألف رجل منهم
البحرية ستمائة ، ومنهم أربعمائة
من المقاتلة تكون فيهم الرماة
وأصحاب الدرق والجرحية (وهم
الذين يرمون بالنفط) ويتبع كل
مركب كبير منها ثلاثة : النصفى
والثلى والربرى ، ولا تصنع هذه
المراكب الا بمدينة الزيتون من
الصين ، أو بصين كلان ، وهى
صين الصين

وكيفية انشائها انهم يصنعون
حائطين من الخشب يصلون ما
بينهما بخشب ضخم جدا
موصولة بالعرض والطول
بمسامير ضخام ، طول المسمار
منها ثلاثة أذرع ، فاذا التأم
الحائطان بهذه الخشبة صنعوا
على أعلاهما فرش المركب
الأسفل ودفعوهما في البحر وأتموا
عمله ، ويبقى ذلك الخشب
والحائطان موالية للماء ينزلون

اليها فيقتسلون ويقضون حاجتهم . وعلى جوانب ذلك الخشب تكون مجاذيفهم ، وهي كبار كالصواري يجتمع على احدها العشرة والخمسة عشر رجلا ويجذفون ووقفا على اقدامهم ويجعلون للمركب أربعة ظهور ويكون فيه البيت والصاري والغرف للتجار . والمصرية منها يكون فيها البيوت والسنداس وعليها المفتاح يسدها صاحبها ويحمل معه الجواري والنساء . وربما كان الرجل في مصرته فلا يعرف به غيره ممن يكون بالمركب حتى يتلاقيا اذا وصد بعض البلاد والبحرية يسكنون فيها أولادهم ويزرعون الخضر والبقول والزنجبيل في أحواض خشب . ووكيل المركب كانه وكيل كبير ، واذا نزل الى البر مشى الرماة والحجبة بالحرايب والسيوف والاطبال والأبواق والانفار أمامه ، واذا وصل الى المنزل الذي يقيم به ركزوا رماحهم عند جانبيه بابه ولا يزالون كذلك مدة اقامته . ومن أهل الصين من تكون له المراكب الكثيرة يبعث بها وكلاءه الى البلاد . وليس في الدنيا أكثر أموالا من أهل الصين « انتهى كلام ابن بطوطة

السفن الحربية النهرية

وفي ذلك العهد استعمل العرب في حروبهم النهرية أنواعا كثيرة من السفائن الحربية والنقلية ،

فكما استعملوه في دجلة والفرات الشذوات والسمرليات والصلاغ والماعبر (وهي نوع من السفن الصغيرة تعبر فيها العساكر من شاطئ الى شاطئ ، أو من مكان الى مكان ، وكذلك (الصلاغ) كانت تستعمل للنقل ايضا) ، والشبارات (جمع شبارة) وقد مر ذكرها ، والسنايك (جمع سنوك أو صنبوق ، وهو القارب أو الزورق الصغير ، وفي تاج العروس شرح القاموس للزبيدي : انه يعمل في ساحل البحر ، قال : وهي لفة جميع سواحل بحر اليمن . وفي شفاء الغليل : « السنبوك : سفينة صغيرة يستعملها أهل الحجاز ، وعبر به في الكشف . وقيل من سنبك الدابة على التشبيه ولم نره في كلامهم قديما » فهو من ملحقات السفن الكبيرة . ولابد لكل أسطول من أمثال هذه السفن الصغيرة تتبعه . وتستعمل في البحار والانهار . وقد اشتهر بعض هذه السنايك في حروب العرب مع الزنج في العراق . ولما امتدت فتوحاتهم في افريقية الى ما بعد الصحراء الكبرى أخذوا يرسلون أنواعا من هذه المراكب مفككة على الجمال (سفن الصحراء) الى نهر النيجر لاستعمالها هناك .

وصار المسلمون في هذه الاوقات سلاطين البحار كما كانوا سلاطين البر ، فقد بلغت المراكب الحربية

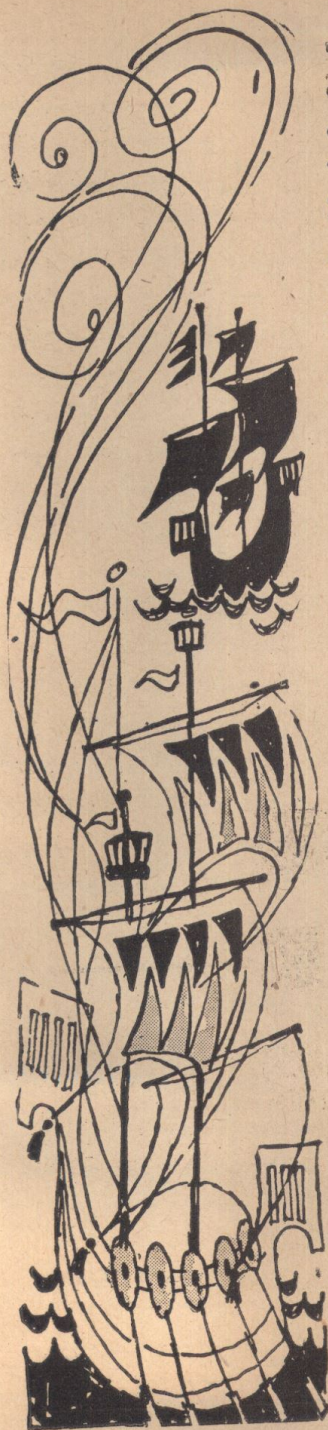
في مصر وحدها في أيام المعز لدين الله الفاطمي ٦٠٠ (ستمائة) قطعة كانها الغاب من الصواري والكمأة فيها الأسود . وكانت أساطيلهم في غاية النعمة تجوب البحار ذاهبة آية بأحسن ما يكون من الزى

السفن العربية الاسلامية وأول من نشر الرايات عليها

وأول من نشر الرايات على السفن العربية الاسلامية كما ورد في النجوم الزاهرة لابن تغري بردى (ج ١ ص ١٢٧ طبع دار الكتب المصرية) : « عقبه بن عامر الجهنى من اعلام الصحابة رضوان الله عليهم وهو المدفون بمصر بمكانه المشهور » اهـ . ويوم مسجده لزيارة قبره المبارك الكثيرون من المواطنين كل يوم جمعة .

ولما كان الشيء بالشيء يذكر نورد لقراء هذه المجلة القراء المعروفة في انحاء العالم الاسلامي ودنيا العروبة مع الفخر والاعجاب لمجد العرب وتفوقهم في علوم البحار وخبرتهم في مسالكها ما نشر في صحيفة الاهرام بتاريخ ٢٦ شعبان سنة ١٣٨٧ (٢٨) نوفمبر سنة ١٩٦٧ بتوقيع الأستاذ « صلاح جلال » وهو يناسب هذا المقام ونصه بالعنوان الاتي :

وسام تقدير للعرب من المؤتمر الدولي الاول لتاريخ علوم البحار



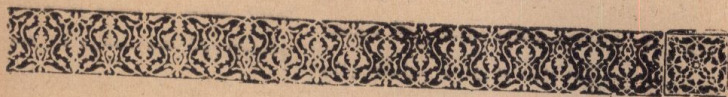
والبحث الثانى عن دور العرب
فى الابحاث البحرية وما ورد فى
الكتب العربية القديمة من تسجيل
لهذه الابحاث مما اعترف به
ساراتون وكراشو كفسكى فى
كتابهما عن تاريخ علوم البحار ،
ولم يقبل لى عالم اخر اكثر من
بحث واحد ، وتستمر الدراسة
داخل الراجع العربية للدمشقى
والقزوينى والاديسى وابو الفدا
وابن بطوطة لتؤكد ان العرب
كانوا اصحاب حضارة بحرية
وانهم ساهموا فى وضع أسس
الملاحة البحرية

وقد اعترف فى المؤتمر الاميرال
ريتشى مدير المعهد البحرى ورئيس
قسم الهيدروجرافى فى بريطانيا ،
والدكتور ديستوم استاذ علوم
البحار الفرنسى ، والدكتور كاروتر
عميد معهد علوم البحار بلندن بان
ابحاث العالم المصرى كشفت
حقيقة غريبة يعرفها العالم لأول
مرة ، وكان الاعتقاد ان العرب
اهتموا فقط بالرياضيات
والكيمياء ، وسجلت ملاحظاتهم
رسميا فى المؤتمر

والعجيب ان الابحاث المصرية
القاهنا سكرتير عام المؤتمر وسمع
الثناء عليها لان صاحبها كان
غائبا رغم انه دعى على نفقة المؤتمر
دعوة كاملة ولكن الاجراءات
والروتين عطلت سفره لبعده
الانتهاء منه !! اه

« وعلتنى أول نسخة من
ابحاث المؤتمر الدولى الاول
لتاريخ علوم البحار بعد طبعها فى
كتاب يعتبر مرجعا هاما فى هذا
المجال ، والمؤتمر عقد فى موناكو فى
اواخر العام الماضى تحت اشراف
اليونسكو والاتحاد الدولى لتاريخ
العلوم واستمر من ١٢ - ١٧
ديسمبر ، ورأسه خبير البحار
العالم الاستاذ ج. روشى واشترك
فيه كبار علماء وخبراء علوم
البحار ومنهم الدكتور كاروتر
وكوستو ودراش وفيدوروف
وهيلا وتاتون وديستومب ومن
كبار ضباط البحرية وقوادها :
برنجيه وجونهايم وفيلجيرى
من كل دول العالم البحرية

وقبل المؤتمر من الجمهورية
العربية وحدها بحثين للدكتور
اتور عبد العظيم « عن التاريخ
العربى لعلوم البحار » ودون
شهاب الدين احمد ابن ماجه
شيخ ملاهى ساحل عمان ، وأول
مبتكر للبوصلة البحرية بتقسيمها
الحالى (٣٢ قسما) ، وأول من
درس الشعاب المرجانية فى
المحيط الهندى ، واستغل دراسة
هجرة الاسماك والحيتان لمعرفة
التيارات المائية المنعكسة ، ووضع
دستورا للملاحة البحرية لا يزال
اكثره متبعا حتى الان .



• الخلفاء الراشدون

• أعلام الإسلام



الصدوق

خليقة

الرسول

اكتملت رسالة السماء ،
ورضى الله الاسلام للبشرية دينا ،
وقال فى محكم كتابه « اليوم
اكملت لكم دينكم ، واتممت عليكم
نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام
دينا »

اولاً ان

محمد عبد العزيز حسن

ومات رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، صعدت روحه الى الرفيق
الاعلى ، بعد ان تحمل الامانة
العظمى قادها اكمل ما يكون
الاداء ، وبلغ رسالة ربه للعالمين
الى كمالها ، متمما بذلك نعمة الله
على البشر اجمعين .

وتعاقب على تدبير الامر بين
المسلمين خلفاء راشدون لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ، ساروا على
هديه ، وسلكوا الطريق الذى
وضعهم عليه ، يمهدون لرسالة
السماء مسارها على الارض ،
ويثبتون فى نفوس الناس
وحياتهم - بما وعوا من رسول
الله وتعلموا منه - حقها وخيرها ،
ويرفعون منار هذا الدين ورايته
فى ربوع العالمين .

وكان جهادهم فى ذلك اقصى
جهاد واعنفه ، وكان العبء الذى
تحملوه اثقل عبء واضناه ،
وكان فضلهم من وراء ذلك اكبر
من ان يفيه حقه ثناء أو اكباراً .

وكان اول هؤلاء الخلفاء أبو بكر
الصديق ، رضى الله عنه وأرضاه

وما اذانى ادعى لنفسى القدرة
على تجلية هذه الشخصية العظيمة
أو الاحاطة بكل جوانب عظمتها ،
وما ارانى ادعى القدرة على
الترجمة لها بحيث تقترب - أو
تكاد - من الحقيقة التى كانت
عليها لا فى هذه الصفحات ولا
فى مئات أضعافها ، وانما الذى
أرجو أن ابلفه - وهو حسبى

وأكثر - أن أضع أمام القارئ
ظلاً - أى ظل - لشيء من حياة
هذا الخليفة العظيم الذى قال
فيه رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، « أبو بكر خير الناس
الا أن يكون نبي » ، والذى كان
يذكره معلنا عن فضله بقوله « ما
لأحد عندنا من يد الا وقد كافيناها
بها ، ما خلا ابا بكر ، فان له يدا
يكافيه الله بها يوم القيامة »

اسمه عبد الله بن عثمان بن
عامر بن عمرو بن كعب بن سعد
ابن تيم بن مرة بن كعب ، فهو
من قبيلة تيم ، يلتقى نسبه مع
نسب النبي صلى الله عليه وسلم
عند مرة بن كعب ، وقد عرف
أبوه عثمان باسم أبى قحافة ،
وامه أم الخير سلمى بنت صخر
ابن عامر من القبيلة نفسها ،
وابنة عم أبيه .

وقد ولد رضى الله عنه -
للسنة الثانية أو الثالثة من عام
الفيل ، فهو أصغر من النبي صلى
الله عليه وسلم بنحو سنتين .

وكان أبيض نحيفاً ، خفيف
العارضين ، معروق الوجه ،
ناتئ الجبهة .

وعرف فى التاريخ بأسماء
كثيرة ، أشهرها أبو بكر ،
الصديق ، ويليها فى الشهرة
عتيق ، وعبد الله ، وقيل انه
عرف بهذه الأسماء أو الألقاب

أقوى الإسلام والجاهلية على
السواء ، وقد ذكر الرواة أسباب
هذه الأسماء وتلك الألقاب فلقب
الصدوق مثلاً عرف به في الجاهلية
كما عرف به في الإسلام ،
وذكروا سبب تلقبائه به في
الجاهلية ، فقالوا أنه كان لكل
قبيلة من القبائل المقيمة بمكة
اختصاص ، وكانت الديار
والمفارم لقبيلة تيم ، وقد آل
أمر الديار في الجاهلية إلى أبي
بكر حين اشتد وقوى على تحمل
الأمور ، وتولى الزعامة في قبيلته
فكان إذا احتمل شيئاً من الديار
صدقته قريش وانفذت ماتحمله ،
وان احتملها غيره ترددت في
قبوله وامضائه ، فذلك لقب
بالصدوق ، وأما في الإسلام فلائنه
صدق النبي صلى الله عليه وسلم
في حديث الأسراء ، وذلك حين
تردد كثيرون وارتدوا عن الإسلام
عندما بلغهم خبر الأسراء ، وذهبوا
إلى أبي بكر يعلمونه الخبر ،
فما كان جوابه إلا أن قال : والله
لئن كان قد قاله لقد صدق ،
أنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من
الله من السماء إلى الأرض في
ساعة من ليل أو نهار فأصدقته ،
فهذا أبعد مما تعجبون منه ،
وجاء أبو بكر إلى المسجد ، واستمع
إلى النبي صلى الله عليه وسلم
يصف بيت المقدس ، وكان أبو بكر
قد رآه من قبل ، فلما أتم النبي
صليوات الله وسلامه عليه صفة
المسجد الأقصى قال أبو بكر ،
صدقت يا رسول الله ، ومن
يؤمند لقيه رسول الله بالصدوق .

عاش أبو بكر طقوته وصباه
بمكة كما يعيش لدائه ، حتى إذا
بلغ مبلغ الشباب اشتغل
بالتجارة وكان موفقاً فيها ، لما
كان عليه من خلق ومعروف ،
وكان الناس يالفونه لعلمه وتجاربه
وحسن مجالسته .

وقد تزوج أربع زوجات ،
واحدة في صدر شبابه وهي فتيلة
بنت عبد العزى ، وقد ولدت
له عبد الله وأسماء ذات النطاقين
وبعدها تزوج أم رومان بنت عامر
بن عويمر فأنجبت عبد الرحمن
وأم المؤمنين عائشة رضوان الله
عليها ، ثم تزوج بالمدينة - بعد
الهجرة - من حبيبة بنت خازجة
وجاءت منه بأم كلثوم - وكانت
حاملة بها وقت وفاته - ثم تزوج
من أسماء بنت عميس فولدت
له محمداً .

وكان في مكة يعيش في حي
التجار النابهين ، حيث كانت
تقيم أم المؤمنين خديجة رضي الله
عنها ، وقد توثقت الروابط بينه
وبين النبي صلى الله عليه وسلم
بعد أن تزوج بالسيدة خديجة
وانتقل إلى دارها ، وذلك لما كان
بينهما من جوار وتقارب في
السبق واشترائه في العمل ، ولما
كان عليه أبو بكر من سلامة
النفس وسكينتها ومن البعد عما
كانت تدبّر به قريش من عقيدة
ويحكم سلوكها من عادات ، يدل
على هذا ما روته الرواة من أنه
خرج بعد ظهور الإسلام مع

المهاجرين إلى الحبشة ألا تقي
أبى الدغنة سيد القارة ، فقال
لأبي بكر ، « ويلك لاتهاجر ، أنك
تصل الرحم ، وتصدق الحديث
وتكسب المصداق ، وتعين على
نوابي الدهر » فوصفه بنظير
ما وصفت به أم المؤمنين خديجة
النبي صلى الله عليه وسلم حين
بعث .

ومن ثم فقد ذهب بعض الرواة
إلى أن هذه الصلة الوثيقة قبل
البعث كانت ذات أثر في سبق
أبي بكر إلى الإسلام ، وقد ذهب
بعض آخر منهم إلى أن الصلة
بين الرسول صلى الله عليه وسلم
وبين أبي بكر رضوان الله عليه لم
تتوثق بينهما إلا يوم أن بعث
الرسول الكريم ولم يتردد أبو بكر
في تصديقه ، ثم زادت بصدق
أبي بكر في الإيمان بمحمد
ورسالته مائة وقوة .

قيل إن أبا بكر أول من أسلم ،
واتفقت الأقوال جميعاً على أنه
أول من أسلم من الرجال ، وفي
ذلك يقول النبي صلى الله عليه
وسلم « ما دعوت أحداً إلى
الإسلام إلا كانت منه عنده كبرة
ونظر وتردد إلا ما كان مع أبي
بكر » ما علم - أي انظر - حين
ذكرته له وما تردد فيه .

ولقد كان إسلام أبي بكر ذا أثر
كبير في استجابة المسلمين
الأوليين لهذه الدعوة ، فلقد تابعه

على الاسلام عثمان بن عفان ،
وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة
ابن عبيد الله ، وسعد بن أبي
وقاص ، والزبير بن العوام ،
كما أسلم من بعدهم بدعوته أيضا
أبو عبيدة بن الجراح وكثيرون
غيره من أهل مكة .

وإذا عرفنا أن أبا بكر كان
حكيمًا يرى عبادة الأصنام حقًا ،
وعرفنا إلى ذلك وقبل ذلك ما في
دعوة الاسلام من حق يقبله العقل
وتقبله الفطرة السليمة ،
وعرفنا أيضًا ما كان يعلمه عن
صاحب الدعوة من صدق وأمانة
ورجاحة عقل ، إذا عرفنا ذلك
لم يملكنا العجب لهذه المسارعة
من أبي بكر في اعتناق الدين
الجديد ، والاستجابة الصادقة
لدعوته ، والمشاركة المستنيرة
في الدعوة لدين الله .

على أن ذلك لا ينبغي أن ينسينا
مبلغ تضحية أبي بكر باعتناق
هذا الدين ، والدعوة له ، وهو
التاجر الذي ينبغي أول
ما ينبغي - لتنجح تجارته أن
يكون من الجميع على وفاق ،
فلقد كان يكفي أن يؤمن في السر
فلا يعلم بإيمانه أحد غير صاحب
الدعوة ، أو على الأكثر خاصة
صاحبه ، أما أن يعلن ذلك على
اللا بل وأكثر منه يدعو إلى ما
آمن به ، معرضًا بذلك تجارته
للبوار ، وصلاته بالناس للضياع
فهذه قمة التضحية وذروة
الإيمان ، وما كان ذلك منه

فحسب ، وإنما كان لهذا الدين
بكيمانه كله وبمسا ملكت يده ،
وحسبنا من هذا أن تعلم أنه كان
له يوم أسلم أربعون ألف درهم
مدخرة من ربح تجارته ، وأنه
أقام يعد اسلامه
يتجر فيجنى وافر الربح ، فلما
هاجر إلى المدينة بعد عشر سنوات
لم يكن له من ذلك كله غير
خمسائة آلاف درهم ، أما سائر
ما كان عنده وما ادخره من بعده
فقد ذهب في سبيل الله والدعوة
إليه وإلى دينه ورسوله ، واقتداء
الأرقاء الذين أسلموا وعذبوا
بسبب اسلامهم ، ويقول عروة
أخبرتنى عائشة أنه مات وما
ترك دينارًا ولا درهمًا ، حسبنا
هذا لنعلم أي إيمان عظيم كان
يحرك أبا بكر فيقف به خلف
الرسول صلى الله عليه وسلم .

أما مواقفه - رضى الله عنه -
منذ أسلم وجهه لله مع الدين
الجديد ، وفي صحبة الأمين
صلى الله عليه وسلم ، فكانت
مواقف واضحة السمو والأصالة
بالغة كمال الشجاعة والفداية ،
فعن سالم ابن أبي الجعد ، قلت
لمحمد بن الحنفية : لأى شيء
قدم أبو بكر حتى لا يذكر فيهم
غيره ؟ قال : لأنه كان أفضلهم
اسلامًا حين أسلم ، فلم يزل
كذلك حتى قبضه الله .

وكان منذ أسلم يرعى تجارته
في حدود ما تحتاج إليه من جهد
الخير ووقته ، أما جل وقته
فكان يقضيه في صحبة رسول

الله ، وفي الدعوة لدين الله ، وفي
مناصرة الضعفاء الذين أسلموا
ودفع أذى المشركين عنهم ،
وتقديم الرأى والمشورة بين يدي
رسول الله حين يطلب منه ذلك .

ولنعلم مقدار اليقين الذي
استقر في صدر أبي بكر بالدين
الذي آمن به ، والحرص البالغ
مداه على صاحب الدعوة ، لا بد
لنا أن نستعيد مواقفه مع
مشركي مكة من دعوة الرسول
صلى الله عليه وسلم ، وأختار من
بين هذه المواقف موقفه عند
الهجرة .

تأمر المشركون في مكة على
الرسول صلى الله عليه وسلم
وأجمعوا أمرهم على قتله ،
فبلغوا بذلك من العداوة والضغينة
والحقد والكراهية مبلغًا غير
محدود ، ومع هذا الخطر الذي
يتهدد حياة صاحب الدعوة ،
لا يكون رفيقه في الهجرة ، في
هذا العمل الفدائي الذي تترصده
العيون المتكاثرة والسواعد المعدة
لا يكون رفيقه غير أبي بكر ،
ويأتي الغار المجهور في الصحراء
فينزل أبو بكر في حرس المحب
الشفيق ليسد فرجة ، فلعل
فيها شيئًا يتعرض معه صاحبه
للأذى ، وحسب هذا الموقف
تكريما أن ينزل فيه قول الله
تبارك وتعالى « لا تنصروه فقد
نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا »
ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ
يقول لصاحبه لا تحزن إن الله

معنا » وقد جاء في الصحيحين من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر وهما في الغار « ما ظنك باثنين الله ثالثهما »

وحين يستقر النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، ويطمئن أبو بكر إلى الوطن الجديد بعد أن يخلق به أهله ، ويطمئن كذلك إلى أن كدح إبنائه وأهله في معاناة الانصار بزراعة أرضهم ، يحقق لهم العيش الكريم الرضى ، بعد ذلك يوجه أبو بكر همه إلى معاناة الرسول صلى الله عليه وسلم في تثبيت الدعوة وتوطيد مركز المسلمين

ولقد شهد أبو بكر مع النبي صلى الله عليه وسلم كل الشاهد ، وحضر معه جميع الغزوات ، وكانت الراية معه يوم تبوك ، وكما صحب الرسول قبل البعثة وقبل الهجرة ، ظل ملازما له حتى انتقل إلى جوار ربه .

ولم يعين الرسول صلى الله عليه وسلم خليفة من بعده يقوم على شئون المسلمين ، وإن كانت هناك إشهارات وأمارات كلها تشير إلى الخليفة وترشحه لحمل الأمانة واحتمال العبء ، وكانت كلها تشير إلى أبي بكر .

من ذلك أنه حج بالناس في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وبعث منه ، وكان ذلك سنة تسع من الهجرة .

ومن ذلك أيضا ما كان من أمر ذلك القتال الذي كان بين جماعة من الأوس إذ ذهب النبي صلى الله عليه وسلم ليصلح بينهم وقال بلال :

ان حضرت الصلاة ولم آت فمر أبا بكر فليصل بالناس

وقد أثبت البخاري عن جبير ابن مطعم أن امرأة أتت النبي صلى الله عليه وسلم فأمرها أن ترجع إليه ، قالت : أرأيت أن جئت فلم أجده ؟ - كأنها تريد الموت - قال : فإن لم تجدني فأتني أبا بكر .

ومن ذلك ما يروى عن عائشة أنها قالت : لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جاء بلال يؤذنه بالصلاة ، فقال : مروا أبا بكر فليصل بالناس ، قلت يا رسول الله ان أبا بكر رجل أسيف ، وأنه متى يقيم مقامك لاسمع الناس ، فلو أمرت عمر ، قال مروا أبا بكر فليصل بالناس فقلت لحفصة : قولي له ان أبا بكر لرجل أسيف ، وأنه متى يقيم مقامك لاسمع الناس . فلو أمرت

عمر ، فقالت له حفصة ، فقال : انكن لأنتن صواحب يوسف ، مروا أبا بكر فليصل بالناس .

وفي أثناء المرض الأخير لرسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى المسلمين يوما في المسجد وقال فيما قاله (ان عبدا خيرته الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله) ثم أمسك ، وأدرك أبو بكر أن النبي يعني نفسه ، فاجشش بالبكاء ، وقال : نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا ، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن تقفل أبواب المسجد إلا باب أبي بكر ، ثم قال مشيرا إلى الصديق ، « انى لأعلم أحدا كان أفضل في الصحة عندى بدامنه وإنى لو كنت متخذًا من العباد خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن صحبة وأخاء وإيمان حتى يجمع الله بيننا عنده »

ولذلك لم يكن عجبا ان يسارع أصحاب الثقيفة السذبن اجتماعوا لاختيار خليفة لرسول الله في اختيار أبا بكر ومبايعته ، مستجيبين للصوت القائل : ارتضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا أفلا نرضيه لديننا ؟

ويقف أبو بكر خليفة رسول الله ليحدد موقفه بين يدى المسلمين ، وفي العدد القادم ان شاء الله نعرض لأبى بكر الخليفة

يجب أن تبدله فيما يستحقه تراثنا وتوجيه تطلعاتنا وتسطيعه قسرتنا ومقدراتنا والسؤال المطروح اليوم كيف نبدا وليس بمن نبدأ فلا يهم أن يكون اهتمامنا موجه لهذا الفرع أو ذلك بل الأهم أن يمثل اهتمامنا في دراسة موضوعية وخطة منظمة للعمل وتنفيذا دقيقا لما نلزم أنفسنا به .

وهذا بالطبع يقتضي البدء عن الطرق العشوائية المتعجلة والاخذة بأيسر السبل والمكتفية بتتبع جهود المستشرقين أو النقل عنهم دون تمييز وتلويح تراثنا بلوق اجنبي وبمغلبة تلقى وجودها تجعل من انشطتها الفكرية مجرد حفظة لجداول القرب الفكرية التي وضعها الاجانب لنا .

ان ما نريده اليوم . الوقوف طويلا امام التراث بفعل متفتح ووجدان يقظ ودوح قوية وعزيمة وثابة نقيم هذا التراث ونزبل عنه ماعلق فيه من زيف وبهتان او ما لحقه من تحريف وتشويه ونعرف ماسرق منه واعيد تصديره اليها في صور فكرية واداءة من الشرق أو الغرب .

وان ما نريده اليوم ايضا وضع الدراسات النجادة عن هؤلاء المفكرين الذين خلفوا لنا هذا التراث للتعريف بهم وتوضيح الجهود التي بذلوها والاشادة باعمالهم . كما نحتاج ايضا الى عملية واسعة لتصوير جميع المخطوطات الموجودة في العالم بحيث تكون المؤلفات الاسلامية كلها موجودة في بلدنا التي كانت دائما منارة للعلم والفرقة كما يجب ان تقوم الى جانب ذلك عمليات مدروسة لاستهلاك هذا التراث والاستفادة فيه في اجية حضارى لامتنا وننا . جديدة نهضة فكرية قدبدانا فعلا في العمل لها .

العملية ليست سهلة لكنها ليست مستحيلة لقدبنينا السد العالي فبناالعبارة اقتصادية وعمرانية مستقرة فلنبني هذا السد الجديد صرحا للمعرفة فمركز اشاع فكرى وصدر نهضة علمية فريدة ولاشك اننا نحتاج ايضا الى معرفة المخطوطات المؤلفات المبعثرة كما نحتاج الى وضع ماسجل هذه المؤلفات يعرف بها

ومما تجدر الاشارة اليه ان تحديد مدى مابذله الفكر المسلم من انهماك فكرية ضرورة علمية اولا وعملا قوميا ثانيا فما اكثر ما سرق منا واعيد تصديره وماكثر ما نقل الاجانب عنا دون الاشارة الى المصادر او نقلوا وغشوا من قيمة الشخص المنقول عنه او نقولوا عليه ولقد تناولنا ابن رشد موضوعا لقال سابق فاستعرضنا حياته وموقفه بين الدين والفلسفة وقلنا ان اوروبا قد تأثرت به واثرنا اشارة سريعة الى دوره في شرح فلسفة ارسطو . ولكن الرجل يحتاج منا الى اكثر من ذلك . ان تراثه الفكرى يحتاج الى مؤلف ضخم فليكن جهد المقل سطورا تصرف بهذا التراث وتشير اليه .

ابن رشد و تراثه الفكرى

الأستاذ فاروق منصور

ولقد استفاد علم الفلسفة من هذا التراث الاسلامى وتفاعل مع هذا التراث وكثرة لا بدل من جهد صادق صوب انتقل الفكر الانسانى الى مرحلة ابعه تقنيا . واعيق اتساجا وادقى اهدافا . وابلغ اثرا وايضع ثمرة . واكثر خصوبة . ولم تعد تلك الجهود الاسلامية مملوكة لاصحابها ان عرفوا بها بل اصبحت تراثا انسابيا تملكه البشرية كلها . ومفخرة حضارية للجنس البشرى على اختلاف الصور وتباين العقائد وتعدد القوميات وتباعد البلدان .

كيف نستفيد من تراثنا الفكرى ؟

ان الاهتمام بالتراث اليوم واجب فوسى فى علنا تسابق الامم فى الحفاظ عليه والاستفادة منه بل انه واجب انساني ولذلك تبدل منظمة اليونسكو جهودا فى ذلك باعتبار ان التراث ملكا للبشرية كلها بما يحويه من جهود وقيم حضارية . ولكن التراث الاسلامى يحتاج الى كثير من الجهود لنقرا لغضامته وتشعب ميادينه وكثرة محدثيه وايما بنا بهمه الرسالة و مقميا فى مرحلة البناء الوطنى . واسهاما فى اعادة بناء مجتمعنا الجديد لابد ان يتصافح اهتمامنا بالتراث وتلفهنا له ولا بد ايضا من اعادة النظر فيه والبحث عما غفلناه او تجاهلناه طويلا .

ولا شك ان هناك جهودا مشكورة بذل اليوم فى هذا السبيل تتمثل فى تحقيق بعض المؤلفات او التعريف ببعض المفكرين كما تتمثل فى صيانة المؤلفات والمخطوطات والتصوير (الميكرو فيلم) لها ولكن برغم ذلك كله مازال عملنا قليلا من كثير

يذين الفكر الانسانى لجهود اسلامية كبيرة بذلت فيه ؛ ولساهمات قام بها مفكرون مسلمون كانت فى مجموعها اضافات حقيقية وعوامل اساسية فى بناء هذا الفكر وتقدمه . هذا الى جانب علوم وفنون كان المسلمون هم روادها وواضعو اساسها ونظرياتنا . لقد كان علم الفلسفة من تلك الميادين التى تأثرت بجهود المفكرين المسلمين لا فى مجال التخصص اى ماعرف بالفلسفة الاسلامية ولكن علم الفلسفة على الاطلاق .

وتمثلت الجهود الفكرية للفلاسفة المسلمين فى ثلاثة اتجاهات :

١ - نقل الفلسفة الاغريقية والمحافظة عليها وبهذا العمل صانوا تراثا فكريا ضخما وحافظوا على قيم فكرية ونظريات كان من المؤكد ان تفقد ويعرم منها البشر ومن ذلك مايعد اليوم اساس الفلسفة .

٢ - نقد وتفتح ومناقشة آراء الفلاسفة السابقين وتقييمها .

٣ - ابتكار فكر جديد خلاق وانتاج ثروة فلسفية جديدة .

ومن الواضح اليوم ان الفلسفة الاسلامية قد اطلت على الفكر الانسانى بمعالجة اذاد تعرضت بهم فيها واهدائها وسمايتها كما مكنت نفسها بانماجهم وثمرات فكرهم مكانة عظمى . واصبح لها هذا التراث العظيم الذى يشد العقول اليه وتكتب الدراسات الكثيرة عنه وتحقق المؤلفات الضخمة منه .

التراث الفكري لابن رشد :

لقد طرق كثيرا من المبادئ في كتاباته فكتب في الفلسفة والشريعة والطب والرياضيات والفلك فكانت له المؤلفات والتشروح والتلخيصات والإضافات والتجديد في هذه المجالات كلها .

ولكن لسوء حظنا أن يفقد الكثير من هذا التراث العظيم ولا يبقى منه الا اقله وهو على هذه الأقله الموجودة عليها فريدا مشرعا كبيرا كما وكيفا .

لقد فقدت أكثر كتاباته العربية وبقيت الترجمة اللاتينية أو العبرية لهذه الكتابات كما بقي بعض منها مكتوبا نصه العربي بعرف غيرية وما زالت هذه المخطوطات موجودة في مكتبات باريس وبرودنو وموسكو وبرلين . وقد نقيت هذه المخطوطات غناية كبيرة فترجم بعضها ونشرت طبعتها بالعربية واللاتينية والفرنسية . كما كتبت كثيرا من الدراسات عن ابن رشد وتراثه وتناولوا الباحثون بالشرح والدراسة وأن كان نصيبه من الدراسة في العربية ضئيلا لا يكاد يذكر .

سنتناول هنا أنفقت قليلا لتحديد هذه الكتابات التي خلفها ابن رشد مقسمة وفقا لأوضاعها ومبادئها المختلفة :

١ - الكتابات الفلسفية :
إننا جميعا نعرف كيف بدأت الفلسفة كعلم فكانت في بدايتها خليطا من علم النفس والمنطق والسياسة والعقائد إلى جانب ما يعرف اليوم بالفلسفة .

فكلنا نحدد أن الفلسفة منطقة أو مفكرين سياسيين فالفلاطون جمهوريته وكتب أرسطو عن المنطق والأشعر وألف ابن سينا في مجالات صفها الأب فتواهي الديمويكي إلى خمسة عشر فرعاً ما بين فلسفة عامة ، وفلسفة نظرية (علوم طبيعية علوم رياضية - الإليات) فلسفة عملية ومتفرقات .

ولقد كان ابن رشد على هذا النهج أيضا لحيات كتاباته موسوعة علمية متكاملة في الفلسفة بمجالاتها المعروفة حينذاك وكان عالما بالفهم الذي تؤديه تلك الكلمة في زمانه فلم يكن متخصصا بالعلمي الضيق لهذه الكلمة في عصرنا بل كان متيزا بعلوم خصها بمؤلفاته فانفرد بها وبرع فيها مع الملم دقيق بالعلوم المعروفة في زمانه ومقدرته فأنفة على استيعاب تلك العلوم والاستفادة منها في المجالات التي قصر نفسه عليها وتنقسم كتاباته الفلسفية إلى أربعة أقسام :

أولا - الشروح : تناول فيها بالدراسة والتعريف أعمال أرسطو منتقا ومفسرا ومصححا كما يكون فيها من أخطاءه ، وبصيفائها ما زادها نصوصا وأصالة فكانت في الواقع نورا أضأه الطريق أمام دارسي أرسطو كما كانت عملا خلافا فريدا استوعب فلسفة المعلم الأول وأفكاره ، كما شرح أيضا بعض أعمال الأفلطون وأن كان شرحه لأرسطو هو ما تميز به حتى لقب بالشارح العظيم .

شروحه على أرسطو هي في الواقع المصدر الأساسي لفلسفة أرسطو فان مؤلفات أرسطو المعروفة لنا هي في الواقع شروح ابن رشد التي فقد أصلها العربي وبقيت الترجمة العبرية لها .

وشروح ابن رشد المعروفة هي :

شرح الطبيعيات لأرسطو ، والكون والفناء ، والنفس ، السماء ، والعالم الآثار العلوية الموجودة بمكتبة بودلين وكتابي الشعر والخطابة اللذين نشرهما لابن رشد ملحقا بهما رسالة مؤلفة لابن رشد في المنطق .

هذا وتوجد نسخة من شروح الطبيعيات في المكتبة الإهلية بباريس

٢ - التحقيقات : الواقع أن شروح ابن رشد لأرسطو تضمنت تحقيقات للنص الأصل الذي تركه أرسطو مع تلوق ابن رشد وتفهمه لهذه النصوص واستيعابه لتناقضاته حتى بات اليوم مؤكدا أنه يشارك أرسطو الفضل في هذا التراث الذي تركه باعتبار أن ابن رشد هو الذي نقله وصانه وحمله إلى البشرية وذلك من خلفه الطريق لفهم فلسفة أرسطو .

٣ - المقارنة والتعليقات :

هي دراسات نقدية للآثار أرسطو وفلسفته وتعليقات على الإسكندر الأفروديسي والفارابي وابن سينا من هذا النوع تعلية على وجهة نظر الفارابي في صناعة علم المنطق والمقارنة بينه وبين أرسطو ومنها تعلية على شرح الإسكندر الأفروديسي على كتاب ما بعد الطبيعة لأرسطو ، ونقد للفارابي وطريقه في فهم أرسطو . ومنها أيضا مناقشته لابن سينا وتعليقه على عقيدة المهدي بن تومر وتلخيص الإلهيات لتينوي والأخلاق لأرسطو .

٤ - المؤلفات الكاملة : وتعني بها تلك الكتابات التي ألفها موضوع واحد كدراسة مستقلة وهي عبارة إنتاج جديد متكامل في الموضوعات التي تناولها ومنها مقالاته في العقل ، القياسي ، كتابه في فحص هل يمكن للعقل الذي منا وهو المسمى بالهولاني أن يعقل الصور المفارقة بخارى أولا يمكنه ذلك . ولقد أراد بهذا البحث أن يجيب نياية عن أرسطو الذي أشار إلى هذا الموضوع في كتاب النفس ولم يضع الجواب عما أشار إليه فتولى ابن رشد الرد .

ومن مؤلفاته أيضا مقاله فيما يعتقد به المشرك وما يعتقد به المتكلمون في كيفية وجود العالم متقارب المعنى ومقال في نسخ منهج من اعترض على الحكم كرواحانية وجود المادة الأولى والبرهنة على أن أرسطو هو الحق . مسائل في الحكمة ، مقالة فيما خاف أبو نصر الفارابي أرسطو ، كتاب تهافتاتهات وفيه يرد على أبي حامد الغزالي وهجومه على الفلاسفة في كتابته تهافت الفلاسفة وقد حاول في هذا الكتاب الدفاع عن الفلسفة والتوفيق بينها وبين الدين ، كتاب فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال لاثبات أن

الشريعة الإسلامية تحت على النظر العقل وتوجه ، مقال في العقل المقارن بالإنسان مقالة في اتصال العقل بالإنسان .

مؤلفات ابن رشد في الشريعة الإسلامية :

معروف لنا جميعا أنه كان فقيها بالدراسة والممارسة لولايته القضاء في قرطبة وأشيعلية علاوة على محاوله بمؤلفاته الفلسفية وشروحه من الترتيب بين الفلسفة والشريعة . . . وقصد دفعه ذلك إلى كتابات مؤلفات خاصة في الشريعة الإسلامية هي في حقيقةها دراسات نادرة وعملا فيما ومؤلفاته هي بداية المجتهد ونهاية المقتصد في الفقه وكتاب التحصيل وقد جمع فيه اختلاف أهل العلم من الصحابة والتابعين وتابعهم ومذاهم ومواضع الاحتمالات التي هي منار الاختلاف - كتاب المقدمات في الفقه كتاب منهاج الأدلة في علم الأصول وقد طبع ونشر مع فصل المقال (رد ابن تيمية باسم فلسفة القاضي ابن رشد في القاهرة كما نشره مولر باللاتينية في ميونيخ عام ١٨٥٩

المؤلفات الطبية لابن رشد :

اشتهر في مجال الطب بعلاجه للمنصور وأنه كان طبيبه الخاص بعهد من منعت الشيخوخة ابن طفيل من خدمة المنصور . كما اشتهر بنشوغي في هذا المجال في كتاب منهاج الأدلة أما حيث التالف فقد بلغ شهرة واسعة بتأليفه كتاب الكليات ولم يكتب في الأمور الجزئية بل ترك الكتابة فيها لاصدقه أبي مروان بن زهر . وكما كانت خدمة الشريعة الإسلامية هي هدفه بمؤلفاته فشرافها أيضا دافعه إلى الطب وفي ذلك يقول : من اشتغل بعلم الشريعة ازداد إيمانا بالله ويوجد الكتاب مخطوطا بآسيا ومكتبة موسكو .

كما لخص عدة مؤلفات لجالينوس منها المزاج ، كتاب القوى الطبيعية ، الأدوية المفردة ، والتصنيف الثاني من كتاب حيلة البر ، كما كانت له مراجعات ومباحث مع أبي بكر بن طفيل في رسمه للدواء في كتابة الكليات .

وله مقالات في الترياق - مقالة في المزاج - مسألة في توابن الحي مقالة في حيمات العين :

المؤلفات الفلكية والرياضية :
بقي من مؤلفاته مقالة في حركة الفلك ومسألة في الزمان . كما لخص الاستقصات عن جالينوس . وقد فقد كتابه في العيون بهذه المؤلفات استطاع ابن رشد أن يكون بحق واحدا من نتاج المدرسة الإسلامية التي بنت نهضة فكرية استغل العالم كله بها وأخذ عنها وتتلذت شعوب كثيرة عليها .

وبهذه المؤلفات دخل ابن رشد إلى عالم الخلود عملاقا في فكر معجز في مؤلفاته داعيا إلى التوفيق بين الدين والفلسفة بكتابات واضعا علمه وفكره وقلمه في خدمة الشريعة الفراء مؤديا واجبه كما يجب أن يؤديه العلماء المسلم في كل زمان ومكان .



الدعوة مع الفكرة

الاستاذ عبد السميع البطاح

تصوفه :

التصوف ..

معناه و منشؤه وتدرجه

الكعبة ، ففعلت ، نقل ذلك الحافظ ابن الجوزي في كتابه (تلبيس ابليس) عن السائب الكلبى ، وقال ابن الجوزي كانت النسبة في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم = الى الاسلام والايمان فيقال : مسلم ومؤمن ، ثم حدث اسم زاهد وعابد ، ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعب ، فتخلوا عن الدنيا وانقطعوا الى العبادة واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها ، وأخلاقا تخلقوا بها .

متى ظهر اسم التصوف

قبل انه ظهر سنة ما تثنى ، وتكلموا فيه وعبروا عن صفته بصفات كثيرة وحاصلها : أن التصوف عندهم رياضة النفس ، ومجاهدة الطبع ، برده عن الأخلاق الرذيلة ، وحمله على الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر ، والإخلاص ، والصدق الى غير ذلك من الخلال الحسنة .

حقيقة معناه أنه مشتق من الصوف ، لأنه اللباس الذي كان غالبا على الصوفية وقيل : أنه مأخوذ من كلمة سوفى اليونانية ومعناها الحكمة ، وقالوا ذلك في كلمة فلسفة أيضا ، وقيل انه نسبة الى صوفية وهو لقب الفوث ابن مرة من مضر ، لأنه اشتهر عند العرب بأنه أول من انقطع الى الله تعالى لعبادته عند الحرم ، وتسلسل ذلك فى ولده فأصبح لقب صوفية يطلق على كل منهم ، وناطت العرب به وبهم من بعده اجازة الناس بالحج من عرفة ومنى وهى الافاضة منهما ، فكانت لاتفيض حتى يفيض صوفته ، فاذا حانت الاجازة تقول : أجزى «صوفته» وكان سبب هذه التسمية أن أم الفوث كان لا يعيش لها ولد ، فنذرت : لئن عاش لتعلقن برأسه صوفة ولتجعلنه من المرابطين فى

قدمت أن الشيخ أتاحت له تربية صوفية نقية على يد شيخه ومريه الشيخ درويش خضر ، وأن هذا الشيخ كان من القلائل الواصلين ، الذين عرفوا حقيقة التصوف علما وعملا ، وعرفوه نقيًا من الخرافات والشطحات التى غرق فيها كثير من الذين زاولوا التصوف ، وقد رايت زيادة فى الفائدة أن أعرض خلاصة فى تعريف التصوف ، ومنشئه ، وتطوره ، ونحن نترجم لشيخ من شيوخه ، كان يخفى عن الناس حاله ، لأن مدار التصوف على الرياضات الروحية ، وأساسها عمل القلب ، وخلوص النية ، والبعد عن الرياء أو ما يشتم منه رائحة الرياء ، ولذلك كان كثير من الناس يظن أن الشيخ محمد عبده من رجال الدنيا ، بل أن بعضهم كان يسئ الظن به كما يتضح من ترجمته ، وكما ألمت الى ذلك فى ترجمة السيد جمال الدين

الإمام محمد عبده

بالمربوب ، والعابد بالمعبود ، وقال
قائلهم :

العبد رب ، والرب عبد

يا ليت شعري من المكلف ؟

ويشبهه عندهم القول
بالجبرية ، ومعناه : أن العبد
ليس له اختيار في أفعاله لأنه
مجبور عليها ، فأفعاله تشبه
رغبة المحموم وهي اضطرارية
لا اختيارية أو أنه كالريشة في
مهب الرياح تشرق بها وتقرب ،
وتقبل وتدبر ، وهذا سلب محض
لإرادة الإنسان التي جعلها
الله مناط التكليف وجعلها مناط
الثواب والعقاب ، والآيات
القرآنية الكثيرة تدعو باطلهم بل
العقل كذلك لا يتصور أن يعاقب
الله العبد ، وهو مجبور على ما
فعل لأنه ظلم بتنزه الله تعالى
عنه ، ومع أقوالهم في ذلك :

قال ابن الجوزي : إن أوائلهم
كانوا على ذلك حتى ليس عليهم
الشیطان فكان أول تلبسه أن
صدهم عن العلم ، وأراههم أن
المقصود العمل ، فلما انطلقوا
مصابيح العلم تخطوا في الظلمات
فمنهم من غلا في ترك الدنيا
وهي قوام مصالح الخلق ، ومنهم
من أغرى بتعذيب النفس بالجوع
والعري والفقر الاختياري ،
ومنهم من غلبت عليه الخيالات ،
حتى قالوا بالحلول والاتحاد ،
وكانوا يعنون بالنظافة والتنطع
في الطهارة ، وراجت عليهم -
لقلة العلم - الأحاديث الموضوعة
إلى آخر ما أطال به .

أقول توضيحا لقوله : حتى
قالوا بالحلول والاتحاد ، وإن
معناه عندهم وهو من ضلالتهم
أنه ليس هناك رب ومربوب ،
ولا عابد ومعبود فقد اتحد الرب

أصبحت منفلا لا تختاره

منى ففعل كله طاعات .

ويترتب على ذلك أن إبليس
نفذ ما أواه الله منه فهو مطيع
وآدم أكل من الشجرة لأنه مجبور
على ذلك ، فلم يعص الله ويؤولون
قوله تعالى « وعصى آدم ربه
فغوى » بأنها معصية في الظاهر
طاعة في الواقع ، وهكذا قل في
كل عاص لله ، وليس هناك هدم
لشرائع كلها أكثر من هذا

ولعمري ، لست أدري ماذا
يصنعون في الآيات الصريحة بأن
الإنسان مجزي بعمله ، « فمن
يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن
يعمل مثقال ذرة شرا يره . »
« وقل أعمالوا فسيرى الله عملكم
ووسووله » والآيات الكثيرة
المختومة بمثل قوله « جزاء بما
كانوا يعملون » « ادخلوا الجنة
بما كنتم تعملون » « إلى من

أكتب سيرة واحاطت به خطيئته
فأولئك أصحاب النار ، هم فيها
خالدون « الآيتين . ومثل هذه
الآيات يطول عددا

وإنه ليرتب على قولهم هذا
هدم قاعدة من بدهيات الأديان
وهى أن الله تعالى لا يسوى بين
الطائع والعاصى ، ولا بين الكافر
والمسلم وأنه خلق الجنة لمن أطاعه
ولو كان عبدا حبشيا ، وخلق
النار لمن عصاه ولو كان شريفا
قرشيا ، وهؤلاء بعقيدتهم هذه
لا يفرقون بين مؤمن وفاسق ،
وباليتهم يقرءون « أفمن كان
مؤمنا كمن كان فاسقا ؟
لا يستويون » - الآيات أو يقرءون
« أم حسب الذين اجترحوا
السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا
وعملوا الصالحات سواء محياهم
ومماتهم ؟ ساء ما يحكمون » أو
يقرءون « أفجعل الذين آمنوا
وعملوا الصالحات كالمفسدين فى
الأرض ، أم نجعل المتقين
كالفجار » والمقصود أن هذه
الفلسفات التى دخلت على
التصوف أضرت بسمعته ،
وفتحت الباب لكثير من المفسد
.. ولقد قرأت فى مبعة الصبا
« باب التوكل » من الأحياء
للإمام الغزالي - وهو من هو -
أرايت ميلا كثيرا الى مذهب
الجبرية ، الذى اضطرت فيه
الأفكار ، وتسابت فى ميدانه
جياذ الأقلام ، وحسبنا هذا
القدر الاستطاردى ، ونحن يصد
الكلام على التصوف .

أول من صنف فى التصوف

ذكر ابن الجوزى بعض من
الفوا فى التصوف أو هذبه
وقال ان أول من ألف لهم فى
الزهد والفلو فى ترك الدنيا
الحارث المحاسبى وصنف
السلمى كتاب السنن وجمع لهم
حقائق التفسير ، فذكر عنهم ما
فيه العجب من تفسير لا يستند
الى أصل من أصول العلم ، وذكر
ابن الجوزى أن السلمى هذا غير
ثقة ، وأنه كان يضع لهم
الأحاديث « الى أن يقول :
وصنف لهم عبد الكريم بن
هوازن القشيري كتاب الرسالة
فذكر فيها العجائب من الكلام
فى الفناء والبقاء ، والقصص
والبسط ، والحال والوجد ،
والوجود ، والجمع والتفرقة ،
والصحو والسكر والدوق الخ
ثم ذكر تصنيف الغزالي للأحياء
ما فيه من الأحاديث الباطلة وأنه
لم يكن يعلم بطلانها اه .

ويقول الامام محمد رشيد
رضا : ان احياء علوم الدين هو
أحسن كتبهم ، ومؤلفه الامام
أبو حامد الغزالي ، كان أوسعهم
علما بالكلام والفقه والأصول ،
وأدقهم فهما فى أسرار الشريعة
وحكمها ، ومع ذلك كله نرى فى
الأحياء كثيرا من الأحاديث
والآثار الموضوعية والواهية ،
وجلها أو كلها منقولة من كتاب
قوت القلوب ، وهى هى ،
وما أخذ منها وبني عليها هو كل

ما ينتقد على هذا الكتاب الجليل
ولكن لانعرف كتابا لعالم من علماء
الاسلام أشد جذبا الى الدين ،
وتأثيرا فى قلوب القارئ من
هذا الكتاب .

ثم يقول السيد رشيد : وإذا
كان كثير من الصوفية قد
أخطأوا يقبل بعض الموضوعات
الواهيات ، والاحتجاج بها ،
والاستنباط منها ، فهذا خطأ لم
يسلم منه كثير من الفقهاء
الذين تحاملوا عليهم ، وضلوا
بعضهم ، وكفروا آخرين فى
القرون الأولى عندما كان الصوفية
صوفية كاملين فى طريقهم ، ثم
خضعوا لهم وذلوا ، وأولوا
كلامهم المخالف لظواهر الشريعة ،
وكذا المخالف لنصوصها وذلك
بعد أن طرا عليهم ما طرا
الشذوذ والبدع الكثيرة

وتكلم ابن خلدون عن متأخري
الصوفية ، الذين تكلموا فى
الكشف وما وراء الحس وغلوا
فى ذلك ، فقالوا بالحلول
والوحدة « وقد تقدم الكلام فى
ذلك » قال : ومنهم الهروى وابن
سبعين ، وتلميذهما ابن العفيف
وابن الفارض والنجم الاسرائيلي
فى قصائدكم ، وكان سلفهم
مخالطين للأسماعيليين المتأخرين
من الرافضة الدائنين أيضا
بالحلول والهيئة الإئمة مذهباً لم
يعرف لأولهم فاشرب كل واحد
من الفريقين مذهب الآخر ،
واختلط كلامهم وتشابهت

عقائدهم ، وظهّن في كلام المتصوفة القول بالقطب ومعناه رأس المصارفين ، يزعمون أنه لا يمكن أن يساويه أحد في مقامه في المعرفة ، حتى يقبضه الله ، ثم يورث مقامه لآخر من أهل العرفان إلى آخر ما أطال به ابن خلدون .

ولابن تيمية فتوى في الصوفية والفقراء نشرت في رسالة على حديثها ضعف فيها القول بنسبتهم إلى صوفة ، لأنها قبيلة كانت في الجاهلية ولا وجود لها في الاسلام ، ثم قال ان أول ظهورهم كان في البصرة لأنه كان فيها من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك مما لم يكن في سائر الأمصار ، ولهذا كان يقال : فقه كوفي ، وعبادة بصرية ثم بين الراجح من الشائل من أحوالهم بعد وزنها بميزان الشرع وسيرة السلف الصالح وقال : ان الناس بين ذم لهم ، وبين غل يدمي أنهم أفضل خلق الله بعد الأنبياء والصواب هو الوسط ، وقد انتسب اليهم طوائف من أهل البدع والزندقة ، وأنه حدث بعد الأولين منهم صنفان وهم صوفية الأرزاق الذين يقيمون في الخوانك ويأكلون فيها ما وقف على الصوفية ، وصوفية الرسم ، الذين همهم تقليدهم في اللباس والأدب الوضعية .

وقد لخص السيد رشيد رضا - وهو ابن بجدهما - الموضوع بما حاصله ، أن الصوفية طائفة انقطعت إلى الزهد في الدنيا ، والعمل للأخرة برياضة النفس ، وتربية الإرادة ، والأخذ

بالعزائم ، ومحاسبة النفس ، وحسن النية ، والمبالغة في العبادة ، وغايتهم الوصول إلى تجريد التوحيد ، وكمال المعرفة بالله تعالى - ثم قال : وإن رياضة النفس وتزكيتها ثمر للصادق فيها علما وعرفانا يسمن الله في الأرواح وأسرار قواها ، وأحوالا وأذواقا غريبة غير مألوفة ولا معروفة لأهلها « منها » التأثير بقوة الإرادة في بعض أمور الكون كشفاء مريض ، وتفتير من الشر ، وجذب إلى الخير ، ويسمونه التأثير بالإرادة والهمة « ومنها » معرفة بعض الأمور من غير طريق الحس أو الفكر ، وهو ما يسمونه الكشف ، « ومنها » الكشف على دقائق أسرار الشريعة وحكمها وصفات النفوس البشرية وقواها وعملها .

قال : وإن هذا التصوف برياضة النفس قد سبق للمسلمين إليه قدماء الهند والصين واليونان ، وقد سرى إلى المسلمين كثير من بدع أولئك الأقوام وضلالاتهم ، وشعائهم وشاراتهم « كالسبح » والإعلام حتى أنهم أخذوا عنهم فلسفة وحدة الوجود فصارت غاية الطريق عندهم ، وبث الباطنية في التصوف ضلالات أخرى شر أصولها التأويل البعيد للآيات والأحاديث وطاعة الأذعان لكل ما يأمر به السالكين شيوخهم وإن كان منكرا ، وعدم الإنكار عليهم في

شيء وكانت الباطنية تقصد بهذه التعاليم إفساد دين الاسلام وإبطاله وإزالة ملكه بالدسائس التي وضعها عبد الله بن سبأ اليهودي وجميعيات المجوس السرية التي بثت في المسلمين دعوة القلو في التشيع لأهل البيت والطعن في أعظم الصحابة لإفساد دين العرب وتقويض دعائم ملكهم بالشقاق الداخلي ، لتمكين تلك الجمعيات بذلك من إعادة ملك المجوس وسلطان دينهم للذين أزالهما العرب بالاسلام ، ولولا هذان الأصلان - التأويل ، والطاعة المطلقة - لما راجت الضلالات والبدع في هذه الطائفة ، لأن أصل طريقتهم تزيكية النفس بالعلم والعمل الشرعيين مع الصدق والإخلاص والأخذ بالعزائم ومحاسبة النفس حتى على الخواطر ، ومن الماثور المشهور عن أئمة الصوفية قولهم : التصوف أخلاق . فمن زاد عليك في الأخلاق زاد عليك في التصوف ، ومن قواعد الاسلام المنصوصة المعلومة منه بالضرورة أنه « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » « وأنما الطاعة في المعروف » وفوقه قول الله تعالى لرسوله - صلى الله عليه وسلم - في آية المبايعة « ولا يعصينك في معروف » ثم بين أن الضلالات والبدع التغلغل في كتب الصوفية قسما : ما أخذه الباطنية من صوفية البراهمة واليونان ودسوه في التصوف

الاسلامى ، وليس له أصل فى الكتاب ولا فى السنة الا ما زعموه من التأويلات المخالفة للفقه والشرع - وما أحسنه بعض شيوخ الطريقة من الأوراد والشعائر الدينية المخالفة للسنة فى ذاتها وأصلها ، أو فى صفتها وطريقة أدائها ، حتى ان بعض كبار الفقهاء والمتكلمين روجوا بعض هذه البدع والآراء بالتأويلات والتوسع فيما جوزه بعضهم من العمل بالحديث الضعيف فى فضائل الأعمال ، ولم يراعوا ما اشترطه المحققون فى هذا من الشروط ، فترى مثل الفيزالى من أكبر أئمة علماء الكلام والفقه يرغب فى بعض العبادات المبتدعة مستدلا عليها بهذه الأحاديث الواهية أو الموضوعية ، دع ما يتعلق منها بالاعتقاد .

مثال ذلك صلاة الرغائب فى رجب ، وصلاة ليلة نصف شعبان ذكرهما الفزالى فى الأحياء ، مستدلا عليهما بما ورد فيهما وهو موضوع وقد قال فيهما النووي فى منهاجه : وصلاة رجب وشعبان بدعتان فیهتان مذمومتان ، ولم يكن النووي أعلم بفقه الشافعى من الفزالى ، ولكن النووي كان أعلم منه بالسنة فان الفزالى لم يتوسع فى علم السنة الا فى آخر عمره

ونعمت الخاتمة التى وفقه الله لها بحسن نيته وإخلاصه للدين .

ومما أخذوا فيه بالضعيف الواهى - وهو أكثر - دعاء الوضوء وأقول : ان النووى نفى ورود شيء من السنة فى دعاء الوضوء فى مواضع من كتبه ومنها الأذكار .

الى أن يقول : وجملة القول فى صوفية المسلمين أن علماءهم كسائر أصناف علماء المسلمين الذين استعملوا عقولهم فى الدين من المتكلمين والفقهاء ، كل صنف قد انفرد بالتوسع فى علم ، فجاء فيه بما لم يجيء به غيره ، وكل منهم أخطأ وأصاب فالصوفية اتقنوا علم الأخلاق والآداب الدينية ، وحكم الشريعة وأسرارها ، وطرق تركية النفس وإصلاحها ، وهذا غرض الدين ومقصده ، فان كانوا قد غلبوا واتوا ببعض ما يخالف النصوص ودخل فى كتبهم وأعمالهم من تصوف الامم السالفة ومن البدع ما يكره الاسلام ، فالتكلمون أيضا قد دخل فى كتبهم مثل ذلك من الفلسفة اليونانية وغيرها من البدع المخالفة للنصوص ، ولما كان عليه السلف وكذلك الفقهاء قد دخل فى كتبهم مثل ذلك بالرائى والقياس والأخذ بالأحاديث الضعيفة والموضوعة الخ . ما أطال به وكله مفيد نافع (٥١)

وعلى الجملة فكتب التصوف اختلط فيها تعاليم الباطنية التى أخذوها من صوفية البراهمة واليونان مما لا يعرف أصل من كتاب ولا سنة ، ولا عمل السلف ، ومما أحدثه بعض شيوخ الطرق من الأوراد والشعائر المخالفة للسنة فى ذاتها أو فى كیفيتها ، وهذه

العبادات من البدع التى يسميها الشاطبى فى الاعتصام بالبدع الإضافية ، وهى التى لها أصل فى العبادة ، ولكنها استحدث لها طرق وأوقات وكيفية تؤدى بها ، وأقل ما يقال فيها : ان النبى - صلى الله عليه وسلم - لم يعملها ولا أمر بها أحدا من أصحابه ، ومحال أن يكون فى عملها خير ولا يسبق اليه - هو ولا أصحابه « وكل محدثة بدعة » وكل بدعة ضلالة »

قال ابن مسعود : لأنتم على شعبة ضلالة أو أهدى من أصحاب محمد ، ويحضرنى فى هذا المقام ان سائلا قال للإمام مالك ، أريد أن أحرم من دويبة أهلى ، فقال له : لا تفعل ، فأتى أخشى عليك الفتنة ، فقال : وأى فتنة فى هذا ؟ ان هى الا أميال أزيدها فى طاعة الله ، فقال مالك - رضى الله عنه - أترعم أنك أهدى من محمد وأصحابه وتلا عليه قوله تعالى : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة » ، أو يصيبهم عذاب أليم » وأما تقسيم البدعة الى حسنة وقيحة ، فهو تقسيم حسن ، ولكن فى غير العبادة التى مدار أمرها على التوقيف والاتباع ، « وكل خير فى اتباع من سلف ، وكل شرفى ابتداء من خلف » أما فى أمور الدنيا مما يرقى فى الزراعة أو التجارة أو يزيد الأمة قوة واتحادا كأسس الجمعیات والشركات والمخترعات النافعة التى بها تكون الأمة قوية عزيزة لتجارى الأمم الراقية ، فحبذا كل مبتدع فى هذه الأبواب (٥٢)

للبحث بقية

مجددو الإسلام في العصر الحديث

ميراث الهجري العلوي

شهد «عالم الإسلام» في أوائل القرن الرابع عشر الهجري (يقطة) فكرية إسلامية عربية ، تناثر فيها المصلحون والمجددون والمجتهدون في مختلف وحدات الأمة العربية والعالم الإسلامي ، فحيثما التهمت في قطر من الاقطار ضوءا ، وجدت منارا عاليا ، ففي الهند ، والجزيرة العربية ، والمشرق العربي برز أعلام : من أمثال الأئمة : محمد بن عبد الوهاب والشوكاني وشبلي النعماني والالوسي وكاشف الغطاء وجمال الدين الأفغاني ، والبيطار والقاسمي . فإذا يمت شطر المغرب العربي وجدت السنوسي الكبير . أما في المغرب الأقصى فكان العلامة « محمد بن العربي العلوي » هو حامل لواء الإصلاح منذ ١٢١٦ هـ إلى أن توفي ١٣٨٤ هـ خلال فترة لا تقل عن سبعين عاما . يمثل القيادة الفكرية الإسلامية في المغرب كله وقد نشأ الاجيال من المجاهدين والكتاب والمفكرين في مختلف مجالات السياسة والاجتماع والدين والاخلاق .

الاستاذ أنور الجندي

وقد ظلَّ حياته كلها التي
أربت على خمسة وثمانين عاما ،
مناضلا جريئا قوى القلب جهوري
الكلمة ، لا تتوقف معاركه ولا
خصوماته ، شأنه في ذلك شأن
استاذة ورائد حركة الإصلاح
الإسلامي « ابن تيمية » فقد هذا
العلوي الحياة الفكرية الإسلامية
وكشف عنها ذلك الغشاء الذي
خلفته فترة التخلف والضعف
والجمود والتقليد ، وأبان عن
جوهر الإسلام وفكره المتألق ، في
بساطته وسلامته وصفائه ،
وقد برته على مواجهة العصور
والبيئات ، ومداغة الحضارات
 والمدنيات ، يوجهها ويعدل نهجها
دون أن يصادمها أو يقف في
وجهها .

ولقد كان شأن هذا الجيل من
المصلحين الاعلام ، جد خطير ،
فقد كانت مرحلة الجمود والجبرية
التي فرضتها مرحلة التخلف عن
مقهوم « التكامل » و « الوسطية »
في الإسلام بالانحراف إلى جانب
الروح دون العقل ، والعاطفة دون
الفكر ، كان أثر هذه المرحلة
عميقا في النفوس والبيئات
والمجتمعات ، وكانت الوراثة
التقليدية قد فرضت على « جوهر
الإسلام » غشاوا كثيفا ، وترك
قشرة جامدة ، وكان لا بد لكي
يكشف الإسلام عن قيمه
الاساسية من أن يزيل هذا الغشاء
الكثيف ، وأن يطلع الانسانية
من جديد على أصالته ، ولكي
يكون ذلك سلاحا يواجه به ذلك
الغزو السياسي والعسكري
والفكري الغربي الذي فرض
نفسه على عالم الإسلام منذ
احتلت الجزائر ١٨٣٠ ، ثم اتصلت

حلقات الاحتلال وامتدت لتطوف
عالم الاسلام كله .

في هذه المرحلة برز « محمد بن
العربي العلوي » ليحمل لواء
الاصلاح .

وقد كان دعاة الاصلاح
والتجديد في الفكر الاسلامي احد
رجلين رجلا يحمل القلم
ويصحح المفاهيم ويكشف عن
الحقائق . وقد كان عمل مثل هذا
المجدد بطيء الاثر ، وكان من
هؤلاء الاوسى والشوكاني وشبلي
النعمانى .

ورجل يحمل لواء الاصلاح
بالتوجيه من خلال كيان المجتمعات
وعن طريق الاقناع والمواجهة
للمجموعات في المساجد والمعاهد ،
وذلك ما فعله (محمد بن العربي
العلوي) وهو مثيل لما فعله ابن
تيمية ، ومحمد بن عبد الوهاب ،
وعبد الرزاق البيطار ، وجمال
الدين القاسمي ، وقد واجه
امثال هؤلاء خصومة عنيفة وتحديا
خطيرا من العمامة ومن قوى
الاحتلال والاستعمار التي كانت
ذاتها حريصة على ان يظل المسلمون
غارقون في مفاهيم جامدة اتصلت
بدينهم من خلال رحلة طويلة ، مع
الزمن واتصال بثقافات امم
متعددة ، واضافات واسرائيليات
وكتابات الباطنية والصائبة
وشبهات الفلسفات والوثنيات
المتعددة ، والشعوبيات المتجددة
وضعف القيادة الفكرية في مرحلة
ضعف الدولة الاسلامية وانقسامها
وصراعها ، وقد كان هذا الانحراف
عن مفهوم الاسلام « فكريا »
بالتجزئة والفصل بين ثقافي العقل
وثقافي الروح ، أو بالانحراف عن

مفهوم الاسلام « اجتماعيا »
بالتخلف في مجال العلم والجيش
والقوة ، كان ذلك كله عاملا من
عوامل التمزق الذي اتاحت
الفرصة لقوى الفؤد الغربي
الكبرى بالتقدم على مختلف جبهات
العالم الاسلامي ، بغداد ودمشق
والقاهرة والمغرب .

هناك هب هؤلاء الدعاة
الجاهدون يعملون في سبيل تحرير
القيم ، وتصحيح المفاهيم ، وازالة
الفشاة عن جوهر الاسلام ،
وكذلك كان الامام « محمد بن
العربي العلوي » هو حامل لواء
الاصلاح في هذه المرحلة خليفة
لمحمد ككون وشعيب الدكالي .

ولعل أبرز ما يمثّل في حياة
العربي العلوي هو أنه شاهد
احتلال فرنسا للمغرب منذ بدأ
زحفها عام ١٩٠٠ على ثوات
و ١٩٠٧ على وجدة و ١٩٠٨ على
الدار البيضاء ثم سيطرتها الكاملة
عام ١٩١١ . وكان هذا هو ما
دفعه الى العمل عن طريق المجال
الوحيد الذي عرفه المصلحون في
هذه الفترة: ميدان العلم وتصحيح
المفاهيم .

وكان الامام محمد عبده قد
زار في هذه المرحلة تونس
والجزائر قبل وفاته عام ١٩٠٥ .
ثم أصبح لمجلة المنار التي يصدرها
تلميذه « رشيد رضا » مدرسة
كاملة هناك تجرى في نفس الاتجاه
الذي سار فيه العلامة العربي
العلوي .

ومن حق ان هذه المدرسة
الاصلاحية التي كانت ترى في
« التوحيد » سلاحا ضخما في

وجه الاستعمار والاستبداد على
السواء ، قد استطاعت أن تعمل
في كل وحدات العالم الاسلامي
وأن تواجه النفوذ الغربي الذي
كان يعمل على أن يحطم مختلف
مقومات الفكر الاسلامي : اللغة
والتاريخ والدين والتراث
استطاعت أن تقاومه بالدعوة الى
التوحيد والتحرر من الجبرية
ومن الاضافات التي اضيفت في
عهد الضعف .

واستطاعت في خلال نصف قرن
أن تعيد « الاسلام » الى مفهومه
الاساسي وان تكشف عن جوهره
الاصيل ، مؤمنة بان ذلك هو
الوسيلة الوحيدة الى تحقيق
الحرية السياسية والعدالة
الاجتماعية والحصول على الاسلحة
القادرة على مقاومة النفوذ
الاستعماري والتحرر منه ، فقد
أثار الاستعمار على (الاسلام)
حملة ضارية وحاول أن يصوره
بصورة اديان أخرى وقتت في
وجه النهضة والحرية والعلم ،
وحاول ان يصور قضية التأخر
والضعف التي عاشها المسلمون في
القرنين الاخيرين راجعة أساسا
الى الاسلام ، وقد استطاع هؤلاء
المصلحون ان يكشفوا هذا الزيف
وأن يؤكدوا حقيقة جوهرية : هو
ان التخلف والضعف وسقوط
عالم الاسلام في قبضة النفوذ
الاجنبي انما كان مصدرها
الاساسي هو الانفصال عن قيم
الاسلام ومقومات فكره ، وجوهر
مفاهيمه .

وأن الاسلام لا يعارض الحضارة ولا يفساد العلم ، ولا يرفض النهضة ، بل هو أداة اكيدة في الحرية والقوة والبناء والحضارة ، وآية ذلك انه حين التمس « المسلمون » جوهره ومفاهيمه ومقوماته استطاعوا بناء حضارة ضخمة ، كان الاسلام عوناً فيها على العلم ودافعاً الى الحضارة ، ولم يكن عائقاً ، ولا جامداً ولا حائلاً ، بل لعله للمرة الأولى في تاريخ الحضارات الانسانية استطاع - اى الاسلام - ان يصفى على الحضارات (روح القيمير) ، وعلى النهضة (طابع الحق) وأن يجعل المعنى الروحي معتزلاً بالمعنى المادى فى مختلف مجالات اعمال والسياسة والاجتماع والاقتصاد وأن يجعل « الخلق » أساساً وجوهاً لكل هذه القطاعات من المجتمع والحضارة وذلك . الفرد بناء سليماً ليكون لبنة صالحة فى بناء المجتمع الناهض .

عاش شيخ الاسلام محمد بن العربى العلوى حياة خصبة رأى فيها المغرب خلال مراحل الثلاث: قبل الاحتلال - خلاله - وبعده ، وشارك فى هذه المراحل مشاركة فعالة ، ذات طابع ايجابى قوامه مفهوم الاسلام فى التجديد والاصلاح . وقد قلب فى كثير من المناصب خلال هذه المرحلة الطويلة ، استاذاً فى جامعته فاس ، وقاضياً ، ووزيراً ومفتياً

عاماً ، وشارك فى الحركة الوطنية التى انبثقت أساساً من حركة الاصلاح الدينى وكان بالغ الاثر فى اعلام هذه الحركة الذى كانوا جميعاً من تلاميذه ومريديه ، كما استطاع ان يمد اثره فيربط بين حركات الاصلاح والتجديد فى شمال افريقيا ، حيث قامت فى الجزائر حركة الاصلاح التى قادها الامام عبد الحميد بن باديس والتى كانت بعيدة الاثر فى الحفاظ على المفاهيم الثلاث: الجزائر كامة وال لغة العربية ، والاسلام *

غير أن العلامة العربى كان جريئاً جهيراً قادراً على المخاطبة والمعارضة والمساجلة لعلماء الدين المخالفين للتقدم والوطنية وشيوخ الطرق المماليك للاستعمار . وكانت جرئته تسلمه الى السجن ولكنه لم يكن يخشاه ، مؤمناً بأنه على الحق ، معداً نفسه له اعداد ابن تيمية فى قوله المشهورة : « أن سجنى خلوة ، وتغريبى سياحة ، وقتلى شهادة » وكانت عفته فى مقاومة النفوذ الاستعمارى « الزهادة » فى الحياة الخاصة وقلة الحاجات التى تجعل صاحبها حريصاً على متاع الحياة ، فقد كان يعيش فى بساطة مأكلاً وملبساً ومسكن ، فاذا ما صادم خصوم وطنه أو دينه ، لم يجد فارقاً كبيراً بين حياته خارج السجن - خلته - وكان يعينه على ذلك ايمان لا يتزلزل ، وحرص على زاد الوحدة ، يتمثل فى تلاوته للقران وحفظه .

وقد بلغ من حماسه ان طلب عام ١٩٤٨ التط - فى الجيش العربى للجهاد فى فلسطين وكانت سنة اذ ذاك سبعون عاماً ، وقصد جاهد من قبل وهو فى سن الشباب عند ما بدأ الاحتلال الفرنسى وحمل السلاح فعلاً .

وهو عالم عصامى كون نفسه بنفسه ، واستطاع بشخصيته الرائعة الجبارة أن يستصفى طائفة من التلاميذ المخلصين ، وكان لعلمه وشجاعته ونزاهته ابعاد الاثر فى « الصورة » التى احبها فيه تلاميذه خافها خصومه فهو لم يكن حريصاً على متاع الدنيا ولم يمتلك عقاراً أو مالا ، وعاش فقيراً ، حتى قيل انه حين تولى القضاء فى فاس أول الحماية (١٩١١) كانت فترة ازدهر فيها الاتجار بالاراضى ، وجر ذلك ربها عظيماً للقضاء ، أما هو فلم يستفد من ذلك شيئاً ، وذلك من فرط حرصه على ان تظل شخصيته المجاهدة المصلحة خالصة لالتشويه شائبة تورده عنه أوليائه وخلصائه او تجعل لكلمته مجالاً من التعريض والتشويه .

وهو الى ذلك لم يخلف انتاجاً مكتوباً شأنه فى ذلك شأن جملة الدين الافغانى ، الذى كان يقول انه (يؤلف) الرجال لا الكتب ، فقد كان « العربى » زاهداً فى الكتابة ولكنه كان حجة فى الحديث والسجل .

ومن خلال قضاء فاس والتدريس بجامعة القرويين والمدرسة العصرية الثانية الادريسية ومدرسة ماء العينين والمدرسة الناصرية التقى به عديد من الشباب الذي آمن بمجرى فكره ومفهومه في الكشف عن جوهر الاسلام، والتحرر من قيود الجبرية التي فرضتها ظروف الضعف والتأخر، وكان ذلك سلاحه في مقاومة النفوذ الاستعماري .

ويعد الامام العربي واحدا من ائمة العصر الحديث وقادة الفكر العربي الاسلامي حيث جمع بين مفهوم التصوف ومفهوم الشريعة، وزاوج بين العقل والنقل، والتقى بفكر العلامتين الكبيرين : الغزالي وابن تيمية وجمع بينهما في نفسه .

وقد كان جمال الدين الافغاني ومحمد عبده ورشيد رضا على مثل هذا المنال، بدأ كل منهما حياته متصلا بالفكر الصوفي ثم بالفت به ثقافته وتكامل فهمه للاسلام أن يربط بين الروح والعقل والشريعة والحقيقة، وبذلك استطاع الفكر الاسلامي العربي من خلال هؤلاء المجددين المصلحين المجتهدين : أن يعود الى صميم مفهومه ، وجوهر مقوماته، وأن يجد في ذلك السلاح

القوى لمقاومة الاستعمار والتغريب جميعا . وفي خلال هذه السنوات تتقارب مفاهيم المسلمين من خلال مذاهبهم وفرقهم - وتجرى على سنة التوحيد والتكامل . وقد قطعت في طريق ذلك مرحلة طويلة ولم يبق الا القليل جدا حيث يلتقى المسلمون جميعا على وحدة فكر، وقد تخففوا من قيود مذاهبهم والتعصب لها للالتقاء في مفهوم الاسلام الاصيل الذي رسمه « القرآن » وبلغه « محمد » مفتوتين بذلك الفرصة على النفوذ الاستعماري الذي يحاول أن يبقى على خلافات ليست جذرية ولكنها خلافات في الفروع، حيث يبقى جوهر مفهوم المسلمين في عالم الاسلام كله سليما . وتبقى مقومات الاسلام وقيمه الاساسية تجمع ولا تفرق ، وتحول دون كسب جديد من خلال اثارة خلافات تاريخية قديمة ، لم تكن اساسية بقدر ما كانت مرتبطة بالسياسة نظم الحكم في فترات بعيدة من تاريخ الاسلام .

والمعروف أن الحركة السلفية كانت مقاومة للنفوذ الاستعماري حيث انحرف بعض رجال الطرق الصوفية وازروا المستعمر ، ومن هنا كانت الحركة الوطنية وليدة الدعوة الى التوحيد والاصلاح العقائدي . ولكن هؤلاء المصلحون لا يشون أبدا ذلك الاثر الضخم الذي قدمته الحركة الصوفية لعالم الاسلام في خلال القرون

الاربعة الاخيرة حيث استطاعت أن تنشر الاسلام وتوسع افاقه وتضم اليه ملايين كثيرة تزيد عن عدد أهله من العرب والفرس والترك . استطاعت الحركة الصوفية ذلك في مجموعها الضخم الكبير ، فلا يضيرها أن ينحرف بعض رجالها في تلك الفترة ، مما كان رد الفعل له قيام حركة الاصلاح التي كان من اكبر زعمائها شيخ الاسلام محمد العربي العلوي ومن ثم اعتدل الميزان وقامت اليقظة الاسلامية العربية تجمع بين طرفيها صوفية تتحرر من تصرفات بعض قادتها وتجدد جوهرها بالشريعة ، وسلفية لا تستطيع وحدها أن تمثل مفهوم الاسلام ، الذي هو جماع الشريعة والحقيقة ، والعقل والقلب ، والتصوف والفقه .

لقد نقل العلامة محمد العربي العاوي حركة الاصلاح الاسلامي من الكلمة الفردية ، الى العمل الجماعي ، ومن النقد والمناصحة ، الى تغيير المجتمع وتعديل تقاليده ومفاهيمه واعادته الى الجادة .

ولا شك كان لنزاهة خلقه ، واستغلاته على الغايات الفردية والذاتية، وتسكبه بالقيم واصراجه على الحق الذي اعتقده من عوامل قدرته الكاسحة التي مكنت لدعوة التجديد الاسلامي في المغرب .

توفي في يونيو ١٩٦٤



الإختار • المرأة المسلمة • الرياضة
بريد القراء • بريد التعارف



س ١ :

من أحمد عبد الحميد السيد - الحلمية مركز
أبو حماد شرقية

يقول : نقرأ في كتب العلم قولهم : قال المالكية
أو الشافعية كذا - والجمهور على كذا - فما المراد
بقولهم الجمهور ومن هم هؤلاء ؟

الجواب :

أئمة المذاهب الأربعة من فقهاء السنة هم الامام
أبو حنيفة وهو صاحب المذهب الحنفي والامام مالك
وهو صاحب المذهب الحنبلي رضى الله عنهم جميعا
صاحب المذهب الشافعي والامام احمد بن حنبل
وهو صاحب المذهب الحنبلي رضى الله عنهم جميعا
ولكل مذهب من هذه المذاهب فقهاء كثيرون غير الأئمة
الأربعة المذكورين وهم ممن تتلمذوا عليهم أو على
تلاميذهم وفتح الله عليهم فكانوا من اعلام هذه المذاهب
وفقهاؤها .

فاذا كانت هناك مسألة من المسائل الفقهية يرى
المالكية مثلا فيها رأيا، ويرى غيرهم من فقهاء المذاهب
الأخرى رأيا آخر فقد اصطلح أهل العلم على أن يقولوا
قال المالكية كذا - وجمهور الفقهاء يرى كذا - ويراد
بالجمهور حينئذ فقهاء المذاهب الأخرى غير المالكية
وإذا كان للشافعية مثلا رأى خاص فى مسألة من
المسائل ولغيرهم من فقهاء المذاهب الاخرى رأى
مخالف قالوا : قال الشافعية كذا وقال . . الجمهور
كذا ويقصد بالجمهور فقهاء المذاهب خلاف الشافعية
وأحيانا يكون الخلاف فى مسألة من المسائل بين
فقهائى مذهب واحد فيرى فيها الامام ابو حنيفة مثلا رأيا
ويرى غيره من فقهاء المذهب الحنفي رأيا آخر ،
فيقال قال أبو حنيفة كذا ويرى جمهور الحنفية رأيا
آخر فيراد بالجمهور فى هذه المسألة أكثر فقهاء الحنفية
فيما عدا الامام أبو حنيفة - وهكذا فى جميع
المذاهب .

س ٢ :

من نفس السائل :

يقول رجل صلى الظهر فى بيته أربعاً كالاعتاد ثم
سافر فلم يصل الى المكان الذى يريد الا بين المغرب
والعشاء أى فاتته العصر فى الطريق فهل يقضى العصر

أنت
تسال



والفتى
يجيب

فضيلة الإمام الألبى
السبح من مأمون

س ٤ :

من محمود علي عبد العزيز حسن - من ملوى :
يسأل عن كيفية قضاء الصلاة الفائتة ؟

الجواب :

إذا كانت الصلاة الفائتة نفلًا فلا تقضى إلا ركعتي الفجر فانهما تقضيان في الفترة من ارتفاع الشمس قدر رمح أو رمحين حتى قبيل الزوال .

وقال الشافعية يندب قضاء النفل الذي له وقت كالنوافل التابعة للفرصة المكتوبة والضحي . وقال الحنابلة لا يندب قضاء شيء من النوافل إلا السنن التابعة للفرصة والوتر . أما إذا شَرع في النفل ثم أفسده فعليه قضاؤه عند الحنفية والمالكية ، أما الفرائض فإنها إذا فات وقتها لزم قضاؤها كما فاتت فإن فات وقتها وهو مسافر قضاها مقصورة (ركعتين في الرباعية) حتى ولو كان مقيمًا وقت قضاؤها وإن فاتت وهو مقيم قضاها تامة بلا قصر حتى ولو قضاها وهو مسافر .

ويلزمه - عند الحنفية - أن يرتب بين الفائتة والوقتية أي يصلي الفائتة أولاً - ثم يصلي الوقتية بعدها - فإن صلى الوقتية أولاً ثم صلى الفائتة لزم إعادة الوقتية وذلك ما لم تصر الفوائت ست غير الوتر فإنه في هذه الحالة يسقط الترتيب بينها وبين الوقتية ، كما يسقط الترتيب بضيق الوقت المستحب للفرصة الوقتية ويسقط كذلك بالنسيان بأن صلى الوقتية ناسياً أن عليه فائتة فإذا تذكر الفائتة بعد ذلك قضاها بلا ترتيب بينها وبين الوقتية والترتيب عند الشافعية بين الفائتة والوقتية ستة وأيهما صلى صحت صلاته وسقط منه الغرض أداء أو قضاء . فإن لم يترتب فقد خالف السنة إذا كان متذكر أو لا يخشى قوات الحاضر .

وعلى المسلم أن يبادر بقضاء ما عليه من الفرائض والوتر فإذا كثرت الفوائت ولم يستطع قضاءها في وقت واحد قضى مع كل وقتية فائتة مماثلة فصلاة الصبح يقضى معها صباحاً قديماً والظهر يقضى معه ظهراً وهكذا حتى يقضى كل ما عليه من الغوائب أو يغلب على ظنه أنه قضاها وعليه أن يعين وقت النية الفائتة التي يقضيها فإن لم يستطع تعيينها فحسبه أن ينوي أول فائتة عليه أو آخرها كأن يقول مثلاً أصلي أول صبح مما على أو آخر صبح مما على وهكذا

مقصوداً (ركعتين) أم كاملاً وبالعكس إذا صلى الظهر مسافراً مقصوداً ثم رجع إلى بلده فوصلها في وقت المغرب فهل يقضى العصر ركعتين أم أربعة .

الجواب :

الصلاة تجب بدخول وقتها ووجوب أدائها بظل وجوباً موسعاً حتى يضيق وقتها ولا يبقى من الزمن إلا مقدار الطهارة والصلاة فيجب أدائها حينئذ وجوباً مضيقاً فإذا فات وقتها فإن العبرة في قضائها بآخر وقتها فإذا جاء آخر وقت الفريضة والانسان مقيم وجب قضاؤها تامة غير مقصورة لأنها وجبت في ذمته ديناً عليه وهو مقيم فيقضيها كاملة أربعة ولو كان مسافراً وقت قضائها وبالعكس إذا وجبت في ذمته وهو مسافر بأن جاء آخر وقت الرباعية وهي الظهر والعصر والعشاء وهو مسافر ثم أقام بعد ذلك لزمه قضاء الفائتة المذكورة مقصورة ركعتين فقط لأنها لزمته ذمته مقصورة حيث كان مسافراً فإذا قضاها فإنه يقضيها مقصورة كما لزمته فالعبرة بآخر الوقت .

وعلى هذا فإن صلاة العصر الواردة في السؤال تقضى مقصورة ركعتين في الحالتين المستول عنهما لأنها لزمته وهو مسافر - والله أعلم .

س ٣ :

من محمود علي عبد العزيز حسن - من ملوى :

يسأل عن حكم الشركة الشائعة بين الربيعين في الماشية والقائمة على أن يدفع شخص ثمن الرأس من الماشية بمفرده ويعطيهما لشخص آخر فقير ليتعهدها خدمة وتغذية وينتفع بلبنها مقابل تغذيتها وخدمتها ونجاحها وما يربح من بيعها يكون مناصفة بينهما .

الجواب :

هذا النوع من الشركة أقرب إلى المضاربة - فإس المال لشخص والعمل للآخر والربح بينهما كما أن الخسارة عليهما وهذه معاملة شائعة في الإسلام وقد أجازها الفقهاء .

حتى يقضى جميع ما عليه من القوائت - أو يغلب على
ظنه قضاؤها - والله أعلم .

س ٥ :

من نفس السائل :

هل تصح صلاة الفتاة أو المرأة في عصرنا وهي
تضع المساحيق وترتدى الثياب الخلية بهذا
الوضع ؟

الجواب :

الصلاة لاتصح الا اذا توفرت شروط صحتها ،
ومن شروط صحة الصلاة ستر العورة لافرق في ذلك
بين الرجل والمرأة وعورة الرجل من السرة الى منتهى
الركبة وعورة المرأة جميع يديها ماعدا الوجه والكفين
والقدمين فمن صلى وجزء من عورته غير مستور
لاتصح صلاته وان كان المالكية يرون ان ماتحت الركبة
الى القدم عورة مخفية عند المرأة فلو كشف جزء منها
فالصلاة صحيحة مع الكراهة ويجب اعادتها مادام
الوقت باقيا اما المساحيق فانها لاتفسد الصلاة
مادامت طاهرة فان كانت نجسة فسدت الصلاة لعدم
توفر شروط الطهارة لا يوضع المساحيق - هذا
بالنسبة للمساحيق التي لاجرم لها - اما ماله جرم
اكتلك التي توضع على الاظافر فاذا وضعت بعد
الوضوء وكانت طاهرة صحت الصلاة وان وضعت
قبل الوضوء فلا تصح الصلاة لعدم اكتمال الوضوء
حيث لم تصل مياه الوضوء الى بعض الاجزاء التي
يفترض غسلها وهي الاظافر ولا بد في الوضوء من
ازالة مايمنع وصول الماء الى الجسد وقد مثل الفقهاء
بالشمع والشحم ولاشك ان ادوات الزينة التي توضع
على الاظافر ذات جرم تمنع وصول الماء الى الجسد
تمائل الشمع والشحم وغيرهما مما نص عليه
الفقهاء - والله أعلم .

س ٦ :

محمد الشحات السيد محمد - من ميت طريف
مركز دكرنس - دقهلية :

رجل متزوج بانينتين طلق ثانيتهما عند المأذون
طلقة واحدة واشهد على ذلك شاهدين ثم اوسسل

مطلقة هذه للمأذون فوقع على الاشهاد وتسلمته
ويسأل ان كان لهذا الطلاق رجعة وما مصير
الشاهدين ؟

الجواب :

اذا كان الامر كما ذكر في السؤال وكانت هذه
طلقة اولى فان كانت رجعية ولم تنقض عدتها فله ان
يراجعها بالقول أو بالفعل وان كانت بائنة أو انقضت
عدتها من تلك الطلقة الرجعية فلا يجوز أن تعود
اليه الا بعقد ومهر جديدين باذنها ورضاها ولا حرج
على الشاهدين فيما شهدا به مادام هو الحق -
والله أعلم .

س ٧ :

من الحسين محمد علي حميد - من نبروه - طلخا :
ماحكم صلاة الامام الذي يغير في بعض الحروف
« الراء واللام يقلبها ياء » ؟

الجواب :

ذكر الفقهاء أن من شروط الامامة أن يكون الامام
صحيح اللسان بحيث ينطق بالحروف على وجهها
فان لم يكن كذلك كان يبطل الراء غينا والسين ثاء
أو الذال زاي - فلا تصح امامته الا لمثله وعليه أن
يجتهد في تقويم لسانه ورده الى الصواب .

ويجب عليه عند الحنفية أن يقرأ من المواضع التي
يستقيم فيها لسانه من القرآن الكريم - اما التمتة
(وهي تكرار التاء في الكلام والفاة وهي تكرار
الفاء فامامة المريض بها صحيحة لغير من يماثلها مع
الكراهة .

وقال الحنفية - والفاة كالاتخ لاتصح امامتهما الا
بمثلهما .

واما الارث وهو من يأتي بادغام في غير موضعه
كان يقول المتقيم بدل المستقيم فيجب عليه أن
يجتهد في اصلاح لسانه فان قصر وهو قادر بطلت

صلاته وإمامته وإن عجز ولم يستطع الإصلاح صحت
صلاته وإمامته لمثله .

وقال المالكية - الألفح والتمتصام والمفافا والارث
ونحوهم من كل من لا يستطيع النطق ببعض الحروف
أو يدغم عرفا في غير امامته وصلاته صحيحتان ولو
كان المقتدى به صالحا من هذا النقص .

س ٨ :

من نفس السائل :

حرم القرآن صراحة أكل لحم الخنزير فإن كان
التحريم لما يوجد من ديدان كما يقال فإن هذه
الديدان موجودة في بعض المواشي مثل البقر والأغنام
فلم يختص التحريم بالخنزير دون غيره ؟

الجواب :

علينا كسالمين أن نطيع ما أمر به الله تعالى
وما اتانا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فنأتي
ما أمر به الله ونتناول ما أحله ونترك ما نهى عنه
الله سبحانه ونبتعد عما حرمه من غير أن نسأل لماذا
أحل الله هذا وحرم هذا قال تعالى (يأيا الذين آمنوا
اطيعوا الله واطيعوا الرسول) وقال سبحانه (من
يطع الرسول فقد اطاع الله) وقال جل شأنه وما
اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، والله
تعالى هو خالق العباد ورازقهم وهو العليم بما ينفعهم
وما يضرهم فاحل لهم الطيبات وحرم عليهم الخبائث ،
وقد أثبت الخبراء أن الديدان الموجودة أحيانا في
البقر والغنم تموت بالطهي والغليان فوق النيران في
درجة حرارة معينة أما الخنزير فقلل ما به من الديدان
والميكروبات الضارة لا يموت أبدا مهما بلغت درجة
الحرارة كما قال لنا بعض الأطباء الموثوق بهم ، هذه
ناحية والناحية الأخرى هي أن بعض طبائع الحيوان
تنتقل أحيانا إلى الإنسان بأكل لحم الحيوان . وقد
جبل الخنزير على الخسة والبلاهة البرودة في الطبع
وغير ذلك من الصفات التي تتنافى وما يطلبه الإسلام
من المسلمين .

س ٩ :

من عبد البديع بشندي على - من إشاوات - ملوئ
يقول أنه علم أنه رضع من جارية مسيحية وشرب
من لبنها ولها أولاد فهل يعتبر أخا لهم في الرضاعة
وهل في هذا الرضاع إثم ؟

الجواب :

قال تعالى (حرمت عليكم أمهاتهم وبناتكم وأخواتكم
وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم
اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة) . وقال
صلى الله عليه وسلم (يحرم من الرضاع ما يحرم من
النسب) .

فالتحريم ثاب تلتا تناولته الآية الكريمة من غير
فرق بين مسيحية ومسلمة فمن رضع من امرأة صارت
أمه وسواء كانت مسيحية أم مسلمة وصار أولادها
أخوة له مسلمين كانوا أو مسيحين وثبت التحريم
في حقه ولو كانت مسيحية كما ثبت لو كانت
مسلمة ولا إثم على من أرضعت ولا على من رضع .
والله أعلم .

س ١٠ :

من نفس السائل :

هل يجوز دفع زكاة الفطر أو زكاة المحصول على
مسيحي فقير ؟

الجواب :

لا يجوز دفع زكاة الفطر ولا زكاة المال ولا زكاة
المحصول لغير المسلمين ، فقد حددت الآية الكريمة
مصارف الزكاة في قوله تعالى (إنما الصدقات
للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم
والغارمين في سبيل الله وابن السبيل فريضة من
الله) وخصصتها السنة بالمسلمين ، فقد روى
البخارى ومسلم عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن
النبي صلى الله عليه وسلم لما بعثه إلى اليمن قال :
(خذها من أغنيائهم وضعها في فقرائهم) وعن أبي
جحيفة قال (قدم علينا مصدق رسول الله صلى الله
عليه وسلم فأخذ الصدقة من أغنيائنا فجعلها في
فقرائنا) - ومن هذا يتبين أن الزكاة لا تؤخذ من
غير المسلمين ولا تدفع لغير المسلمين - والله أعلم .



العالميين

لا يصلحون
قدوة
لشبابنا

الأستاذ ناصف سليم

قالتليفزيون تتبع مباريات كأس العالم بما فيها من أسرار في دورتي ١٩٦٢، ١٩٦٦، والصحافة منذ عام ١٩٥٨ وهي تكتسب عن جاونيشيا وما تزولا، وجريز، ثم بيليه وجاير وافزيو، حتى أصبح الجيل الجديد من شبابنا يعرف الكثير عن دي استيفانو وبوشكاش وبوبي مور، وأين يلعبون، وأية مباراة تألقوا فيها، ومتى اخفقوا أو انتصروا، أو انهزموا :

كل ذلك أصبح عند الرياضيين والمتفرجين على السواء من المعلومات الرياضية العامة، ولا ضرر من هذا ولا عيب فيه، بل نستطيع ان نفيد شبابنا حينما نعرض عليه صوراً من كفاح هؤلاء، وطرق تدريبهم، ومثابرتهم، وكيف نمت عندهم الموهبة حتى احتلوا مكاناً رفيعاً في عالم الرياضة الدولي .

ليسوا قدوة

ولكن أقف هنا وقفة ليست بالقصيرة لأعرض سؤالاً هاماً، نحتاج لإجابة عنه الى تفصيل : هل يمكن أن يتخذ شبابنا الرياضي أو غيره من هؤلاء النجوم قدوة، أو أن يسعى لكي يصل الى درجتهم أو هل يكفي أن يكون عندنا نجوم كهؤلاء، تملأ سمعهم الأفاق، وتحدث بأنبيائهم كل الصحف العالمية والمحلية . هنا ١٠٠ نقول : لا .

فليس كل ما يعنى أمة العرب من اهتمامها بالرياضة وحشها على

ممارستها، أن يكون لدينا من يملك فن بيليه، أو انطلق افزيو أو دهاء دي استيفانو

هذه لمحات فنية، ومستوى في الكرة يحمدون عليه ولكنه عندنا ليس الرسالة التي نعهد للشباب بها . وإذا أمكن أن يصل بعض شبابنا الى هذا المستوى الفني الرفيع، فإننا لن نقول لهم : أديتم ما عليكم . . وكفى

يعيشون لأنفسهم

فالنجوم الذين يعتبرهم بعض الشباب قدوة يعيشون لأنفسهم أكثر مما يعملون لأداء رسالته . يجمعون الثروات الطائلة وينمونها بكل الوسائل، حتى وإن كانت (فتح كباريات) ولا يحسون بمشاكل المجتمع الذي يعيشون فيه، ينتقلون من بلد لبلد ومن ناد لآخر وراء الكسب الذي احترفوه مسخرين فنه الموهوب للكسب بشتى الطرق واستغلال الوقت قبل أن تلحق بهم أصابة أو يبرز لهم نجم منافس .

هم يؤمنون بشرط الحكمة القائلة :

اعمل لدنياك كأنك تعيش ابداً . . وينسون أو يتجاهلون الشرط الآخر : واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً .

محمد على قدوة

من هنا . كانوا لا يصلحون قدوة لشبابنا وإن أمكن أن نستفيد من بعض جوانب حياتهم وهي

الظاهرة الجديدة التي اقف امامها اليوم باحثاً عن ماهيتها، وعن أثرها في المجتمع العربي، هي اهتمام الالوف، بل الملايين من شباب الأمة العربية بأبطال الرياضة في العالم . . يتتبعون أخبارهم، ويعرفون كل شيء عن حياتهم، أكثر مما يعرفون أبطال بلادهم .

ومن أهم أسباب هذه الظاهرة الجديدة التي لفتت الأنظار خلال السنوات الأخيرة، اهتمام وسائل الاعلام بنجوم الكرة في العالم،

وليست الوصول الى ما وصل اليه
 نجوم العالم فى عالم الرياضة
 فشباب العرب تختلف ظروفه
 عن ظروف غيره ، طبيعته مختلفة
 ورسائله مختلفة ، وواجه مضاعف
 مؤكداً .. هكذا قدرت له الظروف
 أن يتحمل تبعات جسام . أوامة
 العرب اكثر حاجة من غيرها الى
 الشباب ، وهى فى هذا الوقت
 بالذات أشد حاجة اليه ، لانها فى
 مرحلة بناء .. وكل أمة تريد أن
 تبني نفسها ، عليها أن تعتمد
 أولاً على شبابها ، لتسند به حقها
 فى الحياة وترد عن أرضها كيد
 الطامعين .

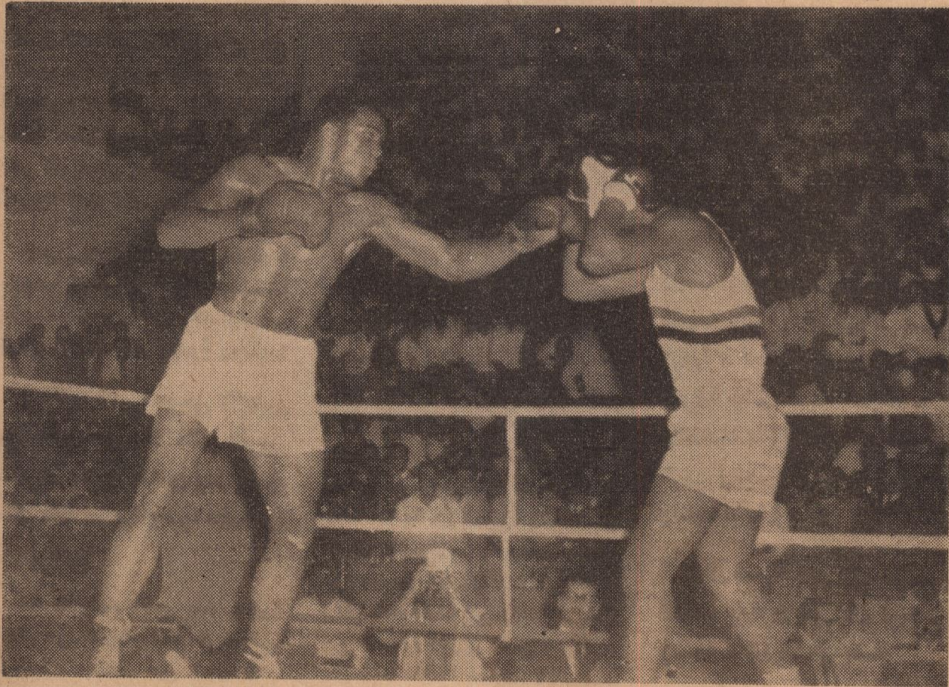
يرفضون الاشتراك فى أولمبياد
 المكسيك القادم ، ممثلين لبلدهم
 أمريكا .. لكلاى فضل السبق ،
 فى ذلك ، وإن كانوا هناك يعتبرونه
 المستول عن كل ما حدث اليوم من
 حركة عصيان يقوم بها أبطال أمريكا
 الزنوج ..
 واحد مثل هذا البطل المسلم
 جدير بأن يكون قدوة حسنة
 لشبابنا فى هذا الوقت ، فى
 صموده ، فى جهاده ، فى تحدياته
 لقوى الظلم والتعسف .

البطولات ليست هدفا

على أن رسالة شبابنا ، ليست
 تحقيق بطولات رياضية فحسب ،

الناحية الفنية فحسب وهم بلا شك
 مختلفون فى حياتهم عن البطل
 العالمى محمد على كلاى ، الذى
 لم يكن همه من كسب البطولات
 وتحقيق الانتصارات الجانب المادى
 وحده ، بل اعتبر نفسه صاحب
 رسالة وجاهد فى سبيل ادانواجب
 فرضته عليه الظروف .. والزمته
 بها انسانيته وأوصاه به دينه

وكفاه فخرا أن يكون ما نادى
 به منذ خمسة أعوام فى سبيل
 تحرير الزنوج من الظلم الفاحش
 هو ما يدعو اليه اليوم من دعاهم
 من زملائه غير المسلمين ، حين
 يطالبون بالحرية والمساواة وحين



محمد على كلاى البطل العالمى صاحب الرسالة والقدوة

من هنا يتضح الخط المرسوم لشبابنا ، والمنهج الذى يتبعه فى طريقه نحو حياة أفضل .. حياة تؤكد له بدايتها انه فى كل وقت امام امتحان عسير ، عليه ان يتصدى للتيارات الجارفة المنحرفة التى تريد ان تكتسحه فى طيات أمواجها ، عليه ان يؤدي ثمن وطنه ويستهدف للموت ليثبت حقه فى الحياة الكريمة العزيزة

الثروة الروحية اولا

وان يستطيع جيل من الاجيال ان يؤدي هذا الواجب الا اذا كان يملك الثروة الروحية الجليلة التى تكرم فى الانسان معنى الانسانية وترفع فى عينه الفضائل وتقيم ميزان العدل .

وبهذه القوة الروحية ، يستطيع ان يكتسب قوته وصلاحيته للحياة فالدين الاسلامي بماله من تأثير على القلوب والنفوس . وتأثير على المشاعر والاحاسيس وبما وضع من خطط عملية وتوجيهات حكيمة ، قادر ان يحقق بمختلف نواحيها لشبابنا دون تعثر أو انحراف

وحين يقوى الشباب بدنيا وروحيا تقوى الأمة ولا يغلبها غالب ، لأن تربية الاسلام للشباب تجعل الواحد يعد بعشرة رجال :
(يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال ، ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا الفا من الذين كفروا)

٥٠ فالواحد الذى يعد بعشرة رجال هو النموذج الذى نريده من شبابنا ، وشتان بين شاب قادر على الدفاع عن دينه ووطنه ونفسه وشاب كل همه من الحياة ، ان

يتألق نجما فى الملاعب ، تصفّق له الملايين ويكسب منهم الملايين ، وهو عاجز عن أن يؤدي ضريبة الوطن الذى يعيش فيه

لهذا قلت : ان نجوم الرياضة العالميين لا يصلحون ان يكونوا قدوة لشبابنا ، وان كان واجبا رياضيينا ان يستفيدوا من الجانب الفنى فى حياتهم .

طريقنا فى الحياة

والاسلام ، لا يحول بيننا وبين التزود بالعلم والمعرفة بل يحثنا على ذلك .. والاسلام ، يرسم لنا طريق حياته متكاملة ترضى الجسد والروح معا .. حياته ليست ديننا فقط ولا دنيا فقط ، بل هى دين ودنيا ، ومن مصلحة الانسان ومن اسباب سعادته ، ان يلتقيا فلقاؤهما لا يكون الا على خير .

وما استطاع انسان ان يسعد فى حياته كلها هو وزينة ولا حياة كلها انعزال عن المجتمع وتجنبلا فيه عارة هذه الارض ونشر لرسالة الاسلام .

متاعب الانحراف

وما كان التخيّل فى حياة الشباب فى الدول المتقدمة ، الا نتيجة فهمه الخاطى للحياة ، حين ظنّها مادية فقط ، فأسرف على نفسه ، وأصبحت شعوب كثيرة تعاني من انحرافات الشباب مالا طاقة لها به ولا وسيلة لاعادته الى طريق الصواب . برغم ان لرياضيهم انتصارات وبطولات . ولكن هنا فارق بين قاعدة عريضة من الشباب القوى المؤمن ، وأفراد كالنجوم عاشوا حياتهم لأنفسهم وعرفوا ان الانتصارات الرياضية وسيلة للشراء فى عالم الاحتراف

ومما نعلمه من متاعب الشباب والمسؤولين عنه فى الخارج ، نستطيع ان نؤكد ان النموذج الذى نريده لشبابنا غير موجود فى هذه البلاد وان امتلات بحياة بيليه ، وأما ريلدو وافزيبو وجريفيز ودلسول ، صفحات وصفحات .. وان أصبحت للكثيرين مؤلفات فى تاريخ حياتهم .

وليس من وسيلة مغلر

وليس من وسيلة الخلق المواطن الصالح ، والرياضى الفذ القادر على خدمة وطنه ومجتمعه غير منهج الاسلام الذى بدأت شعوب كثيرة تتطلع اليه وتأخذ منه .

وهل أذاك نيا ما يجرى الان فى الاتحاد السوفيتى ، انهم قرروا تحريم شرب الشباب لكل أنواع الخمر .. لانهم - اخيرا عرفوا انه مهلك للصحة ، مضيق للوقت مبكر بالشيوخه ، مذهب للعقل أجل نعمة انعم الله بها على الانسان

الا فليفهم شبابنا ورياضيوننا حقيقة دينهم ، ويتربسوا طريقة ، وليس اجدى فى سبيل ذلك من ان نتعهد بالتربية الدينية فى سن مبكرة ، حيث تتجلى فيهم اثر التربية وأثار البيئة الطبيعية ، والتنشئة المنزلية ليصبح قوى الروح والجسد فى وقت واحد .. وقديما قالوا :

(ان الحياة عدو لا يستطيع التغلب عليه الا من كان قويا فى جسمه ، شديدا فى يأسه
والمؤمن القوى خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف)

عزيزى القارىء :

منذ حوالى أربعة عشر قرنا ، اشرقت الارض بنور ربها ، وتحدرت العقول من اسرارها ، وتحطمت القيود بعد طول احكامها ، وسرت الحياة فى اوصال ظلالا تاقت الى يوم بعثها ، يوم ان هبط جبريل ملك الوحي وامين الله على سيدنا محمد بن عبد الله الذى اصطفاه ربه ليكون للعالمين بشيرا ونذيرا ، فى ليلة مباركة هى ليلة القدر ، وفى غار براس الجبل هو غار حراء ، حيث تلقى عليه افضل الصلاة والسلام النفحات الاولى من القرآن الكريم وهى « افر باسم ربك الذى خلق » التى ابانت فى وضوح ان العلم هو سبيل كل معرفة انسانية واساس كل حضارة ماجدة ، ومن ثم كان الاعتصام بالدين هو الامان فى الدنيا والضمائم فى الآخرة ، مصداقا للحديث الشريف « لقد تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي : كتاب الله وسنة رسوله » وقول الخبير العليم « وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلك وصاكم به لعلكم تتقون » ..

والمجلة اذ تشارك العالم الاسلامى احتفاله بمرور أربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم ، حبل الله المتين ، ونوره المبين ، وبعيد الفطر المبارك ، ترى فى رحاب هاتين المناسبتين الخالدين آيات من النصر تترى ، وبشائر من الاشراق الكبرى تسطع فى سماء الامة العربية الاسلامية التى عقدت العزم على مواصلة الجهاد المقدس حتى تظهر مهبط الانبياء من أعداء الله قتلته الانبياء ، أعداء الانسانية ، وتحقق مكانة الوسطية ، مكانة الفضيلة والكرامة التى منحها الله اياها فى محكم كتابه العزيز « وكذلك جعلناكم امة وسطا » صدق الله العظيم .

الامام شلتوت .. والدعوة الاسلامية

السيد/ عبد المنعم البهقرى - مدرس نوسا
الغيظ - دهلي

عن الدور الجليل الذى قام به الامام محمود شلتوت فى تبليغ الدعوة الاسلامية يقول : لقد كان - رحمه الله - موسوعة علمية لا ينضب معينها ، عرف فيه علماء الاسلام على اختلاف مذاهبهم حجة قوية ، وعرف فيه رجال الاجتماع مصلحا فذا ، وعرف فيه رجال القانون والاقتصاد والطب عالما متحررا واسع الأفق يربط الحياة بالدين ، ويعرض قضايا الفقهية فى تبصر وفهم لأصولها « وهو ما عبر عنه امامنا الراحل فى لحظة الوداع الأخير بقوله « لقد أفتيت العمر فى الدعوة الى الله مفسرا لكتابه ، مبصرا بدينه ، مبلغا لرسائله لتكون كلمة الله فى كل قلب ، لتكون فى قلب الطبيب وفى قلب العالم وفى قلب السياسى وفى قلب الوطن ، أتابه الله جزاء ما قدم من آراء وأبحاث ودراسات ومؤلفات اسلامية أنارت طريق كل باحث وفقهه »

طلب العلم .. وتفقه الدين

السيد/ صالح صالح العيسوى - بكالوريوس
طب النصورة

ان خير ما تؤديه لدينك ووطنك - يا أخى - هو أن تتفوق فى مجالك العلمى تفوقا يتخطى مرحلة البحث والدراسة الى مرحلة الابتكار والكشف لأن ذلك فضلا عما له من فضل فى دفع عجلة التقدم

الحضارى ، فانه يساعد بطريق مباشر على سير أغوار بعض القضايا العلمية التى وردت فى القرآن الكريم على سبيل الاعلام العام مصداقا لقوله تبارك وتعالى « ما فرطنا فى الكتاب من شئ » والتى تتطلب تضافر جهود رجال الدين والعلم من أجل كشف أسرارها .. فالصلة بين الدين والعلم صلة ذاتية وأصيلية .. ومن ثم كان امتداد القرآن الكريم للعلم والعلماء بمثابة تكليف لهم بضرورة الوقوف على ما يدعو اليه الدين الحنيف من عقيدة وعمل .. والمجلة اذ تدعو لك بالتوفيق يسرها أن ترسل اليك مجموعة من الكتب العلمية التى يصدرها المجلس الأعلى للشئون الاسلامية *

مصرع ايلات .. ونهاية اسرائيل

السيد/ سيد عبد الرؤوف سيد - مفتش اللغة
العربية بأسبوط

يعبر لنا فى آياته عن احساسنا الصادق بأن ما حققته اسرائيل ليس بالنصر وانما هى سرقة خسيصة ستعود عليهم بالحسرات والهلاك .. قائلا :

أغرقت ثم أحرقت ايلات

ذلك الويل بعده الويلات

ان ايلات يا يهود نذير

سحقكم بعده وليس الشتات

ليس نصرا أحرزتم يوم صحتم

بانتصار بل تلسم سركات

فارقوا بالصوم موتا زؤاما

بشرتمكم بقيرة ايلات



بريد التعارف

الاسم : الموضى العربي

البلد : المملكة المغربية

السن : ١٧ سنة

المهنة : طالب

الهواية : التعارف مع شباب العالم العربي وتبادل المناظر

العنوان : بنى موكول اولاد قاسم ؛
تافراوت ورغة - ناحية
فاس المملكة المغربية



الاسم : عبد الرازق ابو المهم

البلد : الجمهورية العربية السورية

السن : ١٩ سنة

المهنة : طالب ثانوى

الهواية : رسم - رياضة - مراسلة

العنوان : الجمهورية العربية السورية
حلب - محل كنيه ميلاني



الاسم : توفيق عبد السلام احمد
عبدالله

البلد : الجمهورية العربية المتحدة

السن : ١٨ سنة

المهنة : طالب ثانوى

الهواية : جمع وتبادل الطوابع

العنوان : بلقاس دقهلية شارع
السوق العمومي



الاسم : عبد السلام اداسكو

البلد : المملكة المغربية

السن : ١٦ سنة

المهنة : طالب بالسنة الرابعة
الثانوية شعبة اداب

الهواية : قراءة القصص -
الصحافة - مراسلة -
دراسة حياة الشعوب

العنوان : رنقة الوسطية عمارة س٢
رقم ٤ - القبيبان -
الرباط



الاسم : ابو انقاسم محمد الشيخ

البلد : جمهورية السودان

السن : ٢٣ سنة

المهنة : موظف

الهواية : المراسلة وجمع الصور

العنوان : السودان الدويم ص.ب ٨
البنك الزراعي السوداني



الاسم : محمد منذر فستق

البلد : سوريا

السن : ١٩ سنة

المهنة : طالب ثانوى

الهواية : جمع الطوابع العربية -
المراسلة - جمع الصور
والمناظر الطبيعية

العنوان : سوريا
حلب جانب المستشفى
العسكري



٣	السيد حسين الشافعي	الجهاد قمة الدلائل على الإيمان
٨	حديث ج. م. ل. بالقاهرة	
١١		(فانحة الكتاب)

تفسير القرآن الكريم

الستة النبوية الشريفة

التشريع - الفقه - الأبحاث

الدراسات - الصوفية في الاسلام

١٣	تمهيد في التعريف بالسنة وتدوينها
١٨	من مقالات المستشرقين
٢٢	انا نحن نزلنا الذكر وانا له حافظون
٢٦	نحو الاسلام
٢٩	اخلاق الاسلامية
٣١	الفقهاء المحدثون
٣٨	رابطة السببية
٤٢	في رحاب القرآن الكريم
٤٥	العلاقات الانسانية في ظل الاسلام
٤٨	سلم وسلام و حرب وحراب
٥٢	الصوفية في الهمهم
٥٧	من حضارة الاسلام في التصوف
٦٠	اولياء الله بين الوالدين والجنابين
٦٢	التصوف دعوة الى بناء الرجال
٦٤	عظمة الرسول في خلقه الكامل
٦٧	صحبة عن سيرة الرسول الأعظم
٧١	بالتجاه تمتحن الهمهم وتختبر العزائم
٧٣	القرآن يعلنا آداب اللقاء في الحروب
٧٨	بنو اسرائيل في ميزان القرآن
٨٤	فضائل وحوادث شوال
٨٨	الجدود بالتغير خلق الاسلام
٩١	بغلة الاسلام
٩٣	من توجيهات النبوة
٩٦	الاعتصام بالدين والنقاء الاخلاقي
١٠١	الانشاعات ومضارها
١٠٥	الدين قوة وسلام
١١٠	اسلوب الشريعة في تربية النفس
١١٤	لا سلام مع اسرائيل
١١٨	روابط المودة بين المسلمين والتضار
١٢٣	التضال يوم احد بعد التضال يوم بدر
١٢٦	امثلة من الاقضية في الاسلام
١٢٨	كيفية تلاوة القرآن الكريم

العيد في الاسلام

١٣٢	خاطرات في عيد الفطر
١٣٥	احكام عيد الفطر
١٣٨	نحن والعيد
١٤٠	عيد المؤمنين
١٤٣	المعاني الحقيقية للعيد
١٤٦	عيد الزكوات والصدقات
١٤٧	فضائل الزكاة
١٤٨	فكار العيد
١٥١	من صور توديع شهر الصيام
١٥٤	الاعباد الاسلامية مسرات ومبرات
١٥٧	هذا هو العيد
١٥٨	وقد انقضى رمضان

١٦٦	الأستاذ عبد الحميد البسيوني	الغندق حفره وأرجازه
١٦٩	فضيلة الشيخ محمد سيد جادالحق	يوم اليرموك
١٧١	الأستاذ عبد العال شعيب	المعز وسياسته
١٧٢	الأستاذ عثمان العدل	قضية فلسطين
١٧٤	الأستاذ محمد تقي الدين قنديل	اغتصاب فلسطين
١٧٦	الأستاذ محيي الدين الألواني	أضواء على التاريخ الاسلامي
١٧٨	الدكتور جمال الدين الروادي	جلاء القوات الاسرائيلية امر محتوم
١٨١	الدكتور محمود ذياب	رد على مقال القدس والاسلام
١٨٦	الأستاذ محمود كمال	مثال
١٨٩	الدكتورة عنايات الطحاوي	ماذا تعرف عن العالم الاسلامي
١٩٤	الأستاذ محمد فرج	حديث السيف
١٩٦	عرض وتقديم : رياض خليفة	من المكتبة الاسلامية

فكر وفن

أدب - شعر - الفن الاسلامي
القصة - المسرحية

٢٠٢	الدكتورة حكمت أبوزيد	دور اقيم الخلقية في خطاب الرئيس جمال
٢٠٤	فضيلة الشيخ عطية صقر	عبد الناصر
٢٠٧	فضيلة الشيخ عبدالله الشهد	صلى خطاب الرئيس في العالم الاسلامي
٢١٠	الأستاذ محمود الهجرسي	وحدة الصف والهدف دعامة التحرر
٢١٣	الأستاذ كامل عبد المجيد	السياسة والعرب
٢١٦	فضيلة الشيخ محمد كامل الفقي	عبد الناصر صانع السلام
٢١٩	عبد العليم المهدي	من فضل القرآن على الادب
٢٢٢	فضيلة الشيخ الصاوي شعلان	أمام الأحداث
٢٢٥	الأستاذ محمد صبري الشامي	من قصص المثوى
٢٢٨	الأستاذ علي الجندي	حكمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
٢٣٠	الدكتور أحمد شلبي	قطوف
٢٣٢	الأستاذ منصور نسيم	الحياة الاجتماعية في التفكير الاسلامي
٢٣٥	الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل	روح الاسلام دعامة اصلاح المجتمع
٢٣٨	الأستاذ اسماعيل كشيوي	الشعر الديني
٢٤١	الدكتور حسن الباشا	الحضارة الاسلامية وأثرها في أوروبا
٢٤٦	الشاعر عبدالله شمس الدين	من التراث الفني الاسلامي (غلب الجواهرات
٢٤٨	الشاعر محمود جبر	الاندلسية)
٢٥١	الأستاذ عبد الحميد غرابه	في محيط الادراك
٢٥٩	الشاعرة روجية القليتي	سناتي القدس وعدا محتها (شعر)
٢٦٠	الشاعر محمد خليل الخطيب	من وحى القرآن : بداية النهاية (مسرحية)
٢٦١	الشاعر فاروق عبد الرحمن	خديجة أولى الملمات (شعر)
٢٦٢	الأستاذة عائشة حسني	الحفاظة على أثر الصيام (شعر)
	عرض وتلخيص الأستاذ محمد بدر	عاشق الأرض (شعر)
٢٦٦	الدين سالم	الخطر الصهيوني على الحضارة الانسانية
٢٧٠	الدكتور محمد جمال الدين الفندي	من تراثنا الاسلامي : كتاب العقد النفيسي
٢٧٣	الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعي	للامام أحمد بن ادريس
		وتصرف الرياح آيات لقوم يعقلون
		سفن الاسطول العربي في العصور الاسلامية

باب العلم

الخلفاء الراشدون

٢٧٨	الأستاذ محمد عبد العزيز حسن	الصادق خليفة الرسول
٢٨٢	الأستاذ فاروق منصور	ابن رشد وتراثه الفكري
٢٨٤	الأستاذ عبد الميمع البطل	الدعوة روح الفكرة (الامام محمد عبده)
٢٨٩	الأستاذ أنور الجندي	مجددو الاسلام في العصر الحديث (محمد
		ابن العربي العلوي)

الافتاء - المرأة المسلمة

الرياضة - بريد القراء

التعارف

٢٩٤	فضيلة الامام الاكبر الشيخ حسن مامون	انت تسال والمفتي يجيب
٢٩٨	الأستاذ ناصف سليم	نجوم الرياضة العالميين
٣٠١	اعداد : فؤاد هيبه	مع اقراء
٣٠٣		بريد التعارف

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لجنة المقتربات المترجلة

نزل على قلبه الطين . ولما قرأه كذا في المطاوعة التي ذكره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية من إسناده
وهو بالمتن والمجموعات الإسلامية في قارعة أفريقيا وأما ويصنع دولة أفريقيا وأمريكا العربية
ليس لجنة المقتربات المترجلة أن تعلن عن بيع

إسطوانات القرآن المترجل

رواية حفص عن عاصم ورش عن النخعي محمود خليل المصري

٤٤ إسطوانات مترجلة
٢٣,٧١٦ ليرة
١٩,٣٢٢ ليرة
بالقلاف الفاخر
بالقلاف العادي

رواية ورش عن نافع ورش عن النخعي محمود خليل المصري
٦٨ إسطوانات مترجلة
٣٥,١٥٠ ليرة
٣٣ ليرة

لما سار اللجنة أيضا أن تعلن عن بيع مجموعة إسطوانات تعليم الصلوة باللغات
العربية والإنجليزية والفرنسية والأوردية والسومالية

المجموعة تحتوي على ٧ سبع إسطوانات

الاستطوانات الأولى بأمانة الأذونات - والثانية لتعلم
كيفية الوضوء - والثالثة إسطوانات الأذونات
على كل منظر صورة من الصلوات الخمس - وأمام كل
إسطوانة - كتيب يشرح كل فريضة - بالكتابة وبالصورة

٥٠ ليرة

مواعيد البيع

من الساعة ٩ صباحا إلى الساعة ٤ مساء - من الساعة ٥ مساء إلى الساعة ٩ مساء
بأمانة أيام الجمع والعطلة الرسمية

القاهرة : مكتبة الفتوة : ٧٦ شارع الجمهورية : ٩١١٧.٨
الرياض : فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية : ٤٢ شارع محمد طه : ٢٨٦٦٢